خُطَبُ أَئِمَّةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ

فِي الجُمُعَةِ وَالعِيدَيْنِ

جمع وتحقيق

صلاح الدين بن محمود السعيد

دار الغد الجديد

جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ

دار الغد الجديد

القاهرة - المنصورة

EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

دار الغد الجديد

القاهرة: ٧ ش درب الاتراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبد السلام عارف أمام جامعة الأزهر
ت فاكس/ ٠٠٢٠٥٠ /٢٢١٦٨٩٨
ت فاكس/ ٠٠٢٠٢/٢٥١٤٨٢١٦

صندوق بريد: 35111

EMAL:DAR.ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع: 2011/20422
الترقيم الدولي: 978-977-2-317-9

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء : ١] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن خير الكلام كلام الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وإن شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

الأمة الإسلامية أمة غراء ، سمة شريعتها أن يعبد الله وحده فى الأرض ، وزمام هذا وقطب رحاه هو الدعوة إلى ذلك وبثه بالأقوال والأفعال ، ولما كان القول باللسان له وقع فى القلب ، وتأثير حسن فى أذن السامع ، ولأن الدعوة تستدعى ألسنة قوالة من أهل الإسلام لتأييده ونصره ، ونشر تعاليمه ومبادئه على أحسن وجه وأكمل حال ؛ فإن مخاطبة الحشود والجماعات قلما تتفق بصفة متكررة إلا فى الجمع والأعياد ، ولعل من أوائل أنواع الخطابة فى الإسلام هو ما صدع به المصطفى ﷺ بين ظهرانى قريش بعدما أنزل الله عليه قوله : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢١٤] فصعد على الصفا ثم نادى : «يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى لؤى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتمونى ؟** » قالوا : نعم . قال : « **فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد** » . فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ [المسد : ١] رواه البخارى ومسلم(١) .

---

(١) انظر : صحيح البخارى برقم (٤٨٠١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٠٨) .

فخطابة النبى ﷺ فى هذا الموضع لم يعهد لها من قبل مثيل بهذه الكيفية ، وهذا التوقيت وهذه الجرأة ، ولذلك كانت من أهم الحوادث وأعظم البواعث للدعوة الجهرية التى أطلقت الألسن من عقالها ، وأثارت الخطابة فى الإسلام من مكمنها ، وأغرت العقول بأحكامها والتفنن فيها ، واختلاب الألباب بسحر بيانها فوق ما كانت عليه فى جاهليتها . كيف لا ورسول الله ﷺ هو القائل فى معرض حديث عن الخطبة : « **إن من البيان لسحراً** » رواه البخارى ومسلم(١) .

وبعد فرض صلاة الجمعة وخطبتها أصبحت صلة النبى ﷺ بجمهور الناس تتكرر نهاية كل أسبوع ؛ مما أضفى على الخطبة شيئًا من الأهمية والمكانة ؛ لأنها منبر التوجيه والإرشاد، فضلاً عن الأعياد والمناسبات العامة كالكسوف والاستسقاء ، ثم ورثها من بعده خلفاؤه الراشدون ، وهم أركان البلاغة ، ودعائم البيان ، وسادات الفصاحة ، ثم من بعدهم ملوك بنى أمية وعمالهم ، ثم خلفاء بنى العباس ، ثم اتسعت حتى أصبحت فى العلماء والمشايخ ، إلى أن اتسع نطاقها لما هو أبعد من ذلك حتى أصبح فى مصر واحدٍ فى هذا العصر أكثر من ألفى جامع ، ولله الحمد والمنة .

وقد اشتهر فى أمة الإسلام خطباء كثيرون يصعب حصرهم ، غير أن من أشهرهم على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو الذى قالوا عنه : إن عباس ، خطب بمكة وعثمان رضي الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا . وقد ذكره حسان بن ثابت .

فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع
سموت إلى العليا بغير مشقة بملتقطات لا ترى بينها فضلا
لذى إربة في القول جداً ولا هزلا فنلت ذُراهًا لا دنيًا ولا وغلا(٢)

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أول من عرف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ، ففسرَّهما حرفًا حرفًا . وكان والله مثجًا يسيل غربًا (٣) ، وكان من الخطباء أيضًا عطارد بن حاجب بن زرارة ، وقد قال فيه الفرزدق بن غالب : ومنا خطيب

(١) انظر : صحيح البخارى برقم (٥١٤٦) ، وصحيح مسلم برقم (٨٦٩) .
(٢) انظر : البيان والتبيين للجاحظ ص (١٧٤) .
(٣) انظر : البيان والتبيين للجاحظ ص (١٧٤) .

لا يُعاب وحامل أغر إذا التفت عليه المجامع[١] .

وكان من الخطباء المشاهير أيضًا: عبد الله بن عروة بن الزبير ، وزيد بن على بن الحسين، والفضل بن عيسى الرقاشي ، وقس بن ساعدة ، وعمرو بن سعيد الأشدق ، وأبو الأسود الدؤلي ، ومنهم أيضًا شبيب بن أبى شيبة ، والحسن البصرى ، وبكر بن عبد الله المزنى ، ومالك بن دينار ، ويزيد الرقاشي ، ومحمد بن واسع الأزدى ، وغيرهم كثير وكثير ، ليس هذا محلاً لحصرهم .

ولقد أعجبنى كلام جميل لطيف للشيخ على الطنطاوى رحمه الله يذكر فيه أهمية الخطبة وها أنا أوجز شيئًا منه لأجل أن تحل الفائدة محلها .

فقد قال رحمه الله : « إنى أحاول أن ألقى اليوم خطبة ، فلا تقولوا قد شبعنا من الخطب ، إنكم قد شبعتم من الكلام الفارغ ، الذى يلقيه أمثالى من مساكين الأدباء ، أما الخطب فلم تسمعوها إلا قليلا ، الخطب العبقريات الخالدات التى لا تنسج من حروف ، ولا تؤلف من كلمات ، ولكنها تنسج من خيوط النور الذى يضىء طريق الحق لكل قلب ، وتحاك من أسلاك النار التى تبعث لهب الحماسة فى كل نفس .

ولا تقولوا : وماذا تصنع الخطب ؟ إن خطب ديموسئين صبت الحياة فى عروق أمة كادت تفقد الحياة ، وهى كلمات وقفت سدًا منيعًا فى وجه أعظم قائد عرفته القرون الأولى، الإسكندر ، ووجه أبيه من قبله : فيليب .

وخطبة طارق هى التى فتحت الأندلس ، وخطبة الحجاج أخضعت يومًا العراق ، وأطفأت نار الفتن التى كانت مشتعلة فيه ، ثم وجهته إلى المعركة الماجدة ، ففتح واحد من قواد الحجاج أكثر مما فتحت فرنسا فى عصورها كلها ، وبلغ الصين ، وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلها ، فاستقر فيها إلى يوم القيامة ، ذلك هو قتيبة بن مسلم .

ولما اجتاح نابليون بروسيا ، ما أعاد لها حريتها ، ولا رد عليها عزمها ، إلا خطب (فخته) التى صارت لقومه كالمعلقات يحفظها فى المدارس الطلاب . . . الخ[٢] . اهـ .

هذا حاصل كلام الشيخ رحمه الله ، والذى من خلاله يتضح شىء من الأهمية لخطب الجمع والمواسم من جهة التأثير على الناس فى دعوتهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة . فلله ما أعظم رتبة الخطباء ، وما أكرم مكانتهم . إنهم يغدون فى خمائل الخطابة، فتراهم تارة يحذرون ، وتراهم تارة يبشرون ، وأخرى يعظون ، ورابعة يذكرون ،

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) انظر : هتاف المجد للشيخ على الطنطاوى ص (٢٣) .

يستلينون الناس بالقول إذا قسوا ، ويستخضعونهم به إذا عصوا ، ويمتلكون أفئدتهم بالرغبة والرهبة أخـرى ، فلله ما أعظم محل الخطبـاء فى النفوس ، وأنفذ كـلامهم فى القلوب ، وأشد إثارتهم للعواطف ، وبالله كم تتجه الأنظار نحوهم ، وتحدق الأبصار شاخصة بهم ، وتلتف حولهم القلوب ، وتترامى إليهم الآمال .

ومساهمة منى فى نشر هذا الفن من فنون الشريعة قمت بجمع هذه الخطب من خطب الحرمين الشريفين ـ المسجد الحرام والمسجد النبوى ـ سائلاً الله عز وجل أن ينفعنى والمسلمين بها وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه

صلاح الدين محمود السعيد

القسم الأول

القرآن الكريم

ربيع القلوب (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله هادى العباد ، الرقيب على خلقه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، أحمده سبحانه حمد عبد وخافه رجاه ، وأشكره ، والشكر واجب على العبد لمولاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ند له فى جلاله وكماله وعلاه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صفوة الخلق ، وأفضل الهداة إلى صراط الله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على طريقه واتبع هداه .

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسى بتقوى الله عز وجل ، التى هى الزاد وبها المعاد ، زاد مبلغ ، ومعاد منجح ، دعا إليها أسمع داع ، استجاب لها خير واع ، فأسمع داعيها ، وفاز واعيها .

أيها الناس :

يقول جل وعلا ، آمرًا نبيه ﷺ : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] . ويقول تعالى : ﴿ **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ** ﴾ [النمل : ٩١ ، ٩٢] ، ويقول تعالى : ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٩] ، ويقول عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر : ١٧] .

عباد الله :

لئن كان شهر رمضان المبارك شهر صيام وصدقة وجود وقيام ؛ فإنه كذلك شهر القرآن والفرقان ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ [القدر : ١] ، ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾ [الدخان : ٣] .

أنزل الله القرآن ، نورًا لا تطفأ مصابيحه ، وسراجًا لا يخبو توقده ، ومنهاجًا لا يضل

---

(١) خطبة للشيخ / سعود الشريم من المسجد الحرام .

نهجه ، وعزًا لا يهزم أنصاره ، فهو معدن الإيمان ، وينبوع العلم ، وبحر لا ينزفه المستنزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، جعله الله ريًا لعطش العلماء ، وربيعًا لقلوب الفقهاء ، ودواء ليس بعد داء ، هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، هو الحق ليس بالهزل ، بالحق أنزله **الله** ،وبالحق نزل ، من عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، من طلب الهدى منه أعزه **الله** ، ومن ابتغى الهدى من غيره أذله **الله** ، يرفع **الله** به أقوامًا ويضع آخرين ، ويأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، قال عنه المصطفى ﷺ : **« من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف »** [رواه الترمذى وقال : حسن صحيح].

أيها الناس :

إن كتاب **الله** عز وجل بمثابة الروح للحياة والنور للهداية ، فمن لم يقرأه ويعمل به فما هو بحى وإن تكلم أو عمل أو غدا أو راح ؛ بل هو ميت ، ومن لم يؤمن به ضل وما اهتدى ، وإن طار فى السماء أو غاص فى الماء ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾[الأنعام : ١٢٢] .

إن الإنسان بلا قرآن كالحياة بلا ماء ولا هواء ، بل إن الإفلاس متحقق فى حسه ونفسه، ذلك أن القرآن هو الدواء والشفاء ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** ﴾[فصلت : ٤٤] .

شفاء للقلوب والأبدان . شفاء للمرء وأنيس ، كلما ضاقت أمامه مسالك الحياة وشعابها ، وافتقد الرائد عند الحيرة ، والنور عند الظلمة ، يجد القرآن ، خير جليس لا يمل حديثه ، وترداده يزداد فيه تجملا وبهاء ، وبه تنضبط النفس المترددة أمام الزوابع والأعاصير ، فلا تغرق فى لجة المهالك ، ولربما ضاقت بالمرء الضوائق ، ومارت فى وجدانه المخاوف ، ويشده ألمه ، فلا يجد إلا أن ينشد راحته فى بضع آيات من القرآن يرددها ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴾[الإسراء: ٤٥] ، ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾[يس : ٩] .

يقرأ المسلم القرآن ، فإذا بالسكينة والطمأنينة ، يعمران قلبه وجوارحه ، ثم تقدم النفس بعد ذلك لا تبالى ما يحدث لها وهى تقرأ قول ربها : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾[التوبة : ٥١] .

وبذلك تتبخر وساوس السوء، ووساوس الضعف ، ويظهر للنفس أن الإنسان مبتلى بالأوهام أكثر مما يبتلى بالحقائق ، وينهزم من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٥] .

عباد الله :

لا يعرف مظلوم تواطأ الناس على ظلمه وزهدوا فى إنصافه كالقرآن ، فلله ما أقل عارفيه ، وإن أحدنا لو ذهب يبحث عن العاملين بما فيه بحق وصدق فى أغلب ما يرى ويسمع ، لأعياه طلابه .

اتخذ الناس هذا القرآن مهجوراً ، واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ؛ صحف ومجلات ، وحكايات وثقافات ، تموج بها الدنيا صباح مساء ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ [يونس : ٣٦] .

إن المرء المسلم ليعجب ، من مواقف كثير من الناس أمام كتاب الله تعالى ، وقد أحاط بهم الظلام من كل جانب ، فيتخبطون فيه خبط العشراء ، أفلست النظم ، وتحطمت كثير من المجتمعات ، وتدهورت القوميات والعالميات ، وأنتنت الحريات اللادينية المزعومة ، فالعجب كل العجب ، أن يكون النور بين أيديهم ، ثم هم يلحقون بركاب الأمم الكافرة فى كل نهج ومسلك ، فلا يستطيعون سبيلاً إلى الهداية .

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والواقع أيها المسلمون : أن أهل الكفر والإلحاد أشغلوا المسلمين عن نورهم وأبعدوهم عن مصدر العزة ، وأغروهم بطيف أنوار زعموها فى السياسة تارة ، وفى العلوم الدنيوية أخرى ، وثالثة فى المال والقهر والجبروت ، ورابعة فى الغزو الأخلاقى والثقافى ، المترجم عبر وسائل متناثرة تتلقفها أقطار المسلمين ومجتمعاتهم إلا من رحم الله .

﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم : ٧] .

لقد قصر جمع من المسلمين مع كتاب ربهم ، حتى إن الواحد منهم ليختم القرآن كله ثم يخرج منه بمثل ما دخل فيه ما فهم من معانيه شيئًا .

ولقد قصر جمع من المسلمين مع القرآن ، حتى قصروا برهم به على أن تتقن مخارج حروفه فحسب ، وتفتتح به البرامج وتغلق ، معقوبًا بصخب وعطب ، من أغان ماجنة ، ومشاهد مضللة ، ويردد فى المآتم ، ويعلق فى المجالس ، ويسأل به المال والجاه ، ويعلق تميمة على الرقاب ، أو يلصق بالصدور .

قال الفاروق رضى الله عنه : « يا أيها الناس إنه أتى على حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن ، إنه إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وقد قيل لى إن أقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم » ا هـ .

فلله كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه ، وكم من ظالم أفاك متجبر يقرأ القرآن فيلعن نفسه ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] . ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١]

أيها المسلمون :

ليس شيء أنفع للعبد فى معاشه ومعاده ؛ وأقرب إلى نجاته وسعادته ، من تدبر القرآن وإطالة النظر فيه وجمع الفكر على معانى آياته ، فإنها تطلع العبد على معانى الخير والشر، وعلى حال أهلها ، وتريه صورة الدنيا فى قلبه ، وتحضره بين الأمم ، وتريه أيام الله فيهم، فيرى غرق قوم نوح ، ويعلم صاعقة عاد وثمود ، ويعرف غرق فرعون وخسف قارون ، بتدبر القرآن ، يعيش المرء مع الآخرة حتى كأنه فيها ، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها . فيصير فى شأن والناس فى شأن آخر ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

لقد أنزل الله القرآن من فوق سبع سماوات للتدبر والتعقل ، لا لمجرد تلاوته والقلب لاه غافل ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩].

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

قال الحسن البصرى رحمه الله : أنزل القرآن ليتدبر ويعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملاً.

عباد الله :

يقول الله عز وجل : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد : ١٦] .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين » .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن » .

فما بال قلوبنا يا عباد الله !! ما هذه القسوة عند تلاوة كلام الله ؟! ما هذه الأقفال التى على القلوب ؟ مواعظ تتلى ، وعبر تسمع ، وسور تقرأ ، ولكنها تدخل من اليمنى وتخرج من اليسرى . من منا بكى عند قراءة الحاقة ، ومن ارتجف حين سمع الزلزلة ؛ ومن تاب يوم أن قرأ القيامة ، ما هذا الران الذى على القلوب ، **أَفَقُدَّت** قلوبنا من حجر؟! أما إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع وتصدع من خشية الله . ولكن قست القلوب ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة : ٧٤] . أعاذنا الله وإياكم من القسوة والغفلة .

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا ، وسائقًا ودليلاً إليك وإلى جناتك جنات النعيم .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها الناس ، يقول الله جل وعلا : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر : ٢٣].

وايم الله ، لقد كان خوف المصطفى ﷺ ، وخشوعه وبكاؤه عند قراءة القرآن لا يوصف ولا يجارى ؛ فقد صح عنه ﷺ ، أنه كان يصلى وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء [رواه أبو داود والترمذى] .

وثبت عند الترمذى والحاكم على شرط البخارى ووافقه الذهبى ، أنه ﷺ قال : « **شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت** » .

وقد قرأ عليه ابن مسعود رضى الله عنه سورة النساء فلما بلغ قول الله : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء: ٤١] . قال : « **حسبك الآن** » . فإذا عيناه تذرفان . [متفق عليه] . بأبى هو وأمى صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال مرة لعائشة رضى الله عنها : « **يا عائشة ذرينى أتعبد لربى** » ، قالت : قلت: والله إنى لأحب قربك ، وأحب ما يسرك : قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلى ، فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حقوبه ، قالت : ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر وقال: ما يبكيك ؟ قال : **لقد نزلت على الليلة آيات ويل لمن يقرؤها ولم يتفكر فيها** : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . [رواه ابن حبان بإسناد جيد] .

وكان أبو بكر الصديق رجلاً أسيفًا لا يستطيع القراءة من كثرة البكاء ، وقد خرج الفاروق رضى الله عنه ليلة يعس ، فسمع قارئًا يقرأ : ﴿ **وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ**

لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور : ١ ـ ٨] ، فـقال رضى الله عنه : « قـسم حق ورب الكعبة » وخر مغشيًا عليه فحمل إلى بيته وبقى مريضًا ثلاثين يومًا يعوده الناس .

بل إن القرآن أيهـا المسلمون ، كان يصل إلى قلوب الكافـرين وهم أبعد خلق الله عن الله وعن كتاب الله ، فهذا عتبة بن ربيعة ، وهو من المشركين ، استمع إلى قراءة النبى ﷺ من سورة فصلت ، فلمـا قام عتبة إلى أصـحابه قال بعضهم لبـعض : نحلف بالله ، لقد جاءكم أبو الـوليد بغيـر الوجه الذى ذهب به . ثم قـال لهم : قد سـمعت قـولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة .

وما كان من النجاشى وقـومه حين سمعوا سورة مريم ، يقـرؤها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه إلا أن فاضت أعينهم من الدمع ، فأنزل الله فيهم : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [المائدة : ٨٣] .

الله أكبر . هـذا كلام رب البشر ، أدهش العـقول ، وأبكى العيون ، وأحـيا القلوب والأفـئدة ، وطأطأت له رؤوس أهل الكفـر ، بل لقـد أدهش الجن وحرك ألبـابهم ، حين سمعوه من المصطفى ﷺ ، وكادوا يكونون عليه لبدًا ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** ﴾ [الجن : ١ ، ٢] .

أيها المسلمون :

ذلكم هو واقع القرآن مع الناس ، مؤمنهم وكافرهم ، وكذا مع جنهم .

وهذا كتـاب الله يتلى فيه بين أظهـركم ويسمع ، ومع هذا قلت العـيون التى تدمع ، والقلوب التى تخشع ، عيون خلت من الـدمع ، فهى خراب بلقع ، تتلى آيات الله ، فلا الشاب منا ينتهى عن الصبوة ، ولا الكبير منا يلتـحق بالصفوة ، ولقد فرطنا فى كتاب ربنا فى الخلوة والجلوة . . وصار بينـنا وبين الصفاء ، أبعد مـا بين الصفا والمروة فـلا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ، أحمده تعالى وأشكره ، جعل القرآن ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنزل كتابه هداية للعالمين، ورحمة للمؤمنين ، وشفاء لما فى صدور الناس أجمعين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كان خلقه القرآن ؛ يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه ، واقتفوا أثره ، وتمسكوا بهديه ؛ فعزوا وسادوا ، وملكوا وقادوا ، ومن تبع هديهم ، ولزم سنتهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا إخوة الإسلام ، يا أمة القرآن ، اتقوا الله تعالى حق تقواه .

عباد الله، ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وأنزل عليه خير كتاب ، لخير أمة أخرجت للناس ؛ يهديهم لأقوم سبيل ، وأهدى طريق ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله ، هو الملاذ عند الفتن ، وهو المنقذ عند المصائب والمحن ، فيه - يا عباد الله - نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ؛ هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار ، قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، ومن التمس العز بغيره ، أذله الله ، ومن طلب النصر بدون التحاكم إليه، أرداه الله ؛ هو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى صراط مستقيم ، تكفل الله لمن قرأه وعمل بما فيه : ألا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة ؛ كما ورد ذلك فى الأثر عن ابن عباس - رضى الله عنهما(٢) - ومن تركه وهجره وأعرض عنه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) رواه ابن أبى شيبة (١٣ / ٣٧١ ، ٣٧٢) ، والطبرى فى « تفسيره » (٨ / ٤٦٩) ، والحاكم فى المستدرك » (٢ / ٣٨١) .

المبين ؛ قال الله - عز وجل : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٧] .

وقال ﷺ في خطبته عام حجة الوداع : « قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابَ اللهِ »(١) .

وقد امتن الله على عباده بإنزال هذا الكتاب العظيم ؛ قال جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٤ ، ١٧٥] ، وقال عز شأنه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال تعالى وتقدس : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، وقال تبارك اسمه : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

والآيات فى هذا كثيرة جدًا ، ومعلومة لكل من قرأ كتاب الله بتدبر وحضور قلب ؛ كما هى سنة أولئك الأبرار ، من السلف الصالح الأخيار - رحمهم الله ، ورضى عنهم - الذين كانوا إذا تعلموا منه عشر آيات ، لم يتجاوزوها ، حتى يعلموا معناها ، ويعملوا بمقتضاها ؛ فتعلموا العلم والعمل معا ؛ كما ورد ذلك عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه (٢) - أولئك الذين يتلقون أوامره ونواهيه ؛ فيسارعون إلى امتثالها دون تردد أو

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجة (٣٠٧٤) ، من حديث جابر بن عبد الله ، رضى الله عنه .

(٢) انظر : « مسند أحمد » (٥ / ٤١٠) ، و« تفسير الطبرى » (١ / ٦٠) .

تساهل، أولئك الصفوة الذيم تلقوا القرآن وقرؤوه ، عقيدة منهم : أنه خطاب الله سبحانه لهم ، يكلمهم به على لسان رسوله ﷺ ؛ ولهذا حملوا راية القرآن قولاً وعملاً ؛ فأرهبوا أعداء الله ، ونشروا العدل والسلام فى أرض الله ، و « **أخرجوا الناس من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا ، إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام** »(١) ؛ فحققوا الخير والسعادة للبشرية كلها .

إخوة الإسلام ، وإننا اليوم لفى زمن كثرت فيه الفتن ، وتلاطمت فيه أمواج المحن ، واستحكمت فيه الشهوات ،وكثرت الشبهات وتعددت المشكلات والتحديات ، وكثر دعاة البدع والمنكرات ، وإنه لا خلاص من هذا كله ، ولا شد لأزر ، ولا رسوخ لقدم ، ولا أنس لنفس ، ولا تسلية لروح ، ولا تحقيق لوعد ، ولا أمن من عقاب ، ولا ثبوت لمعتقد، ولا بقاء لذكر وأثر طيب : إلا بأن يتجه المسلمون جميعًا ـ حكاما ومحكومين ، شعوبا ودولا ، شبابًا وشيبًا ، رجالا ونساء ، علماء وعامة ـ اتجاها صحيحًا ، بكامل أحاسيسهم ومشاعرهم ، بقلوبهم وقوالبهم ، إلى كتاب الله ؛ تلاوة وتدبرا ، وتعلما وتعليمًا ، وعملا وتطبيقًا ؛ فهو المعين العذب الذى لا ينضب مطلقا ، ولا يأسن أبدًا ، والكنز الوافر الذى لا يزيده الإنفاق إلا جدة وكثرة ، ولا تكرار التلاوة إلا حلاوة وطلاوة؛ بيد أنه لا تمنح كنوزه إلا لمن أقبل عليه بقلبه ، وألقى إليه سمعه وهو شهيد .

معشر المسلمين ، إننا فى هذا العصر قد أعرض كثير من الناس عن القرآن ، ونأوا عنه ، فمن تأمل حياة كثير منهم ، وجد أنها لا تمت إلى القرآن بصلة ـ والعياذ بالله! ـ فما أكثر المخالفات الموجودة ، وما أعظم الواجبات المفقودة !!

عباد الله ، سبحان الله ، أين المسلمون اليوم من هذا القرآن العظيم؟! أين شباب الأمة من هذا الكتاب الكريم؟! لقد استبدل كثير منهم الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله! أين النساء من تعاليم القرآن التى تحث على الحجاب، ولزوم الحياء، ولزوم الحشمة، وتحذر من التبرج والسفور والاختلاط ؟! بل أين تحكيم القرآن فى جوانب الحياة كلها؟!

الواقع والحقيقة ـ يا عباد الله ـ أنه صدق فى هؤلاء وأولئك قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴾[الفرقان : ٣٠] .

وهجر القرآن ـ كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله ـ : « يشمل هجر سماعه والإيمان به ، وهجر الوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به ، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه فى أصول الدين وفروعه ، وهجر تفهمه ومعرفة ما أراد الله منه ، وهجر الاستشفاء به من

---

(١) وهذا من قول الصحابى الجليل ربعى بن عامر ـ رضى الله عنه ـ لرستم أمير الفرس ، قبل وقعة القادسية . انظر : « البداية والنهاية » (٩ / ٦٢٢) .

جميع أمراض القلوب »[١] .

وكل أنواع الهجر هذه متحققة - ويا للأسف ! - فى واقع الناس اليوم .

إن الذين يقرؤون كتاب الله ، ويصرون على مخالفته - بل قد يزيدون فى دين الله ما ليس منه ؛ من البدع والمحدثات - ليسوا بمؤمنين به على الحقيقة ، وإن زعموا ذلك ألف مرة ، وإن قرؤوه فى أعمارهم كلها ! أين الذين امتطوا صهوة التعامل بالمحرمات ، وتلطخوا بارتكاب الفواحش والمنكرات ؛ كالزنى ، والربا ، وقتل النفس بغير حق ، والسرقة ، والغش ، والظلم ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وساقط القول والعمل ، وغيرها من المحرمات ؛ أين هم من الإيمان بالقرآن ؟! أين الذين يتركون الواجبات ، ويتساهلون فى المأمورات ؛ كالصلاة ، والزكاة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى المساكين ؛ أين هم من الإيمان بالقرآن ؟!

إن هؤلاء الذين يسمعون القرآن أو يقرؤونه، ويعرضون عن تطبيقه، لهم نصيب من وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

وبؤسًا لهم حيث تشبهوا بمن قال الله فيهم: ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦] .

فإلى القرآن ، إلى القرآن - يا عباد الله - ننهل من معينه ، ونرتوى من نميره ؛ لنحقق سعادة الدنيا والآخرة ؛ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء : ٩ ، ١٠] .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا ، يا رب العالمين ، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم ألبسنا به الحلل ، وأسكنا به الظلل ، وزدنا به من النعم ، وارفع عنا به النقم ، يا أرحم الراحمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) « الفوائد » لابن القيم (ص ٨٢) .

الخطبة الثانية

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] ، أحمده وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى كان خلقه القرآن ، بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلي الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل(١) ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

عباد الله ، إن الرفعة والقيادة ، والكرامة والريادة ، والعزة والسيادة ، فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة - إنما هى لحملة كتاب الله العاملين به ؛ وهذا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ أخرج الإمام مسلم - رحمه الله - عن عمر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ »(٢) ، وأخرج البخارى ، عن عثمان - رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٣) ، وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال : « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ »(٤) .

وقد جاءت السنة المطهرة منوهة بما لحملة كتاب الله من الأجر والمكانة ، فى الآخرة والأولى ؛ فعن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقْرَؤُوا القُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ »(٥) ، وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

---

(١) إشارة إلى أثر ابن مسعود ، رضى الله عنه ، وقد تقدم تخريجه .

(٢) « صحيح مسلم » (٨١٧) .

(٣) « صحيح البخارى » (٥٠٢٧) .

(٤) رواه البخارى (٧٥٢٩) ، ومسلم (٨١٥) .

(٥) رواه أحمد (٥ / ٢٤٩) ، ومسلم (٨٠٤) .

قال رسول الله ﷺ : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق ، له أجران** » [١] ، وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ حرفًا من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول « آلم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف** »[٢] ، وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »[٣] .

فيا له ـ أيها المسلمون ـ من فضل عظيم ، وثواب كبير ، لا يغفل عنه إلا غافل !! تلك ـ والله ـ هى الغبطة الحقيقية ؛ فليست الغبطة والسعادة بحطام الدنيا الزائل ، ولا بالمفاخرة بالمراكب ، ولا بالمطاعم والمشارب ، والمساكن والمراتب .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وخذوا بكتاب ربكم ، وإلى القرآن ـ يا أمة الإسلام ـ خذوا منه منهاجًا لحياتكم فى جميع شؤونكم ، وبهذا تستردون مجدكم التليد ، وعزكم العتيد ، وقدسكم الفقيد : ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، وفاطر : ١٧] ، ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] .

ألا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على خير نبى أنزل عليه خير كتابه ، نبيكم المصطفى الأواب ؛ كما أمركم بذلك العزيز الوهاب ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٥٦].

---

(١) رواه البخارى (٤٩٣٧) ، ومسلم (٧٩٨) ، والترمذى (٢٩٠٤) .
(٢) رواه الترمذى (٢٩١٠) ، والحاكم (١ / ٥٥٥ ، ٥٦٦) .
(٣) رواه أحمد (٢ / ١٩٢) ، وأبو داود (١٤٦٤) ، والترمذى (٢٩١٤) .

نهل وارتشاف ، من معين سورة « ق » (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أنزل كتابه الكريم هدى للمتقين ، وعبرة للمعتبرين ، ورحمة وموعظة للمؤمنين ، ونبراسًا للمهتدين ، وشفاء لما فى صدور العالمين ، أحمده تعالى على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحيا بكتابه القلوب ، وزكى به النفوس ، هدى به من الضلالة ، وبصر به من الغواية ، وذكر به من الغفلة ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، الذى كان خلقه القرآن ؛ فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل(٢) ، ورضى الله عن جنده وحزبه ، ومن ترسم خطاه وسار على نهجه ، ما تعاقب الجديدان ، وتتابع النيران ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله ـ تبارك وتعالى ـ واشكروه على ما هداكم للإسلام ، وجعلكم من أمة القرآن ، المعجزة الباهرة ، والآية الظاهرة ، كتاب الهدى ، وسر السعادة والقيادة ، ولواء الريادة والسيادة ، وإمام الخير والحق والفضيلة ، ودستور العدل والأمان فى كل زمان ومكان؛ ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤٢] .

أمة القرآن ، إن سعادة البشرية ، وعز الإنسانية ، وصلاح البلاد والعباد ـ مرهون باتباع هذا الكتاب ؛ فإن كان للأمة قائدًا وإمامًا ، نصب الأعين ، وبين الأيدى ، حصلت لها سعادة الدارين ، ونجاة الحياتين ، وإن كان خلف الظهور ـ والعياذ بالله ! ـ عم الذل والشقاء فى الأولى والأخرى ، لو وقفت الأمة تحت راية القرآن ، وتفيأت ظلال دوحة الفرقان ، لسمت سماء المجد ، وتبوأت مكانة العزة والشرف والقوة ، ولو أنها حافظت عليه ، وعملت بما فيه ، أضاءت لها المسالك ، وتفتحت لها المدارك ، ولو تدبر المسلمون كتاب الله ، ووقفوا عند آياته ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، لحققوا السعادة عاجلاً وآجلا .

إخوتى فى الله ، يقول الله سبحانه : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ**

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) كما جاء فى أثر ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وقد سبق تخريجه .

أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] ، وأنكر المولى - سبحانه وتعالى - على الذين أعرضوا عن كتابه ، فلا يتعظون ولا يتدبرون ؛ استمعوا إلى قوله تقدست أسماؤه : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] ؛ ولذلك كانت سنة رسول الله ﷺ كثرة موعظة الناس بهذا القرآن ، بل كان - عليه صلوات ربى وسلامه - يخطب الناس به ؛ كما أخرج الإمام أحمد ، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم ، عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان - رضى الله عنها - قالت : « **ما أخذت ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾(١) إلا عن لسان رسول الله ﷺ ؛ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس** » .

يا إخوة الإسلام ، ويا أهل القرآن ، ما أجمل أن نعيش لحظات فى ظلال هذه السورة، نتدبر آياتها ، ونتأمل عظاتها ، ونقف عند عجائبها ؛ إحياء لهذه السنة التى اندثرت أو كادت ، فلم يكن - عليه الصلاة والسلام - ليخطب الناس بها ، ويركز عليها فى مجامعهم، ويقرأها فى الفجر ، والجمع ، والأعياد ، إلا لما لها من الشأن والمكانة ؛ إنها سورة عظيمة رهيبة شديدة الوقع بأسلوبها وحقائقها ، تأخذ بمجامع القلوب ، تهز النفوس هزا ، وتثير فيها الخوف من الله ، وتوقظها من الغفلة .

فعسى أن نلقى نظرات ، تصحبها عبرات ، من قضايا هذه السورة العظيمة ، وصورها المتعددة ؛ فى الحياة والاحتضار ، والممات والبعث ، والحشر وغيرها ؛ ﴿ **تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [ق : ٨] .

أيها المسلمون ، لقد ابتدأ الله هذه السورة بالإنكار على المكذبين ، المنكرين لرسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - الجاحدين للبعث والحساب ؛ بقولهم : ﴿ **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ [ق : ٣] .

فبين الله سبحانه أنهم لما كذبوا بالحق ، التبس عليهم الأمر ، ﴿ **فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ** ﴾ [ق : ٥] ؛ قد اختلفت عليهم الحقائق ، وعميت عليهم السبل ، وهكذا كل من حاد عن الحق تتقاذفه الأهواء ، وتمزقه الحيرة ، وتقلقه الشكوك ، لقد جاء صدر هذه السورة ليعالج قضية عقدية مهمة ، ألا وهى : « قضية البعث وإنكار الكفار له » ، بأسلوب يذيب القلوب ويرققها ، ويقيم الحجة على المعاندين ، ويلفت أنظارهم إلى بديع خلق الله فى الأرض والسموات ، والجبال والمطر والنبات ؛ ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ**

---

(١) رواه أحمد (٦ / ٤٣٥) ، ومسلم (٨٧٣) ، وأبو داود (١١٠٢) .

الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٦ ـ ١١] .

ثم يأتي السياق بعرض صفحة أخرى تذكر القلوب بمصارع الغابرين ، وأحوال المكذبين السابقين ، الذين حق عليهم وعيد الله بعذابه ونكاله بهم ؛ ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ** ﴾ . . إلى قوله سبحانه : ﴿**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ** ﴾ [ق: ١٤].

وتمضي السورة مستطردة مع قضية البعث ، مذكرة الإنسان بخلق الله له ، وعلمه به ، وقربه منه ، وأنه سبحانه يعلم وساوس النفس ، وخلجات الضمير(١) ، فضلا عن الظاهر المبين : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ [ق : ١٦] ، وتلفت الأنظار إلى رقابة الله ـ جل وعلا ـ على خلقه ، وأنه مطلع على أعمالهم، وقد أوكل بكل إنسان ملكين يتلقيان أقواله وأعماله ، فكل لفظة وكلمة مدونة عليه ؛ ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨] .

ثم تأتي المشاهد المرعبة بأسلوب رهيب مخيف يرج الأفئدة رجا ، مبتدئًا بمشهد الموت وسكراته ، ثم مشهد الحساب وعرض الصحف ، ثم مشهد جهنم ـ أعاذنا الله منها ! ـ فاغرة فاها تتلمظ ، كلما ألقى فيها وقودها من الناس ، تقول : ﴿ **هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ [ق : ٣٠] ، نعوذ بالله من سخطه وعذابه ، وأليم عقابه ! وبجانب ذلك مشهد الجنة ونعيمها ، جعلنا الله وإياكم من أهلها !

﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ**﴾ [ق: ١٩] ، إنها سكرة فراق الأهل والمال والمنصب ، ﴿ **ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ ، وتهرب ، ولكن لا مفر من الموت ولا مهرب، ومن سكرة الموت إلى وهلة الحشر وهول الحساب ، ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾ [ق : ٢٠ ، ٢١] ، وفي هذا الموقف العصيب يقال له : ﴿ **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق : ٢٢] .

ويكشف السياق عن جانب أشد وأعظم : ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ [ق: ٣٠] ، الله أكبر ! يحضر الملائكة ﴿ **كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ**﴾ [ق : ٢٤، ٢٥] ؛ فيقذفون مع كثرتهم في جهنم تباعًا، فتفتهم ركاما، ثم تنادى جهنم : ﴿ **هَلِ امْتَلأْتِ** ﴾ [ق : ٣٠] واكتفيت ؟! ولكنها تجيب جوابًا يروع القلوب ويهز النفوس : ﴿ **هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ ؟! فيا له من هول شديد ، ورعب أكيد ، يبعث أهل القلوب الحية على

---

(١) خلجات الضمير : وساوسه وما يجيش به . انظر : « اللسان » (خلج) .

الأخذ بأسباب الوقاية منها .

ويقابل هذا المشهد المرعب مشهد الجنة تقرب من المتقين : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ [ق : ٣١ ـ ٣٥] .

ثم تختم السورة بتأكيد القضايا السابقة ، ولكن بأسلوب جديد ، ليكون أكثر وقعًا ، وأشد تركيزًا ، فيه لمسات التاريخ ، ومصارع الهالكين ، وفيه الإشارة لبعض الحقائق الكونية، وفيه التذكير بحقيقة البعث والنشور ، ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق : ٣٧] .

وبعد ـ يا أمة القرآن ـ هذه وقفات سريعة ، ونظرات خاطفة ، فى سورة من أعظم سور القرآن ، فأين القلوب التى تعى كلام الله ، وتتدبر آياته ؟! أين : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ [الأنفال : ٢] ؟! العجب كل العجب أن تكون القلوب ـ وهى مضغ من لحم ودم ـ أقسى من الجبال الرواسى ، والحجارة القاسية ! ألم يقل الله سبحانه : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر : ٢١] ؟! فما بال القلوب ـ يا عباد الله ـ لا تلين ولا تخشع عند سماع آيات كتاب الله ؟!

إنها دعوة إلى المسلمين جميعًا ـ ولا سيما حملة كتاب الله ـ أن يتدبروا كتاب الله ، وأن يستلهموا ما فيه من العبر والعظات ، وأن يقفوا عند عجائبه ؛ فتتحرك به قلوبهم ، يجب أن تربى الأجيال وتنشأ الأسر على هذا المنهج السليم ؛ تأسيا بسلف هذه الأمة ـ رضى الله عنهم ـ بإخلاص واحتساب ، دون تصنع وتزلف واحتراف ، وليتق الله من هضم حق كتاب الله ؛ فساواه بغيره ، ولاكه بلسانه ، هذا وهذرمة[1] ، دون تدبر وتفكر .

يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « **لا تهذوا القرآن هذا الشعر** [2] **، ولا تنثروه نثر الدقل** [3] **، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن**

---

(١) الهذرمة : السرعة فى الكلام والتخليط فيه . « النهاية » (هذرم) .

(٢) أى : لا تهذوا القرآن هذا ؛ فتسرعوا فيه كما تسرعون فى قراءة الشعر ! والهذ : سرعة القطع . «النهاية » (هذذ) .

(٣) الدقل : ردىء التمر ويابسه ، وما ليس له اسم خاص ، فتراه ليبسه وردائته لا يجتمع ، ويكون منثورًا . « النهاية » (دقل) .

هم أحدكم آخر السورة » [١] .

يا إخوة الإسلام ، أعيدوا لكتاب الله حقه ، لقد كان بعض السلف يقوم الليل كله بآية واحدة من كتاب الله ، يكررها ويبكى من خشية الله حتى الصباح[٢] ! فأين نحن من هذا المنهج السديد ؟! أما الشاردون عن القرآن الغافلون عنه ، فليتقوا الله ، وليعودوا إليه ؛ ليرتووا من نميره ، وينهلوا من معينه ؛ فهو علاج أمراض القلوب ، وجلاء صدئها ، بإذن الله .

ولا بد من التذكير بما لهذا الكتاب من مكانة ،وما يجب على الطلاب والمدرسين ، وأولياء الأمور من مسؤولية تجاه كتاب الله ، تلاوة وتدبراً ، وتطبيقًا وتربية ؛ ليعمل الجميع قدر جهدهم على أن يكون لكتاب الله النصيب الأكبر ، والحظ الأوفر من الأوقات ، ففى ذلك الفضل العظيم ، والخير العميم فى الدنيا والآخرة .

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك ، اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا ، اللهم بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) رواه ابن أبى شيبة (٢ / ٥٢١) ، والبيهقى فى « الشعب » (٢٠٤١ ، ٢٠٤٢) ، والبغوى فى «تفسيره » (٨ / ٢٥١) .

(٢) انظر : « فضائل القرآن » لأبى عبيد (ص ١٤٤) ، و « التبيان » للنووى (ص ١١٢) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الولى الحميد ، أحمده تعالى وأشكره وأسأله من فضله المزيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المبدئ المعيد ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله أشرف الأنبياء ، وأفضل الرسل وخلاصة العبيد ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

أيها الإخوة فى الله ، ووقفة أخيرة مع خواتيم هذه السورة العظيمة ؛ حيث تمثل الخاتمة إيجازًا لموضوعات السورة وقضاياها ؛ من البعث ، والنشور ، ومراحل الخلق ، ومصير الخليقة ، وأهوال القيامة ، والحض على الصبر فى تبليغ هذا الدين ، كل ذلك تبصرة وذكرى .

وتأتى خاتمة الختام : ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق : ٤٥] ؛ لتؤكد أن التذكير والذكرى - لمن يخاف الوعيد في الأخرى - يتلخص فى هذا القرآن المجيد ، وهى دعوة للناس عمومًا ، وللدعاة خصوصًا : أن يكون محور دعوتهم مرتكزًا على هذا القرآن العظيم ، وربط الناس به على كل الأحوال وفى كل مجال ؛ ففيه سعادة الدنيا والآخرة .

هذا ؛ وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على خير رسول أنزل عليه خير كتاب ، كما أمركم بذلك اللطيف الوهاب ، فقال تعالى قولاً كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

القســـم الثانى

العلـــم والعلمـــاء

أعذب الموارد العلم النافع(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، رفع شأن العلم ، وأعلى قدر أهله ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، الذين كانوا بعلمهم وعملهم منارًا للسالكين ، وقدوة للعاملين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى ؛ فتقوى الله سبحانه سبب موصل للعلم الذى هو سلم النجاة ، بإذن الله ؛ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، أى : علمًا تفرقون به بين الحقائق ، وتفضلون به بين الحق والباطل(٢) .

عباد الله ، إنه مما لا شك فيه : أن العلم شرف ، ونور ، وفضيلة ، وأن الجهل شر ، وبلاء ، ورذيلة ، وأن العلم النافع مصدر الفضائل وينبوعها ، وأن الجهل مكمن الرذائل وبؤرتها ، وأن العلم أعذب الموارد ، ومجمع الشوارد ، وأنه بالعلم النافع يتحقق للأفراد والمجتمعات ، بناء الأمجاد وتشييد الحضارات ؛ كما أنه بالجهل تتزعزع الأركان ، ويتصدع عامر البنيان ، ويحل الدمار ببنى الإنسان ؛ لذلك كله ، ولما للعلم من شرف المكانة ، وعظيم المنزلة ، جاء ديننا الإسلامى الحنيف بالحث على العلم ، والترغيب فيه ، والتشجيع على سلوك سبيله ، وأن سلوك سبيل العلم النافع طريق إلى دخول الجنة ، بإذن الله .

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ** »(٣) .

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) انظر : « مفتاح دار السعادة » (١ / ٥١٩) ، و « تيسير الكريم الرحمن » للعلامة السعدى (١ / ٢٤٣ تفسير سورة البقرة ، آية : ٢٨٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

كما كان الأمر بالقراءة أول صيحة مجلجلة(١) أطلقها الإسلام ؛ تنويها بقيمة العلم، وسموا بقدرة ، وتكوينا لقاعدة البناء المعنوى فى الأمة ، وتشـييدًا لصرح حضارتها ، وسر ازدهارها ، ونمو كيانها ، ألا وهو : العلم بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، والعلم بكل ما تحتاجه الأمة الإسلامية فى مسيرتها ؛ لتواكب بحضارتها عصرها الذى تعيشه ، مع تمسكها بأصول عقيدتها ، وتعاليم دينها .

أمة الإسلام ، كم فى كتاب الله من الآيات الكريمة فى هذا الموضوع المهم ، ألم تقرؤوا قوله سبحانه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ [الرعد : ١٩]، وقوله جل وعلا : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، وقوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقوله تـعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ، وقوله جل وعلا : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ؟!

كذلكم كان رسولكم ﷺ ـ وهو المعلم الأول ـ قدوة حسنة فى هذا المجال ؛ فجاء فى سنته القولية والعملية ما يبين المقام الأسمى فى هذا الأمر العظيم .

أما سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ فقد سطروا أنصع الصفحات ، وضربوا أروع الأمثلة فى الحرص على العلم ، وقطعوا الفيافى والقفار للرحلة فى طلبه ؛ حتى خلف ذلك الجهد حضارة علميـة متنوعة ، لم يشهد التاريخ لهـا مثيلا ، وتبوأت المكتبة الإسـلامية فى شتى العلوم والفنون أوج مكانتها ، وما ذلك إلا بتوفـيق الله سبحانه ، ثم بالإخلاص فى طلب العلم ، حيث لم تدنسه الأطماع الدنيوية ، والمطامح المادية ، ثم بالمنهج السليم ، والجد ، والمثابرة ، مما يتطلب من طلاب العلم اليوم التأسى والاقتداء .

أمة العلم والإيمان ، إن أعظم بلية بلى بها كثير من المسلمين اليوم : الجهل بدين الله ؛ فهو سبب كل مشكلة ، وطـريق كل معضلة صاحبه إذا عاش فهو غـير معدود ، وإذا مات فهو غير مفقود ، وما عبد غـير الله ، وما تعبد كثير من الناس بغير شرع الله ـ من الطرائق والأهواء ـ إلا نتيجة الجهل بجوهر الإسلام ، وأصوله السامية .

وبالجملة : فكل شر وبلاء ، وفـساد وداء ، فى عقـيدة الأمة وعـباداتها وتصـوراتها وأفكارها ، وسلوكها وأخلاقها ـ فالجهل مصدره ، والعى(٢) مورده ، ومن أحب نجاته ، فطريق العلم سلم الوصول لذلك ، بإذن الله .

---

(١) صيحة مجلجلة ، أى : بعيدة الصوت جهيرة . « اللسان » و « القاموس » (جلل) .

(٢) العى : الجهل . « النهاية » (عيى) .

وأولى علم نريده : العلم بكتاب الله ؛ تلاوة وحفظًا ، وتدبرًا وتفسيرًا ، ثم العلم بسنة رسول الله ﷺ ؛ رواية ودراية ، وتطبيقًا ، والعناية بالفقه فى دين الله ؛ فى العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ونحوها ؛ ليكون المسلم على بصيرة من أمره ، كذلك العلم بلغة القرآن الكريم ، اللغة العربية الفصحى ، التى زهد فيها كثير من الناس ، وزاحموها بغيرها من اللغات ، ولا تزال تلقى حربًا لا هوادة فيها ؛ فى أساليبها وتراكيبها ، وشعرها ونثرها، من بعض الحاقدين عليها ؛ لكن الله حافظها ما حفظ دينه وكتابه .

هذا ؛ وإن المسلمين اليوم لفى أمس الحاجة إلى أن يتكون منهم أجيال ملمة بالعلوم المهمة التى يحتاجها المسلمون ؛ كعلم الطب ، والهندسة ، والاقتصاد ، وسواها من فروض الكفاية ؛ ليتسنى لهم خدمة دينهم ، والاستغناء عن غيرهم .

ومما يجدر التنويه بشأنه : ضرورة تعلم طائفة من المسلمين العلوم العسكرية ، والآلات الحربية ؛ ليتمكنوا من مواكبة العصر الذى يعيشونه ، وليتسنى لهم الدفاع عن مقدساتهم ، وحرماتهم ، وعقيدتهم ، كما ينبغى أن يكون من بين المسلمين من يعنى بالعلوم المهنية ، والأعمال الفنية ؛ ليكمل المسلمون أنفسهم من كل علم فيه نفعهم ، وصلاح أحوالهم .

وإنما المهم فى كل علم : إخلاص العمل فيه لله ، وتسخيره لخدمة الدين والعقيدة ، والدعوة إلى الإسلام من خلاله .

فلعل أبناء المسلمين الذين يستعدون هذه الأيام لبداية عام دراسى جديد ، لعلهم أن يعوا هذه القضايا المهمة فى هذه الرسالة الجليلة .

فيا أبناء الإسلام ، ويا طلبة العلم ، يا من شرفكم الله بالنهل من ميراث النبوة ، اتقوا الله ـ عز وجل ـ فى طلبكم ، واعتنوا بالعلم الشرعى ، واسلكوا منهجه الصحيح ، واطلبوه من أهله الموثوقين .

وأنتم ـ أيها المدرسون ـ يا من حملتم أمانة التعليم والتربية لفلذات أكباد المسلمين ! اتقوا الله فيهم ، واعلموا أنكم مسؤولون عنهم أمام الله ؛ فكونوا قدوة لهم وخير مثل يحتذى فى الخلق والاستقامة ، واعتنوا بتربيتهم تربية إسلامية صحيحة ؛ لتسير العملية التعليمية والتربوية بخطا سليمة ، فأنتم مربون ، قبل أن تكونوا ملقنين .

أما من الله عليهم بالعلم والمعرفة ، من العلماء ورثة الأنبياء : فإن واجبهم عظيم فى البلاغ والبيان ،وتعليم المسلمين أمور دينهم ، وإعادة مكانة العلم الشرعى ، وإحياء حلق الذكر فى المساجد ، ودور العلم ؛ كيلا يقعوا تحت طائلة الكتمان المحرم .

ونداء إلى من اؤتمنوا على إعداد الخطط ، ورسم مناهج التعليم لأبناء المسلمين

وبناتهم: أن يتقوا الله فيهم ، ويشبعوا نهمهم من العلوم الشرعية ، ويجعلوا مناهجهم مبنية على الكتاب والسنة ، ويقصوا كل ما يتنافى مع ديننا ، ومثلنا ، ومبادئنا ؛ لتتحول المدارس، والمعاهد ، والجامعات إلى صروح خير وهدى ، وميادين توجيه وتربية .

ودعوة إلى أولياء أمور الطلبة والطالبات : أن يعوا دورهم الكبير فى متابعة أبنائهم ، وتفقد أحوالهم ، وإيجاد العلاقة الوطيدة [١] بين الأسر والمدرسة ؛ ليتم التعاون البناء المثمر؛ علما وعملا ، وتوجيها وتربية .

هذه ـ أيها المسلمون ـ إشارات يسيرة ، فى مهمة عظيمة أرجو أن يكون طرحها بمناسبة بدء العام الدراسى الجديد حافزًا للهمم ، وأن يعى كل واحد منا دوره ؛ ليتم لمجتمعاتنا المسلمة ما تصبو إليه من عزة ومنعة ، ونصرة ومجد وقوة .

والله نسأل أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصالح ؛ إنه جواد كريم ؛ أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) وطد الشىء يطده ، فالشىء موطود ووطيد : أثبته وثقله . « اللسان » (وطد) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله الأعز الأكرم ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعى إلى السبيل الأقوم ، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعرفوا للعلم قدره ، واجتهدوا ما استطعتم تفقها فى دينكم ؛ فـ « **مَنْ يُرد به خَيْراً يُفقِّهْهُ فى الدِّين** »(١) ، واسألوا أهل العلم عما أشكل عليكم ، واعمروا أوقاتكم بالعلم النافع ، فليس العلم محدوداً بسن معينة ، ولا مقيداً بمرحلة محدودة ، ولا منتهيًا بنيل شهادة عالية .

واعلموا : أنكم فى زمان لا مخرج لكم من فتنة إلا بالتسلح بالعلم النافع ، وإذا كان العالم ـ بحمد الله وفضله ـ يشهد إقبالاً وصحوة ، فينبغى أن يتوج هذا بالعلم النافع ؛ ليرسى قواعده ، ويضبط مسالكه ، ويعصمه من الانحراف ، بإذن الله .

كذلكم : يجب على القائمين بالدعوة إلى الله ، وأعمال الحسبة : أن يكونوا على علم بما يدعون إليه ، وطريقة الدعوة إلى الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ حتى لا تحصل مجاوزة للحكمة ، أو وقوع فى المضرة ، الناتجان ـ غالبًا ـ عن قلة البضاعة فى العلم .

هذا ؛ وإن من الظواهر الخطيرة فى هذا المجال : « ظاهرة التعالم » ، وادعاء بعض الناس العلم وهم ليسوا كذلك ، بل ليسوا من أنصاف المتعلمين ، فينشأ عندهم من الجرأة على الله وعلى رسوله ﷺ ، ومن إصدار الفتاوى ، والنيل من أهل العلم المعتبرين ، ما يسبب خطرًا كبيرًا على المجتمعات .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وتعلموا ما ينفعكم ، وأتبعوا العلم بالعمل والدعوة إلى الله ، كل ذلك بخطا متوازية ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، وبذلك يحصل النفع العظيم ، والخير العميم ، بإذن الله .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على معلم الناس الخير ، النبى المجتبى ، والرسول المصطفى ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) حديث رواه البخارى (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) ؛ من حديث معاوية ، رضى الله عنه .

إلى الموقعين عن رب العالمين [(١)]

الخطبة الأولى

الحمد لله فالق الإصباح ، وفارق أهل البغى من أهل الصلاح ، المنزه فى عظيم عليائه عن مشابهة الأرواح ، ومشاكلة الأشباح ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة زاكية الأرباح ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، أرسله والحرمات تستباح، وحزب الكفر قد عم الفجاج والبطاح ؛ فلم يزل ﷺ يرشد إلى الحق بالحجج الوضاح ، وسمهرية [(٢)] الرماح ؛ حتى ظهر دين الله وسرى فى الآفاق سريان الرياح ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه ومحبيه ما أزال الظلم الحنادس[(٣)] ضوء الصباح ، صلاة نحوز بها أعلى مراتب الفلاح ، وأسمى درجات النجاح ، ونتخلص بها من دركات الإثم والجناح ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا عباد الله ، اتقوا الله ربكم وأطيعوه ، وراقبوه ولا تعصوه ، اتقوه جل وعلا حق التقوى ؛ فليس لكم بغير التقوى حبل يقوى ، ولا أمل يبقى .

أيها المسلمون ، من أعظم مقاصد شريعتنا الغراء ، حفظها لدين المكلفين ، وذلك من جهتين - كما يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبى - رحمه الله : « جهة وجودية : تكفل إيجاده وتكوينه ، وجهة عدمية : تكفل حفظه وصيانته »[(٤)] .

ومن المسلم لدى أهل الإيمان الحق ، أن مصدر تلقى المسلم لدينه : عقيدته ، وعبادة، ومعاملة ، وسلوكًا ؛ تحليلا ، وتحريمًا ؛ تحاكما ، وتحكيمًا ، إنما هو : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ؛ فكما أن لله وحده الخلق والتدبير ، فله - جل وعلا - الأمر والنهى ؛ كما قال سبحانه : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقد حذر سبحانه من التلقى عن غير هذا المصدر الثر[(٥)] ؛ فقال تعالى وتقدس : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[الشورى : ٢١] .

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) السمهرية : القناة الصلبة . « اللسان » (سمهر) .

(٣) الحنادس : جمع حندس ، وهى : الظلمة . « اللسان » (حندس) .

(٤) « الموافقات » للشاطبى (٢ / ١٨) بتصرف يسير .

(٥) الثر : الغزير . « اللسان » (ثرر) .

إخوة الإسلام ، كم ترتعد الفرائص ، وتوجل القلوب ، وترى قسمات الاستنكار فى الوجوه ؛ إذا حذر المسلمون من الشرك والقتل ، والربا والزنى ، ونحوها من الكبائر ؛ لأنها معان لا تتهلل لها سبحات الوجوه (١) ؛ إذ هى ذنوب توعد الله عليها وعيدًا شديدًا فى الدنيا والآخرة ، ولما لها من الآثار الخطيرة فى تفويض حياة الأمة ، وإيرادها موارد العطب والهلاك ، ولا غرو ؛ فالمعاصى وسائل هدم وتدمير ، لكنها أنواع ودركات .

إذا كان ذلك كذلك ـ يا عباد الله ـ فهل تعلمون ما هو أخطر من ذلك كله ؛ بل ما هو أصل للشرك والكفران ، وأساس للبدع والعصيان ؛ ما هو أغلظ وأنكى منها ومن جميع الفواحش والآثام ، والجرائم والبغى والعدوان ؟! إنه أصل الجرائم على الإطلاق ، ذلكم هو : « القول على الله بغير علم » .

يقول سبحانه : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فانظروا ـ يرعاكم الله ـ كيف قرن الله سبحانه القول عليه بلا علم ، بالشرك به والبغى ، والإثم والفواحش ؟! بل لقد جاءت هذه المحرمات الأربع مرتبة على حسب مراتب الشدة فيها على سبيل التعلى ، فأهونها أولها ، وأخطرها آخرها ، ولا عجب ؛ فما الشرك بالله إلا ضرب من القول على الله بغير علم .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية : ﴿ **وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ « أى : من الافتراء والكذب؛ من دعوى أن له ولدا ونحو ذلك ، مما لا علم لكم به»(٢) .

إخوة الإيمان ، إن التحليل والتحريم حق لله وحده ؛ فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، ولقد أنكر سبحانه على أقوام جعلوا مصدر التحليل والتحريم من قبل أهوائهم؛ فقال عز من قائل : ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النحل : ١١٦ ، ١١٧] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ [يونس : ٥٩ ، ٦٠] .

---

(١) سبحات الوجوه : أضواؤه ومحاسنه ، جمع : سبحة . « النهاية » (سبح) .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣ / ٤٠٩) .

وإن من أكبر الجنايات أن يتصدر المرء للخوض فى دين الله تحريمًا وتحليلا ، من غير علم ولا بصيرة ، وهذا - مع كونه جناية عظمى - ففيه سوء أدب مع الله تبارك وتعالى ، حيث يتقدم بين يديه ؛ فيقول فى دينه وشريعته ما لا يعلم ، وتلك - والله - أمارة ضعف الإيمان ، وقلة الديانة ، بل ونقص العقل والمروءة .

إخوة العقيدة ، لقد رسم النبى ﷺ ومن بعده السلف الصالح - رحمهم الله - المسلك الوضاء فى هذه القضية الخطيرة ديانة وورعا وتثبتًا :

فهذا أعلم الأمة وإمامها ﷺ يسأل عما لم ينزل عليه فيه وحى ، فينتظر حتى ينزل عليه الوحى ، وآيات ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ فى الكتاب العزيز غير قليلة .

وهكذا كان الأجلاء من صحابة رسول الله ﷺ :

فهذا أبو بكر - رضى الله عنه - يقول : « **أَىُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنى ، وَأَىُّ أَرْضٍ تُقِلُّنى ، إِنْ أَنَا قُلْتُ فى كِتَابِ الله مَا لاَ أَعْلَمُ ؟!** »(١) ، وها هو عمر - رضى الله عنه - تنزل به الحادثة ، فيجمع لها أكابر الصحابة ، ويستشيرهم فيها ؛ قال ابن سيرين - رحمه الله تعالى - : « **لم يكن أحد بعد النبى أهيب لما لا يعلم من أبى بكر ، ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر** »(٢) .

وقال ابن مسعود - رضى الله عنه - : « **إن الذى يفتى الناس فى كل ما يسألونه لمجنون** »(٣) .

وقال أيضًا : « **من سئل منكم عن علم هو عنده ، فليقل به ، فإن لم يكن عنده ، فليقل: الله أعلم ؛ فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم** »(٤) .

ورحم الله الإمام الشعبى حينما سئل عن مسألة ، فقال : لا أدرى فقال له أصحابه : إنا نستحى لك من كثرة ما تسأل فتقول : لا أدرى ، فقال : « لكن الملائكة لم تستحى

(١) رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص ٣٧٥) ، والطبرى فى « تفسيره » (١ / ٥٨) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (١٥٦١) .

(٢) رواه ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (١٥٥٥) ، وانظر : « صحيح مسلم » (١٧٠٦) ، و«تاريخ الطبرى » (٣ / ٤٨٠ ، ٤٨١) ، (٤ / ٥٧) .

(٣) رواه الدارمى (١٧٦) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (٢٢٠٦) .

(٤) رواه أحمد (١ / ٤٣١) ، والبخارى (٤٨٠٩) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

حين قالت : ﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا** ﴾ [البقرة : ٣٢] »[١] .

وكان عطاء بن أبى رباح يقول : « **(لا أدرى) نصف العلم** »[٢] .

وقال بعضهم : « **إذا أخطأ العالم (لا أدرى) ، فقد أصيبت مقاتله** » [٣] .

وفى تدافع الفتوى ، وذم المسارعة إليها يقول عبد الرحمن بن أبى ليلى ـ رحمه الله ـ: « **أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا** »[٤] .

وهذا إمام دار الهجرة ـ رحمه الله ـ يقدم عليه رجل من مسافة بعيدة ، فيعرض عليه أربعين مسألة ، فيجيب عن أربع منها ، ويقول فى ست وثلاثين : الله أعلم ، فيقول له الرجل : أنت مالك بن أنس ، إليك تضرب أكباد الإبل ، وإليك الرحلة من كل بلد ، وتقول : الله أعلم ؟ ! ماذا أقول لأهل بلدى إذا رجعت إليهم ؟ قال : تقول لهم : « **إن مالكًا يقول : الله أعلم !** » [٥] .

وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كثيرًا ما يسأل ، فيتوقف ، أو يقول : لا أدرى ، أو نحو ذلك [٦] .

وقال سحنون بن سعيد ـ رحمه الله ـ : « **أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما ؛ يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم ، يظن أن الحق كله فيه !** » [٧] .

وقال بشر الحافى ـ رحمه الله : « **من أحب أن يسأل ، فليس بأهل أن يسأل** » [٨] .

وقال الخطيب البغدادى ـ رحمه الله ـ : « قل من حرص على الفتوى ، وسابق إليها ، وثابر عليها ـ إلا قل توفيقه ، واضطرب فى أمره ، وإذا كان كارها لذلك ، غير مختار له ، وما وجد مندوحة[٩] عنه ، وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره ـ كانت المعونة له من الله

---

(١) رواه الخطيب فى « الفقيه والمتفقه » (١١٢٣) .
(٢) أورده الذهبى فى « سير أعلام النبلاء » (٥ / ٨٥) .
(٣) انظر : « أخلاق العلماء » للآجرى (ص ١١٥) ، و« جامع بيان العلم » (١٥٨٠) ، و« الفقيه والمتفقه » (١١١٢ ، ١١١٣) .
(٤) رواه الدارمى (١٣٧) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (٢١٩٩) .
(٥) انظر : « التمهيد » (١ / ٧٣) ، و « ترتيب المدارك » للقاضى عياض (١ / ٨١) .
(٦) رواه الخطيب فى « الفقيه والمتفقه » (١١٢٦) .
(٧) رواه ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (٢٢١١) .
(٨) رواه الخطيب فى « الفقيه والمتفقه » (١٠٨٤) .
(٩) مندوحة ، أى : سعة وفسحة . « النهاية » و « اللسان » (ندح) .

أكثر ، والصلاح فى فتاويه وجوابه أغلب »(١) .

معاشر المسلمين ، إذا كان هؤلاء الأئمة ـ مع جلالة قدرهم ، وعظيم مكانتهم ـ يسلكون مسالك التورع والتثبت ، فكيف هى الحال الآن ؟! الله المستعان !

وعن مالك قال : « أخبرنى رجل أنه دخل على ربيعة ، فوجده يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ أمصيبة دخلت عليك ؟! وارتاع لبكائه ، فقال : لا ، ولكن استفتى من لا علم له ، وظهر فى الإسلام أمر عظيم ! » ، قال ربيعة : « **ولبعض من يفتى ههنا أحق بالحبس من السراق** » .

قال بعض العلماء : « **فكيف لو رأى ربيعة زماننا ؟!** »(٢) .

قلت : فكيف لو رأى هذا العالم عصرنا ؟!

وفى الصحيح ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ؛ فضلوا وأضلوا** » (٣) .

وكم رأى الغيور نزلاء فى حلائب العلم والمعرفة ، وهم ليسوا منهما فى شىء ؟! ديدنهم الجرأة على الفتوى ، والتجاسر على التحليل والتحريم (٤) ، يتكلمون بما لا يعلمون، ويجملون ولا يفصلون ، ويهرفون (٥) ويسفسطون (٦)، وهم من أجهل الناس فى أحكام الشريعة، إذا سمعت أحدهم يتكلم ، فكأنما ينزل عليه وحى ؛ من جزمه فيما يقول وعدم تورعه، ولربما نسب ما يراه إلى الإسلام، ترى أحدهم يجيب فى عظيم المسائل، مما لو عرض على عمر ، لجمع له أهل بدر ، وكم يتملكك العجب وأنت تسمع عبارات التعظيم لذواتهم ، والتعالى فى نفوسهم ، قاموسهم : رأينا كذا ، ترجيحنا ، اختيارنا ، والذى نراه ، ونحن ، وهلم جرا .

---

(١) « الفقيه والمتفقه » (٢ / ٣٥٠) .

(٢) انظر : « أدب الفتوى لابن الصلاح» (ص ٣٥) .

(٣) رواه البخارى (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) .

(٤) أى : الجراءة فى الإقدام عليهما . « اللسان » (جسر) .

(٥) يهرفون ، أى : يمدحون بلا خبرة ، ومنه المثل : « لا تهرف ، بما لا تعرف » أى : لا تمدح قبل التجربة . انظر : « النهاية » و « اللسان » (هرف) .

(٦) يسفسطون : أى : يستعملون السفسطة فى كلامهم ، والسفسطة : قياس مركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكانه . « التعريفات » (ص ١٨١) .

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند ؟!

وما علم هؤلاء أن الجرأة على الفتوى جرأة على النار ، وأن التجاسر عليها اقتحام لجراثيمها ، والعياذ بالله ! بل لقد وصل الحال ببعض العوام إلى أن يفتى بعضهم بعضا ، وأصبح الحديث فى علوم الشريعة بضاعة كل متعالم مأفون(١) ، حتى ساموا باعة البقول عددا، وتكلم بعض الرويبضة (٢) ، واستطالوا على منازل العلماء ، ومقامات العظماء والفقهاء، وعمدوا إلى أمور من الثوابت والمبادىء ، وجعلوها عرضة للتغيير والتبديل ، بدعوى تغير الفتوى بتغير الزمان ، ووجد من يتنصل(٣) من الفتوى بأمور جاء تحريمها ما علم من الدين بالضرورة ، وكثر التحايل على الشريعة .

وطالب بعض مثقفى العصر بالترخيص ؛ ليتفلت من الأحكام ؛ فطالب بعضهم بإعادة النظر فى حرمة الربا ، أو بعض صوره ، وآخرون بالتجاسر على حجاب المرأة المسلمة ، وهكذا فى سيل من التلاعب بأمور الشريعة ، وعمدت بعض وسائل الإعلام ، وقنواته المسموعة والمقروءة والمرئية ، إلى إثارة قضايا كلية من الدين مع بعض المتعالمين ممن :

يمدون للإفتاء باعًا قصيرة وأكثرهم عند الفتاوى يكذلك (٤)

فالويل لكل من ارتقى هذا المرتقى الصعب ، فأضل فئاما من الأمة ، ممن سيحملون أوزارهم وأوزارًا مع أوزارهم ، ﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٣] .

وإن الواجب ـ حماية لبيضة الإسلام ، ودفاعًا عن أحكامه وتشريعاته ـ أن يحجر على كل متكلم فى الشريعة ـ تحليلاً وتحريمًا ـ وهو لا يحسن ؛ فالحجر (٥) لاستصلاح الأديان أولى من الحجر لاستصلاح الأموال والأبدان ، والغيرة على الشريعة من المكارم ؛ وهى أولى من الغيرة على المحارم ، ووالله إنه ليحرم على من لا يهتدى لدلالة القرآن ، ولا يعرف السنة والآثار ، أن يتسنم سدة العلم ، ويتصدر فى مجال الإفتاء ، وقد قيل لسفيان

(١) رجل أفين ،ومأفون ، أى : ناقص العقل . « اللسان » (أفن) .

(٢) الرويبضة : تصغير الرابضة ، وهو العاجز الذى ربض عن معالى الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة . « النهاية » (ربض) .

(٣) تنصل فلان من كذا ، أى : تبرأ منه . « اللسان » (نصل) .

(٤) البيت ذكره ابن القيم فى « إعلام الموقعين » ، ويكذلك ، أى : يقول : كذلك قال فلان ؛ بدون دليل من كتاب أو سنة . انظر : « إعلام الموقعين » (٤ / ٢٠٨) .

(٥) الحجر : المنع من التصرف . « النهاية » (حجر) .

الثورى ـ رحمه الله ـ فى ذلك ؟ فقال : « **إذا كثر الملاحون**(١) ، **غرقت السفينة** » (٢) .

وليعلم هؤلاء أنهم بكلامهم فى الشريعة إنما يوقعون عن رب العالمين سبحانه ، وأن الفتاوى نار تضطرم ، وكم تسمع من فتاوى لا زمام لها ولا خطام ، تبنى على التجرى لا على التحرى(٣) ، لا تقوم على قدم الحق ، فتعنت الخلق ، وتشجى الحلق(٤) ، وحق لهؤلاء أن تسلم الأمة من لأوائهم(٥) ، وتحذر من غلوائهم(٦) .

وإن رغمت أنوف من أناس   فقل يا رب لا ترغم سواها (٧)

روى ابن سيرين ـ رحمه الله ـ أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال لأبى مسعود البدرى ـ رضى الله عنه ـ : « **أنبئت أنك تفتى ، ولست بأمير ؛ فول حارها ، من تولى قارها**(٨)»(٩) .

قال الإمام الذهبى ـ رحمه الله ـ في « السير » : « وهذا يدل على أن للإمام أن يمنع من يفتى بلا إذن »(١٠) .

وذكر الخطيب البغدادى بسنده ، عن حماد بن زيد ـ رحمهما الله ـ « أنه سمع مناديًا فى المدينة ينادى : أن لا يفتى فى مسجد رسول الله ﷺ سوى مالك »(١١) .

ولذا فإن الواجب أن يقوم بهذا العمل المؤهلون دون المتعالمين ، والأصلاء دون الدخلاء؛ حفظًا لدين الأمة ، وتوحيداً لكلمتها ، وضبطا لمسالكها ومناهجها ؛ لتكون مبنية على الكتاب والسنة ؛ بفهم سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ وبذلك تسلم الأمة من غوائل(١٢)

---

(١) الملاحون : جمع ملاح ، وهو السفان الذى يوجه السفينة . « تاج العروس » (ملح) .

(٢) « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » (ص ٥٦٠) .

(٣) أى : أن أصحابها من المتجرئين على الحق ، لا من المتحرين له .

(٤) أشجاه الشىء : أغصه ، وأشجاه العظم : إذا عرض فى حلقه . « اللسان » (شجو) .

(٥) اللأواء : المشقة والشدة . « اللسان » (لأى) .

(٦) الغلواء بالضم ، وفتح اللام : الغلو . « اللسان » (غلو) .

(٧) البيت ذكره ابن القيم فى « إعلام الموقعين » (٤ / ٢٠٨) .

(٨) من أمثالهم : « ولحارها من تولى قارها » ؛ يضربونه فى وضع الشىء موضعه الذى يستحقه ، وأراد عمر ـ رضى الله عنه ـ هنا : ولشرها من تولى خيرها . انظر : « النهاية » و « اللسان » (قرر) ، و « مجمع الأمثال » (٢ / ٣٦٩) .

(٩) رواه الدارمى (١٧٥) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (٢٠٦٤) .

(١٠) « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٤٩٥) .

(١١) « تاريخ بغداد » (١٠ / ٤٣٦) .

(١٢) الغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية . « اللسان » (غول) .

المحن، وبواعث الفتن ، وتوجد العـواصم ـ بإذن الله ـ من قواصم الجريمة الشنيـعة ، وهى القول على الله بغير علم .

والله المسـؤول أن يعـصـمنا من الزلل ، ويحـفظنا من الشـر والخطل ، وأن يرزقنا نافع العلم وصالح العمل ، فهذا هو عظيم الرجاء وكبير الأمل .

بارك الله لي ولكم فى القرآن ، ونفعنى الله وإياكم بما فـيه من الهدى والبيـان ، وثبتنا وإياكم على الحق والإيمان ، ورزقنا اتباع سنة المصطفى من ولد عدنان .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولـكم ولجميع المسلمين ، من كل ضروب الذنوب والعصيان ، فاستغفروه ، وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العلى الكبير ، العليم القدير ، المتفرد بالخلق والأمر والتدبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نعم المولى ونعم النصير ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، هو للأنبياء لبنة ختامهم ، وللرسل مسك تمامهم ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته النجبا ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨١] ، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله ، إذا التمست أسباب هذه القضية ، وهى : القول على الله بغير علم ، فإن أهمها : ضعف الوازع ، وقلة الرادع ، والتقصير فى التقوى والإيمان ، والوقوع فى مخالفة الواحد الديان ، وعدم المنهج الصحيح فى التلقى والتحصيل ؛ إضافة إلى داء الشهرة وحب الظهور ، واستشراء التعالم المذموم ، وقعود الأكفاء عن البلاغ والبيان ، ولا يمنعن بعض المؤهلين ورع كاذب ، وتثبت بارد ، من تبليغ ما يعلم من دين الله ـ عز وجل ـ فلا تنافى بين التثبت مما لا يعلم ، وتبليغ ما يُعْلَم .

وعلاج هذا الداء : بتقوية الإيمان ، والخوف من الله فى النفوس ، والسير على المنهج الصحيح فى التعلم ، والأخذ من أهل العلم ، والرد إليهم للبيان والإيضاح ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣]، لا سيما فى المعضلات .

ومن صور العلاج : القراءة فى سير الأسلاف ، والتحلى بأدب الخلاف ، والتواضع الجم ، والورع الصادق ، وقبل ذلك وبعده : إخلاص النية لله ، وسؤاله التوفيق والتسديد، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم .

هذا ؛ واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من أفضل أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وأحقها بشفاعة نبيكم ﷺ : كثرة صلاتكم وسلامكم عليه ؛ كما أمركم بذلك ربكم ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

القسم الثالث

العقيدة

القضية الأم(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى من علينا بصحة الاعتقاد ، وطهر قلوبنا من أدران الشرك والوثنية والإلحاد ، وأنقذنا من دركات الجاهلية والشر والفساد ، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، جل عن الأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، وتعالى عن مشابهة العباد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من علم معناها ، وعمل بمقتضاها ، وحقق المراد ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، إمام الموحدين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، والهادى إلى سبيل الحق والرشاد ، والشافع المشفع يوم المعاد ، صلي الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأمجاد ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد :

فيا أيها الناس ، اتقوا الله ربكم واعبدوه ، وأطيعوه ـ تعالى ـ ووحدوه ؛ فلا إله غيره، ولا رب لكم سواه ، ولا معبود بحق إلا إياه ، إن أردتم دخول الجنان ، ورمتم رضا الرحمن ، وطلبتم السلامة من النيران ـ فعليكم بتوحيد الملك الديان ، وسلامة العقيدة من الأدران ، وتحقيق العبودية والإيمان .

خرج الإمام مسلم فى صحيحه من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **من لقى الله لا يشرك به شيئًا ، دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به ، دخل النار** »(٢) .

عباد الله ، القضية الأم التى يجب أن يهتم بها الدعاة والعلماء ، والمصلحون والخطباء، هى : القضية التى عنى بها المرسلون والأنبياء ، إنها قضية القضايا باتفاق ، وأهم القضايا على الإطلاق ، إنها أساس الملة ، وأصل الدين ، وقاعدة الإسلام ، من أجلها أرسلت الرسل ، ومن أجلها أنزلت الكتب ، وجردت السيوف ، من أجلها حصل الولاء والبراء ، والمنع والعطاء ، والحب والعداء ، وانقسم الناس إلى فريقين : فريق فى الجنة ، وهم المؤمنون الموحدون ، وفريق فى السعير ، وهم الكفار والمشركون ، تلكم ـ أيها الموحدون ـ « قضية العقيدة » بالله رب العالمين ، بربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته.

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) « صحيح مسلم » (٩٣) .

أيها الموحدون يا حملة العقيدة ، ويا حراس الملة ، تدركون ـ يرعاكم الله ـ نعمة الله عليكم بهذه العقيدة الصافية من لوثات الشرك والوثنية (١) ، والمنزهة عن أدران الضلال والجاهلية ، حينما تمعنون النظر ، وتقرءون التاريخ ، وتتأملون فى أحوال الناس قبل مبعث الرحمة المهداة نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .

يا أهل العقيدة ، ويا حملة التوحيد ، كما تدركون ـ أيضًا ـ نعمة الله بهذه العقيدة الصحيحة ، وأنتم تعيشون فى هذا الزمن ، زمن الفتن والانفتاح ؛ حيث توافدت مناهج واتجاهات ، ونشأت أفكار وجماعات ، وتباينت المواقف والمذاهب ، وتعددت الفرق والمشارب ، وأقبلت كسيل جارف ، واشرأبت ، الفتن بأعناقها ، وتوافدت بلا زمام ولا خطام ، حتى ألفها كثير من الناس ، وهى مخالفة لما عليه سلف هذه الأمة ـ رحمهم الله ـ اتخذت الإسلام شعارًا لها دون أن تبنيه على قواعد العقيدة الصحيحة .

ونادت طوائف بالإسلام تحت مظلات سياسية ، فانخدع بها كثير من الناس لإشباعها عناصر معينة فى النفوس ، واعتنت فئام بقضايا فكرية وواقعية ، فلقيت قبولا ورواجًا ، وأقوام فى قضايا زهدية ووعظية ، دون عناية بتأصيلات عقدية وعلمية ، ووصل اليأس إلى بعض الناس ؛ فاتخذوا العنف طريقًا ومنهجًا ، والتكفير مطية ومسلكًا ، ولا تسأل عن أحوال الطرفية المنحرفة ، والمبتدعة الجاهلة .

أفليس حقًا على أهل التوحيد أن يتفطنوا ، فلا يقعوا فى ربقة (٢) أفكار ضالة ، ولا فى شراك عقائد ملوثة تلطخت بأوضار الضلالة(٣) ، وكرعت(٤) فى مياه الخرافة ؛ حتى لا ينطفئ نور إيمانهم ، وتذبل زهرة توحيدهم ؟!(٥) .

إخوة العقيدة ، لقد أقبلت الفتن وتتايعت (٦) ، وتعددت وتكاثرت ، وأشدها فتكا وأعظمها ضررا : فتن القلوب بالشبهات المضلة عن الحق ، وفتن العقول والأفهام المنتشرة بين الخلق ، فصدت كثيرين عن تحقيق توحيدهم لله ، فتجد طوائف من الناس ظنوا التوحيد لله يعنى : أن لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ـ فحسب ـ وكأن أهل الجاهلية

---

(١) أى : حماقات الشرك والوثنية ، جمع لوثة ، وهى الحماقة . « القاموس » (لوث) .

(٢) الربقة : عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها . « اللسان » (ربق) .

(٣) أى : بأدران الضلالة وأوساخها ، جمع : وضر . « اللسان » (وضر) .

(٤) يقاتل : كرع فى الماء يكرع كروعا : تناوله بفيه . « اللسان » (كرع) .

(٥) يقال : ذبل النبات والإنسان ، يذبل : دق بعد الرى ؛ فهو ذابل ؛ وكذلك ذبل ، بالضم . «اللسان» (ذبل) ، وتذبل زهرة توحيدهم : كناية عن ضعف توحيدهم .

(٦) تتايعت ، أى : أسرعت فى الشر . « القاموس » (تيع) .

الأولى يقولون بتعدد الخالقين ، والرازقين ! .

وإذا تدبرت أحوال أولئك ، وجدت خضوعهم عند القبور وأبنيتها ، وعند الأضرحة وقبابها، أعظم من خضوعهم لله ـ عياذا بالله ! ـ يسألونها رفع الدرجات، ودفع الكربات ، وقضاء الحاجات، وشفاء المرضى ، ويزعمون أنها تبلغهم أسمى المطالب ، وأرفع المراتب ، وتحقق لهم قضاء المآرب ، وبذل المواهب ، والأمن من المعاطب ،وكأن الله تبارك وتعالى قد أغلق أبوابه دون حاجات خلقه ؛ تعالى الله عما يقولون ويفعلون علوا كبيراً !

إخوة الإيمان ، حين يضعف التوحيد تحب القلوب التعظيم والتمجيد ، فلا تجد سلوتها إلا عند تقبيل الأيدى والأرجل ، والانحناء والتمسح بالثياب ، والطرق قديمة سابلة (١) ، وروادها كثير ، ودعاتها جم غفير ، والله المستعان .

أمة الإسلام : التوحيد حق الله على العبيد ؛ قال ابن القيم ـ عليه رحمة الله :

حق الإله عبادة بالأمـــر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان

من غير إشراك به شيئًا هما سببا النجاة فحبذا السببان(٢)

لم ينج من غضب الإله وناره إلا الذى قامت به الأصلان

والناس بعد فمشرك بإلهه أو ذو ابتداع أو له الوصفان (٣)

فلواحد كن واحدا فى واحد أعنى سبيل الحق والإيمان (٤)

أمة التوحيد، وتعظم العناية بقضية التوحيد حينما يجهل كثير من الناس مفهومه ، ويخطؤون فى تطبيقه ؛ فالتوحيد ليس مجرد المعرفة (٥) وليس مقصوراً على التصديق بالقلوب فحسب (٦) ، أين التوحيد عند من يعتقد أن لهذا الكون مصرفًا ، ولهذا العالم مدبرًا غير الله تعالى ؟! حتى شرك الربوبية وجد فى عصر العجائب من يقع فيه ، ويدعو إليه ! أما الشرك فى عبادة الله ، فحدث ولا حرج ! وأجل النظر يمنة ويسرة ، تر العجب

---

(١) طريق سابلة : مسلوكة . « اللسان » (سبل) .

(٢) « النونية » (٢٥٠) .

(٣) « النونية » (٣٥) .

(٤) « النونية » (٢١٩) .

(٥) كما يقوله الجهم بن صفوان ، ومن اتبعه . انظر : « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢، ٧٩٦) .

(٦) كما يقوله أبو منصور الماتريدى ومن تابعه . انظر : « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٤٥٩ ـ ٤٦٢).

العجاب .

وتلك قضية يجب أن يعنى بها عوام الناس فضلا عن خواصهم ، أين نصيب العقيدة من مناهج الدعوة الموجودة فى الساحة ؟! إن الغيور لينظر إلى العالم من حوله ويتساءل : كم يبذل أهل الحق لنصرة الحق الذى معهم ؟! إن الصراعات العالمية تنطلق من منطلقات عقدية :

فهؤلاء اليهود فى فلسطين وغيرها يعملون للقضاء على أمة الإسلام ، وإقامة دولة توراتهم المحرفة ، وتلمودهم المزعوم .

وهؤلاء الصليبيون يعملون لخدمة أناجيلهم الباطلة ، وما أعمالهم في يوغسلافيا ، وفى القارة الإفريقية إلا دليل على الإمعان والكيد للإسلام وأهله .

وهؤلاء الوثنيون فى كشمير ، وفى بلاد الهند وغيرها ، يعملون لخدمة وثنيتهم ، وآلهتهم المزعومة ، وهؤلاء القبوريون . . وهؤلاء وهؤلاء .

ثم يعيد الغيور الطرف ثانية إلى أوضاع أمته الإسلامية ؛ فيرى العجب العجاب من التفرق المقيت ، والعقيدة واحدة ! .

لماذا لا تجتمع الأمة الإسلامية على منهج سلفها الصالح ، وتطرح الأهواء والطرق المخالفة لها ؟! أهو التعصب للأشخاص والبقاع ، أم ماذا ؟! يجب ألا تؤثر علينا هذه المؤثرات ، وألا ننطلق من هذه النظرات ؛ فالعبرة بصحة العقيدة مهما اختلفت الأجناس والألوان ، وتباينت القبائل والبلدان ، ينبغى التدقيق فى كل ما يشاع ويذاع ، فالحق ظاهر ، والعبرة بالحقائق والمسميات ، لا بالأسماء والشكليات ، يجب التركيز على توحيد العبادة ، وتوحيد الأسماء والصفات ، ونحن نرى حربا عقدية شعواء لا هوادة فيها ، وفى المقابل نجد من بعض أبناء العقيدة تميعا وانهزامية ، وذلا وتبعية .

يجب أن تؤخذ العقيدة كلية من منهج السلف الصالح ، رحمهم الله .

ولقد ضل أقوام فى بعض أبواب العقيدة : فأناس فى توحيد العبادة ، وآخرون فى باب الأسماء والصفات ، وفئة فى باب البيعة والإمامة ، والسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين ، وفئام (١) رأوا أن الكلام فى العقيدة والتركيز عليها يفرق الكلمة ، ويبعثر الصف ، ويضعف الوحدة، وتلك مغالطة مكشوفة، فهل الذى يدعو إلى الأصل الأصيل، ويحارب كل معتقد ومشرب دخيل ، هو الذى يشهر سلاح الفرقة ، أو أهل الأهواء ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾[الأنعام : ١٥٩] .

---

(١) الفئام : الجماعة من الناس . « القاموس » (فأم) .

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

فالعقيدة تجمع والأهواء تفرق ، والعقيدة توحد ، والمشارب تشتت .

ومن الناس من يضيق صدره ، وتشمئز نفسه ! حينما تذكر هذه القضية ، ويقول : إن الشرك رفع عن هذه الأمة ، ويرى أن الاهتمام بقضايا أخرى أولى من هذه القضية ، وتلك شنشنة[1] معروفة ، ويخشى أن يشبه قول هذا من قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [الزمر : ٤٥] .

معاشر المسلمين ، إن التركيز على هذا الأمر هو ـ والله ـ عين المحبة والشفقة على المسلمين ، فى أن يسيروا على الجادة ويفوزوا بالجنة ، لا تعصبا ولا إقليمية ،فالحق أحق أن يتبع ، ونحن فى وقت التحقيق والتدقيق ؛ فلا ينفع التغاضى والتلفيق .

إن حقا على أهل العقيدة الصحيحة أن يبذلوا قصارى جهودهم للدعوة إليها ، والتمسك بها ، وتنشئة الأجيال عليها .

• فيا أيها المسلمون ، أقبلوا على عقيدتكم تعلما وتعليما ، ودعوة وتطبيقا ، خذوها من العلماء الربانيين ، ولا تقبلوا فيهم قدح المضلين ، واعلموا أن أشد أعدائنا نفوذا : من حال دوننا ودون عقيدتنا ؛ مصدر عزنا ونصرنا وقوتنا ، واصبروا على ما يبث من الشائعات ضدكم ؛ فهى ـ والله ـ أو هى من بيت العنكبوت .

ويا من شط به المزار عن توحيد الواحد القهار ، وعن سنة النبى المختار ! أقبل أقبل ؛ فالتوحيد يسع الجميع ، والسنة يدخل فيها كل من أحب المصطفى ﷺ ، واتبع هداه ، وحذار من الهوى وأهل الهوى ، فهم دعاة النار ،والعياذ بالله ! .

أمة الإسلام ، إن علينا أن تتضافر جهودنا لخدمة عقيدتنا ؛ فكل أب وأم مطالب بأن ينشئ جيلا موحدا سليما من المؤثرات الشركية ، والممارسات البدعية ، ويلقنه منذ نعومة أظفاره توحيد الله ، ويصله بخالقه ، ويعلمه أنه المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وعلى الأم أن ترضع وليدها العقيدة والإيمان ، مع اللبن والحنان .

وعلى المدرسين : أن يتقوا الله فى نشء المسلمين ؛ فيربوهم على العقيدة الصحيحة، يجب أن تكون مدارس المسلمين قلاع إيمان وحصون عقيدة .

وعلى المسؤولين عن إعداد المناهج ، ووضع الخطط والبرامج : أن يتقوا الله فى أبناء المسلمين ؛ فلا يزاحموا العقيدة بغيرها من المناهج ، وليربطوا العلوم الأخرى بهذا الأصل الأصيل ، ويمنعوا كل ما يخالفه حتى لا تقع الأمة فى ازدواجية ممقوتة ، ويصاب النشء

(١) الشنشنة : الطبيعة والسجية . « اللسان » (شنن) .

باضطراب وتناقض ، بذلك تتصدى الأمة للحرب الشعواء ، والهجوم الماكر ، والتحدى السافر ، ضد عقيدتها وتوحيدها .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤] .

والله المسؤول أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يرزقنا التمسك بتوحيده ، عليه نحيا وعليه نموت ، وعليه نبعث يوم الدين ، وأن يعيذنا والمسلمين من مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد القهار ، أحمده تعالى وأشكره ، يخلق ما يشاء ويختار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار ، وصحبه الأبرار ، المهاجرين منهم والأنصار ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، ما تعاقب الليل والنهار ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله يكفى أصحاب العقيدة شرفًا اقتفاؤهم أثر النبى ﷺ ، وتلك منقبة(١) لو عقلها المتحذلقون(٢) بدعوى المحبة ، لعلموا أنهم فى منأى عن صدق هذه الدعوى .

أيها الإخوة الموحدون ، إن قضية التوحيد قضية ينبغى أن يشتغل بها كل مسلم ؛ فيذود عنها ويجاهد ، ويقرأ ويتعلم ، ويعمل ويدعو ويطبق ، إن على الدعاة إلى الله أن يهتموا بها ، ويعتنوا بها غاية العناية ، وأن يدعوا الناس إليها ؛ كيلا يشغل العامة والشباب إلا بقضايا تعنيهم .

واعلموا أنه ـ وإنْ جاز الخلاف فى فروع المسائل الفقهية ـ فإن العقيدة أسمى أن يسوغ فيها خلاف ؛ فالواجب الاجتماع على ما كانت عليه القرون الثلاثة المفضلة ، وسار عليه سلف هذه الأمة . وغير خاف عليكم أن هذه البلاد ـ بحمد الله ـ قد احتضنت واعتنقت الدعوة السلفية الصحيحة : قيادة وشعبا ، واجتمعت عليها : حكومة وعلماء وعامة ، وذلك من نصرة الله لدينه ؛ بتوفيق الله .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ ووحدوا ربكم ، والتزموا عقيدتكم ونهج سلفكم ، وخذوا العقيدة من أهلها الراسخين فى العلم ؛ تسلم حياتكم ، وتسعدوا فى دنياكم وأخراكم .

هذا؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على من حقق التوحيد، وسد ذرائع الشرك وأبطل التنديد، نبينا محمد بن عبد الله؛ كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

---

(١) المنقبة : ضد المثلبة ، وهى المفخرة والفعل الكريم . « تاج العروس » (نقب) .

(٢) المتحذلق : المتكيس ، وقيل : هو الذى يريد أن يزداد على قدره . « اللسان » (حذلق) .

آيات الله فى الكون(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى جعل الكسوف والخسوف للمؤمنين آية ، أحمده سبحانه وأشكره ، وعد المتقين الحسنى وزيادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، دعا إلى الخير والهداية ، وحذر من الشر والغواية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسى بتقوى الله ، فالتقوى سبيل المؤمنين والنجاة فى الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

فى عتمة الليل وسحرته ، وفى غلسه وبلجته ، إذا أظلم الليل ودجى ، وادلهم وسجا، وظهرت آية من آيات الله ، كانت الموعظة والذكرى ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

دعوة إلى التدبر فى الكون ، وتأمل مدى دقته ، وتناسق نواصيه وأجزائه ، إن الخالق عز وجل الذى لا تدركه أبصارنا ، لم يتركنا هكذا فى بيداء الحياة ، بل أظهر آياته فى كتاب منظور نراه ونحس به وكتاب نقرؤه ونرتله .

إنه معجزة النبى الخالدة ، إنه القرآن الكريم بآياته وعظاته يعمد إلى تنبيه الحواس والمشاعر ، وفتح العيون والقلوب إلى ما فى هذا الكون العظيم من مشاهد وآيات ، تلك التى أفقدتها الألفة غرابتها ، وأزالت من النفوس عبرتها قال تعالى : ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يونس : ١٠١] .

يعرض القرآن الكريم هذه الآيات ، بأسلوب أخاذ ، ليعيد طراوتها وجدتها فى الأذهان ، فكأنها ترى لأول وهلة .

يلفت النظر إلى هذه الأرض الفسيحة ، وقد سقيت ورويت بماء الحياة ، فتغلغل إلى أعماقها ، فاكتظت أعاليها بالنعم الوفيرة : من أنهار جارية ، وأشجار مثمرة ، وزروع نضرة ، وجبال شامخة راسية ، وبحار واسعة مترامية ، رفت فى جوانبها الطيور المغردة ،

---

(١) خطبة للشيخ / عبد البارى الثبيتى من المسجد النبوى .

وداعب النسيم ما عليـها من زينة الأشجار المحننة ، فـبدت كأنها عروس تخـتال فى حللها قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ : ١٤ ـ ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات : ٣٠ ـ ٣٣]، وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس : ٢٤ ـ ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢٠] .

إن التأمل فى مطلع الشمس ومغيبها ، التأمل فى الظل الممدود ، ينقص بلطف ويزيد، التـأمل فى الخضم الزاخـر ، والعين الفوارة ، والنبع الروى ، التـأمل فى النبـتة النامـية، والبرعم الناعم، والزهرة المتفتحة، والحصيد الهشيم، التأمل فى الطائر السابح فى الفضاء ، والسمك السابح فى الماء ، والدود السارب ، والنمل الدائب ، التأمل فى صبح أو مساء فى هدأة الليل أو فى حركة النهار .

إن التأمل فى كل ذلك يحرك القلب لهذا الخلق العجيب ، ويشعر العبد بعظمة الخالق تبارك وتعالى .

قال عـز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩]

هذه الأحياء المبـثوثة فى كل مكان فوق سطح الأرض وفى تضـاعيفهـا ، وفى أعماق البحار وفى أجواء الفضاء ، أسراب من الطيور لا يعلم عددها إلا الله ، وأسراب من النمل والنحل وأخواتهـا لا يحصيهـا إلا الله ، وأسراب من الحشرات والهـوام والجراثيم لا يعلم موطنها إلا الله ، وأسراب من الأسماك وحيوان البحر لا يطلع عليها إلا الله ، وقطعان من الأغنام والوحوش هائمة وشـاردة فى كل مكان ، وقطعان من البشر مـبثوثة فى الأرض فى كل مكان ، ومعـها خلائق أربى عـددًا ، وأخفى مكانًا فى السمـوات من خلق الله كلها ، كلها يجمعها الله حين يشاء لا يضل منهـا فرد واحد ولا يغيب ، فهل قدر العباد ربهم حق قدره ؟

العقول وما يتـردد فيها من أفكار ، القلوب وما يتجدد فيهـا من مشاعر، الأجسام وما يتدفق فيها من دماء ، نرى عظمة الله فى مـا نشاهده من تركيب أعضائنا ، وائتلاف عظامنا

ولحومنا ، وتكوين أعصابنا وانسياب شعورها ، وتشكل أطرافنا : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِه ﴾ [لقمان : ١١] .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦١ ، ٦٢] .

إن الناظر فى الكون وآفاقه يشعر بجلال الله ، الكون كله عاليه ودانيه ، صامته وناطقه، أحياؤه وجماداته ، كلها خاضع لأمر الله ، منقاد لتدبيره ، شاهد بوحدانيته وعظمته ، ناطق بآيات علمه وحكمته ، دائم التسبيح بحمده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء : ٤٤] .

هذه السيارات المنطلقة ، والكواكب التى تزحم الفضاء وتخترق عباب السماء ، معلقة لا تسقط ، سائرة لا تقف ، لا تزيغ ولا تصطدم ! : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٨ ـ ٤٠].

من الذى سير أفلاكها ، ونظم مسارها ، وأشرف على مدارها ، من أمسك أجرامها ، ودبر أمرها : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر : ٤١] .

إن الله تبارك وتعالى خلق كل شىء فقدره تقديراً ، هذا وضع الشمس أمام الأرض مثلا ثم على مسافة معينة ، لو نقصت فازداد قربها من الأرض ، لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض ، وهلك الزرع والضرع ، من الذى أقامها فى مكانها ذاك ؟ وقدر بعدها لننعم بحرارة مناسبة تستمر معها الحياة والأحياء : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] .

وستجد الأجيال فى كل عصر نصيبها من الآيات مدخراً ، وستبقى معارض الكون ومشاهده حافلة بكل عجيب وجديد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « أي إن القرآن حق ، فأخبر أنه لا بد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوة حق ، ثم أخبر بكفاية شهادته على صحة خبره ،

بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسله ، فآياته شاهدة بصدقه ، وهو شاهد بصدق رسوله بآياته ، فهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدليل والمدلول عليه » انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

إن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها ولا تؤدي مفعولها إلا للقلوب الذاكرة، القلوب المؤمنة ، تلك التى تنظر فى الكون بعين التأمل والتدبر ، تلك التى تعمل بصائرها وأبصارها وأسماعها وعقولها ، ولا تقف عند حدود المنظر المشهود البادى للعيان ، لتنتفع بآيات الله فى الكون : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران : ١٩١].

أما الكفار فهم عى البصائر ، غلف القلوب ، متحجرو العقول ، إنهم لا يتبصرون الآيات وهم يبصرونها ، ولا يفقهون حكمتها وهم يتقلبون فيها ، فأنى لم أن ينتفعوا بها : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم : ٧] .

﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ** ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] .

وكذا بعض طرائق البحث العلمى ، لن تؤتى ثمارها فى معزل عن الإيمان بقطع الصلة بين الخلق والخالق ، وجعل الخلق بدون خالق : فالكون فى تصورها مادة وإن لم تصرح بذلك ، فهى تتعامل مع الآيات الكونية بجفاء ، فتحدث فى القلوب ضلالا ، وفى العقول ظلامًا ، وفى الفطرة انتكاسًا ، حين تجعل من الآيات الكونية العظيمة فى الأرض والسماء معلومات جامدة ، لا تنبئ عن شىء ، متحجرة فى الأذهان ، وتلك عثرة من عثرات هذه الطرق للبحث العلمى ، وتحجير العقل عيب هذه الحضارة الحديثة ، وإن شع بريقها ، فبهرت أنها تكشف الآيات العظيمة ، ثم تقف حيث يجب أن تنطلق ، تظهر الأسباب ، وتسدل الستار على رب الأسباب ، وكأنه لا وجود له ، أو لا عمل له ، وكأن هذه الأسباب التى يفسرون بها حصول الخسوف والكسوف ، والزلازل والبراكين ونزول الأمطار، وغيرها كأن هذ الأسباب هى الفاعل الحقيقى وما عداها وهم ، هذا ضلال بعيد.

أما المنهج الإيمانى فإنه لا ينقص شيئًا من ثمار البحث العلمى ، لكنه يزيد عليه بربط هذه الحقائق بخالقها وموجدها ومدبرها ومصرفها ، ليقدر العباد ربهم حق قدره ، وليعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علمًا ، فلا يستحق العبادة إلا هو ، ولا يتوجه بخوف أو رجاء إلا إليه ، ولا يخشى إلا هو ، ولا يذل إلا له ، ولا يطمع إلا فى رحمته ، إن المزيد من العلم ينبغى أن يقود إلى المزيد من الإيمان القوى .

هذه آيات الخسوف والكسوف حين خضعت للبحث العلمي المجرد عن الإيمان تجمد تأثيرها ، وقتل مدلولها ، فلا تحرك قلبا ، ولا تخوف عبدًا ، بل تنسيه أن له ربا مدبرًا مصرفًا .

وحين أودع الله في العقل البشرى ما يمكنه من تحديد زمان الكسوف والخسوف تحديدًا دقيقًا قبل وقوعه بإذن الله تعالى ، كان ذلك دليلا على أن هذا الكون يسير بنظام وتدبير ، واتزان عظيم وتقدير ، وكان من الأولى أن يزيده ذلك خوفًا من الله ، ماذا لو اختل نظام هذا الكون قيد شعرة ، وانفرط عقده فأفسد مستقره ؟ إنه سينهار بكل ما فيه ومن فيه .

ماذا لو تصادمت أفلاكه ؟ وتناثرت فى الفضاء أجرامه ؟ ماذا لو حجبت عنا عناية الله طرفة عين ؟ أو أقل من ذلك أو أكثر ؟ إننا سنهلك ويهلك كل من معنا : ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٢ ، ٦٣] .

الخسوف والكسوف آيتان يخوف الله بهما عباده ، وقال ﷺ : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا** » رواه البخارى ،وكان يفزع إلى الصلاة ويأمر بها ، وبالدعاء والصدقة .

هذه الآيات تحملنا على أن نفر إلى ربنا ، ونغسل إساءتنا ، ونمحو ذنوبنا ، إن المسلم إذا احتمى بربه ، واستعان به ، واستجار فهو فى أعز جوار وآمن ذمار .

إن كل شىء إذا خفته هربت منه ، وإذا خفت الله عز وجل هربت إليه .

وهكذا يبقى الكون كتابًا مفتوحًا يقرأ لكل لغة ، ويدرك بكل وسيلة ، قال تعالى : ﴿ **تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [ق : ٨] .

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٧] ، أي ما عظموه حق تعظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟** » رواه البخاري ، وله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك** » أخرجه البخاري .

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ : « ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٧] » .

من عصى الله وخالف أمره لم يقدر الله حق قدره .

من نفى عن الله صفاته أو شبهه بخلقه ، ما قدر الله حق قدره .

من امتلأ قلبه من خوف المخلوقين ، فترك بعض الصالحات خوفًا منهم ، أو عمل بعض المنهيات رجاء ما عندهم ما قدر الله حق قدره .

من دعا غير الله وطلب منه الشفاعة ، أو تفريج الكروب ، ما قدر الله حق قدره .

من أطاع بشرًا فى تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله ما قدر الله حق قدره .

من هجر كلام الله ، فلم يقرأه ، أو لم يحكمه ، أو لم يعمل به ما قدر الله حق قدره.

من أحدث حدثًا فى دين الله ما قدر الله حق قدره .

من ظلم الناس فى أموالهم أو أعراضهم ما قدر الله حق قدره .

من أكل أموال الناس بالباطل ما قدر الله حق قدره .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير . .

دوحة الإيمان (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى لـه ملك السموات والأرض ، ولم يتخـذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شيء فقـدره تقديرًا ؛ أحمـده سبحانه وأشـكره ، أتقن كل شىء صنعا وتدبيرًا وأستعينه ، وأستهديه ، وأستغفره ، وكفى بربك هاديا ونصيرًا .

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، لم يزل عليا كـبيرًا ، وأشهـد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، خير البـرية ، ومجدد الحنيفية ، ورافع لواء الوحدانية ،ومحطم كيان الوثنية ، أرسله إلى الثقلين هاديا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه الذين أذهب عنهم الرجس وطهـرهم تطهيرًا ، وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، عليكم بتقوى الله ـ جل وعلا ـ فـإنها خير ذخر يدخر ، وراقبوه ـ سبحانه ـ فى كل أموركم ، ما بطن منها وما ظهر .

عبـاد الله ، الكل يدرك حاجـة الناس إلى الماء والغذاء ، والشمس والهـواء ، والكساء والدواء ، ولكن يا عـباد الله : أتدرون مـا هو الأهم من ذلك كله ؟ ذلكم هو مـا لا غنى للناس عنه أبدًا ، فلا تستقيم أمورهم ، ولا تصلح أحوالهم إلا به ، الضرورة إليه فوق كل ضرورة ، والحـاجة إليه أعظم من كل حـاجة ، إنه الغـذاء والكساء ، والدواء الحقـيقى ؛ بحيث إن فقده الناس ، خسروا دنياهم وأخـراهم ـ والعياذ بالله ـ ذلكم هو الإيمان والعقيدة علما وعملا ، وسلوكا ومنهاج حياة .

وإنه لمن فضل الله على هذه الأمـة أمة محمد ﷺ : أن هداها للدين الحق ، فـاجتبى لها من العـقائد أصحهـا وأنقاها ، ومن المناهج أكملهـا وأسماها ، ومن العبـادات أيسرها وأصفاها ، ومن الأخلاق أشرفها وأزكاها .

نعم أيها المسلمون ، يا حملة العقيدة ، وحراس الملة ، إن أهم خصائص هذه الأمة : أنها أمة عقيدة ؛ فهى السر الأكبر فى قوة شخصيتها وبناء حضارتها ، والإكسير الأعظم فى أمجادها ، وتعاقب انتصاراتها .

وإنه على مر العـصور ، وكر الدهور ، تبـقى قضايا الـعقيـدة ، ويجب أن تبقى هى

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

الأصل والأهم ، والقاعدة والأساس لكل اهتمامات المسلم ؛ علما وعملا ودعوة لاسيما فى الأعصار المتأخرة ؛ حيث كثرت المغريات والمتغيرات ، وعمت الشهوات والشبهات ، وعظمت الهجمات والتحديات ، واشتدت الكروب والأزمات .

لأجل ذلك كله كان لا بد من التسلح بسلاح العقيدة ، فليس على وجه الأرض قوة تضاهى قوتها - أو حتى تقاربها - فى ضمان استقامة الأفراد ، واستقرار المجتمعات ؛ إنها صمام الأمان ، وطوق النجاة ، وإن الحياة بدون عقيدة ضياع وفوضى ، فراغ فى النفس ، وخواء فى الروح ، وإزراء بالعقل ، وإسفاف (١) فى شتى نواحى الحياة ، وإغراق فى لجج الأوهام والأباطيل ، ثم نهاية بائسة ، وخاتمة سيئة ، يعقبها شقاء أبدى ، وعذاب سرمدى، عياذا بالله من غضبه ، وأليم عقابه !

أمة الإسلام : ما أحوجنا إلى الجيل المتسلح بالعقيدة ، يعيشون بها ولها ، هى نبراسهم فى العلم والعمل ، ميزانهم فى الولاء والبراء ، وشعارهم فى الغضب والرضا ، ودستورهم فى التربية والإصلاح ، ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وإن مسئولية الأبوين والأسرة ، ودور العلم ، وقنوات التوجيه ، ورواد التربية والدعوة والإصلاح فى ذلك - لكبيرة ، وإن أمانتهم لعظيمة ، يجب أن تبرز فى ميدان البناء لكل ما هو حق وخير ، والتقويض لكل ما هو باطل وشر .

وإن أول لبنة فى مجال الدعوة والإصلاح يجب أن تكون منصبة على العقيدة ، تنقية وتقوية ، تخلية وتصفية ، وإن أخطر قضية يجب أن يبادر لها بالعلاج هى : قضية الإشراك والوثنية ، بكل مظاهرها وصورها ؛ فكما أن التوحيد آكد الفرائض ، وأوجب الواجبات ؛ فالشرك أكبر الكبائر ، وأعظم المحرمات ، أجمعت الشرائع ، واتفقت دعوات الأنبياء والرسل ، على إنكاره والتحذير منه ؛ قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

إخوة الإيمان ، إن ارتباط المسلم بعقيدته وثيق، واتصاله بها محكم دقيق، يتجلى ذلك فى كل حال من أحواله، وأمر من أموره فى سرائه وضرائه، فى شدته ورخائه، فى عباداته ومعاملاته، بل حياته كلها ومماته لله رب العالمين لا شريك له، إن سأل سأل الله، وإن صلى وحج ونذر وذبح فلله، إن استعان أو استغاث فبالله وحده لا شريك له ؛ لا معول فى قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وتحقيق المنافع ، ودفع المضار - إلا عليه سبحانه.

تلك هى عقيدة المسلم : تصديق بالقلب والجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالجوارح

---

(١) الإسفاف : طلب الأمور الدنيئة ؛ وفعله : أسف . « القاموس » (سفف) .

والأركان ؛ فهى : ليست علوما كلامية منفصمة عن الحياة اليومية ، ولا موجات عاطفية ، وتصديقات وجدانية فحسب ، وإنما هى : قوة روحية ، علمية وعملية ، وتطبيق واقعى ، وتفاعل حيوى ، تتطلع بصاحبها إلى المثل العليا ، وتسمو به إلى الآفاق العظمى .

إخوة الإيمان ، لا بد من الاستيقان أن الحياة الطيبة الآمنة ، والعيشة السعيدة الراضية، لا تحصل إلا بالإيمان ، والعمل الصالح ؛ قال عز وجل: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، وما يحصل من بلاء وخوف ورعب ، وإخلال بأمن الأمة وأفرادها ؛ إنما مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه ، وتلك سنة الله ؛ ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** ﴾ [فاطر : ٤٣] .

أيها المسلمون ، إن الأعمال الصالحة هى : زاد العبد وحصيلته التى يخرج بها من هذه الدنيا ، وعليها يترتب مصيره فى الآخرة ؛ أخرج البخارى ، ومسلم ، عن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ، ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله** » (١) ؛ يرجع الأهل والأقربون، والأصحاب والبنون ، وتعود الأموال الطائلة ، والقصور الشامخة ، والمراكب الفارهة ، والمناظر الفاخرة - وقد تكون حسرة وندامة على أصحابها - ويبقىٰ مع العبد فى الحفرة الضيقة واحد لا شىء غيره ، ذلك هو العمل الصالح .

فالعمل - يا عباد الله - هو صاحب الإنسان فى قبره ؛ ينعم به إن كان صالحًا ، ويعذب به إن كان غير ذلك ؛ فقد ورد فى الحديث ، عن رسول الله ﷺ ؛ **أن العمل الصالح يأتى صاحبه فى القبر بصورة رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، فيقول الميت : من أنت ؟! فوجهك الذى يأتى بالخير ! فيقول: أنا عملك الصالح ، وأما العمل السيىء ، فيأتى صاحبه فى القبر بصورة رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟! فوجهك الذى يجىء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث** (٢) .

فأين الناس اليوم من هذه العبر ؟! وإن المتأمل فى واقع كثير من المسلمين يعود جريح الفؤاد ، حزين النفس ؛ لما يرى من تفاقم الأعمال السيئة ، وانتشارها فى مجتمعات المسلمين ، فهذه ضروب الإشراك بالله ، والبدع فى الدين ، وهذه كبائر الذنوب والمعاصى

(١) رواه البخارى (٦٥١٤) ، ومسلم (٢٩٦٠) .

(٢) سيأتى مطولاً .

تجترح ممن ينتسبون إلى الإسلام ؛ هذا القتل ، والزنى ، والربا ، والسرقات ، والظلم ، والمسكرات ، والمخدرات ، وإضاعة الجمع والجماعات ، والعكوف على الملهيات والمغريات، وهذا التبرج والسفور ، وقلة الحياء ، وإبداء الزينة والاختلاط ، موجود بين المسلمين والمسلمات .

فاتقوا الله - يا أمة الإسلام - واعملوا صالحا ؛ فقد ندبكم ربكم - تبارك وتعالى - إلى العمل الصالح بأساليب متعددة :

فتارة : بالأمر الصريح .

وأخرى : يذكر مصير أهله فى الآخرة ، وحالهم فى الدنيا .

وتارة : بتعليق الجزاء به ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : ٣٩]

وتارة : يخبرنا سبحانه باطلاعه على أعمالنا؛ كما قال تعالى: ﴿ **إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [المؤمنون : ٥١]

وأخرى : يخبرنا بأنه وكل بنا حفظة يكتبون أعمالنا .

وتارة : يخبرنا أننا قادمون عليه ؛ فنجد ما عملناه يوم القيامة ، ونراه ونقرؤه ؛ ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [الإسراء : ١٣ ، ١٤] .

وتارة : يخبرنا أن عمل الإنسان له أو عليه ؛ ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾ [فصلت : ٤٦] . . إلى غير ذلك من الأساليب المتناثرة فى القرآن المجيد ، وهى جلية لمن تدبر كتاب الله .

فعليكم - عباد الله - بالتزود من الأعمال الصالحة ،ما دمتم فى زمن الفسحة والإمهال، واحذروا ما يعوقكم عن الأعمال النافعة ؛ كالنفس الأمارة بالسوء ، والشيطان الرجيم ، وأعوانه من الجن والإنس ، وأهوائهم وشبهاتهم وأمانيهم ، والدنيا الدنية وشهواتها ، وتوبوا إلى ربكم توبة نصوحًا ، وداوموا على الأعمال الصالحة ، وإياكم والإعراض بعد الإقبال ، والغفلة بعد الطاعة ، ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [الحشر : ١٩] .

اللهم بارك لنا فى القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وأجرنا - يا مولانا - من العذاب الأليم، وثبتنا على الصراط المستقيم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه، يغفر لكم، وتوبوا إليه؛ يثبت عليكم، إنه هو التواب الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا عباد الله : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢] .

إخوة الإسلام ، إن من نعم الله عليكم أن والى أوقات الفضائل ، ومواسم الخير والرحمة ؛ لتكون فرصة للطائعين ؛ ليتزودوا من الأعمال الصالحة ، وفرصة للمذنبين ؛ ليتوبوا إلى ربهم ، ويثوبوا إلى رشدهم ، ويصقلوا الإيمان فى نفوسهم ؛ فإنه لما انقضى شهر رمضان المبارك ، دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، ذلك الركن العظيم من أركان الدين ، من أتى به على الوجه الشرعى ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فالحمد لله الذى هيأ لعباده هذا الفضل العظيم ؛ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس : ٥٨] ؛ فالسعيد - يا عباد الله - من وفق لاغتنامها بطاعة الله ، والشقى من ضيعها بالغفلة والإعراض عن الله .

ألا وصلوا وسلموا على الرسول المجتبى ، والحبيب المصطفى ؛ كما أمركم بذلك ربكم ، فى قوله جل وعلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب : ٥٦] .

التوحيد خير عاصم من التطير والتشاؤم(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، ومن علينا ببعثة خير الأنام ، أحمده تعالى على نعمه العظام ، وأشكره على آلائه الجسام ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله القدوة الإمام ، بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، أرسله على حين فترة من الرسل بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف بإذن ربه الغمة ، فتح الله به قلوبًا غلفا ، وآذانًا صمًا ، وأعينا عميا ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واشكروه على ما هداكم للإسلام .

إخوة الإيمان ، ما أنعم الله على عباده بنعمة هى أعظم من نعمة الإسلام ، وما من عليهم بمنة هى أكبر من بعثة خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

إنها المنة العظمى ، والنعمة الكبرى ، تتجلى آثارها عند معرفة أحوال الناس قبلها ؛ حيث كانوا كما وصف الله سبحانه: ﴿ **لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ ؛ بهذه الصيغة المؤكدة المطلقة ؛ ليؤكد على ضلالهم المطلق ، وأنهم بلغوا فيه المنتهى : ضلال فى الاعتقاد والمفاهيم ، والتوجه والمقاصد ، والأهداف والغايات ، ضلال فى العادات والأعراف ، والسلوك والأخلاق ، والأحوال والأوضاع ، ضلال فى كل التصورات ، وجميع النواحى والمجالات، ضلالة عمياء ، وجاهلية جهلاء !

وما أجمع ما وصف به جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ حالهم قبل الإسلام ـ وهو يتحدث عن وصف المهاجرين أمام النجاشى ملك الحبشة؛ حيث قال ـ رضى الله عنه: « **أيها الملك ؛ كنا قومًا أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما**

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان »(١) .

نعم ـ أيها المسلمون ـ لقد انغمست الأمة في الوثنية بأبشع أشكالها ، وتلطخت بلوثات الجاهلية بأوسع مدلولاتها ؛ أوثان وأصنام ، خيالات وأوهام ، خزعبلات(٢) وإجرام، كهانة وتنجيم واستقسام بالأزلام(٣) ، تشاؤم وتطير بالشهور والأيام ، سحر وشعوذة ، وما إلى ذلك من ضروب الغى والإيهام ، فضلا عن الحرب الطاحنة لأتفه الأسباب ، والظلم والبغى والعدوان .

فجاء الإسلام ، وأنقذ الله به هذه الأمة من حضيض الغبراء إلى ذرا العلياء ، وانتشلها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وحولهم من رعاة الإبل والغنم ، إلى قادة شعوب وساسة أمم؛ ليقودوا زمام هذه الأمة إلى بر الأمان ، وشاطىء السلام ، إلى ظلال هذا الدين الكامل الشامل ، الذى يربط الخلق بخالقهم جل وعلا ، مالك النفع والضر ، والحياة والموت ، والخلق والنشور ، والرزق والشفاء ، عالم الغيب والشهادة ، المالك المتصرف فى الكون وحده ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ! .

أمة العقيدة ، لقد ربى الإسلام أتباعه على سلامة التوحيد وصحة العقيدة ، وقوة اليقين والتوكل على الله وحده ، وابتعد بهم عن الأوهام والظنون والخيالات ، التى تعبث بعقولهم ، وتلوث أفكارهم ، وتجعلهم يتصورون الأمور على خلاف حقائقها ، ونهى عن كل ما يخدش سلامة التوحيد لله وصحة العقيدة ؛ من التشاؤم والتطير : بالشهور والأيام ، والحيوانات والطيور ، وأصحاب العاهات ونحو ذلك ، وحارب الذهاب إلى الدجالين والمشعوذين ، والسحرة والمنجمين ، وتصديق الكهنة والعرافين ، وأدعياء علم الغيب والرمالين ، ونحوهم من الدجاجلة الكذابين ؛ لخطرهم على الدين والعقيدة ، والأخلاق والسلوك ، واستتباب أمن المجتمع ، ولتلاعبهم بعقول الناس ، وابتزاز (٤) أموالهم ، وأبطل كل مسالك الجاهلية ، واعتقاداتها الباطلة ، وترك الناس على دين الطهر والصفاء ، والخير والنقاء .

---

(١) رواه ابن إسحاق فى « السيرة » (١٩٥ ، ١٩٦) ، ومن طريقه ابن هشام (١ / ٣٣٤ ـ ٣٣٨) ، وأحمد (١ / ٢٠٢) .

(٢) الخزعبلات : جمع خزعبل ، وهو : الباطل . « اللسان » (خزعل) .

(٣) الأزلام : هى السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ، واحدها : زلم وزلم « اللسان » (زلم).

(٤) الابتزاز : السلب والانتزاع . « اللسان » (بزز) .

أمة الإسلام ، إن التوكل على الله وحده ، وتفويض الأمور إليه دون غيره ، واعتقاد أنه مالك النفع والضر دون سواه ، والبعد عن التطير والتشاؤم - أمور يجب على المسلم أن يعتقدها دينا لله الواحد الأحد ، لا يشركه فيها أحد من الخلق : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة : ٥١] ، ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [الزمر : ٣٨] ، ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [يونس : ١٠٧] ، ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [النمل : ٦٥] .

وفى الوصية العظيمة من المصطفى ﷺ لعبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قوله : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك** »(١) .

أبعد هذا - أيها الإخوة فى الله - يبقى مستمسك لأولئك الجهلة ، ومتعلق للمتخبطين فى فهم العقيدة ؟! أى دين ؛ بل أي عقل ! عند من يحاد الله فى علمه ، وفى قدرته وتصرفه ؟! تعالى الله عما يفعل هؤلاء علوا كبيرًا ! .

بل أي إيمان وفهم ومُسْكه (٢) عقل عند من يذهب إلى أولئك الأفاكين ، ويصدق هؤلاء المضلين ؟! لقد كان أهل الجاهلية يكفون عن القتال فى الأشهر الحرم ، فإذا حل شهر صفر، كثر القتال وانتهكت الحرمات ؛ فيتشاءمون من هذا الشهر ، ويعدونه شهر المآتم والأحزان ، وهذا - وإن كان ليس غريبًا على عباد الأوثان - فإن الغرابة كل الغرابة أن يستمر هذا الأمر عند أدعياء الإيمان ، بعد أن أبطله الإسلام .

عجيب - يا أمة العقيدة ، وغريب يا أهل الشريعة ، ويا أرباب العقول والأفهام : أن تعبث الخيالات والأوهام ببعض أبناء الإسلام !! فماذا تغنى الشهور والأيام ، من يوم الأربعاء وشهر صفر ؟! وما ذنب الحيوانات والطيور من الغراب والبوم ؟! وماذا تملك الزهرة وزحل ؟! ولكنها أوهام الجاهلين ، وأساطير الأولين ، وألاعيب الشياطين !

فأفيقوا - أيها المسلمون - من الغفلة عن هذه القضايا المهمة ، وقووا يقينكم بالله - عز وجل - وحققوا التوكل عليه سبحانه ، واحذروا التطير والتشاؤم ؛ فإن البعد عن ذلك سبب

---

(١) رواه أحمد (١ / ٢٩٣) ، والترمذى (٢٥١٦) ، والحاكم (٣ / ٥٤١ ، ٥٤٢) .

(٢) مسكه - بالضم - أى : بقية . « اللسان » (مسك) .

دخول الجنة ؛ كما ورد فى الصحيحين ، عنه ﷺ ، فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وهم : « **الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون** » [١] ، وفى الصحيحين - أيضًا - عنه ﷺ من حديث أبى هريرة ، قال : قال ﷺ : « **لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة** [٢] **، ولا صفر** [٣]» [٤].

أمة الإسلام ، إننا حينما نذكر بهذه الأمور ، فإن ذلك يأتى من منطلق الحرص على صفاء العقيدة ، والنصح لله ولعباده ، وما لهذه الأمور من انتشار ورواج فى بعض المجتمعات ، ويخشى أن ينخدع بها بعض ضعاف الإيمان .

ومع أننا فى عصر رقى العلم ونمو وسائل الإدراك والفهم ، إلا أنه لا تزال مثل هذه الأوهام موجودة فى بعض الأوساط والمجتمعات ؛ مما يجسد المسؤولية على حملة الشريعة وطلبة العلم فى انتشال الناس الغارقين فى لجج هذه الأوهام الباطلة إلى بر الإيمان والأمان، وشاطىء الخير والعقيدة والسلام .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بهدى سيد المرسلين ، وثبتنا وإياكم على الصراط المستقيم ، وأجارنا - بمنه وكرمه ورحمته - من العذاب الأليم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) رواه البخارى (٥٧٠٥) ، ومسلم (٢٢٠) ؛ من حديث ابن عباس ، رضى الله عنهما .

(٢) الهامة : الرأس ، واسم طائر ، وهو المراد فى الحديث ، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها . « النهاية» (هوم) .

(٣) الصفر : كانت العرب تزعم أن فى البطن حية يقال لها : الصفر ، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، وأنها تعدى ، فأبطل الإسلام ذلك . وقيل : أراد به النسىء الذى كانوا يفعلون فى الجاهلية ، وهو تأخير المحرم إلى صفر ، ويجعلون صفرًا هو الشهر الحرام ، فأبطله الإسلام . « النهاية » (صفر).

(٤) « صحيح البخارى » (٥٧٥٧) ، و « صحيح مسلم » (٢٢٢٠) .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، من توكل عليه كفاه ، ومن لاذ بحماه حفظه ووقاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، ومن سار على نهجه واهتدى بهداه .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله ، قد بان لكم بحمد الله : أن ما يعتقده بعض العامة فى شهر صفر من التشاؤم والتطير ، أمر مخالف للإسلام ، وقد أخرج الشيخان من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل** » قالوا : وما الفأل ؟ قال : « **كلمة طيبة** »(١) .

ولأبى داود ، والبيهقى ، عن عروة بن عامر ، قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ ، فقال : « **أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك** » (٢).

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ مرفوعًا : « **الطيرة شرك** » ، وما منا إلا [أى : إلا وقد وقع فى قلبه شىء من ذلك] ، ولكن الله يذهبه بالتوكل(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **من ردته الطيرة من حاجة ، فقد أشرك** » ، قالوا : يا رسول الله ، ما كفارة ذلك ؟ قال : « **أن يقول أحدكم : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك** »(٤) .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعرفوا منة الله عليكم بهذا الدين ،وحققوه قولا وعملا واعتقادًا .

---

(١) رواه البخارى (٥٧٧٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) .

(٢) رواه أبو داود (٣٩١٩) ، والبيهقى (٨ / ١٣٩) ، وانظر : « الإصابة » (٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥).

(٣) رواه الطيالسى (٣٥٤) ، وأحمد (١ / ٣٨٩) ، وأبو داود (٣٩١٠) ، والترمذى (١٦١٤) ، وانظر : « فتح البارى » (١٠ / ٢١٣) .

(٤) رواه ابن وهب فى « الجامع » (٦٥٨) ، وأحمد (٢ / ٢٢٠) .

ثم صلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على من حمى جناب التـوحيد ، وسد ذرائع الشرك وطرقه ـ النبى المصطفى ، والرسول المجـتبى ـ كما أمركم بذلك ربكم ـ جل وعـلا ـ فقال جل من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وقد قال ﷺ ـ فـيما أخرجه الإمـام مسلم ـ من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه : « **من صلى على واحدة ، صلى الله عليه عشراً** » (١) .

---

(١) « صحيح مسلم » (٤٠٨) .

كلا للسحر والشعوذة !(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونثنى عليه الخير كله ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، ومن همزات الشياطين ، ونزغات المضلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، من اتقاه وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن سأله أعطاه ، ومن لاذ به حماه ، ومن أقبل عليه قبله ورعاه ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن والاه، ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، تقوى الإله - جل فى علاه - سر النجاح ، وطريق الفلاح ، وينبوع الصلاح ، إن رمتم سعادة وصلاحا ، وطلبتم هداية وفلاحًا ، وقصدتم خيرًا ونجاحا؛ فعليكم بتقوى الله ، الزموها مساء وصبحًا ، وتحلوا بها غدوا ورواحًا .

عباد الله ، صفاء العقيدة ونقاء التوحيد ، وسلامة الملة وإبطال التنديد ، فريضة الله سبحانه على جميع العبيد ؛ بها أنزل كتبه ، وبها أرسل رسله ؛ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، فمن إليه المفزع فى الشدائد والملمات إلا الله ؟! ومن إليه الملجأ عند حلول الآفات والكربات إلا الله ؟ ومن إليه الفرار فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء إلا هو سبحانه؟! ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الذاريات : ٥٠ - ٥١]

هو سبحانه دافع الضر ومالك النفع ، المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع ، له الأمر كله ، وله الخلق كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، بيده وحده ملكوت كل شيء ؛ قضاؤه نافذ، وقدره كائن ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، ولا راد لما قضى ، ولا واصل لما قطع ، هو سبحانه المؤمل وحده لكشف كل بلاء ، ودفع كل بأساء ؛ فلا الملائكة ولا الأنبياء ، ولا الصالحون ولا الأولياء ، فضلا عن غيرهم من الأدعياء - لا يملكون لأحدهم ضرًا ولا نفعا ، ﴿ **وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا** ﴾ [الفرقان : ٣] ، ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا**

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

تَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] ، ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

عباد الله ، إذا كان صفوة خلق الله ، وأفضل عباد الله ـ عليه صلوات الله ـ يخاطبه الله بقوله سبحانه : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، ونهاه سبحانه بقوله : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٦ ، ١٠٧] .

إذا كان ذلك فى حقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فغيره أولى وأحرى أن يحذر من ذلك، مراعيا توحيد ربه ، مسلما أمره إليه ، معتقدًا أن ما سواه من المعبودات باطل ؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ [لقمان : ٣٠] .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول مناجيًا ربه :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون(١) عظمًا أنت جابره(٢)

ذلكم ـ يا حملة العقيدة ، ويا حراس الملة ـ هو التوحيد الخالص الذى يجب أن يلتزمه المسلمون ، ويسيروا عليه دون التفات إلى غيره ؛ تأسيا برسل الله ، عليهم الصلاة والسلام:

هذا الخليل ـ عليه السلام ـ يعلن التوحيد فى محاورته قومه : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٢ ـ ٨٣]

---

(١) هاض العظم ، يهيضه هيضا ؛ فانهاض : كسره بعد الجبور ، أو بعد ما كاد ينجبر . انظر : «اللسان » (هيض) .

(٢) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، انظر : « ديوانه » (ص ٣٨ ، ٣٩) ، و« البداية والنهاية » (١٥ / ٢٧٨) ، و« مدارج السالكين » (١ / ١٨٧) .

أمة التوحيد ، بهذا المنهج السوى ، وعلى هذا الإيمان القوى : ربى الإسلام أتباعه ، وعلى التعلق به وحده : أمر الفرد والجماعة ، وسما بعقولهم ، وحفظ فطرهم ، وصان قلوبهم وأفكارهم أن تتعلق بغيره ؛ فابتعد بالأمة عن الظنون والخيالات ، والأوهام والخرافات ، التى تعبث بالعقول وتفسد القلوب ، وقطع الطريق وسد الذرائع أمام كل دعى دجال ، ومفتر كذاب ، يزعم أن أحدا من دون الله يستطيع أن يتصرف فى هذا الكون ، أو يتحكم فى هذا الوجود ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا !

ومن قال بهذا ، أو اعتقد صحته ، فقد أعظم على الله المين[1] ، وضل عن مورد الصواب ، وحاد الله فى ربوبيته ووحدانيته ، وكذا من اعتقد قدرة تصرف الأرواح والأضرحة ـ والجان والمشاهد ، والنجوم والطوالع ، والسحرة والعرافين ، والكهنة والمنجمين ، والدجاجلة والمشعوذين ، أو حتى الأولياء والصالحين ـ فى شىء من أمور الخليقة ، أو أنهم يستطيعون جلب شىء من السعد والنحس ، أو يملكون شيئًا من الضر والنفع ، والله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

أما نفكر يا عباد الله ؟! أين عقولنا ؟! ماذا ران على القلوب ؟! ماذا أصاب العقول؟! ما هذا الجنوح والذهول ؟! أى فائدة تحصل من خيوط تربط ؟! وأى نفع يرجى من خرز تجمع ، أو حلق توضع فى الأيدى والأرجل ؟! وماذا تغنى الأحراز[2] والحجب ؟! وماذا تنفع التمائم[3] ، والتعاويذ[4] ، والحروف[5] ، والطلاسم ؟! كل ذلك جهل وضلال ، وشر وفساد ، وانحراف فى القلوب والفطر ، واستخفاف بكرامة العقل ، وسمو التفكير .

روى الإمام أحمد ، وغيره ، عن عقبة بن عامر ، مرفوعًا : « **من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له** »[6] ، وفى رواية : « **من علق تميمة فقد**

---

(١) المين : الكذب . « اللسان » (مين) .

(٢) الأحراز : جمع حرز ، وهو : العوذة . « اللسان » و« تاج العروس » (حرز) .

(٣) التمائم : جمع تميمة ، والتميمة : عوذة تعلق على الإنسان . « اللسان » (تمم) .

(٤) التعاويذ ، هى : التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين والفزع والجنون . « اللسان » (عوذ) .

(٥) هو اعتقاد أن للحرف طبائع وخاصية يفعلها بنفسه ، أو بمشاركة غيره من الحروف على أوضاع معينة « اللسان » (المقدمة) .

(٦) رواه أحمد (٤ / ١٥٤) ، والحاكم (٤ / ٢١٦) .

أشرك»(١) ، وللإمام أحمد ، وابن ماجة ، عن عمران بن حصين ؛ أن النبى ﷺ رأى رجلا فى يده حلقة من صفر(٢) ، فقال : « **ما هذه الحلقة ؟** » قال : هذه من الواهنة ـ وهو مرض معروف عندهم ـ فقال : « **انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا** » ، وزاد الإمام أحمد : « **فإنك لو مت وهى عليك ، ما أفلحت أبدًا** »(٣) .

ومن ذلك ـ يا أمة العقيدة : تصديق أدعياء علم الغيب ، وإتيان الكهنة والعرافين ، والرمالين والمنجمين ، والمشعوذين والدجالين ، الذين يزعمون الإخبار عن الغيبيات زورًا وبهتانًا ، وكذبًا وادعاء ؛ فهذا كله ضلال وباطل ، وداء خطير ، وشر مستطير ، فعلم الغيب مما استأثر الله به وحده ؛ قال سبحانه : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [النمل : ٦٥] .

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع (٤)

أخرج الإمام مسلم ، عن بعض أزواج النبى ﷺ ؛ أنه قال : « **من أتى عرافًا**(٥) ، **فسأله عن شىء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** »(٦) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ، قال : « **من أتى عرافًا ، أو كاهنًا**(٧) ، **فصدقه بما يقول ـ فقد كفر بما أنزل على محمد** »(٨) .

إخوة الإيمان ، وفى تعاطى السحر والتعامل به : جمع بين الكفر والإضرار بالناس ؛ لما قد يتوهمه الجهلة والدهماء(٩) ، ومرضى القلوب وضعاف الإيمان والعقول ، من قدرة الساحر على ما يريد ، وخسئ عدو الله ؛ يقول الله ـ عز وجل : ﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ . . إلى قوله : ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم**

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٥٦) ، والحاكم (٤ / ٢١٩) .
(٢) الصفر : النحاس الجيد . « اللسان » (صفر) .
(٣) رواه أحمد (٤ / ٤٤٥) ، وابن ماجه (٣٥٣١) .
(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامرى . انظر : « ديوانه » (ص ٩٠) ، و« اللسان » (طرق) .
(٥) العراف : المنجم ، أو الحازى الذى يدعى علم الغيب ، وقد استأثر الله به . « النهاية » (عرف) .
(٦) « صحيح مسلم » (٢٢٣٠) .
(٧) الكاهن : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ، ويدعى معرفة الأسرار . « النهاية » (كهن) .
(٨) رواه أحمد (٢ / ٤٢٩) ، وأبو داود (٣٩٠٤) ، والترمذى (١٣٥) ، وابن ماجة (٦٣٩) ، والحاكم (١ / ٨) .
(٩) الدهماء : جماعة الناس وكثرتهم . « اللسان » و « تاج العروس » (دهم) .

بضَارِّينَ به من أَحَد إلاَّ بإذْنِ اللَّه ويَتعلَّمُونَ ما يَضرُّهُمْ ولا ينفَعُهُمْ ولَقَدْ علمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ما لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ولَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

معاشر المسلمين : السحر إحدى الموبقات ، ومن أعظم المهلكات ، حذر الله - عز وجل - منه ، وحذر المصطفى أمته من الوقوع فيه ؛ كما في حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - في الصحيحين : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »(١) ، وذكر منها السحر ، والساحر دعى كذاب ، ولو طار فى الهواء ، ومشى على الماء ، ولبس على الجهلة والدهماء ، وزعم تحضير الأرواح ، والتنويم « بالمغناطيس » ، ولبس على العيون بحمل الأشياء الثقيلة، وما إلى ذلك .

السحرة والمشعوذون خطر على الأمة ، مكذبون لله ورسوله ، مستهزؤون بعقول الناس، مبتزون لأموالهم ، مغررون بضعفاء الأحلام(٢) ، ملبسون على السفهاء والعوام ، جديرون بالردع والعقاب وشدة الإيلام ؛ حتى لا يعم ضررهم ، ويستشرى خطرهم ؛ روى الترمذى ، عن جندب : « **حد الساحر ضربة بالسيف** »(٣) ، وما ذاك إلا لعظيم خطره ، وكبير فتنته وضرره .

أمة الإسلام ، إنه لمن الغريب حقًا أن تنتشر هذه الأباطيل فى كثير من البلاد ، ويتعاطاها بعض أهل الإسلام ، الذين ضعف يقينهم وإيمانهم ، وإنه لمن العار على أهل العقيدة أن تنتشر هذه اللوثات المحرمة بين ظهرانيهم ، ويقل فيها النكير ، وكأن الأمر يسير غير عسير ، وهو خدش فى العقيدة ، وشرخ فى صميم الإيمان ، أفيليق بأهل الإسلام : أن يخلدوا للخيالات والأوهام ، أو يتساهلوا بهذه الأمور العظام ، ويقبلوا دخول النقص فى عقيدتهم التى هى أغلى وأعلى مقومات عزهم ونصرهم وسعادتهم ؟! لقد حاول الأعداء أن يصرفوا كثيراً من الناس عن جوهر الدين ، وعن صفاء العقيدة ، وأن يشغلوهم بهذه التوافه ؛ حتى يتمكنوا من تفريق كلمتهم ، وإبعادهم عن نقاء دينهم ؛ لتسهل السيطرة عليهم .

فكونوا على حذر - يا عباد الله - علقوا آمالكم بالله ، ربوا أولادكم على العقيدة ، نشؤوا أسركم على الإيمان ، حصنوها بالذكر والقرآن ، إن المرحلة الخطرة التى تمر بها الأمة تستوجب الجد فى تصحيح المسار ، على نهج النبى المختار - عليه صلوات الله وسلامه - أما

---

(١) « صحيح البخارى » (٢٧٦٦) ، و«صحيح مسلم » (٨٩) .
(٢) الأحلام : العقول ، جمع حلم . « القاموس » (حلم) .
(٣) رواه الترمذى (١٤٦٠) ، والحاكم (٤ / ٣٦٠) .

الثواء [١] فى حياة التسمى والادعاء ، دون صدق فى العقيدة والانتماء ـ فهذا لا يزيد الأمور إلا تعقيداً ، ولا يزيد الباطل إلا رواجا وتوطيدا ، ولكن الله حافظ دينه ، ومعل كلمته ، وناصر أوليائه ، ولو كره المشركون ، ومهما عمل الأفاكون [٢] والمنحرفون .

نسأل الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، أن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، على الإيمان نحيا ، وعلى العقيدة الصحيحة نموت ، وعليهما نبعث يوم الدين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الثواء : طول المقام . « اللسان » (ثوى) .

(٢) الأفاكون : الكذابون . « القاموس » (أفك) .

الخطبة الثانية

الحمـد لله الذى خلقنا وهدانا ، ورزقنا واجتبـانا ، واختارنا واصطفـانا ، ومن كل ما سألناه منحنا وأعطانا ، فضلا منه ونعمة وامتنانا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنزل علينا قرآنا ، هدى للناس وبيانا ، ومحجة وفرقانًا ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسـوله ، أقوى الأمـة إيمانًا ، صلى الله وسلم وبارك عليـه وعلى آله وأصحـابه ، الذين كانوا بنعمـة الله إخوانًا ، وعلى الخير أعـوانا ، وعلى من تبعهم بإحسـان ، واقتفى أثرهم بإيمان .

أما بعد :

فاتقـوا الله ـ عباد الله ـ وعلقوا آمـالكم وكشف آلامكم به وحده ، وفوضـوا أموركم كلها إليه ، وثقـوا بتوفيقـه وتأييده وتوكلوا عليه ، واعلموا ـ رحمـكم الله ـ أنه ما تفشت أعمال الشعوذة فى أمة إلا أهلكتها ، ولا فى مجتمعات إلا دحرتها ، ولم تكن هذه الأمور لتحصل إلا لما ضعف ولاء كـثير من الناس لدينهم وعقيدتهم ، وأسلموا قـيادهم وزمامهم لأعوان الشياطين ، يلعبون بهم كيـفما يشاؤون ، دون رؤية ولا تفكير ، مع الانسياق وراء الوهم والهوى والظنون .

إنه لو كانت القلوب قوية الإيمان ، متربية على القرآن ، بـعيدة عن الملاهى والشهوات والعصيان ـ ما كانت هذه الأمـور رائجة ، وبضاعة نافقة ، وأرضا خصبة ، يعـششون فيها ويفرخـون ، وإذا كان الابتـلاء سنة ، والبشر عـرضة للأمـراض والأسقام ـ فـإن التداوى المشروع أمـر مطلوب ، ولا ينافى التوكل على الله ، سـواء أكان التداوى بالرقى المشـروعة عند أهل الإيمان والتقوى والصلاح ، ذوى الاعتقاد الصحيح والمنهج السليم ، أم بغير ذلك من ألوان الطب الحديث الذى لا يتنافـى مع الشرع الحنيف ، وقد أخبـر الله عن القرآن بأنه هدى وشفاء من كل مرض وداء ؛ فقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء : ١٢٢] : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] ؛ لكن لا بد من التـأكد من أهليـة المداوى ؛ دينًا واستقامة ، وصدقًا وأمانة .

وعليكم ـ رحـمكم الله ـ بتـحصين أنـفسكم وأولادكم بالـرقى المشروعـة ، والأوراد المأثورة ؛ فهى حصن حصين ؛ وحرز أمين ، بإذن الحى القيوم ، داوموا على أوراد الصباح والمساء ، وأدعية الدخول والخروج ، والنوم والاستيـقاظ ، أكثروا من قراءة فاتحة الكتاب ،

وآية الكرسى ، وخواتيم سورة البقرة ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ؛ فإنها تكفى صاحبها ـ بإذن الله ـ من كل بلاء وداء .

وهاكم ـ عباد الله ـ وصفة طبية نبوية، هى خير لكم وأمان ؛ عن عبد الله بن خبيب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **قل : قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، حين تمسى ، وحين تصبح ، ثلاث مرات ـ تكفيك من كل شىء** » (١) .

وعن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ، ثلاث مرات ؛ فيضره شىء** » (٢) .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على خير الورى ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٣١٢) ، وأبو داود (٥٠٨٢) ، والترمذى (٣٥٧٥) .

(٢) رواه أحمد (١ / ٦٦ ، ٧٢) ، وأبو داود (٥٠٨٨) ، والترمذى (٣٣٨٨) .

أثر العقيدة فى مواجهة التحديات(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله أعاد وأبدى ، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم وأسدى . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، كرم رسولا وشرف عبداً ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، صدقوا ربهم فأنجز لهم ما وعدهم ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واهتدى .

أما بعد :

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واستمسكوا بهدى نبيكم محمد ﷺ ، وتأملوا فى أحوالكم. اعتبروا بالماضى وتأملوا فى الواقع .

ما أحوج المسلمين إلي التأمل الصادق . . كيف المسير ؟ وإلى أين المصير ؟ .

أيها الإخوة : مرت بديار الإسلام فى تاريخها الطويل أزمات وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها . سقطت دول من أموية وعباسية وأمثالها ، وقامت دويلات ونشبت نزاعات . نعم لقد مرت أزمات حادة وفتن مدلهمة ، غلب فى بعضها هوى ، وساد فى أخرى شهوة .

وإن الناظر فى تلك العهود الأولى يدرك يقيناً أنه على الرغم من هذا الخلل وذلك التضعضع ، لم يكن يخالج المسلمين شك فى عقيدتهم . لم يشكوا أبداً فى صحة مبادىء الإسلام . . إيماناً بالله وتصديقاً برسالة محمد ﷺ ، ويقيناً بالحق فى هذا الدين .

لقد كتب لهم البقاء طيلة هذه القرون على الرغم مما حصل من ضعف ، وكان يكفى أن يأتى قائد مخلص وإمام راسخ ناجح كصلاح الدين والإمام ابن تيمية ليحرك جذوة الإيمان فتتقد ، فيتنزل نصر الله بمقتضى وعد الله ، فيصح العزم وتصفو العقيدة ، وتبقى الانحرافات وأهلها إن بقيت فى ركن قصى .

إن مظاهر الضعف والهزائم لم تورث فى نفوسهم شكاً فى عقيدتهم ، ولم تدفعهم إلى التطلع إلى ما عند أعدائهم ، فيستجلبوا أفكاراً ومبادىء ونظماً وأنماط سلوك . إنهم لم يعتقدوا الحق إلا فى دين الله عقيدة وسلوكاً ونظام حياة . لم يهنوا ولم يستكينوا حتى فى

(١) خطبة للشيخ / صالح بن حميد من المسجد الحرام .

حال الهزائم العسكرية ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

ما يحل من هزائم وما يقع من نكبات ما هو إلا من سنن الله فى الابتلاء والتمحيص. ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤١] .

هذه هى عقيدتهم فى النصر والهزيمة ، وهذا هو حالهم فى السراء والضراء . إنهم يشعرون بازدراء واستهجان شديدين لأعدائهم فى ميادين العقائد والمبادئ والنظم ، فمعتقدات الأعداء وتصوراتهم مجافية للفطر السليمة والنظرات المستقيمة . يرون فى التتار همجًا وفى الصليبية كفرًا وشركًا .

أما في الواقع المعاصر ـ أيها الإخوة ـ فقد عرف العدو سر القوة ومصدر العزة ، فعمل عمله فى الغزو الفكرى ، وكرس جهده فى قلب المفاهيم وإفساد التصورات ، فاختلف الحال واختل الميزان . فوجد فى المسلمين من يشك فى صلاحية الإسلام عقيدة وشريعة ، فيهم من يوالى أعداء الله وأعداء رسوله الموالاة الممنوعة ، يعتقد الخير والسعادة فى غير دين الله وفى غير حكم رسول الله . . أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ولا يعلمون الكتاب إلا أمانى .

يا أمة محمد ﷺ : إن التخلى عن هذا الدين أو التشكك فيه والانفصال عن دوحته المباركة والتخلف عن ركاب محمد ﷺ خسارة ما بعدها خسارة . إنها القاصمة والحالقة . لا يعوض عنها لباقة أو كياسة ، ولا يجدى بعدها حذق فى رطانة أو براعة فى تقليد . إنه التلاشى والاضمحلال ثم الهلاك والفناء . لن ينال الشرف بغير هذا الدين ولن يرتقى إلى العز بغيره سلمًا .

لقد خرج الدعاة الفاتحون مرقعى الأقمصة ومخصوفى النعال ، حكموا العالم بحسن سيرتهم وصدق سريرتهم : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

إن الدين فى حقيقته ـ أيها المؤمنون ـ سيطرة على النفس وبواعثها وغاياتها ، وتوجيه للمجتمع فى معاملاته ونظمه ، وهيمنة على الحياة فى شتى ميادينها وأنشطتها .

إنه الحياة الحقيقية . ليست الحياة صورة اللحم والدم وامتلاء العضلات قوة وفتوة . . فتلك حياة يشترك فيها البشر مع السباع والدواب والزواحف ، بل لعل حظوظ الأنعام فيها أوفر .

إن الحياة والعزة والقوة فى الصلة بالله والسير على نور من الله ، والانقياد لأوامره والاستجابة لندائه : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

إسلام الوجه لله وسعى فى مناكب الأرض ابتغاء من فضل الله .. محكوم بحدود الحلال والحرام والثواب والعقاب .

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

إن نور الإيمان المشع فى جنبات المؤمن يميز به الخير من الشر ، والنفع من الضر ، والمعروف من المنكر ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

المقطوعون عن الله لا تتجاوز نظراتهم الحياة الدنيئة بمتعها ، ولا يرقى تطلعهم حدود مآربهم الشخصية ، بل لا يتورعون عن قتل وختل(١) وإفك وغش .

وشاهدكم على ذلك حضارة هذا العصر ببهارجها وزينتها .. تمسك بالقشور والماديات، واستغراق فى الشهوات والملذات . لقد ملأها أصحابها ظلمًا وجورًا ، وفسادًا وخلاعة . أهانوا كل من سواهم ، ولعبوا فى مقدرات الرجال والدول ، وسلطوا بعضهم على بعض . وإن التقدم الملموس فى مجال التقنيات والآليات والعلوم التجريبية لم يغن شيئًا ، فالعالم يموج بفلسفات الشرق والغرب إيمانًا بالماديات البحتة ، وإنكارًا للقيم العالية والحقائق الغيبية والأخلاق النبيلة . تقاتل على المصالح الخاصة والأنانيات المستحكمة ، وصراع على مقدرات الشعوب ، وويل للمستضعفين . حروب تستشرى وأمراض تتنوع وتتجدد لم تكن فى الأسلاف ، والإنسانية تزداد كآبة وتحسرًا .. شحت الموارد ونزعت البركات ، ويسعون فى الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين . فرحوا بما عندهم من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .

أمة الإسلام : إذا كان الأمر كذلك فإن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى ما يرد عليهم اعتزازهم بإيمانهم ، وثقتهم بأنفسهم ، ورجاءهم فى مستقبل مشرق تكون فيه كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى . يجب على المسلمين أن يستشعروا مسؤوليتهم وريادتهم ، إن عليهم هداية هذه القطعان الضالة .. هدايتها إلى الدين القويم والصراط المستقيم .. تقودها إلى الفضيلة والتقوى ... تحول بينها وبين جهنم .

---

(١) الختل : الخداع عن غفلة .

وأول ما يجب أن يتوجه إليه الإصلاح : تصحيح العقائد وتنقيتها من المفاهيم المغلوطة والتصورات الفاسدة . . تميز الخبيث من الطيب . وحينئذ تتقد جذوة الإيمان ، فتنبت العزة من غير كبر ، وتتولد الثقة من غير غرور ، وتحصل الطمأنينة من غير تواكل ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا
بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)
إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل
عمران : ١٣٧ ـ ١٤١] .

نفعني الله وإياكم بهدى كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

أثر العقيدة فى مواجهة التحديات
الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر ، وأشكره على إنعامه وإفضاله ، وقد تأذن بالزيادة لمن شكر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محـمدا عبده ورسوله سيد البشر ، والشـافع المشفع فى المحشر ، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله أيها المؤمنون واعلموا أن ـ علة العلل فى عالم اليوم ما ران على القلوب من الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها ، والغفلة عن آيات الله وسننه .

إن حقًا على أهل الإسلام الـرجوع السريع إلى كتاب ربهم وسنة نبيـهم محمد ﷺ ، فهى مصدر القوة ، ومشعل الاستقامة ، ثم الرجـوع إلى معاقل التربية وحصون التوجيه . من لم تطب نفسه بهـذا الدين ولم ينشرح صدره للإسلام ولم يطمئن إلى نبـوة محمد ﷺ وإمامـته وآمن بفلسـفات دخـيلة فليس له محل فى هذه الميـادين . لا يجوز أن يسنـد إليه توجيه، أو يمكن من مواقع التأثير ، ليفسد الفطر ويبلبل العقائد .

إن حصون التـوجيه ومحـاضن التربية .. يجب إحاطتها بسـياجات آمنة ، فهى مكمن حمـاية الأمة وسـلامتهـا . وشر البليـة أن تؤتى الأمة من قـبل من وكل إليهم حـمايتـها والمحافظة عليها . وتكون الخيانة العظمى حين يفتـحون الأبواب الخلفية ليتسلل المتلصصون واللصوص فى غفلة الحماة الساهرين .

فاتقوا الله رحمكم الله، وقوموا بواجباتكم ، واستمسكوا بدينكم ولا تتفرقوا فيه .

القسم الرابع
السنة والسيرة

من للسنة النبوية اليوم ؟! (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده تعالى حمدًا يتقرب به المؤمنون الموحدون ، وأشكره سبحانه شكرًا يلهج به المتقون المتبعون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والأفاكون ؛ شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، أرسله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ؛ فتح الله به قلوبًا غلفًا ، وأعينا عميا ، وآذانًا صمًا ؛ هدى به من الضلالة ، وبصر به من الغواية ، شرح الله صدره ، وأعلى ذكره ، ورفع قدره ، ووضع وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أكمل به الدين ، وأتم به النعمة ، تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، الحق ما جاء به ، والدين ما شرعه ؛ فنشهد الله الذى لا إله إلا هو على محبته ﷺ محبة تفوق محبة النفس والولد والوالد ، والناس أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تمسك بسنته وسار على طريقته ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنه حينما تكثر الفتن فى الأمة ، وتدلهم الخطوب والمحن(٢) فى المجتمعات ، وتخيم على سمائها الصافية سحب المخالفات ، فيلتبس الحق بالباطل ، وتخفى معالم السنن على كثير من الناس ، ويختلط الهدى بالضلال ؛ فإن تقوى الله سبحانه تنير طريق الهداية ، ويبدد نورها ظلمات الجهل والغواية ، ومن رزق التقوى ، وفق للفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ؛ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

من وهبه الله التقوى ، فقد وهبه نورًا يمشى به على درب النجاة فى سلامة من

---

(١) خطبة للشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) تدلهم ، أى : تكثف وتشتد ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر الشديد تقع فيه المخاطبة ، والمحن : جمع محنة ، وهى البلاء والشدة . انظر : « اللسان » (دلهم) (خطب) ، و« تاج العروس » (محن) .

المؤثرات العقدية والمنهجية ، وفى بعد عن اللوثات المعكرة لصفو اتباعه ومسلكه ؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] .

ألا ما أحوج الأمة اليوم إلى أن تغمر قلوب أبنائها بتقوى الله جل وعلا ؛ ليتحقق لها وعد الله سبحانه : ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦] .

إخوة الإسلام ، عز الأمة وسعادتها ، وصلاحها وهدايتها ، وسلامتها وسيادتها ، وفلاحها وريادتها ، كل ذلك مرهون بتمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، وشواهد هذا جلية فى نصوص الشرع وحوادث التاريخ ؛ فيوم أن كانت الأمة متمسكة بإسلامها الحق ، مهتدية بنور الوحيين ، مقتفية آثار النبوة ـ دانت لها المشارق والمغارب ، واجتمعت كلمتها ، ورفرفت رايتها ، وتوحدت صفوفها ، ولم تجد البدع والأهواء طريقًا إلى مجتمعاتها .

إخوة الإيمان ، وتمر القرون ، وتمضى الأعصار والسنون ، وتبتلى هذه الأمة بالفرقة والاختلاف ، فى أمور دينها .

وفى غفلة من أهل الحق ، وذهول من حراس الملة ، وانشغال من أبناء السنة : تسربت إلى صفوف الأمة ألوان من العقائد المنحرفة ، وتسللت عبر الحصون صنوف من الطرق الفاسدة ، التى هوشت على الأمة(١) فى أعز ما تملك : فى عقيدتها ، واتباعها ، وحبها لرسولها ﷺ ؛ ففرقت الأمة شيعا وأحزابًا ، وتجاذبت الناس الأهواء والاختلافات ، وتعددت المذاهب والرايات ، وتشعبت المسالك والغايات ، وعمت الفتن والابتلاءات فضربت الأمة فى تيه السبل عقودًا من الزمن ، وغرقت فى لجج الاختلافات قرونا من الدهر ، وضعف ولاء أهلها لعقيدتهم ، وأشربوا فى قلوبهم حب التبعية لأعدائهم .

ويزداد الأمر خطورة فى هذا العصر ؛ حيث الفتن المشتدة ، والمحن المتلاحقة ، والابتلاءات المتداعية ، والرايات المتداخلة ، والسبل المتشابكة ، فى وقت رفعت فيه رايات الهجوم على دين الأمة ومعتقدها ، وثارت فيه براكين الدعوة إلى الضلالة ، وهبت فيه أعاصير تحسين الغواية ، وتفجرت زوابع للنيل من سنة الحبيب المصطفى ﷺ ؛ فرمتها عن قوس واحدة ؛ مما يجسد المسؤولية أمام حماة السنة ، وحراس الملة ؛ ليهبوا من رقدتهم ، ويفيقوا من سباتهم ، ويكفوا عن انشغالهم بأمور جزئية ، ويذبوا عن سنة حبيبهم ﷺ ؛ فيتعلموها ويعملوا بها ، ويعلموها ويدعوا إليها على بصيرة ، ويجاهدوا فى سبيل بيانها ، ويصبروا على ما يصيبهم من الأذى فى سبيل ذلك ، وينافحوا عنها ، ويبينوا كل ما

(١) أى : خلطت عليها . « تاج العروس » (شوش) .

يخالفها ؛ فيكشفوا زيفه ، ويوضحوا عواره ؛ حتى يكون الناس على بينة فى أمورهم ، وذلك - لعمر الحق - من أعظم ما يتقرب به إلى الله .

يقول الإمام يحيى بن يحيى النيسابورى ، شيخ البخارى ومسلم - رحمهم الله - : «**الذب عن السنة أفضل من الجهاد**» (١) ، ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله -: « **المتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندى أفضل من الضرب بالسيوف فى سبيل الله** » (٢) .

فيا **حملة السنة** ، إنه نظرا للوهن(٣) الذى أصاب كثيرًا من المجتمعات ، ولما حصل لجملة من التصورات الإسلامية من انحراف وغبش فى أذهان فئام من الناس ؛ حتى اختلطت عليهم الأوراق ، وانقلبت عندهم الموازين ، واختلت المقاييس ، وانتكست المعايير؛ فأصبح المعروف منكرا ، والمنكر معروفًا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة - إلا من رحم الله - بات من الضرورى أن يتحرك أبناء الإسلام ، أصحاب المنهج الحق ، أهل السنة والجماعة ، أتباع سلف هذه الأمة ، بتجلية الأمور دون مواربة (٤)، وكشف الحقائق دون مجاملة ، وبيان ما هو دخيل مما هو أصيل ، وما هو حق جد مما هو باطل هزيل ، والتركيز على أمور العقيدة والسنة والاتباع ، وإبطال كل ما يخالفها من المقولات والشبهات، وفضح كل ما يعارضها من المناهج والشعارات ، وكشف اللثام عن وجوه أعدائها ، سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات أم كيانات ، فالحق أحق أن يتبع .

وإلى متى تظل الأمة تائهة حيرى ، لا تميز العدو من الصديق ؟! أين الجهود المكثفة فى خدمة السنة والدفاع عنها ؟! أين دور العلماء فى توضيح السنة للعامة ، ورصدهم للمخالفات عند تطبيقها ، وبيانها للنشء حتى لا يحصل إفراط ولا تفريط ؟!

أين العناية بالسنة فى مناهج الدعوة وجهود الدعاة ؟! هل تغلب القضايا الفكرية والثقافية والعصرية على جوانب التأصيل والمنهجية ؟! أين الاستزادة من العلوم الشرعية ، لا سيما علوم السنة النبوية ، فى مجال الرواية والدراية ، والتطبيق والسلوك ؟! ما مدى الاهتمام بالسنة فى مناهج التعليم ؟! حيث من الضرورى أن يشبع نهم الطلاب بأهم العلوم وأولاها ، بدل أن تزاحم بعلوم أخرى !!

---

(١) ذكره الذهبى فى « سير أعلام النبلاء » (١٠ / ٥١٨) .

(٢) أورده الخطيب فى « تاريخ بغداد » (١٢ / ٤١٠) ، والذهبى فى « سير أعلام النبلاء » (١٠ / ٤٩٩) .

(٣) الوهن - بسكون الهاء وفتحها - : الضعف . « اللسان » (وهن) .

(٤) المواربة : المداهاة والمخاتلة . « اللسان » (ورب) .

أين العناية بالسنة عبر وسائل الإعلام فى بلاد الإسلام ، ولو على أقل تقدير بكف كل ما يخالفها ؟! أين تطبيق السنة فى البيت والأسرة ، والشارع والمجتمع ؟! ماذا جنت الأمة لما أهملت - أو كادت - أمور السنة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ؟! لقد اكتفت بالمظاهر عن الحقائق ، والدعاوى والزعوم عن التطبيق الجاد والتمسك الحق ، وجعلت بعض أيامها ولياليها أوقاتا لمعرفة السنة وإحيائها وحب صاحبها - بأبى هو وأمى ﷺ ! - نعم ؛ اكتفت بالحديث حولها ليلة من العام ، والوقوف تجاه عبرها يوما فى السنة، ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك ! إلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو المستعان على ما نرى ونسمع !!

إن الأمر أجل وأعظم من مثل هذه التصرفات ، التى لا توافق شرعًا صحيحًا ، ولا عقلا صريحًا ، ويتملكك العجب عندما تلبس هذه الأمور لباس الدين والقربة ،وما هذا إلا لغربة الدين وعظم الكربة ؛ ﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ [الأنعام : ٧٠] .

أمة الإسلام ، إن حقًا علينا جميعًا أن نهتم غاية الاهتمام بإحياء السنن ، وأن يتعاون المسلمون على ذلك جميعًا ، أو ليس الكل يريد سلوك طريق الجنة ؟! وهل لها طريق غير طريق المصطفى ﷺ وصحابته ، وسلف هذه الأمة - رضى الله عنهم - والقرون المفضلة ؟!

فيا من يريد نجاته ، السنة السنة !! والاتباع الاتباع !! إياك والاغترار بما عليه الجم الغفير ؛ فالحق ليس بالكثرة ؛ قال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنعام : ١١٦] وإنما بالبرهان والحجة !

وإن على حملة السنة : أن يوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا قلوبهم ، ويحذروا من فتح ثغرات داخلية ، وتغليب خلافات جانبية ، إن التعصب للشعارات والجماعات ، والنظرات الحزبية الضيقة ، ليس من دين الله فى شىء ، فالحق ليس حكرا على فرد دون آخر ، ولا جماعة دون أخرى ، ما دام الكل على المنهج النبوى - لا سيما فى المجال العقدى - والخطأ وارد ، والنصح مشروع ، والتسفيه والأذى بين الإخوة ممنوع . والمجاهرة بالردود ، والانشغال بها بين أصحاب المنهج الواحد - يتيح الفرصة للأعداء لإحكام الوقيعة بين الأحبة؛ فالحذر الحذر !!

ألا ما أحوج حملة السنة إلى تنسيق جهودهم ، والتلاحم مع ولاتهم وعلمائهم ؛

لدرء الأخطار المحدقة بهم(١) .

فيا أمة الإسلام ، ويا حملة السنة ، ويا أحباب المصطفى ﷺ ، أما آن لنا أن نتنبه للأخطار المحيطة بنا ، والتى تهددنا فى ديننا ودنيانا ؟! أما آن لنا أن نتخلى عن المعارك الوهمية ، والخلافات الجانبية ، ونبذل طاقاتنا ، ونصرف جهودنا ؛ دفاعا عن السنة ونشراً لها ، ونتلاحم مع ولاتنا وعلمائنا ؛ للسير جميعا فى طريق الخير والرشاد ؟!

فمن يقوم بذلك يا أمة الإسلام ؟! من للسنة المطهرة ؛ يقوم بها ، ويدعو إليها ، ويؤلف القلوب حولها ، ويجاهد فى سبيلها ، ويذب عنها - بعد الله - إلا أنتم أيها المسلمون ؟! فكونوا كما أراد الله لكم ؛ ينجز لكم ما وعدكم ؛ فمنه وحده التوفيق والسداد .

نفعنى الله وإياكم بهدى كتابه ، وبسنة نبيه ﷺ ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) المحدقة بهم ، أى : المحيطة بهم . « تاج العروس» (حدق) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أبان الطريق ، وأوضح المحجة ، وأرسل رسله مبشرين ومنذرين ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله ، كساه من حلل النبوة ما زاده مهابة وبهجة ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ؛ الذين فدوه بكل نفس ومهجة(١) ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وتمسكوا بسنة رسولكم ﷺ ، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله ، إن من رحمة الله بعباده أن يقيض لكتابه وسنة نبيه ﷺ ـ فى كل زمان ومكان ـ رجالا أكفاء ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ؛ فـ « **لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله** »(٢) ؛ كما فى الحديث فى « الصحيحين » ، عنه ـ عليه الصلاة والسلام.

وإنه على مر العصور ، وتعاقب الأجيال ، لا تزال سنة المصطفى ﷺ واضحة المعالم، مرفوعة الراية ، يهيىء الله لها أئمة الهدى ؛ ليكونوا شموسًا ساطعة ، تضىء الطريق لكل من أراد الخير والهداية ، فما على المسلم إلا أن يسلك طريق الحق ، ويذر التعصب جانبًا ، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه(٣) .

وإن الأمة اليوم بحاجة أكثر من أى زمان مضى إلى الاتحاد على منهج الكتاب والسنة؛ حتى تصب الجهود فى محصلة واحدة نحو الهدف السامى الذى يسعى إليه كل مسلم ؛ لقيادة سفينة الأمة إلى بر الأمان ، وشاطىء الإيمان ، بعيدًا عن كل ما يعكر طريق

---

(١) المهجة : الروح ؛ يقال : خرجت مهجته . « تاج العروس » (مهج) .

(٢) « صحيح البخارى » (٣٦٤١) ، و « صحيح مسلم » (١٠٣٧ / ١٧٤) « كتاب الإمارة » . من حديث معاوية ـ رضى الله عنه ـ وغيره .

(٣) أشكل عليه : التبس عليه ، ولا يصح بناؤه للمفعول فى هذا المعنى ؛ فلا يقال : أُشكل عليه . انظر : « القاموس » (شكل) .

وصولها، وإن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فى خدمة دينه وعقيدته ، وسنة رسوله ﷺ ؛ بحسب مكانه ومسؤوليته .

فأروا الله - أيها المسلمون - من أنفسكم خيراً ، وسيروا بخطا متوازنة ، يتوجها العلم الشرعى ، الذى من خلاله يبنى الوعى الواقعى ؛ لتأخذ هذه الأمة دورها القيادى والريادى من جديد فى مقدمة الركب ، ولتقود البشرية مرة أخرى إلى مواطن العز والشرف ،وما ذلك على الله بعزيز !

هذا ؛ وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على الحبيب المصطفى ، صلوا عليه صلاة متبع له ، محب له ، مقتف آثاره ، متمسك بسنته ؛ كما أمركم بذلك ربكم - جل وعلا - فقال تعالى قولاً كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

السيرة النبوية وواقع الأمة (١)

الخطبة الأولى

الحمـد لله الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه وكفى بالله شهيدًا ، أحمـده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأثنى عليه الخير كله ، تعظيمًا لشأنه وتمجيدًا .

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، إيمانًا به وتوحـيدًا ، وكـفرًا بما سـواه وتنديدًا (٢) ، وأشهد أن نبـينا محمدًا عـبد الله ورسوله ، وصفـيه وحبيـبه ، أرسله هاديًا ومبشـرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسـراجًا منيرًا ، أيده بالمعجـزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، واختصـه بالحجة القاهرة ، والملة الطاهـرة ؛ تركنا على المحجة البيـضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيـغ عنها إلا هالك ، فصلى الله وبارك عليـه وعلى آله وأصحـابه وأزواجه وذريته ، ومن استن بسنته ، واقتـفى أثره صلاة متتابعة عديدة ، وبركات متـعاقبة مديدة ، وسلم تسليمًا مزيدًا .

أما بعد :

فيـا أيها الإخـوة المسلمون ، اتقـوا الله تبارك وتعـالى ، اتقوه ، تفوزوا وتـفلحوا ، واتبعـوا سنة نبيكم ﷺ ؛ تسـعدوا وتهتـدوا ، واقتفـوا أثره ، وبنهجـه اقتدوا ، وبسـيرته اعملوا؛ توفَّقوا وتنصروا .

أيها الإخوة فى الله ؛ يا أحباب رسول الله ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ السيرة العطرة؛ سيرة خير البرية ، عليه من الله أفضل صلاة وأزكـى تحية ، بما فيها من شمائل نبوية (٣) ، ومعجزات محـمدية ، ووقائع مصطفوية ، كلها معين ثر ، وينبـوع صاف متدفق ، يرتوى من نميره كـل من أراد السلامة من لـوثات الوثنية ، والنجـاة من أكدار الجاهلـية ، بل هى الشمس الساطعة ، والسنا المشرق ، والمشـعل الوضاء ، والنور المتألق ، الذى يبدد ظلمات الانحرافات العقدية والسلوكية ، والاجتماعية وسواها .

أيها المسلمون ، إن حاجة الأمة إلى معرفة سيرة الحبيب المصطفى ﷺ ، والاقتباس من مشكاة النبـوة ، فوق كل حاجـة ، بل إن ضرورتها إلى ذاك فـوق كل ضرورة ؛ فكل من

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) التنديد : التشهير وإظهار العيوب . ندد به : شهر به وصرح بعيوبه . « اللسان » (ندد) .

(٣) أى : أخلاق نبوية ، جمع شمال ، وهو الخلق . « تاج العروس » (شمل) .

يرجو الله واليوم الآخر ، يجعل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قدوته ، والمصطفى ﷺ أسوته ؛ كما قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وأهل الإيمان الحق يستمدون من الهدى النبوى كل أمورهم ؛ فلا تستوى الأمور وتستقيم السبيل إلا بذلك ؛ فبهديه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يهتدون ، وعلى ضوء سنته يسيرون ، ومن معين نبوته يرتوون ، ولأعلام هدايته يحملون ، وتحت لوائها ينضوون(١)، أسقطوا الرايات المشبوهة ، ودحضوا الشعارات الزائفة ، ولم يبقوا إلا شعار التوحيد والمتابعة ، عليه يحيون ، وعليه يموتون ، وفى سبيله يجاهدون ، وعليه يلقون الله رب العالمين .

إخوة الإيمان ، ولم تكن حاجة الأمة فى عصر ما إلى معرفة السيرة العطرة ـ معرفة اهتداء واقتداء ـ وأشد إليها من هذا العصر ، الذى تقاذفت فيه الأمة أمواج المحن ، وتشابكت فيه حلقات الفتن ، وغلبت فيه الأهواء ، واستحكمت المزاعم والآراء ، وواجهت فيه الأمة ألوانا من التصدى السافر ، والتحدى الماكر ،والتآمر الرهيب من قبل أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم ، يتولى كبر ذلك من لعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، من اليهود والصهاينة ، ومن والاهم من دعاة التثليث وعبدة الصليب ، ومن آزرهم من المفتونين بهم ، المتأثرين بصديد أفكارهم وقيح ثقافاتهم ، من أهل العلمنة ، ودعاة التغريب .

ويزداد الأسى حين يجهل كثير من أهل الإسلام حقائق دينهم ، وجوهر عقيدتهم ، ويسيرون مع التيارات الجارفة دون تمحيص وتحقيق ، أو يجمدون على موروثات مبتدعة ، دون تجلية ولا تدقيق ، وحينما يضرب المثل فى ذلك على نظرة كثير من أهل الإسلام للسيرة المباركة ، فإنك واجد العجب العجاب : ففئات تغلو فى الجناب المحمدى ، وترفعه إلى المقام الإلهى ، وفئات تجفو وتعرض ، ومن الناس من نظروا إلى السيرة النبوية على أنها قصص تتلى ، وفصول تسرد ، دون متابعة أو اقتداء ؛ فلا تحرك قلوبا ، ولا تستثير همما ، ولا تشحذ عزائم .

وأبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ـ فداه أبى وأمى ـ فوق كونه عظيمًا من عظماء التاريخ ، فإن شرف النبوة ، وسمو الرسالة هما اللذان يحتمان له المحبة والاتباع ، وإن ارتباطنا برسولنا وحبيبنا ﷺ وسيرته العطرة ، ليس ارتباط أوقات

---

(١) ينضوون : ينضمون . « القاموس » (ضوى) .

ومناسبات ، ولا حديث معجزات وذكريات ؛ بل إنه ارتباط وثيق فى كل الظروف وجميع الشؤون إلى الممات ، وشخصيته ﷺ ليست شخصية مغمورة ، ولا فى جنبات التاريخ مطمورة[١] ، تبرز حينا وتطوى حينا ، حاشاه - عليه الصلاة والسلام - بل إن ذكره يملأ الآفاق، والشهادة برسالته تدوى عبر المآذن والمنابر ، وتنطلق عبر الحناجر والمنابر [٢].

والمسلم الذى لا يعيش حب الرسول ﷺ فى قلبه ، ولا تتبعه بصيرته فى عمله وتفكيره ، فى كل لحظة من لحظاته - لا يغنى عنه أبدًا التغنى بسيرته ، ولا صياغة النعوت فى مدائحه ، وليس هناك أغلى وأعلى من مدح ربه جل وعلا له ، وثنائه عليه ؛ أما رفع ذكره ، وأعلى قدره ، وشرح صدره ؟! صلوات الله وسلامه عليه !

وما جنح طوائف من المسلمين إلى مثل هذا اللون من الإفصاح عن تعلقهم بنبيهم ، إلا لما أعياهم عبء العمل ، وتركت نفوسهم العزمات ، واستسلمت للتوانى والكسل ، فالجهد الذى يتطلب العزائم هو الاستمساك والاقتداء ، فبدلاً من التغنى والترنم ينهض المسلم الجاد إلى تقويم نفسه ، وإصلاح شأنه ؛ حتى يحقق الاقتداء برسوله ﷺ ، وحتى يترجم تلك الدعاوى إلى واقع عملى فى كل شئونه : فى معاشه ومعاده ، فى حربه وسلمه ، فى منشطه ومكرهه ، فى علمه وعمله ، فى عباداته ومعاملاته .

وإن تحويل الإسلام إلى هز للرؤوس ، وتضخيم للعمائم ، وإطالة للسبح ، يصاحب ذلك تمتمات[٣] وهمهمات[٤] ، وتعلق بأذكار وتسابيح ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وتمسك بقصائد وتواشيح[٥] : لشيء عجيب يحار العقل فى قبوله ! .

والأدهى من ذلك : أن يجعل هذه الأمور معايير لصدق المحبة وعدمها ، ومقاييس يرمى كل من تركها ، واستبان عوارها ، بتنقصه للحبيب المصطفى ﷺ ، وتلك كما قيل :

شنشنة أعرفها من أخزم[٦]

---

(١) مطمورة ، أى : مدفونة ، والطمر : الدفن . « تاج العروس » (طمر) .

(٢) المنابر : جمع منارة ، وهى المئذنة . « القاموس » (نور) .

(٣) التمتمات : جمع تمتمة ، وهى : رد الكلام إلى التاء والميم ، وقيل : هو أن يعجل بكلامه ؛ فلا يكاد يفهمك . انظر : « اللسان » (تمم) .

(٤) الهمهمات : جمع همهمة ، وهى : الكلام الخفى . انظر : « اللسان » (همم) .

(٥) التواشيح : جمع توشيح ، وهو اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون ، وهو فن عجيب . «تاج العروس » (وشح) .

(٦) هذا البيت لأبى أخزم الطائى ، وقيل : لعقيل بن علقه المرى ، وهو مع بيت قبله :

إن بنى زملونى بالدم شنشنة أعرفها من أخزم =

فحب رسولنا ﷺ مغروس فى شغاف قلوبنا (١) ، ولا يغبط حبه إلا قلب كل منافق جحود .

ومن المؤسف : أن أعداء الملة تمكنوا ـ فى غفلة من المصلحين ـ أن يصدعوا بناءه ، وينقضوا أركانه ، فكيف ـ يا أحباب رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ يترك ميراث النبوة نهبا للعوادى ؟! وكيف يقع التبديل والتغيير فى دين الله فى غفلة وسكون ؟! وكيف يمهد للجاهلية الأولى أن تعود من جديد ؟! ألا فليفقه المسلمون سيرة رسولهم ﷺ فقها مؤصلا بالدليل والبرهان ، قبل أن تأخذ بهم السبل الملتوية ، فتطوح بهم بعيدًا عن الجادة ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٤] .

أمة الإسلام ، لقد جربت الأمة هذه المظاهر بعد انحسار القرون الثلاثة ، فلم تجد شيئًا، لم تعد عزة ، ولم تورث منعة ، ولم ترجع مقدسات .

وإذا كانت الأمة فى هذه الظروف الحرجة التى تمر بها تتحدث عن معجزات المصطفى ﷺ ، فكيف يطيب الحديث ، وكيف يحلو الكلام ، ومقدسات المسلمين يعيث فيها أعداء الإسلام من اليهود الأخباث ؟! وها هم يصعدون عدوانهم ، ويزيدون فى إذكاء نار الفتنة(٢) ؛ تحديا لمشاعر المسلمين .

كيف يجمل الحديث عن المعجزات والذكريات ، وأعداء المسلمين من الصرب المعتدين يصرون على صلفهم(٣) وعدوانهم ، ضد إخواننا وحرماتنا وأعراضنا فى جمهورية البوسنة والهرسك ؟!

كيف يحلو الكلام والهندوس الوثنيون يمعنون فى حقدهم السافر على مساجدنا ومشاعرنا فى القارة الهندية ؟!

= والشنشنة : العادة والسجية . والبيت من أبيات الأمثال يضرب للرجل يشبه أباه ، وكذا يضرب لقرب الشبه فى الخلق . انظر : « النهاية » (شنشن)، و« مجمع الأمثال » (١ / ٣٦١) ، (٢ / ٣١٣) .

والمراد : أن المبتدعة أشبه وأولى بتنقصهم للرسول ﷺ من أهل السنة ، وأن أهل السنة براء مما رموا من التنقص منه ﷺ . انظر هذه الفرية والجواب عنها فى « نونية ابن القيم» بشرح ابن عيسى (٢ / ٣٤٥ ـ ٣٦٨) .

(١) شغاف القلب : غلافه ، وهو جلدة دون القلب كالحجاب . انظر : « روضة المحبين » لابن القيم (ص ٢٥) ، و « تاج العروس » (شغف) .

(٢) إذكاء النار : إيقادها وإشعالها . « القاموس » (ذكو) .

(٣) الصلف : مجاوزة القدر . « تاج العروس » (صلف) .

كيف ؟! وكيف ؟! وقضايانا الإسلامية معلقة ، وأوضاع المسلمين متردية - إلا من رحم الله - ولا حول ولا قوة إلا بالله ؟!

إخوة العقيدة ، أمة الإسلام ، إننا بحاجة إلى تجديد المسار ، وتصحيح المواقف ، والوقوف طويلا للمحاسبة والمراجعة ، نريد من مطالعة السيرة ما يزيد الإيمان ويزكى السريرة ، ويعلوا بالأخلاق ويقوم المسيرة !

يخطىء كثيرون حينما ينظرون إلى المصطفى ﷺ وسيرته ، كما ينظر الآخرون إلى عظمائهم فى نواح معينة محدودة بعلم أو حنكة(١) أو عبقرية ؛ فرسولنا ﷺ قد جمع نواحى العظمة الإنسانية كلها فى ذاته وشمائله وجميع أحواله ، لكنه مع ذلك ليس ربا فيقصد ، ولا إلها فيعبد ، وإنما هو نبى يطاع ويتبع ، هو منة الله على هذه الأمة ؛ كما قال سبحانه : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ...﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

إن من المؤسف حقًا : أن بعض أهل الإسلام لم يقدروا رسولهم - عليه الصلاة والسلام - حق قدره ، حتى وهم يتوجهون إليه بالحب والتعظيم ؛ ذلك أنه حب سلبى ، لا صدى له فى واقع الحياة ، ولا أثر له فى السلوك والامتثال ؛ تأمل هديه - عليه الصلاة والسلام - بأبى هو وأمى ! - فى مجال الأخلاق ، تجده مثال الكمال فى رقة القلب ، وسماحة اليد ، وكف الأذى ، وبذل الندى (٢) ، وعفة النفس ، واستقامة السيرة ، كان - عليه الصلاة والسلام - دائم البشر ، سهل الطبع ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخَّاب فى الأسواق .

يقول أنس - رضي الله عنه : « **ما مسست بيدى ديباجا (٣) ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة كانت أطيب من رائحة رسول الله ﷺ** »(٤) ، ولقد «**خدمت النبى ﷺ عشر سنين ، فما قال لى أف قط ، وما قال لشىء صنعته : لم صنعته؟! ولا لشىء تركته : لم تركته ؟** » (٥) .

ويقول عبد الله بن الحارث - رضى الله عنه - : « **ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول**

---

(١) الحنكة : التجربة والبصر بالأمور . « تاج العروس » (حنك) .
(٢) الندى : السخاء والكرم . « تاج العروس » (ندى) .
(٣) الديباج : هو الثياب المتخذة من الإبريسم (الحرير) . « النهاية » (دبج) .
(٤) رواه أحمد (٣ / ٢٢٧) ، والبخارى (٣٥٦١) ، ومسلم (٢٣٣٠) .
(٥) رواه البخارى (٦٠٣٨) ، ومسلم (٢٣٠٩) ، والترمذى (٢٠١٥) .

الله ﷺ »(١) .

وفى « الصحيحين » عن أنس - رضى الله عنه - قال : « **كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى ، فجذبه جذبة شديدة ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ ، قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه ﷺ ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء** »(٢) .

تلك - لعمر الحق ! - عراقة الخلال، وكريم الشمائل ، فهل من يتغنون اليوم بسيرته يقتفون أثره ؟!

يقول عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع (٣)

وانظر إلى صفحة أخرى من صفحات شمائله في الحرب والقوة ؛ فقد كان - عليه الصلاة والسلام - شجاعًا لا يعرف الخوف ، مقداما لا يعرف التردد ؛ يقول أنس - رضى الله عنه - : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة عرى ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : « **لم تراعوا ! لم تراعوا !**(٤) » (٥).

وقال على - رضى الله عنه - : « **كنا إذا حمى البأس ، ولقى القوم القوم - اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ﷺ** »(٦) .

وهكذا فى معاملاته لأصحابه ، وأهل بيته وزوجاته ، وسياسة الدولة الإسلامية ، وفى عبادته لربه ، وفى نفقته وبذله ، وحرصه على أداء رسالته ، وتبليغ دعوة ربه تبارك

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٩٠) ، والترمذى (٣٦٤١) .
(٢) « صحيح البخارى » (٣١٤٩) ، و « صحيح مسلم » (١٠٥٧) .
(٣) انظر : « صحيح البخارى » (١١٥٥) .
(٤) لم تراعوا ، أى : لا فزع عليكم ولا روع ، فاسكنوا واهدؤوا . « اللسان » (روع) .
(٥) رواه البخارى (٢٩٠٨) ، ومسلم (٢٣٠٧) .
(٦) رواه أحمد (١ / ١٥٦) ، والبغوى فى « الأنوار ، فى شمائل النبى المختار » (٣٥٦) ، وابن عساكر فى « تاريخه » (٤ / ١٣) .

وتعالى .

فهل تدرك الأمة الإسلامية اليوم الطريقة المثلى لإحياء وقائع السيرة إحياء عمليًا حقيقيًا، لا صوريًا شكليًا ؟!

إن حقًا على أهل الإسلام ـ وهم المؤتمنون على ميراث النبوة ـ أن تصقلهم الوقائع ، وتربيهم التجارب ؛ إذ لا تزال الفتن والخطوب مدلهمة على هذه الأمة .

ولكن مع مآسى المسلمين المتكاثرة ، وجراحاتها المتوافرة ؛ فإن هذة الأمة أمة ثرية بعطاءاتها ، والخير فيها مستمر إلى قيام الساعة ، ففى خضم المعاناة مع أعداء الإسلام تبرز فلول التفاؤل ، وتظهر بوارق الآمال ، تجسدها صحوات عالمية ، وانتفاضات إسلامية ، وتوجهات خيرية ، تنشد الإسلام بأصوله الصحيحة وحقائقه الناصعة .

ولقد ثبت لذوى البصائر أن رفع راية الجهاد فى سبيل الله ، وإعلان التضحية ، والاستشهاد فى سبيل نصرة الحق ـ هو الطريق الأوحد لإعلاء كلمة الله ، وإعزاز أهل هذا الدين ، وأن النزاع مع الأعداء المتكاثرين ـ لا كثرهم الله ـ نزاع عقيدة وهوية ومصير ، وأن المقدسات لن تحرر برايات إقليمية محدودة ، ولا شعارات طائفية ضيقة ، وإنما بشعار الإسلام ، والإسلام وحده ، والجهاد والاستشهاد فى سبيله ؛ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩]

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأقصى من أعرض عن عبادته واستعصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أحاط علما بأعمال عباده وأحصى ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، أمر أمته بالتمسك بسنته وأوصى ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن حرص على اقتفاء سيرته واجتهد فى التمسك بسنته واستوصى .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ ورووا قلوبكم وأرواحكم من سيرة نبيكم ﷺ ، وتدبروا معجزاته العظيمة ، وما فيها من حكم وأسرار بديعة ، واربطوا أنفسكم ونشأكم وأسركم بها ربطا محكما وثيقًا ، يسمو عن التخصيص فى أوقات ، والتعيين فى مناسبات ، واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن المناسبات الشرعية ، والوقائع النبوية ، فى تاريخنا الوضاء ، ينبغى أن يكون لا تأثير فى إصلاح المنهج ، وإحكام المسيرة والبناء .

فى تاريخنا الإسلامى المجيد مناسبات عظام ، وأحداث جسام ، القلوب بها مفعمة(١) ، والصدور لها مبتهجة منشرحة ، لكن ليس من منهج السلف الصالح إحياء هذه الذكريات ، والاحتفال بهذه المناسبات ، والخير كل الخير فى الوقوف حيث وقف السلف ، رحمهم الله .

هذا ؛ وصلوا وسلموا على صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، وعلى آله وصحبه أهل الوفاء بالعهود ؛ كما أمركم بذلك المولى الغفور الودود ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

---

(١) مفعمة : ممتلئة . « اللسان » (فعم) .

تحبير المقال ، فى حكم الاحتفال(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ؛ فليس لأحد أن يزيد فيه ما ليس منه ، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شرع ويسر ، وحكم ودبر ،ونهى وأمر ، وأنعم علينا بنعم لا تحصر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، هو بشر كالبشر ، بعثه الله رحمة للعالمين ، أرسله ليطاع ويتبع ، لا لتخالف سنته ويزاد فيها ويبتدع ، فلا يستقيم إيمان عبد به حتى يطيعه فيما أمر ، ويصدقه فيما أخبر، ويجتنب ما عنه نهى وزجر ، من المعاصى والبدع الجالبة للخطر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين التزموا سنته ووقفوا عند هديه ، ما اتصلت عين بنظر ، وأذن بخبر، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله تعالى ، واشكروه على ما من به عليكم ؛ إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ، ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ؛ فحققوا هذه النعمة باتباع سنة رسولكم ﷺ ، والوقوف عند هديه وشريعته ، والبعد عما أحدثه أهل الأهواء من البدع التى ما أنزل الله بها من سلطان .

إخوة الإسلام فى كل مكان ، لقد جاء الأمر بطاعة الرسول ﷺ ، ولزوم سنته فى آيات كثيرة من كتاب الله ، وأحاديث شريفة من سنة رسول الله ﷺ ، وكلها نصوص صريحة فى وجوب طاعته ، واتباع سنته ، والتسليم له دون اعتراض ، وعدم الخروج عن أوامره وزواجره بأى حال ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال سبحانه محذراً من يخالف أمره ـ عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

كما زخرت سنة المصطفى ﷺ بما يدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، واتباع السنة، والتحذير من البدع فى الدين أخرج الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، عن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **إنه من يعش منكم ،**

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

فسيرى اختلافًا كثيرًا ؛ فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ؛ فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[١] .

فتجلى لكل مسلم ـ من هذه النصوص ، والآيات الكريمة التى يقصر المقام عن ذكرها كلها : أن المسلم مأمور بالاتباع ، ومنهى عن الابتداع ، وإحداث الأمور المخالفة للدين ؛ فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد** » متفق عليه[٢] ، وفى رواية لمسلم : « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا ، فهو رد** »[٣] أى : مردود عليه ، غير مقبول .

وللسلف الصالح ـ رحمهم الله ـ فى هذا المجال من الأقوال والأفعال ما يوضح الاتجاه العام للقرون الخيرة ، ويقدم للمسلمين فى كل زمان ومكان المثل الأعلى ، الذى ينبغى عليهم أن يستلهموا منه سبيل النجاة :

يقول عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه : « **اتبعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتم** »[٤] .

ويقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « **ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع ، وتموت السنن** »[٥] .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « **كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنة**»[٦] .

وعن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ قال : « **سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا ؛ من عمل بها ، فهو مهتد ،ومن استنصر بها ، فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير**

---

(١) « المسند » (٤ / ١٢٦) ، و « سنن أبى داود » (٤٦٠٧) ، و « جامع الترمذى » (٢٦٧٦) ، و« صحيح ابن حبان » (٥) .

(٢) « صحيح البخارى » (٢٦٩٧) ، و « صحيح مسلم » (١٧١٨) .

(٣) « صحيح مسلم » (١٧١٨) .

(٤) رواه اللالكائى فى « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١ / ٨٦) ، وابن وضاح فى «كتاب فيه ما جاء فى البدع » (ص ٤٢) .

(٥) رواه اللالكائى فى « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١ / ٩٢) ، وابن وضاح فى «كتاب فيه ما جاء فى البدع » (ص ٨٧) .

(٦) رواه اللالكائى فى « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١ / ٩٢) ، وابن بطة فى « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (١ / ٣٣٩) .

سبيل المؤمنين ، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »(١) .

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»(٢).

وقال بعض السلف : « الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام »(٣) .

إخوة العقيدة والإيمان ، واليوم لما استحكمت غربة الدين ، وقل أعوانه وأنصاره ، وكثر لداده (٤) وأعداؤه ، وضعف إيمان أهله ، واشتغلوا عنه بغيره ،وكثر دعاة السوء ، وأرباب البدع والخرافة : لما حصل ذلك ، تغيرت الأحوال ؛ فعاد المعروف منكرا ، والمنكر معروفًا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، وانتشرت البدع بين كثير من الناس ، وسرت فى قلوبهم وعقولهم كما تسرى الدماء فى أبدانهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

أمة الإسلام ، ومن البدع المحدثة فى دين الله ، التى كثر انتشارها ورواجها اليوم ـ بل وضربت أطنابها (٥) فى أقطار كثيرة جدًا من العالم الإسلامى ، واستحكمت فى قلوب كثير من الناس ، وعادت عندهم من المعروف الذى لا مرية فيه ـ ما يفعل فى شهر ربيع الأول من الاحتفالات والاجتماعات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، ويسميها أصحابها : احتفالات بذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ !! بل وصل الأمر ببعضهم : أن يخصصوا هذا الشهر لشد الرحال إلى مكة والمدينة ؛ قربا من مواطن المصطفى ﷺ ـ بزعمهم ـ وهذا عمل لا برهان له ، وتخصيص لا دليل عليه ؛ ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

فتخصيص ليالى هذا الشهر أو بعضها بالاحتفالات لا يجوز شرعًا ؛ لأدلة كثيرة :

الأول : أن ذلك من البدع المحدثة فى الدين ؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله ، ولا

(١) رواه الآجرى فى كتاب « الشريعة » (١ / ٤٠٨) ، وابن بطة فى « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١ / ٣٥٢) .

(٢) انظر : « منهاج السنة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٤٤٤) .

(٣) رواه الخطيب فى « الفقيه والمتفقه » (١ / ٣٨٩) بإسناد صحيح ، وأبو نعيم فى « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٥٧) ؛ عن الجنيد . وانظر : « الاعتصام » (١ / ١٦٠) .

(٤) اللداد واللد : جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة الجدل ؛ ومنه : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] . « اللسان » (لدد) .

(٥) الأطناب : جمع طنب ، وهو ما يشد به البيت . « اللسان » و « تاج العروس » ـ(طنب) ، وضربت البدع أطنابها ، أى : استقرت وثبت أمرها .

خلفاؤه الراشدون ، ولا غيرهم من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ولا التابعون لهم بإحسان فى القرون المفضلة ، وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حبًا لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه، ممن جاء بعدهم ؛ فيسعنا ما وسعهم ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه .

الثاني : ما ثبت من الآيات والأحاديث فى كتاب الله وسنة رسوله ، التى توجب طاعة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والوقوف عند سنته ، وتحذر من الابتداع فى الدين(١) .

الثالث : أن الله سبحانه أكمل لنا الدين ، ورسوله ﷺ بلغ البلاغ المبين ، وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله لم يكمل الدين ، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما أنزل إليه من ربه ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون بعد القرون المفضلة ؛ فأحدثوا فى شرع الله ما لم يأذن به ؛ زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله ، وكفى بهذا اعتراضًا على الله سبحانه ، وتنقصا لشرعه ، وقدحًا فى تبليغ رسوله ، عليه الصلاة والسلام !

الرابع : أن إقامة مثل هذه الاحتفالات خروج عن جادة الصواب وتشبه بالكفار من أهل الكتاب فى أعيادهم ؛ وقد نهينا عن التشبه بهم(٢) .

الخامس : أن العبادات توقيفية ؛ ليس لأحد أن يشرع فيها ، وإنما يشرع منها ما شرع الله ورسوله؛ قال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى : ٢١]

السادس : أن قواعد الشريعة ومقاصد الدين ، ترد مثل هذه الاحتفالات ؛ فمن القواعد المقررة فى الشريعة : « رد ما تنازع الناس فيه إلى الكتاب والسنة » ، وقد رددنا مثل ذلك إليها ؛ فوجدنا فيها التحذير عن مثل ذلك ، وكذلك قاعدة : « سد الذرائع » و«إزالة الضرر » وأكبر الضرر : الضرر فى الدين ، أضف إلى ذلك ما يجرى فيها من المنكرات التى أعظمها : الشرك الأكبر بالله ؛ من دعاء الرسول ﷺ ، وطلب الحاجات ، وتفريج الكربات منه ، وإنشاد القصائد الشركية بمدحه والغلو فيه ، كما يحصل فيها الاختلاط ، والإسراف وتبذير الأموال ، ورفع الأصوات بلغو القول وساقط المقال . هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه رسول الله ﷺ هو بعينه الذى توفى فيه ، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه !

---

(١) وقد مرت بك طائفة منها .

(٢) لمزيد من التفصيل فى التشبه وأحكامه انظر : « اقتضاء الصراط المستقيم » ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله .

وتخصيص ليلة من ليالى هذا الشهر بالاحتفالات خلط وهوى ؛ لتضارب أقوال المؤرخين فى تحديد يوم ميلاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن حدد ليلة بعينها للاحتفال ، فعليه الدليل ، وليس ثمة دليل ، ولعلماء الإسلام المعروفين باتباع السنة ـ قديما وحديثا ـ مؤلفات وأقوال كثيرة فى إنكار هذه الاحتفالات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله : « أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية ؛ كبعض ليالى شهر ربيع الأول ، التى يقال : إنها ليلة المولد ـ فهى من البدع التى لم يستحبها السلف الصالح ، ولم يفعلوها »(١) ، وقال ـ رحمه الله ـ : « إن هذا [أى : اتخاذ المولد عيدًا] لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه(٢) ، ولو كان هذا خيرًا محضا ، أو راجحا ، لكان السلف أحق به منا ؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتعظيمًا له منا ، وهم على الخير أحرص »(٣) ، وقال: « فأما الاجتماع فى عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك ، واتخاذه عبادة : فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان فى أن هذا من المنكرات التى ينهى عنها ، ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق »(٤) .

وخشية الإطالة أحجمت عن ذكر أقوال كثيرة للسلف ، تنهى عن هذه الاحتفالات ، وتحذر منها .

إخوة الإسلام ، بقى أن تعلموا أن الذين يحتفلون بهذه الأمور البدعية هم ثلاثة أصناف :

الأول : جهلة مقلدون ، لسان حالهم يقول : رأينا الناس يفعلون شيئًا ففعلناه ، وكفى بهذا ضلالا ؛ وقد قال الله فيهم وفى أمثالهم : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

الثانى : مرتزقة أكالون ، يريدون إشباع شهواتهم من وراء هذه الاحتفالات ؛ بالأكل والشرب ، واللهو واللعب ، والاجتماع الباطل .

الثالث : دعاة سوء وضلال مغرضون ، يريدون الدس على الإسلام ، وصرف الناس عن السنن ، وإشغالهم بالبدع والخرافات .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٥ / ٢٩٨) .

(٢) انظر تفصيل القول فى البدعة وضوابطها ، وأنواعها وحكم كل نوع ـ فى « الاعتصام » للشاطبى .

(٣) « اقتضاء الصراط المستقيم » (ص ٣٣٣) .

(٤) انظر « رسائل فى حكم الاحتفال بالمولد » (١ / ٣٤) .

فاتقوا الله - يا أمة الإسلام - إلى متى التخبط فى مثل هذه الترهات[١] ، وفى مثل هذه الضلالات ؟! إلى متى الإحداث فى دين الله والتغيير ؟! أين الغيرة على عقيدة التوحيد ؟! أين الرغبة فى التمسك بسنة المصطفى ﷺ ؟! إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ « **إن الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبًا كما بدأ ! فطوبى للغرباء !** »[٢] والله المستعان ، وإليه المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، وارزقنا السير على سنة سيد المرسلين ، وجنبنا المعاصى والبدع فى الدين ، يا رب العالمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ! إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الترهات : الأباطيل ، والأمور الخالية من النفع . « تاج العروس » (تره) .

(٢) رواه مسلم (١٤٥) ، وأبو يعلى (٦١٩) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أمرنا بالاتباع ، ونهانا عن الابتداع ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

أيها المسلمون ، اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الحق يعرف بالأدلة الشرعية ، لا بفعل الناس ، فلا تغتروا بكثرة من يحدث البدع والاحتفالات ؛ قال سبحانه : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، وقد زين الشيطان لأرباب هذه البدع شبهات يتبجحون بها ؛ ليلبسوا على العامة وقليلى العلم ، وهى في الحقيقة أوهام كنسج العنكبوت ؛ لمخالفتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، ومنهج سلف الأمة .

فمن شبهاتهم : زعمهم أن فعلهم هذا تعبير عن الحب لرسول الله ﷺ ، والفرحة بذكرى مولده ، وأن من لم يفعل ذلك فلا يحب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتلك حجة واهية ، إن يتبع قائلوها إلا الظن وما تهوى الأنفس ؛ فحب رسول الله ﷺ إنما هو باتباع شرعه ، ولزوم سنته ، لا بالاحتفالات البدعية المنكرة ؛ قال جل فى علاه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ومن شبهاتهم : قولهم : « إن هذه الاحتفالات بدعة حسنة » ؛ وذلك قول باطل ؛ فإن كل بدعة ضلالة ؛ كما ثبت عن المصطفى ﷺ(١) ، ومن أين لهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن فى الإسلام بدعة حسنة ؟!

ومن شبهاتهم : دعواهم أن الناس تعارفوا عليها ، وأصبحوا يفعلونها ، من غير نكير، ويرد على ذلك : بأنا لم نتعبد بأفعال الناس وعاداتهم المخالفة للدين ؛ وإنما تعبدنا بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن العجائب والغرائب : أن الشيطان قد زين هذه المنكرات لأصحابها ، وأغوى قلوبهم ؛ فجعلهم ينشطون ويجتهدون فى حضور هذه الاحتفالات ، ويتعصبون لها ، ويدافعون عنها ، ويتهجمون على من أنكرها ، وربما تركوا كثيراً من الواجبات الشرعية ، ولا يرفعون لذلك رأسا ، ولا شك أن ذلك من قلة البصيرة فى الدين ، ومن الجهل المبين.

---

(١) فيما رواه أحمد (٣ / ٣١٠ ، ٣١١) ، ومسلم (٨٦٧) ، من حديث جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما .

ومن ذلك : أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر بدعهم ؛ ولهذا يقومون له محيين ومرحبين ؛ وهذا من أبطل الباطل ، وأقبح الجهل ، والعياذ بالله .

أيها المسلمون فى كل مكان ، بهذه الأدلة الناصعة ، وهذه الردود الواضحة ، يتجلى لنا تهافت هذه البدعة ودحضها وتفنيدها ، ويتبين لمن له أدنى بصيرة وإنصاف واتباع للحق: أنها من الخطأ فى دين الله ، وأنها من الأمور المبتدعة ، ولم يبق إلا أن ننادى المسلمين من هذه البقعة المباركة - براءة للذمة ، وإبلاغًا للأمة - أن يتقوا الله في أنفسهم ، وأن يتركوا مثل هذه الأفعال ، إننا نناديهم نداء العطف والإشفاق ، والخوف عليهم من عذاب الله ، يوم يقفون بين يديه ، ويبوؤون بأثقالهم وأثقال مع أثقالهم .

إننا ننادى من هذا المكان الذى انتشرت منه كلمة الحق ، ودوت فى أرجاء العالم الإسلامى ، ننادى بنداء العقل والإشفاق ، لترك التعصب ، وللبحث عن الحقيقة ، واتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ننادى بهجر هذه البدع ؛ فهى لا تزيد أصحابها من الله إلا بعدا ، ولا من رسوله وسنته إلا صدودًا ، وأن يستمسكوا بسنة نبيهم ، فلطالما شُوِّه الإسلام الناصع بهذه الاحتفالات الباطلة ، وأمثالها من البدعيات التى حرفت كمال الإسلام ، وشوهت جماله وجوهره ؛ إنه نداء ملؤه التجرد عن التعصب والهوى ، والدعوة إلى الحق ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] ، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] .

هذا ؛ وقد ندبكم ربكم للصلاة والسلام على النبى المجتبى ، والرسول المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فقال جل وعلا : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد : فاتقوا الله حق التقوى وراقبوه فى السر والنجوى .

أمة الإسلام :

إن الحديث عن العظماء له تأثير بالغ فى النفس ، فسيرتهم أشجارها باسقة ، وأغصانها ظليلة ، ونسيمها ينعش الفؤاد ، ويثلج الصدر ، وما أحوج الأمة أن تعيش فى أجواء عظمائها ، بتعلم أفرادها سيرهم ، مستشعرين كونهم قدوة ، لينشؤوا قمماً عالية فى إيمانهم ، وأخلاقهم وسلوكهم ، وجميع شؤون حياتهم .

وأمتنا أكثر الأمم عظماء ، وما عرف تاريخ أمة من الأمم قدراً للعظماء الذين يملؤون التاريخ بمآثرهم وآثارهم ، كما عرف ذلك تاريخ أمتنا العظيمة ، وكيف لا يكون كذلك وقد رباهم سيد الأنبياء محمد ﷺ فى حياته ، فكانوا خير جيل أنجبته الرسالات السماوية ، كانوا مصابيح الهدى في كل عصر ، وقدوة الشعوب فى كل جيل ، وأئمة الناس فى كل ما يصلح شؤونهم من دين ودنيا ، وعلم وحكمة ، وأدب وفضيلة ، وبذل وفداء ، كانوا ليوث غابة وغيوث سحابة .

فصلوات الله وسلامه على رسولنا ، ورحمة الله ورضوانه على عظمائنا ، ومن هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا لا يريدون من الدنيا إلا مقدار ما يبلغهم الآخرة ، لذا لم يرغبوا فيها ، فكتبت لهم السعادة ، ولم يتظاهروا بأعمالهم فخلدها لهم التاريخ ، ولم

---

(١) خطبة للشيخ / عبد البارى الثبيتى من المسجد النبوى .

يلتفتوا إلى بقاء ذكرهم فحفظه لهم الخلف .

إن سيرهم لتقرع الأسماع ، وتجتذب الأنظار ، وتحرك أوتار القلوب وتستثير الألسنة الصامتة ، وتحرك القلوب الراقدة ، نسرد أحاديثهم لنستلهم منهاالدروس والعبر .

إن كل موقف وحدث يصوغ فن الموعظة ، وصنوف الحكم ، بل لا يزال أثره جديدًا كلما عاود القلب النابض تأمله .

إن عظماء المسلمين فقط هم الذين تقرأ فى كل صفحات حياتهم العظمة ، فلو قلبت سجل أحدهم لرأيت فى سيرة حياته الخاصة والعامة حديث العظمة ، ولرأيت فى عبادته وصلاته وخشوعه الدموع الجارية ، ولرأيت فى دعوته وبذله ونصيحته فروسية الدهر ، ولرأيت فى أخلاقه وسلوكه ابتسامة الثغر .

ومع الصحابى الذى نص القرآن على صحبته ، والخليفة الذى دعمت الإسلام خلافته، بعد أن أصابته الردة والفتنة بزلزال عنيف ، فكانت خلافته فتحًا عظيمًا ونصرًا مبينًا.

لما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه ، وأن يجهر بصلاته ودعائه ، ولما وجب القتال كان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ فى كل غزوة ، وكل مأزق من مآزق الجهاد ، ولا ثبت أحد قط حيث يصعب الثبات إلا كان هو أول الثابتين ، أليفًا ودودًا ، حسن الحديث ، لطيف المعاشرة ، سهلاً محببًا ، رفيق الطبع ، راجح العقل .

كان ضعيفًا فى بدنه قويًا في أمر الله ، متواضعًا فى نفسه عظيمًا عند الله ، إن لامس جرحًا أساه ، وإن رأى مريضًا داواه ، وإن جاءه سائل أعطاه ، وإن تظلم إليه ملهوف نصره، وإن تظلم متظلم أنصفه .

الكفاية شعاره ، والأمانة دثاره ، والوفاء صناعته ، والشهامة مركبه ، ولا عجب فقد نهل من المعين الأسنى ، والخير من معدنه لا يستكثر ؟

كثيرون اعتنقوا الإسلام على يدى أبى بكر رضى الله عنه قبل الخلافة وبعدها ، وكانوا من رجالات الإسلام ، وبناة المجتمع العاملين الخيرين ، فيا من ولدت فى الإسلام هل أثمرت حياتك خدمة للدين ؟ هل أنجبت هداية لغير المسلمين ؟ قال ﷺ : « **فو الله لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم** » أخرجه البخارى ومسلم ، ولم يزل فى كل عمل من أعماله ، منذ أن أسلم إلى أن تولى الخلافة ، مؤسسًا لهذا البناء الشامخ الذى كان أول من قام عليه بعد بانيه ، هاجر مع النبى ﷺ من داره ، وبذل المال لإخوانه ، ويسر القدوة بسرعة تصديقه ، وإعلان إسلامه .

أحب رسول الله ﷺ مصاحبًا عظيمًا ، بل خاطر بحياته دفاعًا عن رسول الله ﷺ الذى اجتمع عليه المشركون وهو بالمسجد الحرام فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به فأسرع إليهم الصديق رضى الله عنه قائلا : « ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ، فترك المشركون رسول الله ﷺ وأقبلوا على الصديق يضربونه ويؤذونه ، وفى الهجرة خرج أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ واحتمل معه كل ما يملك ، ومن خوفه أن يصاب رسول الله ﷺ بأدنى أذى ، جعل يتقدم بين يديه ساعة ، ويتأخر خلفه ساعة، حتى سأله النبى ﷺ فقال : « يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك لا آمن عليك » فقال : « **يا أبا بكر لو كان شىء أحببت أن يكون بك دونى ؟** » قال : « نعم ، والذى بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بى دونك » ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : « مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار »، قال عمر رضى الله عنه : « والله لتلك الليلة خير من آل عمر » .

هذا هو الصديق لا يفكر فى نفسه قليلا أو كثيرًا ، وإنما كان تفكيره فى رسول الله ﷺ يحرص على سلامته ، ذلك لأن أبا بكر رضى الله عنه يعلم أن موته موت رجل ، وأما موت رسول الله ﷺ فموت أمة ونهاية عقيدة قال تعالى : ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٣٢] .

كان أبو بكر تاجرًا من أثرياء مكة ، ولأنه صاحب رسالة ودعوة ورجل بذل وفداء ، سخر ماله فى سبيل الله ونصرة دينه ، يشترى أرقاء المسلمين ويعتقهم ، إنقاذًا لهم من أذى المشركين ، فعاتبه أبوه أبو قحافة قائلا : يا بنى إنى أراك تعتق رقابًا ضعافًا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدًا يمنعونك ويقدمون دونك فقال أبو بكر : « يا أبت إنما أريد ما عند الله » .

إنه الصديق الذى لا يسبق إلى شىء أبدًا ، تلك حقيقة قررها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فى منافسة شريفة بين الأنداد ، أساسها الحب والاحترام ، وليس الحقد والامتهان ، فقد حاول أن يسبقه إلى عجوز يخدمها ، ويحلب لها فوجد أن أبا بكر قد سبقه ، ودعا رسول الله ﷺ صحابته إلي الإنفاق فقدم عمر رضى الله عنه نصف ماله قائلا : « اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما » ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : « **يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟** » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، أي تصدق بكل ماله فقال عمر رضى الله عنه : « لا أسابقك إلى شىء أبدًا » رواه الترمذى .

لقد ولد الإيمان أجيالا من السباقين إلى الخير ، يركضون بطاقاتهم الفذة نحو الفوز

العظيم ، والخلود فى جنات النعيم : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦]

وأمة الإسلام حين تنير الطريق بسير العظماء المصلحين ، وتحصنه من العابثين ، يتنافس أبناؤها فى كل عمل جليل ، يتنافسون فيما يحفظون من كتاب الله ، وفيما يطبقونه من سنة رسول الله ، يتبارون فى المحافظة على صلاة الجماعة والصفوف الأُول قال تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وإذا آلت الأمة المسلمة إلى التنافس على الدنيا وزينتها ، أو المعاصى وارتكابها ، فذلك جحود وكنود ، وانتكاسة تنذر بخطر ، بدايته الترف والبطر ، ونهايته شر مستطر .

حذر المصطفى ﷺ أمته من ذلك فقال : « **فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم** » رواه البخارى ومسلم .

كان أبو بكر رضى الله عنه شديد الورع ، بعيدًا عن الشبهات ، تناول لقمة من طعام فلما علم أنه ما كان ليحل له ، جعل يتقيأ حتى أخرجها فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ، فقال : « لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** » أخرجه الطبرانى ، وخشيت أن ينبت شيء من جسدى من هذه اللقمة » .

مع أن خليفة رسول الله كان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وشهد له سيد المرسلين بقوة يقينه ، وصدق إيمانه ، ومع أسبقيته إلى الإسلام ، حتى أنه لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه رضى الله عنه .

مع كل هذا ، فقد كان متواضعًا فى غير ذلة ، تواضعا لم تغيره الخلافة ، فقد كان بخدمة من يحتاج من الضعفاء والعاجزين ، فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن من يحلب لنا مناخ دارنا ؟ فسمعها رضى الله عنه فقال : « لأحلبنها لكم ، وأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه » .

وأبو بكر رضى الله عنه عالم فطن لبيب ، نور الله بصيرته ، يفهم مغزى الأحداث ويدرك أسرارها ، بل استطاع أن يفهم منها ما لم يفهمه الصحابة جميعًا ،فقد خطب رسول الله ﷺ أصحابه قبيل صعوده إلى الرفيق الأعلى فقال : « إن عبدا من عباد الله قد خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله » فبكى أبو بكر رضى الله عنه ، وعجب الصحابة لبكائه ، وقال أبو بكر : « بأبى وأمى نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا » ، ففهم الصحابة عندئذ أن رسول الله ﷺ هو المخير ، وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله ﷺ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟** » قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ، قال : « **فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟** » قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ، قال : « **فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا** » ، **قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟** » قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة** » رواه مسلم .

هذا حال من كانت الآخرة همه ، وهو هم أبى بكر ، وهم الصالحين من بعده ، منذ أن يصحو أحدهم لا يتوانى لحظة ، يتلمس صنوف الطاعة ، ويطرق أبواب العبادة ، يرتقى درجات العلو ، يرجو اللحاق بركب الصالحين الأبرار .

أما من كانت الدنيا همه ، فأمنيته أن يأكل ويشرب ، ويلبس وينكح ، وإذا طولب بأداء الواجبات اعتذر أنه لا يطيق ذلك ، فمن كانت نفسه هكذا فهى من نفوس صغيرة ضعفت هممها ، وخارت قواها ، وترهلت أجسادها ، وتعطلت جوارحها ، واثاقل إلى الأرض ، وعملك من جنس همك ، فاللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل .

فى صحيح البخارى : أن رسول الله ﷺ قال : « **إنه ليس من الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد ، غير خوخة أبى بكر** » .

بارك الله لى ولكم في القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا الداعى إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أهل الهدى والصلاح .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه فى السر والنجوى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

إن أبا بكر رضى الله عنه كان من أجزم الرجال ،ولو كان شيخًا أسيفا وديعًا أوابًا ، قاد الأمة فى خضم أمواج متلاطمة ، كادت تزلزل أركانها وتهز كيانها ، ولما تغير وجه التاريخ يوم وفاة الرسول ﷺ ظهر تماسك أبى بكر رضى الله عنه عند هول الصدمة ، وقدرته على ضبط الأعصاب ، ومواجهته المأزق بحزم وحسم ، فقد وجد من الصحابة من ذهل لهول النبأ ، فتاه لبه ، وحار بصره ، وتلجلج لسانه ، ولم تحمله قدماه ، فسقط على الأرض ، فموت رسول الله ﷺ الذى كانوا يفدونه بأموالهم وأنفسهم وأولادهم صدمة توهن قوة أعظم الرجال ، وتعقد لسان أفصح البلغاء ، سيطر أبو بكر على الموقف برباطة جأش وحزم وحسم ، فوقف فى الجموع تاليًا : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر : ٣٠] ، ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، ثم قال : « من كان يعبد الله فإن الله عز وجل حى لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات» .

وبعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت العرب عن الإسلام ، وأطل الكفر برأسه ، فرأى بعض الصحابة أن يتركوا المرتدين مانعى الزكاة ما داموا يقيمون الصلاة تألفا ورفقا بهم ، ويتفرغوا لحماية المدينة من شر المتربصين ، وكان عمر رضى الله عنه من أصحاب هذا الرأى، فالتفت إليه أبو بكر رضى الله عنهم أجمعين قائلا : « رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، هيهات أن أتألفهم ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة ، ولو أن الكلاب جرت بأرض أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة » .

قابل الفتنة بحزم وحسم ، ولو أنه قبل إسلامهم ناقصًا دون زكاة ، لأحدث صدعًا فى صميم مبادئ الإسلام ، ولجعله موضع مساومة ، ولترك للأجيال من بعده سابقة خطيرة تحطم أركانه ، وتأتى على مبادئه ، ومن ثم كان موقف الصديق إنقاذًا للمسلمين من الفتنة،

وللإسلام من التصدع والضياع .

هذا الدرس البليغ من الشيخ الأسيف ، والأب الحنون رضى الله عنه .

إن الحزم والحسم تصبح الحاجة إليه ملحة فى حياة المسلم أحيانًا ، وذلك فى بناء الأسرة وتربية الأولاد ، وترك المحرمات وفعل الطاعات ، وكبح جماح النفس عن شهواتها.

وألزم ما يكون الحسم - أمة الإسلام - فى مجال العقيدة ، فهى لا تقبل المساومة ، ولا يمكن التخلى عن شيء منها أبدًا .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه : « **ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » .

وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ، ولكنى إنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله تعجبا وفزعا : أبقرة تكلم ! فقال رسول الله ﷺ : فإنى أومن به وأبو بكر وعمر ...** » رضى الله عنهما ورضى عن عثمان وعن على وعن الآل والصحب الكرام .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير . .

القسم الخامس
العبادات

الطهارة
الصلاة
الزكاة
الصيام
الحج
الجهاد والحسبة

لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله القوى المتين ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ،وأخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى ، سبحانه وبحمده ، يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين . فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين :

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسى بتقوى الله عز وجل ، فهى وصيته للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] فبتقوى الله ، رفع الإسلام سلمان فارس ، وبفقدها وضع الشرك الشقى أبا لهب ، فاتقوا الله واعبدوه واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون .

أيها الناس ، إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا ، هى نعمة الإسلام ، نعمة الحنيفية السمحة ، وهى الاستسلام لله - تعالى - والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله والأحكام والشرائع من مقتضاها الإيمان بها ، والتسليم المطلق للشارع الحكيم - سبحانه : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ٧] ، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة : ١٣٦] ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص : ٦٨] .

أيها المسلمون ، صدق الكلمة ، وأمانة الحديث والتسليم للشارع الحكيم ، سمة طيبة. لها وقعها البالغ فى نفوس الناس، إذا تحققت طلبتها فى أقلام الإعلاميين وممتهنى الصحافة، وبفقدانها وإعواز طلابها ، تجنى الصحافة على الدين والأدب .

وفى عناقيد الأقلام المحبرة ، نفوس مريضة تجاوزت نطاقها ، وخلعت جلبابها الساتر، وانتماءها الزائف ، حكموا عقولهم فخالفوا كل منقول ، وصادموا بها المشروع أقحموا أنفسهم مدعين علم ما لم يعلموا ، فنعق منهم ناعق ، هو من جهال بعض المعطلين ،

(١) خطبة للشيخ/ سعود الشريم من المسجد الحرام .

العميان المنكوسين ، والأغبياء المركوسين ، فانتقد بشدة وتشنج جعل الوضوء من الدين ، وادعى أنه إنما شرع الوضوء فى غابر الزمن ، إزالة لقذارة الأعراب ، ورعونة العيش فى إبانهم ، ولأجل أن العرب كانوا قليلى العناية بالنظافة ، لقلة الماء عندهم ، ولقرب أهل الحضر منها من البدو ، فى قلة التأنق والترف .

ويقول الغر كاذبا : إن الطهارة والآداب ، يجب أن تؤتى ، لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها دنيويا ودينيا ، ويضرب بالغرب مثالا يحتذى ، فى النظافة والتطهر ، وهم مع ذلك غير مسلمين ، فى عصر الحضارة والنضارة ، وأن هذا من منطلق حقائق الفلسفة .

والحق المسلم أيها الناس ، أنه لا نصيب لمثله منها إلا السفه ، والتقليد فى الكفر من غير بينة ولا عذر ؛ لأنه من عمى القلوب عموا عن كل فائدة ، لأنهم كفروا بالله تقليدا.

عباد الله ، الوضوء لفظة مشتقة من الوضاءة ، وهى الحسن والنظافة ، سمى الوضوء بذلك ؛ لأن المصلى يتنظف به فيصير وضيئا ، وهو فرض من فروض الأعيان فى الإسلام، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين قاطبة ، فلقد قال الله ـ تعالى ـ فى آية المائدة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [المائدة: ٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « **لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول** » رواه مسلم (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ** » (٢) أخرجه الشيخان .

فكيف إذا بعد هذا ـ عباد الله ـ أيستهان بالوضوء ويقلل من شأنه ، وقد تواتر النقل فيه تواترًا قطعيًا ، لا يدع مجالا للشك أو الريبة ، بل لا يستهين به ، ولا يشك فى أمره ، إلا أغرار مأفونون ، ولهازم يهرفون بما لا يعلمون ، والله أعلم بما يوعون ؟ كيف لا ورسول الله ﷺ يقول : « **ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن** » [رواه أحمد وابن ماجة] (٣) ، فما بالكم عباد الله ، بمن لا يحافظ عليه ؟ بل ما ظنكم بمن يتطاول عليه ،

(١)صحيح مسلم ح (٢٢٤) .

(٢)صحيح البخارى ح (١٣٥ ، ٦٩٥٤) ، صحيح مسلم ح (٢٢٥) .

(٣)صحيح ، مسند أحمد (٥ / ٢٧٦٠ ، ٢٧٧) ، سنن ابن ماجة ح (٢٧٨) .

بكل ما يملك من عنجهية وسفه ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم ! . .

ألا فاعلموا عباد الله ، أن آية المائدة هذه ، من أعظم آيات القرآن مسائل ، وأكثرها أحكاما فى العبادات ، وبحق ذلك ، فإنها فى الوضوء وهو شطر الإيمان كما صح بذلك الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم فى صحيحه (١) .

قال أبو بكر بن العربى : لقد قال بعض العلماء : إن فى آية المائدة هذه ، ألف مسألة، واجتمع أصحابنا بمدينة السلام، فتتبعوها فبلغوها ثمانمائة مسألة ولم يقدروا أن يبلغوها ألفا، وهذا التتبع ، إنما يليق ، بمن يريد تعريف طرق استخراج العلوم من خبايا الزوايا ا هـ .

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن سورة المائدة : هى أجمع سورة فى القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهى ، ولهذا افتتحت بقوله ـ تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [المائدة : ١] والعقود :هى العهود فكيف إذا بفقه الوضوء من لم يفقه بعد ، ألم يعلموا أن هذا الوضوء من خصائص أمة محمد ﷺ ، التى اختصت بها عن سائر الأمم بدليل قول المصطفى ﷺ : « **إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء** » رواه البخارى(٢) ، فرسول الله ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بهذه السيماء ، فقبحا وسحقا ، ويا للضيعة لمن لم يلامس الوضوء بشرته ! .

قال أبو حازم : كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة ، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه ، فقلت له : يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال : يا بنى فروخ ، أنتم ها هنا ، لو علمت أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلى ﷺ يقول : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » رواه مسلم(٣) .

عباد الله ، الوضوء للصلاة ، فرضة الله ـ تعالى ـ على هيئة يسيرة ، فالمرء المسلم يطهر فى وضوئه أربعة مواضع من أعضائه فقط ، وهى الوجه واليدان إلى المرفقين غسلا ، والرأس مسحا بلا غسل ، والرجلان إلى الكعبين غسلا .

ففى الوجه ـ عباد الله ـ النظر والشم والكلام ، وفى الرأس السمع والفكر ، وفى اليدين البطش ، وفى الرجلين الخطى .

ولما كان عمل المرء فى هذه الحياة ، لا يكاد يخرج عن عضو من هذه الأعضاء ، ولما

(١) صحيح مسلم ح (٢٢٣) ولفظه : « الطهور شطر الإيمان . . » .
(٢) صحيح البخارى ح (١٣٦) ، وأخرجه أيضًا مسلم : كتاب الطهارة ح (٣٥) .
(٣) صحيح مسلم ح (٢٥٠) .

كان المرء بطبعه خطاء ، فقد يأكل الحرام أو يتكلم به ، أو ينظر إليه أو يشمه ، وقد يسمع الحرام أو يمشى إليه أو يمسك بالحرام أو نحو ذلك كان بحاجة ماسة ، إلى ما يعينه ، على تطهير أدرانه ، وتكفير ذنوبه التى اقترفها بتلك الجوارح ، فشرع الله برحمته وحكمته الوضوء ، يزيل به الإصر والغل .

فإذا ما توضأ العبد المسلم فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه ، مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه ، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب .

بذلكم أيها المسلمون صح الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم فى صحيحه [١] . ولقد روى فى صحيحه أيضًا عن النبى ﷺ أنه قال : « **ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره..** »[٢] الحديث .

والمكاره تكون بشدة البرد ، أو ألم الجسم ، أو حرارة الماء أو نحو ذلك .

إن هذا الوضوء المتجدد كل يوم مرات ومرات ، هو الدرع الواقى بأمر الله ،الذى يحفظ اليدين من القذر، والذراعين من الأوساخ ، والفم من النتن ، والأنف مما يعلق به ، والعينين من الرمص [٣]، والرجلين من رائحتهما الكريهة ، وهو فوق ذلك كله ، يلطف حرارة الجسم ، ويزيل عنه الخمول والتثاقل ، ويبعث فيه النشاط فيكون جديرًا بأن يقيم الصلاة على وجهها ؛ إذ يعسر مثل ذلك فى حال الفتور والاسترخاء والملل ، الذى يعقب خروج الفضلات من البدن فالحاقن[٤] من البول والحاقب[٥] من الغائط ، والحازق[٦] من الريح كالمريض ، كل منهم تكره صلاته على هذه الحال ؛ أخذًا من قول المصطفى ﷺ : « **لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان** »[٧] ، فإذا توضأ المرء المسلم ، زال عنه

---

(١) المصدر السابق ح (٢٤٤) .

(٢) المصدر السابق ح (٢٥١) .

(٣) الرمص : وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص وإن جمد فهو رمص (مختار الصحاح ، مادة رمص) .

(٤) الحاقن : الذى به بول شديد (مختار الصحاح ، مادة حقب) .

(٥) الحاقب: يقال : حقب أى : تعسر عليه البول (القاموس ، مادة حقب) .

(٦) الحازق : من ضاق عليه خفه (القاموس ، مادة حزق) استعارة الخطيب للمعنى المذكور .

(٧) المصدر السابق ح (٥٦٠) .

ذلك كله فنشط وانتعش .

عباد الله ، بالوضوء يخمد ثوران النفس ، وتنطفئ نارها ؛ لأن الغضب والتشنج من الشيطان ، والشياطين ، خلقت من نار ، وأجدى ما يطفئ النار هو الماء ولأجل ذلك قال المصطفى ﷺ : « **فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** »(١) رواه أحمد .

كما أنه قد صح عن النبى ﷺ عند مسلم وغيره أنه (أمر بالوضوء من لحوم الإبل)(٢) ولعل السر فى ذلك والله أعلم ، هو أن الإبل مخلوقة من الشياطين كما صح ذلك عند ابن ماجة وغيره فناسب إزالة الخيلاء والأنفة المنبعثين من الجان ، بالوضوء بالماء ، بل إن في الوضوء منجاة من جنس الشيطان ، وقطعا لدابره ، قال رسول الله ﷺ : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام ، بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا ، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عقدتان** ... » الحديث رواه البخارى ومسلم(٣) .

وفى رواية للبخارى : « **إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه** »(٤) .

وبعد عباد الله ، فإن الوضوء المتجدد يذكرنا بنعمة عظيمة ، من الله بها على عباده وهى نعمة الماء الطهور ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، وما ذلك إلا ليكون ريا للظمأ ، وإنباتًا للزرع ، وإدرارا للضرع ، وتطهيراً للأبدان وجمالا فى المنظر . فهل بعد هذا الحديث عن الوضوء وفضائله وآثاره ، يسوغ لنفس سوية ، أن تحقر من شأنه ، أو تقصر منفعته ، أو أن تخوض فى لجة مغرقة ، من القول على الله بلا علم ؟! سبحانك يا رب ! سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

---

(١) ضعيف ، مسند أحمد (٤ / ٢٢٦) وانظر السلسلة الضعيفة (٥٨٢) .

(٢) صحيح مسلم ح (٣٦٠) .

(٣) صحيح البخارى ح (١١٤٢) ، صحيح مسلم ح (٧٧٦) .

(٤) صحيح البخارى ح (٣٢٩٥) ، وأخرجها أيضًا مسلم ح (٢٣٨) .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا كثيرًا كما أمر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر ، والشافع المشفع فى المحشر، صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم ممن قضى نحبه أو غبر .

أما بعد :

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن الوضوء شأنه عظيم وأمره جسيم ، وهو لم يكن مقتصرًا يوما ما على رفع الحدث أو عند إرادة الصلاة ، بل إنه مشروع فى مواضع كثيرة خارجة عن الصلاة ؛ كشرعيته عند الغضب ، وكذا عند النوم ، كما قال رسول الله ﷺ للبراء بن عازب : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » الحديث رواه البخارى ، وكذا يشرع عند الأكل لمن كان جنبا ، فلقد قالت عائشة ـ رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ إذا كان جنبًا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » رواه مسلم .

وكذا قال ﷺ فيما رواه مسلم : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » .

العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله جعل الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، وشأمة (٢) القربات ، وغرة الطاعات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، ومصطفاه وخليله ، أفضل البرية ، وسيد البشرية ، القائل فيما صح عنه : **«وجعلت قرة عينى فى الصلاة»** (٣) ، اللهم صل وسلم وبارك على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، نبينا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة في الله ، أقول - بعد الوصية بتقوى الله - : إن الإنسان فى خضم مشاغل الحياة المادية ، وما تورثه النفس البشرية من مشكلات نفسية ، وتوترات عصبية - يحتاج حاجة ملحة إلى ما ينفس عن مشاعره ، ويفرج من لأوائه ومصائبه ، ويبعث فى نفسه الطمأنينة القلبية ، والراحة النفسية ، بعيدا عن العقد والقلق والاكتئاب ، وهيهات أن يجد الإنسان ذلك إلا فى ظل الإسلام وعباداته العظيمة التى تمثل دواء روحيًا ناجعا لا نظير له فى الأدوية المادية .

ألا وإن أعظم العبادات أثرا فى ذلك : الصلاة بنوعيها : فرائض ، ونوافل ؛ يقول الله سبحانه : ﴿ **اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، ويقول جل وعلا : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، ويقول النبى ﷺ لبلال - رضى الله عنه : « **قم يا بلال فأرحنا بالصلاة** »(٤) ، وكان - عليه الصلاة والسلام « **إذا حزبه أمر ، صلى** »(٥) .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) الشأمة : الخال فى الجسد ، معروفة . « النهاية » (شأم) ، والمراد : أن الصلاة أظهر الطاعات ، كما أن الشأمة أظهر شيء فى الجسد .

(٣) رواه أحمد (٣ / ١٢٨) ، والنسائى (٧ / ٦١ ، ٦٢) ؛ من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) رواه أحمد (٥ / ٣٧١) ، وأبو داود (٤٩٨٦) ؛ من حديث رجل من الأنصار ، رضى الله عنه .

(٥) رواه أحمد (٥ / ٣٨٨) ، وأبو داود (١٣١٩) ؛ من حديث حذيفة ، رضى الله عنه .

وما ذاك - يا عباد الله - إلا لأن الصلاة صلة بين العبد وربه، وأن للقيام بين يدى الله - عز وجل - فى الصلاة أثرًا عظيمًا فى إصلاح النفس الإنسانية ؛ بل وكافة المجتمعات البشرية .

ولكن - يا عباد الله - ما هى الصلاة التى تحكم الصلات بين المخلوق وخالقه ؟ ما هى الصلاة التى تحقق الأثر البالغ فى نفس المصلى ؛ فتنهاه عن الفحشاء والمنكر ، وتعينه على أمور دينه ودنياه ؛ عملا بالواجبات والمباحات ، وبعدا عن المحرمات والمكروهات ؟ أهى الصلاة جسدا بلا روح ، وقالبا بدون قلب ، حركات بدون خشوع ، عادة لا عبادة ، صورة لا حقيقة ، ألفاظا ومبانى لا مقاصد ومعانى ؟ لا وكلا ! ولكنها الصلاة الشرعية النبوية ، المقامة على ضوء معالم القرآن العزيز ، ومنهاج السنة النبوية ، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية .

إن الصلاة التى ينشدها الإسلام هى التى تمثل المعراج الروحى للمؤمن ، حيث تعرج به روحه كلما قام لله مصليا ، فى فريضة أو نافلة ، منتقلة به من عالم المادة إلى عالم السمو والصفاء ، والطهر والنقاء ، وفى ذلك مصدر السعادة والسرور ، ومبعث الطمأنينة والحبور .

إخوة الإسلام ،لا يخفى على كل مسلم - بحمد الله - مكانة الصلاة فى دين الله ، ومنزلتها فى شرع الله ؛ فهى عمود الإسلام ، والفاصل بين الكفر والإيمان ، ومنزلتها فى الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له ؛ فلا دين لمن لا صلاة له - والعياذ بالله - ونصوص الشرع فى ذلك متضافرة - بحمد الله - وإذا كان الأمر بهذه الأهمية والخطورة ، فإن الذى يحز فى النفس ويؤلم القلب : أنه لا يزال فى عداد المنتسبين إلى الإسلام من لا يرفع رأسًا بها ! فما بال أقوام يعيشون بين ظهرانى المسلمين ، قد خف ميزان الصلاة عندهم ، وطاش معيارها ؟! بل لربما تعدى الأمر إلى ما هو أفظع من ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! .

فهل ينتهى أولئك قبل أن يحل بهم سخط الله ، أو يحيط بهم عذاب الله ، وتعاجلهم المنية ، وهم على هذه الحال الردية ؟!

أيها الإخوة المصلون ،لتهنكم الصلاة ، ويا بشرى لكم بما شرح الله صدوركم لهذه الفريضة العظيمة ! وهنيئا لكم ثواب الله وفضله العاجل والآجل ؛ لقيامكم بهذا الواجب الشرعى العظيم .

ولكن - يا أيها المصلون - لتعلموا أن للصلاة المقبولة شروطًا وأركانًا ، وواجبات

وآدابا، لا بد من القيام بها ؛ كما أن هناك مسائل مهمة ، وأخطاء شائعة في هذه الفريضة، يحتاج المصلون إلى معرفتها ليطبقوها ، وقد ورد فى « مسند أحمد » ـ رحمه الله ـ : أن **«أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته »** [(١)] ؛ وذلك بعدم تمام ركوعها وسجودها وخشوعها؛ كما ورد أن المصلى ينصرف من صلاته وما كتب له إلا ربعها أو خمسها ، حتى بلغ عشرها [(٢)] ، وهذا يدعو المسلم المصلى إلى أن يتنبه لشأن صلاته ؛ حتى لا يخسر الثواب ، ويبوء بالعقاب .

وهذه أمور موجزة ، يحسن التنبيه عليها فى هذا الموضوع المهم :

أولها : الطهارة باطنا وظاهرًا ؛ فالطهارة شرط عظيم للصلاة ، ولا تقبل الصلاة إلا بها ، فواجب المصلى أن يتعاهد أمر طهارته ووضوئه ، فلا يتساهل فى ذلك ، كما لا يزيد إلى حد الوسوسة ، ومما يؤسف له في ذلك : أن بعض العامة لا يعنى بالوضوء والطهارة، بل إن بعضهم يتيمم مع قرب الماء ، أو إمكان الوصول إليه ، وهذا تفريط ظاهر !

الثانى : استقبال القبلة ؛ وهو كذلك شرط مهم من شروط الصلاة ومن كان فى المسجد الحرام ، لزمه أن يتوجه إلى عين الكعبة ، وبعض المصلين ـ هداهم الله ـ يجهل ذلك ، أو يتساهل فيه .

الأمر الثالث : ستر العورة ؛ وهو كذلك من الشروط المهمة ، وما يفعله بعض المصلين من التقصير فى هذا الأمر ؛ بلبس الثياب الشفافة ، أو السراويل القصيرة ، التى يرى من خلالها لون البشرة ، وتميز صفتها ـ أمر ينبغى التنبه له .

والمرأة فى الصلاة : عليها أن تستر جميع بدنها ، سوى وجهها ، إلا أن تكون بين رجال من غير محارمها ، أو تكون فى المسجد الذى هو مظنة رؤية الرجال لها ، فيجب عليها ـ والحالة هذه ـ أن تستر وجهها ، وتأتى متبذلة[(٣)] محتشمة غير متبرجة ولا متطيبة؛ لترجع مأجورة غير مأزورة .

الأمر الرابع : العناية بتسوية الصفوف ؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يسوى الصفوف بنفسه ؛ كما ورد التشديد على من لم يهتم بذلك ؛ يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحديث الصحيح : **« عباد الله ، لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم »**[(٤)] ،

---

(١) « المسند » (٥ / ٣١٠) ؛ من حديث أبى قتادة ، رضى الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٤ / ٣٢١) ، وأبو داود (٧٩٦) ؛ من حديث عمار ، رضى الله عنه .

(٣) متبذلة : التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة ، على وجه التواضع « اللسان » (بذل).

(٤) رواه البخارى (٧١٧) ، ومسلم (٤٣٦) ؛ من حديث النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما .

وهذه مسؤولية ينبغى أن يتعاون عليها الإمام والمأموم ، بالحث والتواصى ، ولكن يحذر الإيذاء ، ويدفع العنت ؛ وهذا من فقه المصلى وحكمته .

الأمر الخامس : لب الصلاة وروحها ؛ ألا وهو الخشوع فيها ؛ يقول سبحانه : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] ؛ فأين الخشوع عند أولئك المتكاسلين عنها المستثقلين لها ، الذين يتضايقون ويتبرمون ويودون الراحة منها؟! وأين الخشوع عند أولئك المتشاغلين فيها ؟! صلاتهم عبث وحركة ، التفات وتمايل ، نقر وعجلة ، قلوبهم فى كل واد تهيم ، وعقولهم فى كل مكان تسرح ، فصلاة كهذه خداج(١) غير تمام .

فواجب المصلى : أن يلازم الخشوع وحضور القلب ، وأن يأخذ بالأسباب التى تعينه على ذلك ، ويحذر الصوارف عنه .

والطمأنينة - أيها المصلون - ركن من أركان الصلاة ، لا تصح صلاة إلا به ، وقد ابتلى كثير من الناس - لضعف الإيمان ، وقلة الفقه ، وتمكن الدنيا فى النفوس - بالتساهل فيه - والعياذ بالله ! - وقد قال النبى ﷺ للمسىء فى صلاته - لسرعته وعدم طمأنينته : «**ارجع فصل ؛ فإنك لم تصل** »(٢) .

الأمر السادس - الذى ينبغى التنبه له: وجوب متابعة الإمام ؛ يقول - عليه الصلاة والسلام : « **إنما جعل الإمام ليؤتم به** » (٣) ؛ فلا يجوز التقدم عليه ومسابقته ، بل إن ذلك قد يكون سببا فى رد الصلاة وبطلانها ، وقد ورد الوعيد الشديد على من هذه حاله ؛ يقول - عليه الصلاة والسلام - فى حديث أبى هريرة المتفق عليه : « **أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار؟!**» (٤) ؛ قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « **ليس لمن سبق الإمام صلاة** » (٥) .

وأمر هذه خطورته ، وتلك عقوبته : ينبغى للمصلى أن يتنبه له جيدًا ، ولا يستهويه الشيطان - أعاذنا الله منه - الذى يريد أن يفسد على المصلين صلاتهم ، وحال كثير من المأمومين فى هذا الأمر يؤلم ويؤسف ، فالله المستعان ! .

---

(١) خداج ، أى : نقصان . « اللسان » « خدج » .

(٢) رواه البخارى (٧٩٣) ، ومسلم (٣٩٧) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى (٦٨٨) ، ومسلم (٤١٢) ؛ من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

(٤) رواه البخارى (٦٩١) ، ومسلم (٤٢٧) .

(٥) انظر : « المغنى » لابن قدامة (٢ / ٢٠٩) .

فلنتق الله - يا عباد الله - فى أمورنا عامة ، وفى صلاتنا خاصة ؛ فإن حظ المرء من الإسلام على قدر حظه من الصلاة ، ولنفكر فى حالنا : ماذا جنينا جراء التهاون بشعائر الإسلام كلها ، ولا سيما الصلاة ؟! إن أمة لا يقف أفرادها بين يدى الله فى الصلاة ؛ لطلب الفضل والخير منه - لجديرة ألا تقف ثابتة فى مواقف الخير والوحدة ، والنصر والقوة؛ لأن هذه كلها من عند الله وحده ، فإذا أصلحنا ما بيننا وبين الله ، أصلح الله ما بيننا وبين الناس .

وإن مرد تردى كثير من الأوضاع ، فى شتى البقاع ؛ لتردى أبنائها فى أودية المخالفات، وعدم القيام بما هو من أوجب الواجبات ، ألا وهو إقامة الصلاة .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين فى كل مكان ، ويرزقهم الفقه فى دينه ، والبصيرة فيه ، وأن يجعلهم محافظين على شعائر دينهم ، معظمين لها ، قائمين بعمودها على خير وجه ؛ إنه جواد كريم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - احرصوا على إقامة صلاتكم ؛ فإنها نور لكم فى الأرض ، وذخر لكم فى السماء ، وإن المتأمل فى آيات التنزيل ليجد أن الأمر بالصلاة يأتى دائمًا بأسلوب الإقامة ، وفى ذلك زيادة معان على مجرد الأداء ؛ لأن الإقامة تعنى الإتمام والعناية (١) .

وإن مسؤولية المصلين لعظيمة بالنسبة لأنفسهم ؛ تعاهدا لها ، وعناية بها ، وبالنسبة لغيرهم من معارف وأقارب ، وأبناء وجيران ؛ من حيث أمرهم ونصحهم فى هذا الموضوع العظيم ، وعلى أئمة المساجد دور كبير ؛ لأنهم يضطلعون بمهمة كبرى ؛ فعليهم أن يقوموا بها ؛ عناية بالصلاة ، وتفقيها بأحكامها وحكمها ، على حسب قول المصطفى ﷺ : «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**» (٢) ، ولا بد من تحقيق التعاون بين الأئمة والمأمومين ، وذلك بقيام كل برسالته ؛ لتتحقق النتائج المرجوة بإذن الله .

بقى ملحظ مهم فى هذا الموضوع : وهو أن المسائل التى فيها سعة ، وقد وقع الخلاف فيها بين الأئمة ، لا سيما فى أمور السنن والمستحبات ، لا ينبغى - أبدًا - أن تكون محل شقاق ونزاع وتنافر بين المسلمين ؛ كما لا يليق التشديد والإنكار فيها ، ولا ينافى ذلك الحرص على السنة .

فاتقوا الله - عباد الله - وتفقهوا فى أحكام دينكم .

وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على خير من قام بالصلاة ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ؛ كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) انظر : « اللسان » و« القاموس » (قوم) .

(٢) رواه البخارى (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث ، رضى الله عنه .

نعمة الصلاة وأثرها على العبد المسلم (١)

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، وجعل أمتنا خير أمة ، وبعث فينا رسولا منا يتلوا علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ، أحمده على نعمه الجمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله ربه للعالمين رحمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تبقى وسلامًا يسرى ، أما بعد . .

فيا أيها المسلمون :

اتقوا الله فإن تقواه أفضل مكتسب ، وطاعته أعلى نسب : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

أيها المسلمون :

لقد أنعم الله عليكم بنعم سابغة ، وآلاء بالغة ، نعم ترفلون فى أعطافها ، ومن أسبلت عليكم جلابيبها ، وإن أعظم نعمة وأكبر منة هى : نعمة الإسلام والإيمان ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الحجرات : ١٧] ، فاحمدوا الله على ما أولاكم ، واشكروه على ما إليه هداكم ؛ حيث جعلكم من خير أمة أخرجت للناس ، وهداكم لمعالم هذا الدين الذى ليس به التباس .

ألا وإن أظهر معالمه ، وأعظم شعائره ، وأنفع ذخائره : الصلاة ثانية أركان الإسلام ، ودعائمه العظام ، هى بعد الشهادتين آكد مفروض ، وأعظم معروض ، وأجل طاعة ، وأرجى بضاعة ، من حفظها حفظ دينه ، ومن أضاعها فهو لما سواها أضيع ، هى عمود الديانة ، ورأس الأمانة ، يقول النبى ﷺ : « **رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة** »، جعلها الله قرة للعيون ، ومفزعًا للمحزون ، فكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويقول : « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » ، وكان ينادى : « **يا بلال ، أرحنا بالصلاة** » ، فكانت سروره ، وهناءة قلبه ، وسعادة فؤاد ـ صلوات الله وسلامه عليه .

هى أحسن ما قصده المرء فى كل مهم ، وأولي ما قام به عند كل خطيب مدلهم ، خضوع وخشوع ، وافتقار واضطرار ، ودعاء وثناء ، وتحميد وتمجيد ، وتذلل لله العلى الحميد ، يقول رسول الهدى ـ ﷺ ـ : « **إن أحدكم إذا كان فى الصلاة فإنه يناجى ربه** »

---

(١) خطبة للشيخ / صلاح البدير من المسجد النبوى .

متفق عليه .

أيها المسلمون :

الصلاة هى أكبر وسائل حفظ الأمن والقضاء على الجريمة ، وأنجع وسائل التربية على العفة والفضيلة : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

هى سر النجاح ، وأصل الفلاح ، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فالمحافظة عليها عنوان الصدق والإيمان ، والتهاون بها علامة الخذلان والخسران ، طريقها معلوم ، وسبيلها مرسوم، من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف ، من حافظ على هذه الصلوات الخمس ؛ ركوعهن ، وسجودهن ، ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله وجبت له الجنة .

نفحات ورحمات ، وهبات وبركات ، بها تكفر السيئات ، وترفع الدرجات ، وتضاعف الحسنات ، يقول رسول الهدى ﷺ : « **أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ؛ هل يبقى من درنه شيء ؟** » قالوا : لا يبقى من درنه ، قال : «**فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا** » ؛ متفق عليه .

عبادة تشرق بالأمل فى لجة الظلمات ، وتنقذ المتردى فى درب الضلالات ، وتأخذ بيد البائس من قعر بؤسه ، واليأس من درك يأسه إلى طريق النجاة والحياة : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود: ١١٤] .

أيها المسلمون :

إن مما يندى له الجبين : ما فشا بين كثير من المسلمين من التفريط والتضييع لهذه الصلاة العظيمة ، فمنهم التارك لها بالكلية ، ومنهم من يصلى بعضا ويترك البقية ، لقد خف فى هذا الزمان ميزانها ، وعظم هجرانها، وقل أهلها، وكثر مهملها ، يقول الزهرى ـ رحمه الله تعالى ـ : « دخلت على أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ بدمشق وهو يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئًا مما أدركت على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت » ، أخرجه البخارى .

أيها المسلمون :

إن من أكبر الكبائر ، وأعظم الجرائر : ترك الصلاة تعمدًا ، وإخراج عن وقتها كسلا وتهاونا ، يقول النبى ﷺ : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ؛ فمن تركها فقد كفر** » ؛ أخرجه أحمد ، ويقول ـ عليه الصلاة وأزكى السلام ـ : « **بين الرجل أو الكفر ترك الصلاة** » ؛ أخرجه مسلم .

وإن فوت صلاة من الصلوات كمصيبة سلب الأموال والضيعات ، وفقد الزوجة والبنين والبنات ؛ يقول النبى ﷺ : « **من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله** » صححه ابن حبان .

وغضب الله ومقته حال على تارك الصلاة ؛ يقول النبى ﷺ : « **من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان** »؛ أخرجه البزار، يقول عز وجل: ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾ [طه : ٨١] ، ويقول رسول الهدى ﷺ محذرًا ومنذرًا : « لا تتركن صلاة متعمدًا ؛ فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » ؛ أخرجه الطبرانى ، ويقول عبد الله بن شقيق ـ رحمه الله تعالى : « كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » .

أيها المسلمون :

إن التفريط فى أمر الصلاة من أعظم أسباب البلاء والشقاء ، ضنك دنيوى ، وعذاب برزخى ، وعقاب أخروى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ [مريم : ٥٩] ، ويقول النبى ﷺ فى حديث الرؤيا : « **إنه أتانى الليلة آتيان ، وإنهما ابتعثانى ، وإنهما قالا لى : انطلق ، وإنى انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه ـ أى : يشدقه ـ فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل مرة الأولى ، قال : قلت لهما : سبحان الله ! ما هذان ؟ ...** » فقالا فى آخر الحديث إخبارًا لرسول الله ﷺ عما رآه : « **أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر : فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة** » أخرجه البخارى.

فيا عبد الله .. يا عبد الله .. يا عبد الله :

كيف تهون عليك صلاتك وهى رأس مالك ، وبها يصح إيمانك ؟ كيف تهون عليك صلاتك وأنت تقرأ الوعيد الشديد فى قول الله جل وعلا : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ**

عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] ؟ كيف تتصف بصفة من صفات المنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤٢] .

أيها المسلمون :

الصلاة عبادة عظيمة لا تسقط عن مكلف بحال ، ولو فى حال الفزع والقتال ، ولو فى حال المرض والإعياء ما عدا الحائض والنفساء ؛ يقول تبارك وتعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩] .

فيا عباد الله :

أقيموا الصلاة لوقتها وأسبغوا لها وضوءها ، وأتموا لها قيامها وركوعها وسجودها وخشوعها تنالوا ثمرتها وبركتها ، وقوتها وراحتها .

أيها المسلمون :

جاءت الأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة ساطعة ناصعة ، متكاثرة متضافرة على وجوب صلاة الجماعة على الرجال حضرا وسفرا ، يقول جل وعلا : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٣] ، مع المقتضية للجمعية والمعية ، ويقول تبارك وتعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ وهو فى ساحة القتال وشدة النزال : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ** ﴾ [النساء : ١٠٢] .

ويقول عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف » أخرجه مسلم .

يا شباب الإسلام . . يا شباب الإسلام . . يا شباب الإسلام . . يا أصحاب القوة والفتوة : هذا ابن أم مكتوم ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ يقبل على رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله ، قد كبرت سنى ، ورق عظمى ، وذهب بصرى ، ولى قائد لا يلايمنى قياده إياى ؛ فهل تجد لى رخصة أصلى فى بيتى الصلوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هل تسمع**

المؤذن فى البيت الذى أنت فيه ؟ » . قال : نعم يا رسول الله ، قال : **« لا أجد لك رخصة »** ؛ أخرجه الطبرانى فى « الكبير » ، ولو يعلم هذا المتخلف عن الصلاة فى الجماعة ما لهذا الماشى إليها ؛ لأتاها ولو حبوا على يديه ورجليه .

واشتد غضب رسول الله ﷺ على المتخلفين عن جماعة المسلمين ، فقال ـ عليه الصلاة وأزكى السلام : **« لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا يصلى بالناس ، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار »** ؛ متفق عليه ، ويقول أبو هريرة ـ رضى الله عنه: « لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابًا ، خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب » .

أيها المتخلف فى بيته عن أداء الصلاة جماعة فى بيوت الله :

أصغ السمع لقول النبى ﷺ : **« من سمع المؤذن بالصلاة ، فلم يمنعه من اتباعه عذر لم يقبل منه الصلاة التى صلى »**، قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال : « خوف أو مرض » ؛ أخرجه أبو داود .

وتعظم المصيبة وتكبر الخطيئة حين يكون المتخلف عن صلاة الجماعة ممن يقتدى بعمله ويتأسى بفعله ، وهى أعظم ضرراً وأشد خطرًا حين يكون المتخلف ممن ينتسب إلى العلم وأهله ، يقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « ما بال أقوام يتخلفون عن الصلاة ، فيتخلف لتخلفهم آخرون ، لأن يحضروا الصلاة أو لأبعثن عليهم من يجافى رقابهم » .

أيها المسلمون :

تلك أدلة ونصوص لاح الحق فى أكنافها ، وظهر المدى فى بيانها ، ولقد أفصحت الرسل لولا صمم القلوب ، ووضحت السبل لولا كدر الذنوب .

أيها المسلمون :

لقد كثر المتخلفون فى زماننا هذا عن صلاة الجماعة فى المساجد ، رجال قادرون أقوياء يسمعون النداء صباح مساء ، فلا يجيبون ولا هم يذكرون ، ألسنتهم لاغية ، وقلوبهم لاهية ، ران عليها كسبها ، وضل فى الحياة الدنيا سعيها ، قد انهمكوا فى غوايتهم ، وتغولوا فى عمايتهم ، التحقوا بشقبة الدهر ، وتجللوا بأخبث سوءة وأشر ، شغلوا عن الصلاة بتسمير كسبهم ، وبلهوهم ولعبهم ، ولو كانوا يجدون من الصلاة فى المساجد كسبًا دنيويًا ، ولو حقيرًا دنيا لرأيتهم إليها مسرعين ، ولندائها مذعنين مطيعين ، يقول رسول الهدى ﷺ : **« والذى نفسى بيده ؛ لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا ، أو مر ماتين حسنتين لشهد العشاء »** ؛ متفق عليه .

أيها المسلمون :

إن الواجب على المسلمين وولاتهم وعلمائهم وأئمتهم وأهل الحل والعقد فيهم تفقد هؤلاء المتخلفين ، وأطرهم على الجماعة أطرا، وقصرهم عليها قصرًا، فعن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا الصبح ، فقال : « **أشاهد فلان ؟ أشاهد فلان ؟** » قلنا : نعم ، ولم يشهد الصلاة، ثم قال ﷺ : « **أشاهد فلان ؟** » قلنا : نعم ، ولم يشهد الصلاة ، ثم قال ﷺ : « **إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو تعلمون ما فيهما من الرغائب لأتيتوهما ولو حبوا**»؛ أخرجه أبو داود.

فيا عبد الله :

يا من يأتى المساجد فى فتور وكسل ، ويقضى وقتًا قليلا على ملل : أما علمت أن المساجد بيوت الله ، وأحب البقاع إليه - جل فى علاه - يقول النبى ﷺ : « **المسجد بيت كل تقى ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة** » أخرجه الطبرانى .

ويقول - عليه الصلاة وأزكى السلام: « **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم : « **ورجل قلبه معلق بالمساجد** » متفق عليه .

فيا من يتوانى ويتثاقل ، ويتساهل ويتشاغل :

لقد فاتك الخير الكثير ، والأجر الكبير ؛ يقول النبى ﷺ: « **من غدا إلى المسجد أو راح ؛ أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح** » ؛ متفق عليه ، « **ومن تطهر فى بيته، ثم غدا إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله - كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة ، وإن أعظم الناس أجرًا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى، ولا يزالون قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله** » نعوذ بالله من الخذلان والخسران .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [النور : ٣٦ - ٣٨].

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد . .

فيا أيها المسلمون :

اتقوا الله وراقبوه ، وأطيعوه ولا تعصوه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] .

أيها المسلمون :

اتقوا الله في أبنائكم . . اتقوا الله في أبنائكم . . اتقوا الله في أبنائكم . . قرة عيونكم، وتتابع نسلكم وذكركم ، فإنهم أمانة في أعناقكم ، مروهم بالمحافظة على الصلوات ، وحضور الجمع والجماعات، رغبوهم ورهبوهم، وشجعوهم بالحوافز والجوائز، نشؤوهم علي حب الآخرة ، وكونوا لهم قدوة صالحة ، ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [طه : ١٣٢] ، ويقول رسول الهدى ﷺ : « **مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين** » أخرجه أحمد ، واحذروا الملهيات والمغريات التي تصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وألحوا على الله بالدعاء أن يصلح أولادكم وأولاد المسلمين أجمعين .

اللهم اجعلنا وذرياتنا وشبابنا وفتياتنا من مقيمي الصلاة ، اللهم اجعلنا وذرياتنا وشبابنا وفتياتنا من مقيمي الصلاة ، اللهم اجعلنا وذرياتنا وشبابنا وفتياتنا من مقيمي الصلاة برحمتك يا أرحم الراحمين .

عباد الله :

إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه ، وأيه بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه ، فقال قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، وآله الطاهرين ، وسائر الصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمنك وفضلك وجودك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأهلك الطغاة والمعتدين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم انصر إخواننا فى فلسطين على اليهود الغاصبين ، اللهم انصر إخواننا فى فلسطين على اليهود الغاصبين ، اللهم انصر إخواننا فى فلسطين على اليهود الغاصبين يا قوى يا عزيز يا رب العالمين .

اللهم إن اليهود قد طغوا وبغوا وأسرفوا وأفسدوا واعتدوا ، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم ، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم ، وألق الرعب فى قلوبهم ، واجعلهم غنيمة للمسلمين ، وعبرة للمعتبرين يا رب العالمين .

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء، وعضال الداء ، وخيبة الرجاء ، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك ، اللهم لا تشمت بنا أحدًا ، اللهم لا تشمت بنا أحدًا، ولا تجعل لكافر علينا يدا ، اللهم أدم على بلاد الحرمين الشريفين أمنها ورخاءها ، وعزها واستقرارها ، ووفق قادتها لما فيه عز الإسلام والمسلمين ، وخدمة الحجاج والزوار والمعتمرين ، اللهم وفق إمامنا وولى أمرنا لما تحب وترضى ، وخذ بناصيته للبر والتقوى ، واجزه خير الجزاء على ما يقدمه من نصرة لإخواننا في فلسطين وللمسلمين أجمعين ، وأصلح له بطانته وتقبل منه يا رب العالمين ، اللهم وفق جميع ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد ﷺ .

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك قريب سميع مجيب الدعوات .

اللهم اشف مرضانا ، اللهم اشف مرضانا ، اللهم اشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، وفك أسرانا ، وارحم موتانا ، وانصرنا على من عادانا برحمتك يا أرحم الراحمين .

عباد الله :

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون ، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

روح الصلاة ولبها !(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، جعل الخشوع فى الصلاة سمة من سمات المؤمنين ، وطريقًا للوصول إلى مراتب المفلحين ، أحمده تعالى وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين ، وأشرف الخاضعين ، والخاشعين ، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله ، وارض اللهم عن آله وأصحابه وأزواجه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله رب العالمين ، وكونوا بدينكم مستمسكين ، وعلى عموده محافظين ، وفيه خاشعين خاضعين ؛ تسلكوا سبيل المفلحين ، وهذا ـ وايم الله ! ـ غاية العاملين .

عباد الله ، إنه نتيجة لارتماء كثير من الناس فى أحضان الدنيا ، والتنافس فى جمع حطامها ، وانشغال القلوب والهمم بها ، ونسيان الدار الحقيقية ، والغفلة عن العمل بها ؛ فى هذه الدوامة تناسى بعض الناس خالقهم ورازقهم ؛ فلم يبالوا بشرعه ، ولم يكترثوا لدينه ، وصدق فيهم قول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ [مريم : ٥٩] .

وصنف آخر من الناس : يؤدى الصلاة ، ولكن مع الوقوع في الخلل ، والاستمرار فى الزلل ؛ يصلون ولكن لا ترى آثار الصلاة عليهم ، لا يتأدبون بآدابها ، ولا يلتزمون بأركانها وواجباتها ، صلاتهم صورية عادية ؛ لإخلالهم بلبها وروحها وخشوعها ، يصلون أشباحًا بلا أرواح ، وقوالب بلا قلوب ، وحركات بلا مشاعر وأحاسيس ، صلاتهم مرتع للوساوس والهواجس ، يدخل الشيطان على أحدهم وهو فى صلاته ، فيصول ويجول بفكره فى مجالات الدنيا ؛ يتحرك ويتشاغل ، ويستطيل ويتثاقل ، ويلتفت بقلبه وبصره إلى حيث يريد ، فينفتل عن صلاته(٢) ، ولم يعقل منها إلا قليلاً ، بل لعل بعضهم لا يعقل منها شيئًا .

ثم لا تسأل عن الأحوال ، وسيىء الأعمال بعد الصلاة : فحش فى القول ، وإساءة في الفعل ، وأكل للحرام ، وتعسف فى الأخلاق (٣) ، وإصرار على المعاصى ، وربما

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) انفتل عن صلاته ، أى : انصرف عنها « أساس البلاغة » (فتل) .

(٣) أى : تخبط فيها على غير هداية من شرع أو عقل . انظر : « أساس البلاغة » (عسف) .

تساءل بعضهم : ألم يقل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فأين نحن من هذه الآية ؟ فنحن نؤدى الصلاة ، ولكن لا أثر لها فى حياتنا ، ولا ثمرة لها في واقعنا ، وتغيير أحوالنا ، وتحسن مناهجنا وتصوراتنا ، وصلاح سائر جوانب حياتنا ؟!

وهنا أقول: إن السبب فى ذلك كله: هو إخلالنا بروح الصلاة ولبها، ألا وهو الخشوع فيها ، فما مكانة الخشوع فى الصلاة ؟ وما معناه ؟ وما الأسباب الجالبة له ، والآثار المترتبة عليه ؟ هذا ما سنتطرق إليه - بحول الله - بعد أن تفاقم الأمر ، وعم التقصير فى ذلك ، حتى أصبح ظاهرة خطيرة تستحق الاهتمام والمعالجة ، على ضوء الكتاب والسنة.

إخوة الإسلام، لقد مدح الله المؤمنين، وأثنى عليهم ،ووصفهم بالخشوع له فى أجل عباداتهم ، ورتب على ذلك الفوز والفلاح ؛ فقال جل وعلا : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] ؛ قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « أى : قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح »[١] ، وقال ابن رجب : « وأصل الخشوع: هو لين القلب ورقته ، وسكونه وخضوعه ، وانكساره وحرقته ؛ فإذا خشع القلب ، تبعه خشوع جميع الجوارح ؛ لأنها تابعة له»، وقد رأى بعض السلف رجلا يعبث بيده فى الصلاة، فقال : « **لو خشع قلب هذا ، لخشعت جوارحه !** »[٢] ؛ روى ذلك عن حذيفة - رضى الله عنه - وسعيد بن المسيب - رحمه الله - ويروى مرفوعا ؛ لكن بإسناد لا يصح [٣] .

وفى معنى الخشوع فى الصلاة أيضًا " قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : «هو الخشوع فى القلب ، وأن تلين للمرء المسلم كنفك ، وألا تلتفت فى صلاتك يمينًا ولا شمالا » ، وعن ابن عباس - رضى الله عنه - فى قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٢] ، قال « خائفون ساكنون » ، وعن الحسن - رحمه الله - قال : « **كان خشوعهم فى قلوبهم ؛ فغضوا بذلك أبصارهم ، وخفضوا الجناح** » ، وقال ابن سيرين - رحمه الله: « **كانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه** » [٤] .

هذا هو منهج السلف - رحمهم الله - الذين كانت قلوبهم تستشعر رهبة الوقوف فى الصلاة بين يدى الله ، فتسكن وتخشع ؛ فيسرى الخشوع منها إلي الجوارح والملامح

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » (٥ / ٤٦١) .

(٢) انظر : « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» للسيوطى (٥ / ٤) .

(٣) « الخشوع فى الصلاة » لابن رجب الحنبلى (ص ١٧) .

(٤) « تفسير الطبرى » (٩ / ١٩٧ ، ١٩٨) .

والحركات، ويغشى أرواحهم جلال الله وعظمته ، وهم يقفون بين يديه ، فتختفى من أذهانهم جميع الشواغل عندما يشتغلون بمناجاة الجبار جل جلاله ، ويتوارى عن حسّهم فى تلك الحالة كل ما حولهم ، فيتطهر وجدانهم من كل دنس ، وينفضون عنهم كل شائبة ؛ وعندئذ تتضاءل الماديات ، وتتلاشى جميع المغريات ؛ وحينئذ تكون الصلاة راحة قلبية ، وطمأنينة نفسية ، وقرة عين حقيقة ؛ كما قال النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد، والنسائى ، عن أنس ـ رضى الله عنه: « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » (١) .

وفى « المسند » ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « **قم يا بلال فأرحنا بالصلاة** » (٢) .

الله أكبر ! إنها الراحة الدائمة للنفوس المطمئنة ؛ لكى تشعر من خلال أدائها أنها تناجى من بيده ملكوت كل شىء ، وأن المصلى حينما يكبر ويرفع يديه إنما يعظم الله ، وإذا وضع اليمنى على اليسرى فهو ذل بين يدى مولاه ، وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله عن المراد بذلك ؟ فقال : « **هو ذل بين يدى عزيز** » (٣) ، وإذا ركع ، فهو :إقرار بعظمة الله ، وإذا سجد ، فهو : تواضع أمام علو الله ، تبارك وتعالى .

وهكذا يكون المسلم فى صلاته ، يوثق الصلة بالله ؛ ليفوز بوعد الله الذي لا يخلف الميعاد ؛ أخرج الإمام مسلم ، وغيره ، عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها ،. وخشوعها ، وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ؛ وذلك الدهر كله** » (٤) .

أيها الإخوة المصلون ، إن المصلى حقًا هو الذى يقيم الصلاة كاملة الفرائض والأركان، مستوفية الشروط والواجبات والآداب ؛ يستغرق فيها القلب ، ويتفاعل من خلالها الوجدان، ويحافظ عليها محافظة تامة قدر الطاقة ، يبعثه على ذلك قلب يقظ ، وشعور صادق ، وإحساس مرهف ، وضمير حى ؛ فينصرف بكليته إلي الصلاة ؛ لأن الخشوع فيها إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها .

ومنزلة الخشوع من الصلاة كمنزلة الرأس من الجسد ؛ فالذى يجعل الصلاة مرتعا للتفكير فى أمور دنياه ،ومحلا للهواجس فى مشاغله : قلبه فى كل واد ، وهمه فى كل

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) انظر : « طبقات الحنابلة » (١ / ٢١٣) .

(٤) رواه مسلم (٢٢٨) ، وعبد بن حميد (٥٧) .

مكان ، يختلس الشيطان من صلاته ، بكثرة التفاته ، وعبثه بملابسه ويده ، ورجله وجوارحه ، وربما أخل بطمأنينتها ولم يع ما قرأ فيها ، فيخشى أن ترد عليه صلاته ؛ فقد ورد : « **أن أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، فلا يتم ركوعها ، ولا سجودها ، ولا خشوعها** » (١) ، كما ورد أن صلاة من هذه حاله « **تلف كما يلف الثوب الخلق ؛ فيضرب بها وجه صاحبها** »(٢) عياذا بالله !

أمة الإسلام ، إنه لما طال بالناس الأمد ، وقست قلوبهم ، وأساء كثير منهم فهم شعائر الإسلام ـ أصبحت ترى من يخل ببعض الشروط والأركان والواجبات ؛ فلم تؤت الصلاة ثمرتها فى قلوب كثير من الناس ، ولم تؤثر فى حياتهم ، فمنهم من يؤديها ولكن لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، ولا تمنعه مما يخدش العقيدة ، أو يخالف الحق ، أو يناقض مبادئ الإسلام ، ولا تمنعه من تعاطى الربا والرشوة ، وشرب المسكرات ، وتعاطى المخدرات ،وما إلى ذلك من المحرمات ، ولا يتورع عن ظلم العباد وغشهم ، وإيقاع الأذى بهم ، هل أولئك قد أقاموا الصلاة ، وأدوا حقها ؟!

والله ! لو فعلوا ذلك ، لانتهوا عن كل محرم ، ولأقلعوا عن كل ما يخالف شرع الله جل جلاله ، ولكنهم أضاعوا جوهر الصلاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله روى الترمذى ، وغيره ، عن جبير بن نفير ؛ أن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال : «**أول علم يرفع من الناس : الخشوع ؛ يوشك أن تدخل مسجد الجماعة ، فلا ترى فيه رجلا خاشعًا** »(٣) ؛ فالله المستعان!

أيها المسلمون ، ما هى حالنا اليوم مع هذه الفريضة العظيمة ؟! أجساد تهوى إلي الأرض، وقلوب غافلة، وأفئدة متعلقة بالدنيا ـ إلا من رحم الله ! ـ فهل من عودة صادقة ـ أيها المسلمون ـ إلى ترسم خطا المصطفى ﷺ فى هذه الفريضة العظيمة وغيرها من فرائض الإسلام ؟! نرجو ذلك ، وما هو على الله بعزيز ! .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[الحديد : ١٦] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه الطيالسى (٥٨٦) ، والطبرانى فى « الأوسط » (٣٠٩٥) ؛ من حديث عبادة وأنس ، رضي الله عنه .

(٣) رواه الدارمى (٢٩٦) ، والترمذى (٢٦٥٣) ، والحاكم (١ / ٩٩) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الحكيم العليم ، وأشهد أن لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه ، صلاة وسلاما كاملين متلازمين إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وعظموا شعائر دينكم ، واستحضروا فيها عظمة بارئكم جل وعلا ، وفرّغُوا قلوبكم من الشواغل الدنيوية والعلائق المادية ، وأقيموا صلاتكم بقلوب حاضرة خاشعة .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن أكبر ما يعين على الخشوع فى الصلاة : حضور القلب فيها، واستشعار عظمة وجلال الخالق جل وعلا ،وتصفية القلوب من الصوارف عن الله والدار الآخرة ، والتخفف من شواغل الدنيا ، وعمارة القلوب بالإيمان ، وسد منافذ الشيطان .

ومما يعين على ذلك أيضًا : قصر النظر على موضع السجود ، ووضع اليد اليمنى على اليسرى حال القيام، والتدبر فيما يقرأ من القرآن وفيما يردد من الأدعية ، وعدم الالتفات ، ومراعاة الطمأنينة ، والحذر من العجلة والمسابقة ، والعبث والحركة .

كل ذلك ـ مع توفيق الله عز وجل ـ من الأسباب التى تعين المسلم على الخشوع فى صلاته ؛ وبذلك يحل الإشكال الذى يشغل بال كثير من المصلين .

فعلى المسلم : أن يروض نفسه على ذلك ، ومتى علم الله من عبده الرغبة فى الخير ، وفقه له ، وأعانه عليه ، ولو أن المسلمين اليوم أدوا هذه الصلاة ـ كما سن رسول الله ﷺ لكانت ـ بتوفيق الله ـ انطلاقة جادة لإصلاح أوضاعهم ، وتغيير أحوالهم ، وسلامة مجتمعاتهم ، وطريقًا إلى النصر على أعدائهم ، وتحقيق ما يصبون إليه فى دنياهم وأخراهم؛ لأن فى تطبيق شعائر الإسلام السلاح القوى ، والدرع الواقى من كل مكروه ؛ لأن الدافع إليه قوة الإيمان ، وصدق اليقين والشوق إلى الآخرة .

ألا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الناصح الأمين ، سيد الأولين والآخرين ، وأفضل الخاشعين ؛ كما أمركم الله رب العالمين بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[الأحزاب : ٥٦] .

يوم إنابة، وساعة إجابة (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونثنى عليه الخير كله ، لا نحصى ثناء عليه هو سبحانه كما أثنى على نفسه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ جعل « يوم الجمعة » من أفضل الأيام ، وخصه بالشرف والفضل لأمة الإسلام ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ، ومن تبع هداهم واقتفى أثرهم إلى يوم القيام للملك العلام ، وسلم تسليمًا كثيرًا على التمام والدوام .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تعالى حق تقواه ، واشكروه على ما هداكم للإسلام ، وجعلكم من أمة اختصها بالفضائل ، وهداها إلى خير شرعة ، وأقوم ملة ؛ فلله الحمد والشكر والثناء ، ونسأله تعالى أن يوزعنا شكر نعمه .

عباد الله ، لقد من الله علينا ـ معشر المسلمين ـ بيوم عظيم ، وموسم كريم ، فضله الله على سائر الأيام ، وجعله يوم اجتماع للمسلمين ، هدى الله إليه هذه الأمة واختصها به ، وأضل عنه سائر الأمم ؛ ففى « صحيح مسلم » أنه ﷺ قال : « **أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ؛ فكان لليهود يوم السبت ، وللنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة** »(٢) .

فيا له من يوم عظيم ، له من الخصائص والمزايا ما ليس لغيره ! يجتمع فيه المسلمون على الخير والذكر والصلاة فى الدنيا ؛ ليكون لهم فى الآخرة يوم كرامة ومزيد ورفعة ؛ روى الإمام مسلم فى « صحيحه » ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها** »(٣) .

أيها الإخوة المسلمون ، إن من أهم خصائص يوم الجمعة : أن الله سبحانه شرع لنا فيه اجتماعا عظيمًا ، لأداء صلاة الجمعة ؛ فحضور هذه الصلاة فرض عين على كل مسلم

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .
(٢) « صحيح مسلم » (٨٥٦) ؛ من حديث أبى هريرة وحذيفة ، رضى الله عنهما .
(٣) « صحيح مسلم » (٨٥٤) .

توفرت فيه الشروط ، وانتفت عنه الموانع ، ويا له من اجتماع ما أروعه فى هذا اليوم المبارك!! لما يتجلى فيه من إظهار العبودية لله وحده ، ولما له من الآثار فى حياة المسلمين وعلى المجتمع الإسلامى بعامة .

ففى هذا الاجتماع : يتعارف المسلمون ، وتقوى رابطة العقيدة بينهم ، وتنصهر الفوارق المادية ، والمراتب الاجتماعية ، والنعرات[1] القبلية ، فى بوتقة واحدة ، يصاف الكبير الصغير ، ويلصق الغنى كتفه بكتف الفقير .

وهذا مشهد رائع ، ومظهر عظيم ، تتجلى فيه صور ناصعة من وحدة المسلمين وتلاحمهم ، وقوة تعاطفهم ، وإخائهم وترابطهم ، يلتقون فى بيوت الله جل وعلا ، وعلى بساط طاعته ؛ يتحسسون مشكلاتهم ، وينظرون فى آلامهم ، يقوى إيمانهم ، وتصقل قلوبهم ، وتزيد طاعتهم ، ويتحرك فيهم الشعور للإسلام ، وترق قلوبهم لما يسمعون من الذكر والعلم والمواعظ ، عبر الدرس الأسبوعى المهم فى خطبة الجمعة ؛ فيجدون فى إصلاح أوضاعهم ، وتحسين أحوالهم ؛ لأنهم يسمعون ما يقربهم إلى الله ؛ من تذكير بواجب فى جوانب العقيدة والعبادة ، والأخلاق والتربية ، وما إلى ذلك ، أو تحذير من منكر فى هذه الجوانب ، أو علاج لقضية أو مشكلة اجتماعية ،أو سواها ، أو سماع ما يقرب إلى الآخرة ويدفع إلى العمل لها ؛ فيبقى أثر هذا الدرس فى نفس المسلم على مدار الأسبوع ، وتظهر ثماره جلية فى واقعه وتعامله مع مجتمعه ؛ حيث تمثل انطلاقة كبرى للعمل البناء والإصلاح الجاد .

معاشر المسلمين : لقد ورد الفضل العظيم ، والأجر العميم ، فى أداء هذه الصلاة ، لا سيما لمن تأدب بآدابها من الغسل والطهارة ، والطيب والنظافة ، وحسن اللباس والهيئة، ثم الاستماع والإنصات إلى الخطبة ؛ روى الإمام مسلم فى « صحيحه » ، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة ، فاستمع وأنصت ـ غفر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام** »[2] ، وفى «صحيح مسلم » ـ أيضًا ـ عنه ، عن النبى ﷺ قال : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر** »[3] .

كما ورد الوعيد الشديد والترهيب الرهيب ، على من تساهل فى هذا الواجب

---

(١) النعرة : الخيلاء والكبر . « اللسان » و « القاموس » (نعر) .
(٢) « صحيح مسلم » (٨٥٧) .
(٣) « صحيح مسلم » (٢٣٣) .

العظيم، ولم يرفع به رأسًا ؛ ففى « صحيح مسلم » ؛ أنه - عليه الصلاة والسلام - قال على أعواد منبره : « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات** [(١)]، **أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين** »[(٢)] ، وفى حديث آخر أنه ﷺ قال : « **من ترك ثلاث جمع تهاونا ، طبع الله على قلبه** »[(٣)] ، وفى رواية : « **فهو منافق** »[(٤)] ، والعياذ بالله !

إخوة الإسلام ، لقد كان من هدى نبيكم ﷺ : تعظيم هذا اليوم وتشريفه ، وتخصيصه بعبادات وأعمال عظيمة :

فمن ذلك : الحث على كثرة الصلاة عليه ﷺ فى هذا اليوم ، فعن أوس بن أوس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ؛ فأكثروا على من الصلاة فيه ؛ فإن صلاتكم معروضة على** »[(٥)] .

ومن ذلك : الإكثار من العبادة والذكر ، وقراءة القرآن والدعاء ؛ بغية إدراك ساعة الإجابة ؛ ففى « الصحيحين » ؛ أنه ﷺ ذكر يوم الجمعة ، فقال : « **فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئًا ، إلا أعطاه إياه** » [(٦)]، وقد روى مسلم - رحمه الله - فى « صحيحه » ؛ أنها « **ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة** »[(٧)] ، وقال كثير من العلماء : إنها آخر ساعة من يوم الجمعة[(٨)] .

كما يسن المبادرة والتبكير إلى المسجد يوم الجمعة؛ ففى « الصحيحين» ؛ أنه ﷺ قال: « **من راح - يعنى : فى الساعة الأولى - فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة** »[(٩)] ، حتى ذكر فى الساعة الخامسة : بيضة ، فانظر - رحمك الله - عظم التفاوت فى الأجر بين المبادرين والمتأخرين !

---

(١) ودعهم الجمعات ، أى : تركهم إياها والتخلف عنها . « اللسان » (ودع) .

(٢) « صحيح مسلم » (٨٦٥) ؛ من حديث ابن عمر ، وأبى هريرة ، رضى الله عنهما .

(٣) رواه أحمد (٣ / ٤٢٤ ، ٤٢٥) ، والترمذى (٥٠٠) ، وأبو داود (١٠٥٢)، والنسائى (٣ / ٨٨) ، وابن ماجة (١١٢٥) ؛ من حديث أبى الجعد الضمرى ، رضى الله عنه .

(٤) رواه ابن خزيمة (١٨٥٧) ، وابن حبان (٢٥٨) .

(٥) رواه أحمد (٤ / ٨) ، وأبو داود (١٠٤٧ ، ١٥٣١) ، والنسائى (٣ / ٩١) .

(٦) « صحيح البخارى » (٩٣٥) ، و « صحيح مسلم » (٨٥٢) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٧) « صحيح مسلم » (٨٥٣) ؛ من حديث أبى موسى ، رضى الله عنه .

(٨) انظر : « فتح البارى » (٢ / ٤١٥ - ٤٢٢) .

(٩) « صحيح البخارى (٨٨١) ، و « صحيح مسلم » (٨٥٠) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

ومما يتأكد فى هذا اليوم العظيم : العناية بنظافة الظاهر والباطن ، ومراعاة الطهارة الحسية والمعنوية .

ومن ذلك **أيضًا** : ضرورة التأدب مع المصلين ؛ وذلك بالحذر من التفريق بينهم ، وإيذائهم وتخطى رقابهم ؛ فقد رأى النبى ﷺ رجلا يتخطى رقاب الناس ، فزجره ، وقال: « **اجلس ؛ فقد آذيت وآنيت**(١) »(٢) .

كذلكم ـ يا عباد الله ـ يجب الإنصات إذا تكلم الإمام ، ويحرم الحديث حال الخطبة ، والتشاغل عنها ؛ يقول ﷺ : « **إذا قلت لصاحبك : أنصت ؛ والإمام يخطب ـ فقد لغوت**»(٣) ، ويقول ـ أيضًا ـ : « **ومن مس الحصى فقد لغا** »(٤) ، وفى حديث آخر : «**ومن تكلم ، فلا جمعة له** »(٥) .

أمة الإسلام ، هذه جملة من خصائص هذا اليوم المبارك وفضائله ، وما ينبغى أن يكون عليه المسلم فيه ، وبنظرة تأمل فى حياتنا ،وواقع كثير منا تجاه هذا اليوم المبارك : ندرك تصورًا جليًا لزهد بعض الناس فى الخير الذى أراد الله لهم ، وغفلتهم عن ثواب الآخرة ، وانشغالهم بزخرف الحياة ؛ مما له الأثر البالغ فى قسوة القلوب ، وتردى الأحوال؛ فقد بلغ ببعض الناس الاستكبار والمحادة لشرع الله ؛ بحيث يسمعون المنادى لصلاة الجمعة وغيرها فلا يرفعون بذلك رأسًا ، وهؤلاء على خطر عظيم ، وفى مرتع وخيم .

ومن الناس : من يزين له الشيطان التأخر عن صلاة الجمعة ، فلا يأتى إلا عند الخطبة، أو فى أثنائها ، أو عند إقامة الصلاة ، وربما يقعون فى إيذاء عباد الله ، وتخطى رقابهم ، هؤلاء قد فوتوا على أنفسهم خيرًا كثيرًا ، ونفعًا عظيمًا ، وحرموا أنفسهم ثواب الله ، ووقعوا فى أذية عباد الله .

ومنهم : من إذا دخل المسجد ، تبرم وتثاقل ، ومل الخير والنفع والفائدة وتكاسل ، وود الخلاص من الخطبة والصلاة ، ونسى أنه فى خير وعلى خير .

---

(١) « آذيت » أى : آذيت الناس بالتخطى ، و « آنيت » أى : أخرت المجىء وأبطأت . قاله السندى فى حاشيته على « مسند أحمد » ؛ انظر : « مسند الإمام أحمد » (٢٩ / ٢٢٢) .

(٢) رواه أحمد (٤ / ١٨٨ ، ١٩٠) ، وأبو داود (١١١٨) ، والنسائى (٣ / ١٠٣) ؛ من حديث عبد الله بن بسر ، رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى (٩٣٤) ، ومسلم (٨٥١) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) « صحيح مسلم » (٨٥٧) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٥) رواه أحمد (١ / ٩٣) ، وأبو داود (١٠٥١) ؛ من حديث على ، رضى الله عنه .

ومن الناس : من يسبب لنفسه الحرمان والخسارة ، ولا يبالى بآداب الجمعة ، ولا بحرمة بيوت الله ، فيتكلم ولا ينصت ، ويعبث ويتشاغل بنفسه وأولاده ومجاوريه .

وبعضهم : يجعل المسجد محلا للنزهة ، فتجده يتجاذب أطراف الأحاديث مع محبيه، وربما فعل ذلك والإمام يخطب !

وبعضهم : لا يبالى بالنظافة من الروائح المستكرهة فى بدنه وثوبه ؛ فيؤذى ملائكة الله، ويهوش على عباد الله ، وقد يخرج أولئك من المسجد كما دخلوه دون نفع ولا فائدة .

ومن الناس ـ والعياذ بالله ـ : من لا يصلى إلا الجمعة ، ولا يبالى بصلاة الجماعة ، وقد يدعى ـ جهلا وسذاجة ـ أنه بحضوره الجمعة يكفر عنه ما بين الجمعتين ، ولكن هذا مقيد باجتناب الكبائر ، وأى كبيرة بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة ؟!

وبعض النساء ـ هداهن الله ـ : يأتين إلى الجمعة ،ولكن بثياب الجمال والفتنة ، وحال التبرج والسفور ، والزينة والطيب ، وهذا لا يجوز ؛ لأنه ﷺ رخص للنساء فى حضور المساجد ، وقيد ذلك بقوله : « **وليخرجن تفلات** »(١) أى : غير متطيبات(٢) .

وبعض المصلين : يترك أولاده يعبثون فى المسجد ، ويؤذون الآخرين ؛ كما أن بعض الباعة يمضى فى بيعه وعرضه لتجارته ، ويفوت على نفسه أجر المتاجرة مع الله ، وبعض الناس يجعل من هذا اليوم يوم لهو ولعب وغفلة ، وانهماك فى الملذات ، وعكوف على الملهيات ، أو يوم سهر وسمر ونزهة ، لا تخلو من المحرمات .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعرفوا لهذا اليوم العظيم مكانته وحرمته ، واعمروه وسائر الأيام بالعمل الصالح ؛ تكونوا من المفلحين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة : ٩ ـ ١٠] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٤٣٨) ، وأبو داود (٥٦٥)، وابن حبان (٢٢١٤) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) انظر : « اللسان » (تفل) .

الخطبة الثانية

الحمد لله على منه وإحسانه ، والشكر له على توفيقه وإنعامه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واشكروه أن وفقكم لهذا اليوم العظيم ، وهداكم له . ومن شكر هذه النعمة : صرف ساعات هذا اليوم ولحظاته فى العمل الصالح المشروع ؛ من الصلاة والذكر ، والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن ، وكثرة الصلاة على رسول الهدى ﷺ، والبعد عن جميع المعاصى والسيئات .

ففى هذا العمل استثمار لهذا الموسم المبارك ، الذى فيه وفى أمثاله من المواسم الشرعية، كفاية عما استحسنته عقول البشرية ، واستحدثته أهواؤهم الردية ؛ مما يقدح فى تجريد المتابعة للمصطفى ﷺ ، الذى كان يكثر التذكير فيه بالوصية الجامعة التى يجب أن يعيها المسلمون اليوم ؛ لأنها تمثل منهاجًا يجب أن يسير عليه المسلم فى حياته كلها ؛ ليعبد الله على بصيرة ؛ فقد كان النبى ﷺ يقول فى خطبة الجمعة : « **أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »(١) .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله سبحانه أمركم بالتقرب إليه بأمر عظيم . لا سيما فى هذا اليوم المبارك ، ألا وهو كثرة الصلاة والسلام على عبده المصطفى ، ورسوله المجتبى ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٥٦] ، وقد قال ﷺ : « **من صلى على واحدة ، صلى الله عليه عشرًا** »(٢) .

---

(١) رواه أحمد (٣ / ٣٧١) ، ومسلم (٨٦٧) ؛ من حديث جابر ، رضى الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه .

الزكاة : مواساة ونماء ، لا جباية وعناء(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرض الزكاة على عباده تزكية للنفوس ، وتطهيرًا للقلوب ، وتنمية للأموال ، وسدا لعوز(٢) المحتاجين ، وتحقيقًا لروح المودة والإخاء ، والرأفة والرحمة والصفاء ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ومصطفاه وخليله، ومجتباه وحبيبه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله جل وعلا ، واعلموا أن دينكم الإسلامى الذى من الله به عليكم ، ورضيه لكم ، وأكرمكم بالانتساب إليه ـ قد بنى على أسس متماسكة وقواعد مترابطة ، إذا اختل منها شيء ، تصدع ما سواه ؛ روى البخارى ومسلم ، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان**»(٣) .

وإن من بين هذه الأركان العظيمة ركنا عظيم تساهل الناس فيه ، وعمت الغفلة عنه ؛ لضعف الإيمان فى النفوس ، وإيثار العاجلة بزينتها وادياتها على الآجلة الباقية ، ألا وهو: « **ركن الزكاة** »

فالزكاة ـ يا إخوة الإسلام ـ : ثالث أركان هذا الدين العظيم ، من جحد وجوبها ، كفر ، ومنع أداءها ، قوتل ؛ قال تعالى : ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[التوبة : ١١] ، وفى « الصحيحين»، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك،عصموا منى دماءهم وأموالهم**

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) العوز : العدم وسوء الحال . « اللسان » (عوز) .

(٣) « صحيح البخارى » (٨) ، و « صحيح مسلم » (١٦) .

إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله »(١) .

وقد ذكر الله فى كتابه الزكاة مقرونة بالصلاة ؛ تعظيمًا لشأنها ، وتنويها بذكرها ، وترغيبًا فى أدائها ، وترهيبًا من تركها والتساهل فيها ؛ قال الله ـ عز وجل : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة : ٤٣] ؛ ولذلك قال الصديق ـ رضى الله عنه ـ : « **والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة** » (٢) ، وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « **ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها** » ، وذكر منها قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة : ٤٣] ، وقال : « **من صلى ولم يزك ، لم يقبل منه** » .

أمة الإسلام ، لقد شرعت الزكاة لحكم عظيمة ، وأسرار كثيرة ، ومصالح جمة ، تعود على الأفراد والمجتمع بالفضل العظيم ، والخير العميم ؛ يقول تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة : ١٠٣] ؛ فالزكاة تطهر النفس من درن الشح والبخل ، وتزكيها بالجود والسخاء والكرم، وهى: السبيل لحصول النماء والزيادة والبركة ، والفلاح والطهارة ، والخلف والمثوبة ، وحفظ المال ، ودفع الشرور والآفات عنه بإذن الله ، وفيها تثبيت أواصر(٣) المحبة والمودة ، والتكافل والإخاء بين الأغنياء والفقراء؛ ليشعر الفقير فى المجتمع المسلم : أنه أمام تعاون لا تطاحن ، وأمام إيثار لا أثرة ، وأمام مساواة وعطف وإخاء ، لا ظلم وتسلط وجفاء ، وإمام مشاعر رقيقة ، وقلوب رحيمة أبية، لا مخالب قوية ، وأنياب عتية .

وليست الزكاة ضريبة تؤخذ من الجيوب ؛ بل هى غرس لمشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة ؛ يسمو بها المجتمع إلى مستوى أفضل ، ومقصد أنبل ، وهكذا أظهرت هذه الفريضة محاسن هذا الدين ، وعنايته بشؤون أبنائه ، وتفوقه على النظم المخالفة من شيوعية ورأسمالية وغيرها ، التى يزعم أهلها ـ زورا وبهتانا ـ أنهم كفلوا الحقوق ، وأشاعوا العدل والإنصاف بين الشعوب ، وهل يسمى ظلم الناس عدلا ؟! وبخسهم حقوقهم ، وإلغاء ملكيتهم ، وإشاعة الطبقية بينهم إنصافًا ؟! وهل يطلق على ابتزاز ثروات الشعوب كفالة للحقوق ؟! وقد أدى ذلك إلى شيوع الظلم والخوف وانعدام الأمن ، وانتشار السرقة والاختلاس والسطو ، وتفاقم الجرائم ، وارتكاب الفقير شتى الحيل

---

(١) « صحيح البخارى » (٢٥) ، و « صحيح مسلم » (٢٢) .

(٢) رواه البخارى (١٤٠٠) ، ومسلم (٢٠) .

(٣) الأواصر: جمع آصرة، وهى: ما عطفك على رجل من رحم ، أو قرابة ، أو صهر ، أو معروف . « اللسان » (أصر) .

من أجل الحصول على لقمة العيش ؛ لما يقاسيه من آلام الفقر والفاقة والمسكنة .

إخوة العقيدة ، لقد جاء الوعيد الشديد ، والترهيب المرعب الأكيد في حق تارك الزكاة ، وفي حق من قصر فيها ، وتساهل في أدائها ، تحذيرًا وإنذارًا ، وإبداء وإعذارًا ، بأسلوب ترتعد منه الفرائض ، وتهتز له القلوب ، وتذوب من هوله الأفئدة ، بأسلوب لو خوطبت به الجبال الصم ، لخشعت وتصدعت .

يقول عز اسمه : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[فصلت : ٦ ، ٧] ، ويقول جل في علاه : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[التوبة : ٣٤ ، ٣٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[آل عمران : ١٨٠] ، قال النبي ﷺ في تفسير هذه الآية : « **من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان**(١) ، **يطوقه يوم القيامة ؛ ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني : شدقيه ـ فيقول : أنا مالك ! أنا كنزك !**»(٢) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم ، فيجعل صفائح ، فيكوى بها جنباه وجبينه ؛ حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار . وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر، كأوفر ما كانت ، تستن عليه ؛ كلما مضى عليه أخراها ، ردت عليه أولاها ؛ حتى يحكم الله بين عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار. وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر ، كأوفر ما كانت ، فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ، ليس فيها عقصاء ، ولا جلحاء ، كلما مضى عليه أخراها ، ردت عليه أولاها ؛ حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار** »(٣) .

ألا فليسمع هذا الوعيد الشديد أرباب الآلاف والملايين ، وذوو الأرصدة والحسابات ، وأصحاب العقارات والتجارات ، وأصحاب المزارع والمواشي ؛ ليتصوروا هذا الموقف

---

(١) الزبيبة : نكتة سوداء فوق عين الحية . « النهاية » (زبب) .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٥٥) ، والبخاري (١٤٠٣) ؛ من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٢٦٢) ، والبخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (٩٨٧) .

الرهيب بين يدى الله جل جلاله ؛ فإنها ـ والله ! ـ لا يحمى عليها فى نار كنار الدنيا ـ مع شدتها وهولها ـ إنما يحمى عليها في نار جهنم التى يعجز عن وصفها التصوير ، ولا يفى بذكر أحوالها التعبير ، وإذا أحمى عليها ، لا يكوى بها طرف الجسد فقط ، وإنما يكوى بها الجسم كله من كل ناحية : من الأمام والخلف ، والجنب ، في الجباه ، والجنوب ، والظهور ، كلما بردت أعيدت ، وليس هذا العذاب فى يوم ، ولا شهر ، ولا سنة ، ولكن فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة !

فقولوا لى ـ بالله عليكم : من ذا الذى يطيق ذلك الهول العظيم ؟! فرحماك ربنا رحماك ! ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق : ٣٧].

فاتقوا الله ـ إخوة الإسلام ـ وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ، فقد أعطاكم الله الكثير ، وأغدق عليكم المال الوفير ، وطلب منكم أقل القليل ، ولو أن أثرياء المسلمين اليوم قاموا بهذه الفريضة حق قيام ، وصرفوا الزكاة فى مصارفها الشرعية ـ لم تجد على الأرض من يتسول لفاقة ، ومن يلح فى المسألة لحاجة، ولاختفت مظاهر الإجرام والسطو ، والاختلاس والسرقة ، ولكن نسأل الله أن يشرح صدور المسلمين ، ويجعلهم إخوة متعاونين متكاتفين ، يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويعطى غنيهم فقيرهم ؛ ليكونوا صفا واحدًا، ويدا واحدة ، فى عمارة أرض الله ، ورعاية حقوق عباد الله ، ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بهدى سيد المرسلين ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

أما بعد :

فيا عباد الله ، اتقوا الله تعالى ، وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة ، أدوها خالصة لوجه الله ، طيبة بها نفوسكم ، اغتنموها قبل أن تغرموها ، احذروا الرياء والسمعة عند إخراجها ، والمن والأذى لأصحابها ؛ فالزكاة حق الله ، لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعا ، أو يدفع عنها ضررًا ، أو أن يقى بها ماله ، أو يدفع بها عنه مذمة .

وليتق الله المعطى والآخذ ؛ فلا يجوز لمن ليس من أهلها أن يأخذ منها شيئًا ، ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب ؛ كما دل على ذلك الخبر عن سيد البشر ـ عليه الصلاة والسلام (١) .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الزكاة لا تنفع ولا تبرأ بها الذمة ، إلا إذا صرفت فى أحد المصارف الثمانية التى حددها الله بقوله ـ عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [التوبة: ٦٠] ، وقد ختمها الله بقوله : ﴿ **فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ .

وليس المقام مقام بسط وتوضيح لأحكام الزكاة ؛ فهى مدونة فى مظانها ، فمن يستطيع الرجوع إليها ؛ لينهل من معينها ـ فدونه ذلك ، ومن لم يستطع ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الهادى البشير ، والسراج المنير ؛ كما أمركم بذلك المولى اللطيف الخبير ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) رواه الطيالسى (٢٣٨٥) ، وأحمد (٢ / ١٦٤ ، ٣٧٧) ، وأبو داود (١٦٣٣) ، والترمذى (٦٥٢) ، والنسائى (٥ / ٩٩ ، ١٠٠) ؛ من حديث أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما، رضى الله عنهم .

كيف نستقبل رمضان ؟![(١)]

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى من علينا بمواسم الخيرات ، وخص شهر رمضان بالفضل والتشريف والبركات ، وحث فيه على عمل الطاعات ، والإكثار من القربات ، أحمده سبحانه على نعمه الوافرة ؛ وأشكره على آلائه المتكاثرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أفضل من صلى وصام ، وأشرف من تهجد وقام ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب النور والظلام .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة المسلمون ، اتقوا الله ـ تبارك وتعالى ـ واشكروه على ما هيأ لكم من المناسبات العظيمة ، التى تصقل الإيمان فى القلوب ، وتحرك المشاعر الفياضة فى النفوس ، فتزيد فى الطاعات ، وتضيق مجالات الشر فى المجتمعات ، وتعطى المسلمين دروسًا فى الوحدة والإخاء ، والتضامن والصفاء ، والبر والصلة والهناء ، والطهر والخير والنقاء ، والصبر والشجاعة والإباء ، إنها منهل عذب ، وحمى أمين ، وحصن حصين للطائعين ، وفرصة لا تعوض للمذنبين المفرطين ، ليجددوا التوبة من ذنوبهم ، ويسطروا صفحة جديدة بيضاء ناصعة فى حياتهم ، مفعمة بفضائل الأعمال ، ومحاسن الفعال ،ومكارم الخصال.

معاشر الإخوة ، وإن من أجل هذه المناسبات زمنا ، وأعظمها قدرًا ، وأبعدها أثرًا : ما نعيشه من عبق هذه الأيام المباركة ، والليالى الغر المتلألئة ، فى هذا الشهر الكريم ، نرتوى من نميره ، ونرتشف من رحيقه ، ونشم عاطر شذاه ، شهر مضاعفة الحسنات ، ورفعة الدرجات ، ومغفرة الذنوب والسيئات ، وإقالة العثرات ، فيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق أبواب النار ، وتصفد الشياطين ، من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ كما صح بذلكم الحديث عن رسول الله ﷺ ؛ فقد روى البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه** »[(٢)] ،و« **من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)] .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) « صحيح البخارى » (٣٨) ، و « صحيح مسلم » (٧٦٠) .

(٣) « صحيح البخارى » (٣٧) ، و « صحيح مسلم » (٧٥٩) .

إخوة الإسلام ، فرحة كبرى تعيشها الأمة الإسلامية هذه الأيام ، فها هى إزاء دورة جديدة من دورات الفلك ، تمر الأيام وتمضى الشهور ، ويحل بنا هذا الموسم الكريم ، وهذا الشهر العظيم ، هذا الوافد الحبيب ، والضيف العزيز ، وذلك من فضل الله سبحانه على هذه الأمة ؛ لما له من الخصائص والمزايا ، ولما أعطيت فيه هذه الأمة من الهبات والعطايا ، وخصت فيه من الكرامات والهدايا ؛ كما فى « الصحيحين » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين**(١) »(٢) .

فيا لها من فرصة عظيمة ، ومناسبة كريمة ، تصفو فيها النفوس ، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعى الخير ؛ تفتح الجنات ، وتتنزل الرحمات ، وترفع الدرجات ، وتغفر الزلات .

فى رمضان تهجد وتراويح ، وذكر وتسبيح ، فى رمضان تلاوة وصلوات ، وجود وصدقات ، وأذكار ودعوات ، وضراعة وابتهالات .

معاشر المسلمين ، إذا كان الأفراد والأمم محتاجين إلى فترات من الصفاء والراحة ؛ لتجديد معالم الإيمان ، وإصلاح ما فسد من أحوال ، وعلاج ما جد من أدواء(٣) ـ فإن شهر رمضان المبارك هو الفترة الروحية التى تجد فيها هذه الأمة فرصة لإصلاح أوضاعها ، ومراجعة تاريخها ، وإعادة أمجادها ، إنه محطة لتعبئة القوى الروحية والخلقية ، التى تحتاج إليها كل أمة ، بل تتطلع إليها الأفراد والمجتمعات المسلمة ، إنه مدرسة لتجديد الإيمان ، وتهذيب الأخلاق ، وشحذ الأرواح ، وإصلاح النفوس ، وضبط الغرائز ، وكبح جماح الشهوات .

فى الصيام : تحقيق للتقوى ، وامتثال لأمر الله وقهر للهوى ، وتقوية للإرادة ، وتهيئة للمسلم لمواقف التضحية والفداء والشهادة ؛ كما أن به تتحقق الوحدة والمحبة ، والإخاء والألفة ؛ فيه يشعر المسلم بشعور المحتاجين ، ويحس بجوع الجائعين ، الصيام مدرسة للبذل والجود والصلة ؛ فهو حقًا معين الأخلاق ، ورافد الرحمة ، من صام حقًا : صفت روحه ، ورق قلبه ، وصلحت نفسه ، وجاشت(٤) مشاعره ، وأزهفت أحاسيسه ، ولانت

---

(١) صفدت السياطين ، أى : شدت وأوثقت بالأغلال ، والصفد : القيد . « النهاية » (صفد) .

(٢) « صحيح البخارى » (٣٢٧٧) ، و « صحيح مسلم » (١٠٧٩) .

(٣) الأدواء : جمع داء ، وهو : المرض والعيب ، ظاهرًا وباطنًا . « النهاية » (دوأ) .

(٤) أى : تدفقت . « تاج العروس» (جيش) ، والمراد : كثر شعوره بفعل الخير .

عريكته(١) .

فما أجدر الأمة الإسلامية اليوم أن تقوم بدورها ، فتحاسب نفسها عند حلول شهرها، وما أحوجها إلى استلهام حكم الصيام ، والإفادة من معطياته ، والنهل من معين ثمراته وخيراته .

أيها الإخوة الصائمون ، إن استقبالنا لرمضان يجب أن يكون ـ أولا ـ بالحمد والشكر لله جل وعلا ، والفرح والاغتباط بهذا الموسم العظيم ، والتوبة والإنابة من جميع الذنوب والمعاصى ؛ كما يجب الخروج من المظالم ورد الحقوق إلى أصحابها ، والعمل على استثمار أيامه ولياليه صلاحا وإصلاحًا ؛ فبهذا الشعور والإحساس : تتحقق الآمال ، وتستعيد الأفراد والمجتمعات كرامتها ، أما أن يدخل رمضان ، ويراه بعض الناس تقليدًا موروثًا ، وأعمالا صورية محدودة الأثر ضعيفة العطاء ، بل لعل بعضهم أن يزداد سوءا وانحرافًا ـ والعياذ بالله ـ فذلك انهزام نفسى ، وعبث شيطانى ، له عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع .

فلتهنأ الأمة الإسلامية بحلول هذا الشهر العظيم ، وليهنأ المسلمون جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها بهذا الموسم الكريم ، إنه فرصة للطائعين للاستزادة من العمل الصالح ، وفرصة للمذنبين للتوبة والإنابة ، كيف لا يفرح المؤمن بتفتيح أبواب الجنان ؟! وكيف لا يفرح المذنب بتغليق أبواب النيران ؟! يا لها من فرص لا يحرمها إلا محروم ! ويا بشرى للمسلمين بحلول شهر الصيام والقيام ! فالله ـ عباد الله ـ فى الجد والتشمير ، دون استثقال لصيامه ، واستطالة لأيامه ، حذار من الوقوع فى نواقضه ونواقصه ، وتعاطى المفطرات الحسية والمعنوية !!

ولقد جهل أقوام حقيقة الصيام ؛ فقصروه على الإمساك عن الطعام والشراب ؛ فترى بعضهم لا يمنعه صومه من إطلاق اللسان ، والوقوع فى الغيبة والنميمة والكذب والبهتان ، ويطلقون للأعين والآذان الحبل والعنان ؛ لتقع فى الذنوب والعصيان ، وقد أخرج البخارى فى « صحيحه » ؛ أنه ﷺ قال : « **من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** »(٢) .

(١) العريكة : النفس ، ولانت عريكته ، أي : سلس خلقه وانقاد . « تاج العروس » (عرك) .

(٢) « صحيح البخارى » (٦٠٥٧) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

ولله در القائل :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاونٌ وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذن من صومى الجوع والظما فإن قلت إنى صمت يوما فما صمت[1]

أمة الإسلام ، إنه ليجدر بالأمة الإسلامية التى تعيش اليوم مرحلة من أشد مراحل حياتها : أن تجعل من هذا الشهر نقطة تحول ، من حياة الفرقة والاختلاف ، إلى الاجتماع على كلمة التوحيد والائتلاف ، وأن يكون هذا الشهر مرحلة تغير فى المناهج والأفكار والآراء ، فى حياة الأمم والأفراد ؛ لتكون موافقة للمنهج الحق الذى جاء به الكتاب والسنة، وسار عليه السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ وبذلك تعيد الأمة مجدها التليد[2] ، وماضيها المشرق المجيد ، الذى سطره تاريخ المسلمين الزاخر بالأمجاد والانتصارات فى هذا الشهر المبارك ؛ وما غزوة بدر الكبرى ، وفتح مكة ، ومعركة حطين ، ووقعة عين جالوت، وغيرها ، إلا شواهد صدق على ذلك .

إخوة الإسلام ، يحل بنا شهرنا الكريم ، وأمتنا الإسلامية لا زالت تعانى جراحات عظمى ، وتعايش مصائب كبرى .

فبأى حال يستقبل المسلمون فى الأرض المباركة من جوار الأقصى المبارك هذا الشهر الكريم ، وهم لا زالوا يعانوِن صلف الصهاينة المجرمين ؟!

بأى حال يعيش إخوانكم المبعدون المشردون عن ديارهم وأهليهم وأموالهم ؟! وما استمرار قضية أولى القبلتين ، ومسرى سيد الثقلين ، وثالث المسجدين الشريفين ، ما استمرار تلك القضية المأسوية إلا تحد سافر من إخوان القردة والخنازير ، لكل مبادئ الدين والعقل ، والحق والعدل ، والسلام والأمن .

بأى حال يستقبل إخوانكم المسلمون فى جمهورية البوسنة والهرسك هذا الشهر الكريم، وهم يعانون أبشع حرب إبادة عرفها التاريخ المعاصر ؟!

هذه نداءات أخواتكم المسلمات المغتصبات تعلو ، واستغاثاتهن تصرخ وتدوى ، على مسمع العالم وبصره ، عل نخوة تتحرك !! فها هن ينادين أهل الدين والشهامة والغيرة : بأنكم إذا استقبلتم شهركم بالفرح والاستبشار ، فنحن نستقبل ـ بكل آسى وحرقة ـ وضع أولاد الصرب من جرائم الاغتصاب المتوحشة ، وكلنا ألم وحسرة وبكاء ، نخشى أن يستمر إلى الأبد !

---

(١) البيتان ذكرهما ابن رجب فى « لطائف المعارف » (ص ٢٩٢) .

(٢) التليد ، أى : القديم . « تاج العروس » (تلد) .

ويستصرخن أيضًا : أطاب لكم عيش ؟! أطاب لكم نوم ؟! أطاب لكم فرح ؟! أطابت لكم سعادة ، وأنتم تعلمون ما نحن فيه؟! لقد هزت صرخة « وامعتصماه !» - من امرأة واحدة فقط - الأمة كلها (١) ، فكيف بستين ألف امرأة ؟! متى تصل « وامعتصماه!» إلى قلوبكم؟! إنها إن لم تصل فى مثل هذا الشهر الكريم، فليس للحياة طعم بعد اليوم!

بأى حال يستقبل المسلمون فى الصومال هذا الشهر الكريم ، وهم يعانون حياة الجوع، والتقتيل ، والتشريد ؟!

وإذا سمعت ما يدور فى بلاد الأفغان ، اعتصرك الألم ، وأنت ترى وتسمع أن الأخ يقاتل أخاه ويوجه سلاحه إلى صدره ، وساءك تفرق الكلمة ، وتشتت الجهود ، وتبعثر الصفوف !

وإذا انتقلت إلى مآس أخرى ، وجدت فى بلاد الهند ، وكشمير ، وبورما ، وإريتريا، والفلبين ، وغيرها كثير ، ما يندى له الجبين ، لكن الأمل كبير ، والفأل عظيم : أن تكون هذه المآسى سحابة صيف توشك أن تنقشع عن قريب ، وليس بعزيز على الله : أن ترفع راية الجهاد فى سبيل الله ؛ لإعلاء كلمة الله ؛ كما رفعت فى مثل هذا الشهر المبارك عبر تاريخنا المديد !

أيها الإخوة فى الله ، فى رمضان تتربى الأمة على الجد ، وأمة الهزل أمة مهزومة ، فى رمضان يتربى أفراد الأمة على عفة اللسان ، وسلامة الصدور ، ونقاء القلوب ، وتطيرها من أدران الأحقاد والبغضاء ، والحسد والغل والشحناء ، ولا سيما من طلبة العلم، والمنتسبين إلى الخير والدعوة والإصلاح ؛ فتجتمع القلوب ، وتتوحد الجهود ، ويتفرغ الجميع لمواجهة العدو المشترك ، ونتخلى جميعًا عن تتبع السقطات ، وتلمس العثرات، والنفخ فى الهنات ، والحكم على المقاصد والنيات .

فى رمضان : يطلب من شبابنا تحقيق دورهم ، ومعرفة رسالتهم ، وقيامهم بحق ربهم، ثم حقوق ولاتهم ووالديهم ومجتمعهم .

فى رمضان : تتجسد ملامح التلاحم بين المسلمين رعاتهم ورعاياهم ، علمائهم وعامتهم ، كبيرهم وصغيرهم ؛ ليكون الجميع يدا واحدة ، وبناء متكاملا ؛ لدفع تيارات الفتن ، وأمواج المحن ؛ أن تخرق السفينة ، وتقوض البناء ، ويحصل جراءها الخلل الفكرى والاجتماعى .

---

(١) انظر : قصة « وا معتصماه ! » وفتح عمورية على يدى الخليفة المعتصم فى « تاريخ الطبرى » (٩ / ٥٧) ، و « البداية والنهاية » (١٤ / ٢٥٢) .

فى رمضان : تكثر دواعى الخير ، وتقبل عليه النفوس ؛ فهو فرصة للدعاة والمصلحين، وأهل الحسبة والتربويين : أن يصلوا إلى ما يريدون من خير للأمة بأحسن أسلوب وأقوم منهاج ؛ فالفرصة مواتية ، والنفوس مقبلة .

فاتقوا الله ـ عبدا الله ـ وأدركوا حقيقة الصوم وأسراره ، وتعلموا آدابه وأحكامه ، واعمروا أيامه ولياليه بالعمل الصالح ، وصونوا صومكم عن النواقض والنواقص ، وجددوا التوبة وحققوا شروطها ؛ لعل الله أن يتجاوز عن ذنوبكم ، ويجعلكم من المرحومين المعتقين من النار بمنه وكرمه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، جعل الصيام جنة ، وسببا موصلا إلى رضوانه والجنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إله الإنس والجنة ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه بالهدى ودين الحق تفضلا منه ومنة ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - واشكروه على بلوغ هذا الموسم الكريم ، وعظموا منزلته ، واقدروه حق قدره ، ولا تستكثروا خيراً فعلتموه ، وتآسوا برسولكم ﷺ ؛ فقد كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ؛ يقول ابن القيم - رحمه الله : « وكان هديه فيه - عليه الصلاة والسلام - أكمل هدى وأعظمه تحصيلا للمقصود ، وأسهله على النفوس ، وكان من هديه ﷺ في رمضان : الإكثار من أنواع العبادة ، وكان جبريل يدارسه القرآن ، وكان يكثر فيه الصدقة والإحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر والاعتكاف ، وكان يخصه من العبادات بما لا يخص به غيره »(١) .

وقد سار على ذلك السلف الصالح - رحمهم الله - حيث ضربوا أروع الأمثلة في حسن الصيام ، وإدراك حقيقته ، وعمارة أيامه ولياليه بالعمل الصالح .

واعلموا - يا إخوة الإسلام - أنكم كما استقبلتم شهركم هذا ؛ ستودعونه عما قريب ، وهل تدرى - يا عبد الله - هل تدرك بقية الشهر ، أو لا تكمله ؟! إننا - والله - لا ندرى ، ونحن نصلى على عشرات الجنائز في اليوم والليلة : أين الذين صاموا معنا فيما مضى؟! إن الكيس اللبيب من جعل من ذلك فرصة لمحاسبة النفس ، وتقويم اعوجاجها ، وأطرها(٢) على طاعة ربها قبل أن يفجأها الأجل ؛ فلا ينفعها - حينذاك - إلا صالح العمل ، فعاهدوا ربكم - يا عباد الله - في هذا المكان المبارك في هذا الشهر المبارك ، على التوبة والندم ، والإقلاع عن المعصية والمآثم ، واجتهدوا في الدعاء لأنفسكم وإخوانكم وأمتكم .

أيتها الأخت المسلمة ، إن الصيام يؤدب على الخير والفضيلة والحياء ، ويسلك بالمرأة مسالك الحشمة والعفاف ؛ وما يرى من مظاهر التبرج والسفور والاختلاط ، إنما هو دليل على سوء الفهم لهذه الشعيرة .

---

(١) « زاد المعاد ، في هدى خير العباد » (٢ / ٣٠ - ٣٢) .

(٢) أطر الشيء : عطفه وثنيه . « اللسان » (أطر) .

أيها الأثريـاء ، جودوا بأموالكم فى شـهر الجـود ، ولا تبخلوا ، وشاطـروا إخوانكم المسلمين آلامهم وآمالهم .

هذا وصلوا وسلموا ـ رحـمكم الله ـ على خير الصـائمين ، وأفضل القائمين ؛ كـما أمركم بذلك ربكم رب العالمين ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[الأحزاب : ٥٦] .

« يا باغي الخير، أقبل! » (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونثنى عليه الخير كله ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من على عباده بمواسم الرحمة والمغفرة، وجاد عليهم بأوقات البر والإحسان ، وأزمان الخير والفضل والامتنان ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، خير من صلى وصام ، وأفضل من تهجد وقام ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله - تبارك وتعالى - واشكروه على نعمه الوافرة ، ومننه المتكاثرة ، ألا وإن من أعظم آلاء الله على عباده : ما شرع لهم من العبادات العظيمة ، والمواسم الكريمة ، التى بها تزكو نفوسهم ، وتمتلىء خيرًا وصلاحًا ، وبركة ونماء ، وتشع نورا وضياء ، وتتلألأ إشراقًا وصفاء ، وإن ما تعيشه أمة الإسلام هذه الأيام فى ظلال هذا الشهر الكريم ، والموسم العظيم ، حيث الأيام المباركة ، والليالى الغر الفاضلة - لهو من أعظم الفرص الإيمانية التى لا تعوض ، ولا تقدر بثمن ، كيف لا والمسلمون يعيشون فيه مع القرآن ، ويبتغون فيه الرحمة والمغفرة والرضوان ، والفوز بالجنان ، والعتق من النيران، ويتعرضون فيه لنفحات الملك الديان ؟! حقًا إن هذا الشهر الكريم ، ميدان خير وتقى ، وصلاح وهدى ، يستبق فى ساحته المؤمنون ، ويتنافس فى إدراك فضله المتنافسون ، ولكن هل يعى المسلمون مآثر هذا الشهر الكريم ؟! وهل يعرفون حكمه وأسراره ، وفضائله وآثاره؟! وهل يلتزمون منهجه السليم ، وطريقه القويم ؟! وهل يطبقون ويعملون بما من أجله شرع الصيام ، أو أن كثيرًا منهم جهل حكمة تشريعه ، وتناسى آثاره الخيرة ، وسننه النيرة ، واكتفى من الصيام بحبس نفسه عن الطعام والشراب ، والمفطرات الحسية ، فحسب؟!

أيها الإخوة المؤمنون ، إن أمة الإسلام بحاجة ماسة إلى أن يستدعى أبناؤها معانى

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

المحاسبة والتدبر ، والتقويم والتفكر ، التى يبرزها هذا الشهر الكريم ، الذى يمثل جامعة للخير والبر ، ومدرسة للحلم والصبر ، ومنارة للإيمان والتقوى ، وحصنا من الفتن والأدواء، وغذاء للأرواح ، وبلسما للجراح ، وكابحا للشهوات والغرائز ، وشاحذا للهمم والعزائم ، وجاليا لسخائم [١] النفوس وأمراض القلوب ، وطريقا لتآلف الأمة ، وتراحم أبنائها ، وتعاونهم ؛ فهو - بحق - ربيع المؤمنين ، وغنيمة الصالحين ، وفرصة العصاة والمذنبين ؛ به تتذكر أمة الإسلام مجدها الخالد ، وعزها التالد ، وماضيها المشرق ، وانتصاراتها الباهرة ، فيحفز ذلك الهمم ، ويصقل المشاعر والأحاسيس ؛ ليقف كل مسلم موقف جد ، محاسبا لنفسه : هل تنبه فى هذا الشهر الكريم من غفلته ، واستيقظ من رقدته ، أو أن حاله فى هذا الشهر كحاله فى غيره ؛ تأسره المعاصى ، وتلهيه سكرة الهوى وطول الأمل ؟!

معشر الإخوة الصائمين ، إن الأخطاء المتفشية فى واقع الصائمين لجديرة بالمعالجة ، وتشخيص أسبابها التى يجمعها : قلة البصيرة فى دين الله ، وضعف الارتباط بفقه حكمه وأحكامه ، وإنه لينبغى على كل صائم - يرجو قبول صيامه - أن يبادر إلي عرض حاله فى هذه الفريضة العظيمة على ميزان الشرع ، ومعيار السنة المطهرة ؛ فسوء فهم بعض المسلمين لهذه الشعيرة العظيمة جعل لهذه الظواهر رواجا فى واقع المسلمين ؛ وإلا فمن لم يستفد من عبادة الصوم دروسًا وعبرا، وآثارًا وفكرًا - فمتى يستفيد ؟! ومن لم يقوم نفسه فى رمضان - فمتى يقومها ؟!

إن لم تعد أمة الإسلام إلى تحكيم شريعة الله ، والإقبال على كتابه فى هذا الموسم الكريم - فمتى تعود ؟! إن لم يتحرك علماؤها ومصلحوها ، ودعاتها ومفكروها للقيام بواجبهم - تعليما وحسبة ، وإصلاحًا وقربة - فمتى عساهم أن يتحركوا ؟! إن لم تجتمع كلمة المسلمين - وقد اجتمعوا على هذه الشعيرة ، صياما وعبادة وقيامًا - فمتى تتوحد صفوفهم ، وتجتمع كلمتهم ، وتتطهر قلوبهم من معانى الغل والحقد ، والحسد والضغينة؟! إن لم تعف ألسنتهم عن الكذب والغيبة ، والنميمة والبهتان - فمتى تكف ؟! إن لم يتحرروا من الشهوات والأهواء ، ويعودوا إلى ساحات الاهتداء والاقتداء - فمتى يفعلون ذلك ؟!

إن لم يقبل على الله ، من شغلته عن دينه دنياه - فمتى يقبل ؟! إن لم ينتفع شباب المسلمين من هذه المواسم العظيمة - صلاحا وإصلاحًا - فمتى ينتفعون ؟! وإن لم تعد نساء

---

(١) السخائم : جمع سخيمة ، وهى الحقد والضغينة فى النفس . « اللسان » (سخم) .

المسلمين إلى أجواء الإيمان والعفاف ، والاحتشام والحجاب - فمتى يعدن ؟! إن لم ينفق الأثرياء ويجودوا بأموال الله التى ابتلاهم بها - فمتى يجودون ؟!

أمة الإسلام ، إن هذا الشهر المبارك الذى يجد فيه المسلمون فسحة للعبادة والإقبال - يجب أن يكون منطلقًا لرجعة ثابتة ، وعودة صادقة إلى الله - جل جلاله - وليست تغيرا مؤقتا فى أيام معدودة ، فيا سعادة الصائمين ، ويا بشرى - والله - للقائمين ؛ إيمانًا واحتسابًا، دون تثاقل وملل ، ومن غير استطالة أو كلل !

أخي الصائم ، إن على المسلم ألا يستكثر عمله على ربه ؛ من صيام وقيام ، وصدقة واعتكاف ، وتلاوة ودعاء ؛ فكل عمله - مهما كثر - قليل فى جانب نعم المولى - جل وعلا - عليه ، وإنه لمن الحرمان والغبن والخسارة : أن تمر أيام وليالى هذا الشهر المبارك ، وفيه من المسلمين من لم يرفع رأسا لاغتنام هذه الأوقات ، فيقطعون النهار بالنوم والكسل، والليل بالسهر واللهو والمحرمات ، والفتن فى المشتهيات والملذات ، وإطلاق الجوارح - أسماعًا وأبصارًا وألسنة - إلى ما حرم الله عز وجل .

ألا يتذكر أولئك سرعة زوال هذا الشهر ؟! ألا يحسنون الأدب مع شهر الله المبارك ؟! أين محاسبة النفوس يا عباد الله ؟! لقد مرت العشر الأول من هذا الشهر المبارك كلمح البصر ، بل مر شطره وانتصف ، وكثير من المسلمين فى غفلة معرضون ، وفى غمرة ساهون ؛ ألا نعتبر بمن كان معنا فى رمضان الماضى ؛ ولكن حال الموت بينهم وبين إدراك رمضان هذا العام ، بل وافاهم رمضان وهم تحت الثرى ، وقد سرى فيهم البلى ؟! ونحن لا ندرى ؛ هل نتم هذا الشهر أو يحول بيننا وبين إكماله هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات؟!. . فالله المستعان !

لقد انتصف الشهر ، وقد كنا بالأمس القريب نتمنى حلوله ، ونتشوق لاستقباله ، وقريبا سينقضى كما انقضى غيره ،وتلك سنة الله سبحانه ؛ فهل من وقفة - يا عباد الله - لمحاسبة النفوس ، وفتح صفحة جديدة من الأعمال الصالحة ؟! لا سيما ونحن نعيش هذه الأيام العشر الأواسط من رمضان ، عشر المغفرة ؛ فهل من متعرض لنفحات المولى جل وعلا ؛ لعله يكسب هذا الفضل العظيم ؟! نحن مقبلون على الأيام العشر الأواخر من رمضان التى ترجى فيها ليلة القدر ؛ فهل من مشمر لعبادة الله ، ومتعرض لعفو الله ؟! أما آن للقلوب الغافلة ، والنفوس الشاردة : أن تقبل على الله قبل فوات الفرص ، وانقضاء الأعمار ؟! كلنا - ولا شك - ينشد رفعة الدرجات ، وتكفير السيئات ، والفوز بالجنات ؛ إذن : فهذه مواسم المتاجرة مع رب الأرض والسموات ، فياباغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر .

يا إخوة الإسلام ، أمـة الصيام والقيـام ، فى هذه العشر المباركـة تحقق فى تاريخ هذه الأمة حدث عظيم ، وحصل فتح مبين ، حدث غـير مجرى التاريخ ، وغدا غرة فى جبين أمة الإسلام ، وشـامة فى دنيا ماضـيها وحاضـرها ؛ كما يمثل درسا لأبناء هذه الأمـة عبر الأزمنة ؛ ليعلـموا وليوقنوا أنه لا عـز لهم ولا قوة إلا بتـمسكهم بدينهم ، وإقـبالهم على ربهم واهب النصر والقوة ؛ أتدرون ما هذا الحدث ؟! إنه اليـوم الذى نصر الله فيه الإسلام وأهله ، وأذل الشرك وأهلـه ، إنه يوم الفرقان الذي فـرق الله فيه بين الحـق والباطل ، فى غزوة بدر الكبـرى ، حين انتصر المسلمـون وهم قلة فى العدد ، ضعـاف فى العدة ، على جحافل(١) الكفر ، وفلول الشرك ، ومـا ذاك إلا لأنهم نصروا دبن الله ؛ فنصرهم الله ، وحقق لهم وعده ؛ ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج : ٤٠] ، ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم : ٤٧] .

إنه ليجـدر بأمة الإسـلام اليوم ، وقد أحـاطت بها الفتن ، وتكاثرت عليـها المحن ، وتداعت عليها الأمم (٢) : أن تأخذ من ماضـيها المجيد الدروس والعبـر ، فأمة لا ماضى لها ، لا حاضر ولا مستقبل لها ، ونحن أمة لها حضارة وأصالة وتاريخ ، لها ماض تليد، وحاضر عتيد ، ومستقبل ـ بإذن الله ـ مشرق سعيد ، ولا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بالسير على ما صلح عليه أولها .

إنه ليجب على المسلمـين أن يعرفوا أن شهـر رمضان شهـر الجد والاجتهـاد ، والقوة والجهاد ، شهر الانتصارات القاهرة ، والفتوحات الباهرة ، وإنه كلما احلولك الظلام(٣) ، وعمت غـيوم الكوارث والحـوادث ديار الإسلام ـ فـإن الفأل مطلوب ، والأمل مـوجود ، وبوارق النصر توشك أن تعلو ـ بحـمد الله ـ يجسد ذلك صحوة إسـلامية عالمية مـباركة ، عمت جمـيع أصقاع(٤) الدنيا بفضل الله ؛ فـفى ديار المسجد الأقصى المبـارك : ما يبعث على الأمل بنصر الله سبحانه فى جـهاد إخواننا هناك من أبناء فلسطين المسلمة ، وفى ذلك مدعـاة لجمـيع المسلمين فى كل مكان أن ينتـفضـوا ـ بعلم وعقل وحكمـة ـ على كل فكر دخيل، ومنهج غير أصيل ، وعلى كـل سلوك هزيل مناف لتعاليم ديننا الحنيف ، وقل مثل ذلك فى بقاع شتى من العالم الذى سيبتـهج بنصر الله الذى نرجو أن يتم ويتحقق عاجلا ـ بإذن الله : ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢٠] .

---

(١) الجحافل : جمع جحفل ، وهو الجيش الكثير . « اللسان » (جحفل) .
(٢) أى : اجتمعوا عيها وتألبوا ضدها ، ودعا بعضهم بعضا . « اللسان » (دعو) .
(٣) احلولك الظلام : اشتد سواده ، والحلكة : شدة السواد كلون الغراب . « اللسان » (حلك) .
(٤) الأصقاع : النواحى ، جمع صقع . « اللسان » (صقع) .

فهل نعيد لرمضان - يا إخوة الإسلام - دوره ومكانه فى التأثير الحيوى على واقع أمتنا؟! وهل نواصل حياة العبادة والبر والصلة ؟! وهل نحقق التوحيد والوحدة ، والتراحم والإحسان ، والجود والعطف والمواساة ؟! هذا ما نرجوه ونؤمله ، ونعيش بشائرة - بحمد الله - وتوفيقه ، أقر الله الأعين لصلاح أحوال المسلمين فى كل مكان ؛ إنه جواد كريم .

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى الله وإياكم بهدى سيد المرسلين ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى جعل الصيام جنة ، ووسيلة موصلة إلى التقوى والجنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذى شرع لنا الصيام تفضلا منه ومنة ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الداعى إلى خير ملة وأقوم سنة ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وعظموا حرماته وشعائره، واقدروا هذا الشهر قدره، واستثمروا ساعاته وأيامه ولياليه ،وصونوا صومكم عن كل ما ينقضه وينقصه ، وحذار أن تكونوا ممن حظه من صيامه الجوع والعطش ، ومن قيامه السهر والنصب(١) ، نعوذ بالله من الحرمان!

وليكن لكم فى نبيكم ﷺ القدوة الحسنة ؛ فقد كان أجود الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان أجود ما يكون فى رمضان ، وكان كالريح المرسلة ؛ مسارعة فى الخير ، ومسابقة إلى البر والإحسان ، فإذا كان هذا عمل من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بحالنا نحن الضعفاء ؟! فالله المستعان !

أيها الإخوة فى الله ، أذكركم يا من تقبلون على الله فى صلاة وذكر ، وتلاوة ودعاء: بأن الله افترض عليكم زكاة أموالكم ، وجعلها ثالث أركان الإسلام ؛ فاحرصوا على إخراجها طيبة بها نفوسكم ، وجودوا بما أفاء الله به عليكم ؛ بمساعدة إخوانكم المسلمين المساكين المحتاجين ، والمجاهدين والمتضررين فى كل مكان ، لا تنسوا إخوانكم ، وأمتكم الإسلامية من دعائكم الصالح فى الشهر المبارك ، ويعلم الله ـ يا إخوة الإيمان ـ كم كان سلاح الدعاء سببا فى انفراج كثير من الكربات ، وتذليل كثير من العقبات ؛ قالله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

عباد الله ، خذوا العهود على أنفسكم بالسير على طريق الصلاة والاستقامة، والتوبة والإنابة فى كل أموركم؛ لعلكم تحظون بالرحمة والمغفرة، والعتق من النار فى هذا الشهر الكريم!

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على نبى الرحمة والهدى ، أفضل الصائمين ، وأشرف القائمين ؛ فقد أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فى محكم كتابه المبين ؛ فقال جل من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) النصب : الإعياء من العناء . « اللسان » (نصب) .

حالنا بعد رمضان !(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله على جزيل نـعمائه ، وجزيل إحسانه ، أحمـده تعالى وأشكره على سوابغ آلائه ، وترادف امـتنانه ، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك له ، وأشهد أن نبـينا محمدًا عبده ورسوله ، الداعى إلى مـغفرته ورضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ومن سار على النهج القويم ، ودعـا إلى صراط المستقيم إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله ـ تبارك وتعالى ـ اتقوه ظاهرًا وباطنًا ، سرًا وعلنا ، اتقوا الله حيثما كنتم ، اتقوه فى كل زمان ومكان ، وفى كل وقت وآن ، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

عباد الله ، إن المسلم حقًا من تكون تقوى الله شعاره طيلة عـمره ، ولباسه مدة حياته، وإن المؤمن صادق الإيمان من يكون عمله بالطاعات ، واجتنابه للمعاصى والخطيات ، ديدنًا له ومنهاجًا ، إلى أن يتوفاه الله ؛ فلا تزيده مواسم الخيـر إلا اجتهادًا فى العبادة ، وحرصًا على الطاعة، وترويضًا (٢) للنفس على الخير ، فإذا انقضت هذه المواسم ، فإن آثارها تبقى متمثلة فى حياته ؛ صورًا حية ، وواقعًا ملموسًا ، وعملا مشاهدًا محسوسًا .

أيها المسلمون ، يا من ودعتم قبل أيام شهرًا كريمًا ، وموسـما عظيمًا ؛ صمتم نهاره، وقـمتم مـا تيسـر من ليله ، وأقـبلتم على تلاوة القـرآن ، وأكثـرتم من الذكر والدعـاء ، وتصدقتم بجود وسخاء ، وتقربتم إلى ربكم بأنواع القربات ؛ رجاء ثوابه ، وخوف عقابه، فكم من جهود بذلت ، وأجساد تعبت ، وقلوب وجلت ، وأكف رفعت ، ودموع ذرفت، وعبرات سـكبت ،وحق لها ذلك فى موسم المتاجـرة مع الله ، في موسم الرحمة والمـغفرة والعتق من النار .

إخوة الإسلام ، لقد مر بنا هذا الشهر المبارك كطيف خيال(٣) ، مر بخيراته وبركاته، مضى من أعـمارنا وهو شاهد لنا أو علينا بما أودعـناه فيه ، فليفـتح كل واحد منا صفـحة

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) روض النفس على الخير أو الشر ترويضًا، أى : ذللها ووطأها عليه . انظر : « اللسان » (روض).

(٣) طاف به الخيال طيفا : ألم به فى النوم . « اللسان » (طوف) .

المحاسبة لنفسه : ماذا عمل فيه ؟! وما مدى تأثيره على العمل والسلوك ؟! هل أخذنا بأسباب القبول بعده ، واستمررنا على العمل الصالح ، أو أن واقع كثير من الناس خلاف ذلك ؟!

هل تأسينا بالسلف الصالح ؟! الذين توجل قلوبهم ، وتحزن نفوسهم ، عندما ينتهى رمضان ؛ لأنهم يخافون ألا يتقبل منهم عملهم ؛ ولذا فقد كانوا يكثرون الدعاء بعد رمضان أن يتقبل منهم ؛ يقول سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رسول الله ﷺ عن أهل هذه الآية أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ؟ قال : « **لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ، ويصومون ، ويتصدقون ، ويخافون ألا يتقبل منهم** »(١) ، وقد قال عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧] .

فحرى بكل عاقل ، وينبغى على كل مسلم : أن ينظر فى حاله ، ويفكر فى أمره ، ويتعرف على علامات الربح والخسارة بعد العمل ، وأهمها : الاستمرار على العمل الصالح ، وإتباع الحسنة الحسنة :

فمن كانت حاله بعد رمضان أحسن منها قبله منيبا ؛ بأن كان مقبلا على الخير ، حريصا على الطاعة ، مواظبًا على حضور الجمع والجماعات ، تائبًا منيبًا ملتزما مستقيمًا صالحا ، بعيدا عن المعاصى : فهذه أمارة قبول عمله ، إن شاء الله تعالى .

أما من كان حاله بعد رمضان ، كحاله قبله ، فهو ـ وإن أقبل على الله فى هذا الشهر ـ إلا أنه سرعان ما ينكص على عقبيه ، ويعود إلى المعاصى ، ويهجر الطاعات ، ويجترح ما حرم الله ، ويضيع الصلوات ، ويتبع الشهوات ، ولا يصون سمعه وبصره وجوارحه ، وأقواله وأفعاله وأمواله عن المحرمات ـ : فهذا لا يزداد من الله إلا بعدا ، والعياذ بالله .

غريب ـ يا أهل الإسلام ـ أن يسىء أبناء هذا الدين الفهم لشعائر الإسلام ، فلا يعملون الطاعات إلا فى مواسم معينة ، وأوقات محددة ، فإذا انتهت ، كان ذلك آخر عهدهم بها ! نعوذ بالله من العمى بعد الهدى ؛ ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** ﴾ [النحل : ٩٢] .

سئل بعض السلف عن أناس يتعبدون فى رمضان ، فإذا انسلخ رمضان ، تركوا ؟ فقال : « **بئس القوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان** » .

فاتقوا الله ـ يا عباد الله ـ يا من عرفتم الخير فى رمضان ، كيف تزهدون فيه بعد ؟!

---

(١) رواه أحمد (٦ / ١٦٠ ، ٢٠٥) ، والترمذى (٣١٧٥) ، وابن ماجة (٤١٩٨) .

أنسيتم أن رب الشهور كلها واحد ، وهو على كل أحوالكم وأعمالكم رقيب مشاهد ؟! يا من أقبلتم على ربكم فى رمضان ، كيف نسيتموه بعده ؟! يا من عرفتم أن الصلاة واجبة فى أوقاتها ، وفى الجماعة فى بيوت الله ، كيف تجاهلتم ذلك بعد رمضان ؟! يا من علمتم أن الله حرم عليكم المعاصى ، كيف رجعتم إليها ؟! يا من كنتم تقبلون على القرآن ، كيف هجرتموه ؟!

يا لفداحة المصيبة ! يا لعظم الحرمان أن يحور(١) أناس بعد الخير إلى الشر ، وبعد الهدى إلى الضلالة ، وبعد طريق الجنة إلى طريق الجحيم ، والعياذ بالله !

أمة الإسلام ، أين آثار الصيام التى تركها فى نفوس المسلمين ؟! أين الدروس والعبر التى أخذت من هذه الفريضة العظيمة ؟! أين التقوى والقوة والتضحية والصبر ، والمودة والعطف ، والتعاون الذى يجب أن يكون عليه المسلمون فى كل وقت ؛ ليتحقق فيهم وصف القرآن ، وليكونوا كما أراد الإسلام ؟! إن هذه الآثار يجب أن تبقى متمثلة فى حياة المسلمين أبديا لا آنيا ، وسرمديا لا وقتيًا !

أمة الخير والاستقامة ، أنسيتم أن الله افترض عليكم طاعته ، وألزمكم بعبادته فى كل وقت ، ولم يجعل لذلك غاية إلا حلول الأجل ؟!

قرأ الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ؛ فقال : « إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت »(٢) .

ألا فليعلم ذلك جيدًا من ودعوا الأعمال الصالحة بوداعهم رمضان ؛ أفأمن هؤلاء أن ينزل بهم الموت ساعة من ليل أو نهار ، وهم على حال لا ترضى العزيز الجبار ، ولا تنفعهم يوم العرض على الواحد القهار ؟! أما آن لنا ـ أمة الإسلام ـ أن ندرك أن ما أصابنا من ضعف وفرقة ، إنما هو من عند أنفسنا ، ونتيجة لعدم فهم كثير منا لأحكام ديننا ، وضعف استفادتنا من مواسم البر والإحسان ، إذا لم تعمل هذه المواسم عملها فى القلوب؛ فتحييها بعد موات ، وعملها فى الأمة ؛ فتجمعها بعد شتات ، ولم تجد فى حل المشكلات، وعلاج المعضلات ، والخروج من الفتن والآفات : فإن ذلك دليل على قلة البصيرة ، وتردى الوعى ، وسوء الفهم للأحكام الشرعية .

أما إذا استقامت الأمة على العبادة ، ولم تهدم ما بنته فى مواسم الخير ، ولم تبطل ما عملته فيها ، ولم تستسلم لنزعات الشيطان وأعوانه ـ : فإنها تمسك بحبل النجاة لتصل إلى

---

(١) حار يحوز حورًا : رجع وتغير من حال إلى حال . « تاج العروس » (حور) .
(٢) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (١٨) .

بر السلام ، وشاطىء الأمان ، بإذن الله .

ونداء ملؤه الحنان والإشفاق إلى الذين عزموا على العودة إلى المعاصى بعد رمضان : أن يتقوا الله سبحانه ؛ فالعمر قصير ، والآجال محدودة ، والأنفاس معدودة ، فإلى متى الاسترسال فى الغفلة والإعراض ؛ فلتعلنوها جميعا توبة صادقة لا رجعة بعدها إلى الذنوب ؛ فهذا ـ والله ـ هو الشكر الحقيقى لنعمة الصيام !

ومن العلاج لهذه الظاهرة : تناصح المسلمين ، وتعاونهم فيما بينهم والقيام بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والأسلوب الأمثل ، كل على قدر استطاعته .

وفقنا الله جميعا إلي عمل الصالحات ، واجتناب المنكرات ، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وعند الممات ؛ إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

أقول قولى هذا ،وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله موالى النعم ومبيد النقم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى العرب والعجم ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أولى العزائم والهمم .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ اشكروه على نعمه التى لا تحصى ، وعلى آلائه التى أرسلها إليكم تترى (١) ، فقد والى عليكم جل وعلا النعم والفضائل ،وتابع عليكم مواسم الخير؛ لرفعة درجاتكم ، وزيادة حسناتكم ، وتكفير سيئاتكم .

ومن ذلك : ما ندبكم إليه فى شهركم هذا شهر شوال ، من صيام ستة أيام منه ، ورتب على ذلك الأجر العظيم ؛ روى مسلم فى « صحيحه » ، من حديث أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« من صام رمضان ، ثم أتبعه ستا من شوال ، كان كصيام الدهر »** (٢) وقد يسر الإسلام فى ذلك ، فلم يلزم بتتابعها فى الشهر ، ولا بلزومها فى كل عام .

فالكيس من شمر فى عبادة الله قبل أن يتوفاه الله ، وتذكر بذلك سرعة تصرم العمر(٣) ، وقرب حلول الأجل ، والعاجز من فتح على نفسه باب التسويف والتثاقل ، واسترسل فى الغفلات والشواغل ،واكتفى بالآمال والأمانى ، فيندم حيث لا ينفعه الندم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾** [الأنفال : ٢٠ ، ٢١] .

ألا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الهادى البشير ، والسراج المنير ، كما أمركم بذلك اللطيف الخبير ؛ فقال فى محكم التنزيل : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) تترى ، أي : متواترة متتابعة . « اللسان » (وتر) .

(٢) « صحيح مسلم » (١١٦٤) .

(٣) سرعة تصرم العمر ، أى : سرعة انقضائه وانقطاعه . « اللسان » (صرم) .

الإعلام بقدسية البلد الحرام (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ذى المن والاقتدار ، المتفرد بالخلق والاختيار ، القائل فى محكم التنزيل : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص : ٦٨] .

أحمده تعالى على نعمه الغزار ، وأشكره على فضله المدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار ، سبحانه هو الله الواحد القهار ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، المصطفى المختار ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأبرار ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله - تبارك وتعالى - واشكروه على نعمه الظاهرة والباطنة .

عباد الله ، إن المتأمل فى أحوال هذا الكون يجد أن من أعظم الدلائل على وحدانية الله، وأكبر الشواهد على ربوبيته ، وكمال حكمته ، وعلمه وقدرته : أنه - جل وعلا - يختار ما يشاء من الأشخاص والأمكنة ، ويخص ما يريد من الأشياء والأزمنة ؛ لمقاصد عظمى ، وغايات كبرى ، تقوم عليها مصالح العباد ؛ فلا شريك له سبحان ، يختار كاختياره ، ويدبر كتدبيره ؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

ومن ذلك : أن اختار سبحانه الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين ، فاصطفى سبحانه الأنبياء من ولد آدم ،واختار الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - منهم : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، واختار من الرسل أولى العزم (٢) ، واختار من أولى العزم الخليلين إبراهيم ومحمداً ، عليهما الصلاة والسلام .

ومن ذلك : أن اختار ولد إسماعيل من أجناس بنى آدم ، ثم اختار منهم بنى كنانة ، ثم اختار من بنى كنانة قريشًا ، ثم اختار من قريش بنى هاشم ، ثم اختار من بنى هاشم سيد ولد آدم محمداً ﷺ ، واختار له أصحابا هم أفضل الأمة بعده ،واختار أمته وفضلها على سائر الأمم ؛ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) وهم خمسة من رسل الله - على الراجح - وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - وأولوا العزم ، أى : أصحاب الحزم والجد والصبر . انظر : « تفسير البغوى » (٧ / ٢٧١) .

فلله ـ وحده ـ القدرة النافذة ، والحكمة البالغة ، فيما يخلق ويختار .

وإن مما اختاره الله ـ عز وجل ـ لعباده من الأمكنة المباركة : هذا البلد الحرام ، خير الأماكن ، وأجل البقاع على الإطلاق ، وأشرفها باتفاق ، اختاره الله ـ عز وجل ـ لنبيه محمد ﷺ ، وجعل عرصاته(١) مناسك لعباده ، وأوجب عليهم الإتيان إليه من كل فج عميق ، فيدخلونه متواضعين متذللين ، متجردين عن لباس أهل الدنيا .

معاشر المسلمين ، لقد جعل الله هذا البلد حرما آمنا ،ومكانا مباركًا ، وهدى للعالمين، يجدون عنده الهدى بدين الله ، هو أول بيت وضع فى الأرض للعبادة ، وخصص لها ؛ فلا يخرج به عنها بحال من الأحوال، ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران : ٩٧] ؛ فهو بمثابة الأمن لكل خائف ، وليس هذا لمكان آخر في الأرض سواه ، وقد بقى هكذا منذ رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وحتى فى جاهلية العرب ،وفى الفترة التى انحرفوا فيها عن دين إبراهيم ، عليه السلام .

وقد بقيت حرمة هذا البيت سارية ، وستبقى ـ بإذن الله ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، فقد حماه الله ـ عز وجل ـ فلم يغلب عليه جبار ، ولم يعل فيه صوت على صوت الحق ، ولم ترتفع فيه راية غير راية التوحيد ، ولم يرفع فيه شعار مناهض للإسلام ، لقد كان الرجل فى الجاهلية يلقى قاتل أبيه أو أخيه فى البلد الحرام والشهر الحرام ، فلا يعرض له ، كيف وقد امتن الله بذلك على الناس بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٧] ، ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا ﴾ [القصص : ٥٧] .

بل لقد تعدى الأمن فيه الإنسان إلى الحيوان والطير ،والنبات والزرع والشجر ، والمال والجماد ؛ أخرج الشيخان فى « صحيحيهما » ، من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ،ولم يحل إلا ساعة من نهار ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ؛ لا يعضد**(٢) شوكه ، ولا

(١) عرصات البلد الحرام ، أى : بقاعه ، جمع عرصة ، وهى : كل بقعة ليس فيها بناء . « اللسان » (عرص) .

(٢) أى : لا يقطع ، والعضد : القطع . « النهاية » (عضد) .

ينفر صيده ،ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه[١] »[٢] .

كما جعل المولى ـ جل وعلا ـ قصد هذه البقعة المباركة مكفرًا للذنوب ماحيًا للأوزار، حاطا للخطايا ؛ بل لم يرض لقاصده ثوابًا دون الجنة ، فلو لم يكن هذا البلد الأمين خير البلاد وأحبها إلى الله ، لما جعلها مناسك لعباده ، وفرض عليهم قصدها ، وجعل ذلك ركنا من أركان الإسلام ،وأقسم به ـ جل وعلا ـ فى موضعين من كتابه الكريم فى سورتى البلد ، والتين[٣] .

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على المستطيع السعى إليها والطواف بالبيت الذى فيها سواها ، وكما جعل لها سبحانه من الخصائص والمزايا الجم الغفير ؛ فالصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه؛ كما في المسند ، وابن حبان ، بسند صحيح[٤] ، وهى قبلة المسلمين ، ومهوى الأفئدة ، ومهبط الوحى ، ومهد الرسالة ، ومنبع النور ، ومصدر إشعاع الهدى للبشرية قاطبة .

إخوة الإيمان ، لقد جعل الله للناس منطقة أمان ،ودار سلام ، وواحة اطمئنان ، تلكم هى هذه البقاع الطاهرة ، يستوى فى ذلك جميع عباد الله ممن تشرف بالإسلام ؛ يقول سبحانه : ﴿ **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾[الحج : ٢٥] ، ولقد كان النهج الأمنى الذى شرعه الله فى البيت الحرام سابقًا لكل محاولات البشر فى إيجاد منطقة حرام ، يلقى فيها السلاح ، ويأمن فيها المتخاصمون ، وتحقن فيها الدماء، ويجد كل مسلم فيها أمنه ومأواه .

وإذا كان الإسلام يقرر أن هذا البلد واحة سلام ، ومنطقة أمن وأمان ، فإنه يهدد ويتوعد كل من يريد اعوجاجا عن هذا النهج المستقيم بالعذاب الأليم ، فرتب العقاب على الهم والإرادة بالسيئة ، وإن لم تفعل ؛ يقول تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[الحج : ٢٥] ، فكيف بمن يريد ويفعل ؟! لا ريب أن الأمر أشد وأنكى !

إن فى هذا التعبير البليغ زيادة فى التحذير ،ومبالغة فى التوكيد ،ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة فى الأدب مع حرم الله ـ عز وجل ـ يقول عبد الله بن عمرو بن

---

(١) الخلا : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا ، واختلاؤه : قطعه . « النهاية » (خلو) .

(٢) « صحيح البخارى » (٣١٨٩)، و« صحيح مسلم » (١٣٥٣) .

(٣) سورة البلد ، الآية : ١ ، وسورة التين ، الآية : ٣ .

(٤) « المسند » (٤ / ٥) ، و« صحيح ابن حبان » (١٦٢٠) ؛ من حديث عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما .

العاص ـ رضى الله عنهما : « **كنا نعد : لا والله ، وبلى والله ، من الإلحاد فى الحرم** » ، وقال بعضهم : « **إن احتكار الطعام ، وظلم الخادم : إلحاد فى الحرم** »(١) ، وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قوله : « **لأن أخطىء سبعين خطيئة بـ « ركبة »(٢) ـ أحب إلى من أن أخطىء خطيئة واحدة فى الحرم** »(٣) .

أيها المسلمون ، حقًا لقد ظهر سر تفضيل هذا المكان المبارك فى انجذاب أفئدة المسلمين، وهوى قلوبهم ، وانعطاف نفوسهم ،ومحبتهم له ، يتوبون إليه(٤) على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ، ولا يقضون منه وطرا .

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

لله كم لهذه البقعة المباركة من محب أنفق فى حبها الأموال والأرواح ، ورضى بمفارقة فلذات الأكباد ، والأهل والأحباب والأوطان !

محاسنُهُ هيولى (٥) كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

يحدوهم الشوق ، ويحفزهم الأمل فى مغفرة الله ورضوانه .

إخوة العقيدة ، يقول الله عز وجل : ﴿ **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ** ﴾ [المائدة : ٩٧] ، ويقول سبحانه : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧] .

مكة المكرمة : **أفضل البقاع عند الله** ، وأحب البلاد إلى رسول الله .

أخرج الإمام أحمد فى «المسند » ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، عن عبد الله ابن عدى بن الحمراء ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ ـ وهو واقف على راحلته بـ «الحزورة»، موضع بمكة(٦)ـ يقول : « **والله ، إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى**

---

(١) « المصنف » لعبد الرزاق (٥ / ١٥١) .

(٢) ركبة : اسم موضع بالحجاز بين غمرة وذات عرق . « النهاية » (ركب) ، وفى « القاموس » : «ركبة ـ بالضم ـ : واد بالطائف » .

(٣) « المصنف » لعبد الرزاق (٥ / ٢٨) .

(٤) أى : يجتمعون ويجيؤون إليه . « تاج العروس » (ثوب) .

(٥) الهيولى ـ وتشدد الياء مضمومة ـ : أصل الشىء ومادته . « تاج العروس » (هيل) ، والمراد : محاسنه أصل كل حسن ومنبعه .

(٦) وهو موضع بها عند باب الحناطين ، قال الشافعى : « الناس يشددون الحزورة والحديبية ، وهما مخففتان » . انظر : « النهاية » (حزور) .

أخرجت منك ، ما خرجت »(١) .

بمكة نور يهز الشعور ويـنطـق كل فـتى أخرس
يجاذب قلبى إليها الهوى فـفى غيرها القلب لم يأنس
وبيت العتيق لنا قبلة نفـديه بالنفس والأنفس

لقد ظلت مكة عبر التاريخ وعلى مر القرون ، بناء شامخًا ،وصرحا منيعًا ، تتهاوى الدول وتتساقط كأوراق الخريف ، وتحفظ مكة بحفظ الله رمزًا للإيمان والأخوة ، وموئلا للعقيدة ،ومصدرًا للدعوة ،ومركزًا لأعظم حضارة إسلامية انبثقت من تلك البقاع ، حتى غيرت مجرى التاريخ ، وهزت كيان العالم ، وزلزلت كيان الوثنية ، وحطمت عروش الجاهلية .

الله أكبر : بمكة عبق الذكريات الخالدة ، وشذى البطولات الماجدة .

مكة المكرمة : مركز العالم ، وواسطة الدنيا ، وقطب الرحى فى كيان هذه الأمة، اسألوا عن ذلك التاريخ من آدم ـ عليه السلام ـ إلى إبراهيم؛ حيث بناء البيت، وحيث المقام والحطيم، وزمزم وهاجر وإسماعيل ، إلى هود وصالح ،وموسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ إلى محمد بن عبد الله ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ يصدع بدعوة التوحيد فى تلك الربا والبقاع ، إلى أن يعود إليها فاتحًا مظفرًا ، إلى الصحابة الكرام والفاتحين العظام ، حتى هيأ الله لهذه البقاع المباركة تلك الدولة المباركة ، ترعى شؤون الحرمين وتوليهما العناية والاهتمام ، أخلص الله أعمالها ، وسدد أقوالها وأفعالها ، وجعل ما تقدمه فى موازينها ، وليمت الحاسدون بحسدهم، والمغيظون بغيظهم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩] .

أمة الإسلام ، إن الواجب علينا جميعًا أن نرعى الآداب الشرعية ، ونحن نعيش فى هذه البقاع الطاهرة ،ولكن ـ والله المستعان ! ـ لقد أساء أقوام الأدب مع الله ، ومع حرمه، ومع عباده ؛ فهل من الأدب أن يمارس العبد ما يخالف العقيدة ، أو يقترف بدعة أو خرافة، أو خطيئة أو معصية ؟! هل من الأدب وحسن الجوار أن تضيع الصلاة ، ويتساهل فى الطاعات ؟! هل من الأدب اقتراف الذنوب ،من وقوع فى الزنى ، أو تعامل بالربا ، أو تعاط للمسكرات والمخدرات ، وجلب لها إلى أفضل البقاع ؟! هل من حسن الجوار السباب والشتائم ، والغيبة والنميمة والبهتان ، والظلم والتعدى ، والغش والتزوير ؟! أو إعلان المعازف ، ورفع أصوات الملاهى ، أو التبرج والسفور والاختلاط المحرم ،وما يفعله

(١) رواه أحمد (٤ / ٣٠٥) ، والترمذى (٣٩٢٥) ، والنسائى فى « الكبرى » (٤٢٥٢) وابن ماجة (٣١٠٨) .

بعض السفـهاء من قلة الحيـاء فى حرم الله وأمنه ؟! هل من الأدب مع حـرم الله أن يحول إلى جلب منشورات مفسدة أو يحول إلي مزايدات ومهاترات ؟!

فاتقوا الله ربكم ـ أيها المسلمون ـ وأحسنوا الأدب مع هذه البقاع الطاهرة .

إخوة الإسلام ، ها هى طلائع وفود الرحمن وفـدت إلينا ، وفدت إليكم ـ يا أهل أم القـرى ـ فمـاذا أعـددتم لهم من قـرى؟، إن القرى المطلوب قـرى الروح والخلق وحـسن التعامل، فليتـق الله المسؤولون عن الحجيج ، وليتق الله المطوفون والقـائمون على حملات الحج والعمر ، ليخلصوا أعمالهم لله ، وليرعوا شؤون عباد الله ، وليعلموا أنهم مسؤولون عنهم أمام الله ، وليكونوا عند حسن الظن بهم ؛ فلقد كـان العرب ـ وهم فى جاهليتهم ـ يكرمون الحجيج ؛ وما السقـاية والرعاية ، والرفادة والوفادة ، إلا دليل على ذلك ؛ فأهل الإسلام أولى بذلك وأحرى .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ والتزموا جميعًا بالآداب الإسلامية ، وإن علينا جميعًا أن نحمد الله وأن نشكره على ما حبانا من نعمة هذه البقاع المباركة ، وأن نرعى الأدب فيها .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التأدب بآداب الإسـلام ، وأن يرزقنا اتباع سنة سيد الأنام ، بمنه وكرمه .

أقول قـولى هذا ، وأستغفـر الله لي ولكم ولجميع المسلـمين ، فاستغـفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو أغنى وأقنى (١) ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، بلغ من المراتب أشرفها والأسنى ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين مدحهم ربهم وأثنى ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - وعظموا المشاعر والشعائر ؛ ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج : ٣٢] ، ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ** ﴾ [الحج : ٣٠] ، واشكروه - جل وعلا - على ما حباكم من نعمة الأمن والطمأنينة ، لا سيما فى هذه البقاع الشريفة ، والحرمات الآمنة المنيفة ، واعلموا أنكم كما تعيشون فى الأمكنة المباركة ؛ فإنكم تعيشون فى الأزمنة المباركة ، وهى أشهر الحج المباركة ، والأشهر الحرم المعظمة التى قال الله - عز وجل - فيها : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [التوبة : ٣٦] .

فيجب عدم ظلم النفس بالوقوع فى المعاصى فى هذه الأزمنة والأمكنة الشريفة ؛ ألا وإن من شكر نعمة الله التحدث بما حبا الله به هذه البلاد المباركة ؛ حيث هيأ لهذين الحرمين الشريفين من الرجال الأفذاذ من يقومون برعايتهما وصيانتهما ، من ولاة الأمر - وفقهم الله - الذين بذلوا - ويبذلون - قصارى جهدهم فى صيانة الحرمين الشريفين ، إعماراً وتطهيراً ، وتوسعة وصيانة وتطويراً .

وللحق والتاريخ ، نقول : إنه لم يشهد الحرمان الشريفان عناية ورعاية وخدمة للحجيج ، كما حصل ويحصل فى هذه البلاد المباركة ، نقولها حقًا وصدقًا وإنصافًا ، لا نريد بها مجاملة ولا نفاقًا ، وليمت الحاسدون بحسدهم !

فباسم المسلمين جميعًا ، وباسم الحجاج والعمار والزوار ، نرفع أكف الضراعة لمن كان خلف هذا العمل الإسلامى الجليل : أن يجزيهم الله خير الجزاء وأوفره ، وأن يجعل

---

(١) أغنى : أعطى ، وأقنى : رضى . انظر : « تفسير ابن كثير » (٧ / ٤٦٧) .

ذلك فى موازين أعمالهم ، مع ما يؤمل من بذل المزيد ، زادهم الله من الخير والهدى والتوفيق ، بمنه وكرمه .

ألا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الرسول المجتبى ، والحبيب المصطفى ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ، فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

نثر العقيق ، وصايا لحجاج البيت العتيق(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى جعل بيته الحرام للناس أمنا ومثابة ، وزاده سبحانه تعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا ومهابة ، أحمده تعالى وأشكره وأسأله التوفيق والتوبة والإنابة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، ومصطفاه وخليله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والإصابة ، والنخوة والنجابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى ؛ فمن اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه .

عباد الله ، فى مثل هذه الأيام من كل عام تستقبل أمة الإسلام مناسبة عظيمة ، ترنو إليها الأبصار ، وتشرئب إليها الأعناق ، وتخفق لها القلوب المؤمنة ، وتستبشر بها النفوس المسلمة ، تلكم - يا عباد الله - هى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، حيث البقاع المقدسة ، والمشاعر المشرفة ، فى مهبط الوحى ، ومنبع الرسالة ،ومصدر إشعاع نور الإيمان للبشرية جميعًا ، من هنا : حيث تسكب العبرات ، وتنزل الرحمات ،وتقال العثرات(٢) ، وترفع الدرجات ، وتكفر السيئات ،ويجود رب البريات ؛ كما فى « الصحيحين » ، من حديث أبى هريرة مرفوعًا : « **والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** »(٣) ، وفيهما عنه - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق ،رجع كيوم ولدته أمه**»(٤) .

حجاج بيت الله الحرام ، ولكى يستفيد الحاج من منافع الحج وآثاره ،ولينال ما كتب للحجاج من فضل الله وثوابه ، فإنه يجب على كل من أم هذا البيت العتيق : أن يلتزم المنهج الشرعى ، والهدى النبوى ، فى أداء هذه الفريضة العظيمة ؛ فللحج شروط وأركان، وواجبات ومستحبات ، وضوابط وآداب ، لا بد من مراعاتها .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) العثرات : الزلات ، أى : يصفح عنها ويتجاوز . « اللسان » (عثر) (قيل) .

(٣) « صحيح البخارى » (١٧٧٣) ، و « صحيح مسلم » (١٣٤٩) .

(٤) « صحيح البخارى » (١٨١٩) ، و « صحيح مسلم » (١٣٥٠) .

فيا عباد الله ، ويا حجاج بيت الله ، يا من قطعتم الفيافي والقفار ، واجتزتم الأجواء والبحار ، وتجشمتم(١) الصعاب ، وتحملتم المشاق ، وتركتم أموالكم وأولادكم وأوطانكم، إليكم هذه الوصايا الموجزة الجامعة ، والكلمات المختصرة النافعة ، لا سيما وأنتم تستعدون لهذه العبادة العظيمة .

أولاً : الأصل الذي تنبني عليه سائر العبادات من حج وغيره ، ألا وهو : توحيد الله سبحانه ، وإفراده بالعبادة دون سواه ؛ كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] ، فأعظم مقاصد الحج ومنافعه : تحقيق التوحيد لله ، والبعد عن الإشراك به ؛ يقول سبحانه : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا** ﴾ [الحج : ٢٦] ؛ فلا يجوز أن يلجأ العباد - فى قضاء حاجاتهم ،وتفريج كرباتهم ، وشفاء مرضاهم - إلا إلى من بيده وحده أزمة الأمور(٢) ، ودفع الشرور ،وتصريف الأيام والدهور، لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه، سبحانه وتعالى عما يشرك به المشركون علوا كبيرًا .

ثانيًا : الإخلاص لله ؛ قال تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر : ٣] ؛ فلا رياء ولا سمعة ، ولا انصراف عن الله إلى غيره ، من أشخاص أو شعارات ، أو مناهج أو مبادئ تخالف هذا الأصل وتنقضه أو تنقصه .

ثالثا : تحقيق المتابعة للحبيب المصطفى ﷺ كما أمر الله ، ولزوم سنته - عليه الصلاة والسلام - والأخذ عنه ؛ فهو القائل فيما رواه مسلم ، من حديث عائشة - رضى الله عنها: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا ، فهو رد** »(٣) والقائل فى الحج : « **خذوا عنى مناسككم** »(٤) .

رابعا : تقوى الله سبحانه ، والعمل بطاعته ، والحرص على الازدلاف إليه(٥) بالعمل الصالح ، لا سيما عندما يجتمع شرف الزمان والمكان ؛ ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ** ﴾ [البقرة : ١٩٧] ذكر ودعاء ، تلاوة وطواف ، تلبية وصلاة ، بر وإحسان .

خامسًا : استشعار عظمة هذه الفريضة ؛ فهى ليست رحلة برية ولا نزهة خلوية ،

---

(١) أى : تكلفتموها على مشقة « القاموس » (جشم) .

(٢) أى : بيده وحده تصريف الأمور والأحداث . « أساس البلاغة » (زمم) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) رواه مسلم (١٢٩٧) ، والبيهقى (٥ / ١٢٥) ؛ من حديث جابر ، رضى الله عنه .

(٥) أى : التقرب إليه ، ومنه : الزلفى ، أى : القربى . « اللسان » (زلف) .

ولا تفعل تقليدًا وعادة ومحاكاة ، وإنما هى : رحلة إيمانية ، مفعمة أجواؤها بالمعانى السامية ، والأهداف النبيلة ، وفرصة عظيمة للتوبة والإقبال على الله سبحانه ،ولزوم صراطه المستقيم، بعيدًا عن اللوثات العقدية والفكرية ، والمخالفات المنهجية والسلوكية .

سادسا : استشعار مكانة هذا البيت العتيق ، وقداسة هذه البقاع المباركة ،وما أحيطت به من التعظيم والمهابة ؛ فلا يسفك فيها دم ، ولا يعضد فيها شجر ، ولا ينفر فيها صيد ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن عرفها ، كما فى « الصّحيحين » من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما(١) ـ فالشجر والصيد والإنسان والحيوان فى مأمن من الخوف والأذى ؛ ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾[آل عمران : ٩٧] .

فلا يجوز أبدًا أن يحول هذا المكان إلى ما ينافى مقاصد الشريعة ومنهج الإسلام ، ولا تكون فيه دعوة إلا لله وحده ، ولا يرفع فيه شعار إلا شعار التوحيد لله ، ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤذى فيه المسلمين ، أو يروع الآمنين ، أو يصرف الحج إلى ما يخالف سنة سيد المرسلين ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[الحج : ٢٥] .

سابعًا : الاستعداد للحج بالعلم النافع ، والفقه في الأحكام ، والبصيرة فى معرفة المناسك ـ علما وعملا ـ وسؤال أهل العلم عما يشكل ؛ فلا يجوز أن يعبد الله على جهل، أو تؤدى المناسك على غير هدى ، وذلك أمر ينبغى أن يعنى به الحجاج أيما عناية .

ثامنا : اجتناب المعاصى والمحرمات ؛ كما قال عز من قائل : ﴿ **فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾[البقرة : ١٩٧] ، وأطر النفس على عمل الطاعات ، والبعد عن المنكرات أيا كانت .

تاسعًا : العمل على بر الحج ،والقيام بكل ما من شأنه أن يزيد فى حسنات الحاج ، ويتمم نسكه بتوفيق الله ، ومن ذلك : اختيار الرفيق الصالح ، وكسب الحلال الطيب ؛ فإنه من أسباب القبول ، بإذن الله .

عاشرًا : التحلى بالأخلاق الإسلامية العالية ، والآداب الشرعية الرفيعة ،والتخلى عن كل ما يخالف الخلق والأدب مع الله سبحانه أو مع عباد الله ، والحذر من إيذاء المسلمين بالقول أو الفعل أو اليد أو اللسان ؛ فالحج ـ يا عباد الله ـ مدرسة لتعليم الأخلاق الكريمة، والسجايا الحميدة ، والشمائل النبيلة ، والمثل العليا ؛ من الصبر والتحمل ، والتعاون والإيثار ، بعيدا عن العنف والشدة ، والمزاحمة والإيذاء .

---

(١) تقدم تخريجه.

أمة الإسلام ، هكذا يجب أن يعى الحجاج هذه الفريضة العظيمة ، وأن يلتزموا بهذه الوصايا فى قلوبهم ، ويتمثلوها واقعًا عمليًا بأفعالهم وسلوكهم ، وإن الأمة الإسلامية ـ اليوم ـ لفى أشد الحاجة إلى استجلاء دروس الوحدة والإيمان ،والصبر والمثابرة ، والتعاون والإخاء ، والاجتماع والقوة ، وكلها من ثمرات وآثار هذه الفريضة العظيمة التى جمعها الله بقوله سبحانه : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج : ٢٨] .

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، أن يتقبل من حجاج بيته الحرام مناسكهم ، وأن يجعل حجهم مبرورًا ، وسعيهم مشكورًا ، وذنبهم مغفورًا ، وأن ييسر لهم أداء مناسكهم ويعينهم على إتمامها، ويختم لنا ولهم بالتوفيق والقبول، إنه جواد كريم.

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله القائل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ [الحج: ٣٤] ، أحمده تعالى وأشكره ، وأسأله أن يجعل لنا إلى درب الحق طريقًا ومسلكًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ اتقوا الله يا حجاج بيت الله ، واشكروه سبحانه على ما هيأ لكم من هذه الأجواء الروحانية العظيمة ، وعلى ما حباكم (١) من هذه المنن الوفيرة والآلاء الجسيمة ؛ أمن وإيمان ، أمن فى الأوطان ، وصحة فى الأبدان ، صنوف النعم المادية والمعنوية ، تتقلبون فيها صباح مساء ، فلله الحمد والشكر أولا وآخرًا ، وباطنًا وظاهرًا .

ضيوف الرحمن ، وفود الملك العلام ! وفدتم إلى هذه البقاع المقدسة ؛ فاشكروا الله سبحانه ، وانصرفوا إلى العبادة والطاعة ، فقد وفرت لكم الإمكانات الكثيرة ، والخدمات الوفيرة ، بفضل الله ، ثم بفضل ما يوليه المسؤولون عن خدمة الحجيج من فائق عناية ، وحسن رعاية ، أثابهم الله ، وجعل ذلك فى موازينهم .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وكونوا جميعًا قائمين بأمر الله ملتزمين بالأمن والنظام ، واحذروا المزاحمة عند الأبواب والطرقات والمشاعر ، وارجعوا من هذه الفريضة بالمنافع العظيمة ، والآثار الحميدة ؛ تفلحوا وتسعدوا فى الدنيا والآخرة .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على أفضل من صلى وصام ، وحج وقام ، نبيكم محمد بن عبد الله خير الأنام ؛ كما أمركم بذلك الملك العلام ، فقال تعالى قولاً كريمًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

(١) حباه يحبوه : أعطاه . « اللسان » (حبو) .

وماذا بعد الحج ؟! (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أتم على عباده النعم ، ووالى عليهم المنن ، نحمده سبحانه بجميع المحامد ، ونثنى عليه بما هو أهله ؛ فله الحمد كله ، وله الشكر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفوته من خلقه وخليله ؛ الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، ومن تبعهم بخير وإحسان واقتفى .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى ، واشكروه على نعمه العظيمة ، وآلائه الجسيمة .

أيها المسلمون ، لقد سعدت الأمة الإسلامية قبل أيام قلائل بحلول مناسبة الحج إلى بيت الله الحرام ، ولقد نعمت بأدائها فى جو إيمانى فريد ،وفى وضع آمن مطمئن بحمد الله، فلله الحمد والمنة على توفيقه لإتمام هذه الفريضة، وله الحمد والمنة على ما يسر وأعان، ونسأله تعالى كما وفقنا لأداء حج بيته الحرام ، أن يتقبله منا، وأن يجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكوراً ،وذنبًا مغفوراً ، وأن يرزقنا الاستقامة على شرعه على الدوام ؛ إنه جواد كريم .

أمة الإسلام ، لقد مرت على المسلمين هذه المناسبة الكريمة ، أقبلوا فيها على ربهم جل وعلا ، مهللين مكبرين ، داعين خاشعين مستغفرين ، واليوم لما قوضت فى الحج خيامه ، وانتهت أيامه ،وولى الحجاج وجوههم شطر أوطانهم ، وبدأت قوافل الحجيج تسلك طريق العودة إلى رحالها ، بعد أن وقفوا هذه المواقف العظيمة ، ونعموا بالعيش فى هذه العرصات الكريمة ، عادوا إلى أوطانهم وأهليهم وذويهم ، وقد رفعوا أكف الضراعة ، وذرفوا دموع الخشية والإنابة ، مستغلين شرف الزمان والمكان ، بالعمل الصالح والإقبال على الله سبحانه ، تقبل الله منهم ، وأجزل ثوابهم ، بمنه وكرمه !

وغير الحجاج قد مروا بتلك الأيام الفاضلة التى يكون العمل الصالح فيها أفضل من الجهاد فى سبيل الله ؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عند البخارى ، وغيره [1] ، فنشط بعضهم ؛ فصلى وصام ، وقرأ وقام ، وضحى وكبر ،وتخاذل آخرون ؛ ففاتتهم تلك الأيام المباركة ، فأصبحوا فى حسرة وندامة حقًا : إنها لأيام مشهودة، وأوقات محمودة ، إنها نفحات كريمة ، ولحظات عظيمة ، لها منافعها الجمة ، وآثارها المتعددة فى حياة الأفراد والمجتمعات .

إخوة الإسلام ، السؤال الذى يطرح نفسه فى هذه الآونة : وماذا بعد الحج ؟! وماذا بعد أداء هذه الفريضة العظيمة ، وبعد حلول هذه الأيام الكريمة ؟! كيف هى أحوالنا الآن؟! كيف هى حال الأفراد والمجتمعات ؟! هل يقف الأمر عند هذا الحد ، ويعود الناس إلى ما كانوا عليه قبل الحج ، أو أن هناك سبيلا قويمًا يجب على الحاج أن يسلكه بعد حجه؟! هل تغير المنهج والسلوك ، ونظر كل حاج فى حياته نظرة صحيحة ، وبدأ صفحة جديدة ، وانطلاقة جادة على ضوء شريعة الله وسنة رسوله ﷺ ؟! هل غير الحجاج حياتهم من سيىء إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن ؟! هل امتدت منافع الحج وآثاره ؛ فتجاوزت حد المكان والزمان إلى عموم الأزمنة والأمكنة ، وشمول جميع الجوانب والنواحى ؟!

أيها المسلمون ، إن الحج ميلاد جديد ، وعهد سعيد ، يجب على الحاج أن يثبت على آثاره ومنافعه وعنها لا يحيد ، وأن يجعله انطلاقة جادة للأعمال الصالحة ، وفرصة عظيمة للتوبة النصوح .

وإن علينا أن نحاسب أنفسنا بعد أداء هذه الفريضة : هل أدت هذه الفريضة آثارها فى حياتنا ، أو أنها مرت كسحابة صيف أو ومضة برق سرعان ما تزول دون نفع أو أثر ؟!

أيها الإخوة فى الله ، ماذا تغير فى حياة المسلمين بعد هذه الأيام المباركة ! ما الذى صلح من أحوالهم هل تبددت آلامهم ، وتحققت آمالهم ؟! إن من مقاييس قبول العمل أو رده أن ينظر المرء إلى آثار ذلك العمل فى حياته ؛ فإن من علامة قبول الحسنة الحسنة بعدها، وإنه ليجدر بالمسلمين أن يتفهموا شعائر دينهم ، ويستفيدوا من مواسم الخير ؛ لتؤثر فى مجرى حياتهم ، وإن من الخطأ الفادح وقلة البصيرة فى فهم شعائر الإسلام : أن يظن أناس ـ وبئس ما ظنوا ! ـ أن مواسم العبادة مراحل ضيقة ، يتخفف فيها الإنسان من الذنوب والمعاصى ، فإذا تجاوزها ، عاد ليواقع غيرها ، وتنتهى فترة إقباله على الله بانتهاء هذه المواسم المباركة .

---

(١) رواه البخارى (٩٦٩) ، والطيالسى (٢٧٥٣) ، وأحمد (١ / ٢٢٤).

يجب أن يعى المسلمون أن مواسم الخير تغير كامل ،وتبدل شامل ، فى كل جليل وصغير ، من حياة الغفلة عن الله إلى التوبة والاستقامة والانقياد لله ، وإن من إضلال الشيطان وخداع النفوس الأمار ة بالسوء : أن ينكص كثير من الناس على أعقابهم(١) ، ويحوروا إلي معاصيهم ، فيعيشوا ضحايا خداع النفوس ومصايد الشياطين ، فيباغتهم الموت وهم على ذلك ، عياذا بالله !

يا إخوة الإسلام ، ويا حجاج بيت الله الحرام ، يا من أجبتم نداء ربكم ، ورفعتم التلبية إجابة لأمره ، ها هو مولاكم ـ جل وعلا ـ يناديكم بنداء الإيمان : أن تستقيموا على شرعه، وتستجيبوا له ولرسوله ، وتتقوه حق تقاته ، وتعبدوه حق عبادته ، فى حياتكم إلى مماتكم ؛ قال الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾** [الأنفال : ٢٤] **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾** [آل عمران : ١٠٢] ، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** [الحج : ٧٧] .

فلبوا ـ يا عباد الله ـ نداء الله ، واستجيبوا لأمره فى كل حياتكم وفى كل شئونكم ؛ كما أجبتموه فى هذه الفريضة العظيمة .

معاشر المسلمين ، إن من الواجب علينا : أن نقوم حياتنا بعد هذه الفريضة على نهج الكتاب والسنة ، وأن ترى آثار العبادات على سلوكنا وحياتنا ، إن الأمة التى تعانى من الويلات والمشكلات ما تعانيه ـ لجديرة أن تجعل من هذه المناسبة طريقًا للخلاص من المعضلات ، وقوة فاعلة لتذليل كل المعوقات والعقبات ؛ وذلك بالتوجه إلى الله وحده ، وجمع الكلمة ووحدة الصف ، على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتجنيد أنظمتها ووسائل إعلامها ومناهج تعليمها كافة ؛ لتحقيق هذا المبدأ والدعوة إليه .

أمة الإسلام ، إن مما يحز فى النفس أن تمر هذه المناسبة على الأمة دون اتعاظ واعتبار، واستشعار لأبعادها وآثارها العقدية والأخلاقية والاجتماعية ونحوها ، ولا تحسس فى واقع الأمة بجوانبه المتعددة ؛ فأين القادة والعلماء ؟! وأين المفكرون وأهل الحل والعقد فى الأمة عن اتخاذ الحلول العملية ، من خلال هذه المناسبة العظيمة لمشكلات الأمة المستعصية وقضاياها المعقدة ، واتخاذ القرارات الجادة والخطوات الحاسمة الحكيمة فى أحوال العالم الإسلامى كلها ؟!

يا أمة الإسلام ، بعد أدائنا لهذه الفريضة آن لنا أن نتساءل : بأى حج رجع من دنس

(١) نكصوا على أعقابهم ، أى : رجعوا إلى الوراء . « النهاية » (نكص) .

العقيدة بضروب الإشـراك ، ولونها بألوان البدع والمحدثات ؟! بأى حج رجع من هدم دينه بترك عموده وهـو الصلاة ؟! بأى حج رجع من أصر على ما يتعاطى من مـحرمات ، فلم يمنعه حـجه عـما كان يقـترف من ربا أو تعـاط للمسكرات والمخدرات ، أو تعـامل بالغش والتزوير وسيىء المعامـلات ، أو وقوع فى القطيعة والعقوق وسـافل الأخلاق والصفات ؟! فصدقا صدقًـا أيها المسلمون ، وصدقا صدقا أيها الحـجاج مع ربكم ؛ تفلحوا وتفوزوا فى الدنيا والآخرة .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بهدى سيد المرسلين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل العطايا والهبات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم السر والخفيات ، شهادة أرجو بها النجاة فى الحياة وبعد الممات ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أفضل الخليفة وسيد البريات ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ما دامت الأرض والسموات .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

أيها الإخوة فى الله ، إنه ـ وإن انتهى موسم من مواسم العبادة ـ فإن حياة المسلم كلها فرصة يجب أن يستغلها فى مرضاة الله سبحانه ؛ لأن العمل الصالح ليس له موسم محدد، ولا مناسبة معينة ، وأوامر الشرع جاءت عامة فى كل زمان ومكان ،وبين يدى المسلم ـ بحمد الله ـ مواسم عديدة ، وفرص للعمل الصالح كثيرة ؛ هذه الصلوات الخمس ، هذه تلاوة كتاب الله ، وهذا الذكر والاستغفار ، والتوبة والإنابة ، هذه نوافل العبادات ، وفضائل الأعمال ، وهذه أبواب الخير مشرعة ، فأين السالكون ؟!

فاجتهدوا ـ رحمكم الله ـ في العمل الصالح مدة حياتكم ، وخذوا بأسباب قبول العمل بعد أدائه ، وأهمها : الاستقامة على شريعة الله ؛ فإن العمر قصير ، والموت يأتى بغتة ، وإن الآجال محدودة ، والأنفاس معدودة ،وتذكروا ـ يا رعاكم الله ـ قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنكم تودعون عما قريب عاما كاملا مضى من أعماركم بما أودعتموه من خير وشر ، فالسعيد من وفق لختام عامه بالتوبة الصادقة بشروطها المعتبرة ، وهى : الإقلاع عن الذنوب ، والندم على فعلها ، والعزم على عدم العودة إليها ؛ لأن الأعمال بالخواتيم ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] ، فإلى متى الغفلة يا عباد الله ؟! وأين التائبون ؟! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ؛ بمنه وكرمه !

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على خير الورى ؛ كما أمركم بذلك جل وعلا، بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

« ذروة سنام الإسلام ! » (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى جعل الجهاد فى سبيله ذروة سنام الإسلام ، أحمده تعالى حمدا كثيراً على الدوام ، وأشكره شكراً متواليًا على مر الليالى والأيام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، إمام المتقين ، وقائد الدعاة والمجاهدين ، أرسله بالهدى ودين الحق ، فبلغ ودعا ، وبشر وأنذر ، ونصح وجاهد ،وصبر وصابر ، فكانت حياته كلها فى الدعوة والجهاد ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم فى الجهاد فى سبيل الله ، فرضى الله عنهم وأرضاهم ، ومن حمل راية الجهاد فى سبيله من بعدهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى .

عباد الله ، من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن يبتلى عباده فى هذه الحياة بوجود الحق والباطل ، والخير والشر ، والإيمان والكفر ، ومن سنته كذلك : أن جعل هذه المتناقضات فى صراع دائم ، وتباين مستمر ؛ ولذلك : فإن منع الفساد ، وكبح طغيان الشر والهوى ، والإبقاء على الإيمان والعدل والخير ـ : ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ، ولا يتحقق ذلك واقعًا ملموسا إلا بحمل راية الجهاد فى سبيل الله ، ورفع اللواء لإعلاء كلمة الله .

إخوة الإيمان ، الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام ، ورتبته فى أعلى شعب الإيمان، به تعلو الكلمة ، وتعز الأمة ، وتحمى البيضة (٢) ، وتصان الحرمات ،ويحمى الذمار (٣) ، ويقهر الأعداء ، ويرغم اللداد ، بالجهاد يتم إقرار الحق فى نصابه ، ويرد البغى والظلم والطغيان ، ويكافح الشر والكيد والعدوان ، الجهاد فى سبيل الله هو التجارة المنجية ، والصفقة الرابحة ، والبضاعة المبشرة ، يحوز أهله المخلصون من المنازل أرفعها ، ومن المكانة أعظمها ، ومن الدرجات أعلاها ، فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة .

معاشر المسلمين ، لقد حظيت فريضة الجهاد فى هذا الدين بالعناية والاهتمام ؛

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) البيضة : مجتمع القوم وموضع سلطانهم . « النهاية » (بيض) .

(٣) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفع عنه ؛ كالحرم والأهل . « اللسان » (ذمر) .

فعشـرات الآيات الكريمة ، ومئات الأحاديث الصحـيحة الشريفة كلهـا تحث على الجهاد ، وترغب فيه ، وتبين مـا لأهله من الأجر والمثوبة في الآخرة ، والعـزة والنصرة في الدنيا ؛ مما لا يخفى علـى كل ذي بصيرة ؛ كـما جاء الوعـيد الشديد على من ركـنوا إلى الدنيا ، واثاقلوا إلى الأرض ، وعطلوا هذه الـفريضـة ، فقـد روى مـسلم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قـال : قال رسـول الله ﷺ : « **من مـات ولم يغز ، ولم يحـدث نفـسه بالغـزو ، مات على شـعبة من نـفاق** »(١) ، وروى أبو داود ، وابن ماجه ، بإسناد صحـيح ، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنـه ـ عن النبي ﷺ قال : « **من لم يغز ، أو يجـهز غازيًا ، أو يخلف غازيًا في أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة** »(٢) .

وما ذلكم ـ يا عباد الله ـ إلا لما يسببه ترك هذه الفريضة من تسلط الأعداء ، وتحكمهم في الأمة ، يقـتلون أبناءها ، ويرملون نساءهـا ، وييتمـون أطفالها ، ويحـتلون ديارها ، ويستبيحون حرماتها ، ويعبثون بمقدساتها ومقدراتها ، ولا يرقبون فيها إلا(٣) ولا ذمة(٤)، ولا يرعون عـهدا ولا حرمـة ؛ فيعم الذل ، وتـسود المهانة ، والله ـ عـز وجل ـ يقول : ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون : ٨] .

إخوة العقيدة ، إننا من أمة عظيمة ، بارعة في البطولة والشـجاعة ، والقوة والفداء ، شعـارها : الله أكبر ، ولا إله إلا الله ، والعـزة لله ولرسوله وللمـؤمنين ، وجهادها عـبر القرون كان لإعلاء كلمة الله ـ عز وجل ـ لتكون كلـمة الله هي العليا ـ وكلمة الذين كفروا السفلى ـ نحن من أمـة أنزل على رسولها قول الحق تبـارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التحريم : ٩] ، وأنزل عليه قوله سبحانه : ﴿ **فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴾ [الفرقان : ٥٢] ، وأنزل على هذه الأمة قـول الحق جل وعلا : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ولذلك كان الرسول ﷺ قدوة هذه الأمة في الإيمان والدعوة والجهاد ، يغزو في سبيل الله ؛ لإعلاء كلمة الله ـ عز وجل ـ لم تشهد الأمم ، ولم يشهد التـاريخ شجاعة كشجاعة محمد بن عبـد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ القائل : « **والذي نفس محـمد بيده ! لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغـزو في سبيل الله أبدًا ! .. والذي نفس محمد**

(١) « صحيح مسلم » (١٩١٠) ، و « سنن أبي داود » (٢٥٠٢) .

(٢) « سنن أبي داود » (٢٥٠٣) ، و « سنن ابن ماجه » (٢٧٦٢) .

(٣) الإل : القرابة . « الغريبين » ، لأبي عبيد الهروي ، مادة (ألل) .

(٤) الذمة : العهد . المصدر السابق ، مادة (ذمم) .

بيده ! لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »(١) .

وما ذاك ـ يا أمة الجهاد والفداء ، ويا أتباع نبى الرحمة والهدى والملحمة ـ إلا لعظم مكانة الجهاد فى هذا الدين ، ومكانة أهله ، وعلو مكانتهم ومنزلتهم فى الدنيا والآخرة ؛ فلقد أعد الله للمجاهدين فى سبيل الله الدرجات العلا من الجنة ؛ ففى الصحيح أنه ﷺ قال : « **إن فى الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ؛ كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض »**(٢) .

الله أكبر ، والله ـ يا إخوة الإسلام ـ إن للجهاد فى سبيل الله أثرًا فى رفع هامة الأمة الإسلامية ، واستعلائها على ألوان الكبر على الحق ، والبطر(٣) على الخلق ؛ كما أن فيه إعلاء لكلمة الله ـ عز وجل ـ ودحرًا للظلم والباطل ، والغدر والعدوان ، إن الجهاد فى سبيل الله ماض إلى يوم القيامة ، وهو بذل الوسع ، واستفراغ الطاقة لإعلاء كلمة الله ـ عز وجل ـ بالقلم واللسان ، بالسيف والسنان ، بالقلب والجنان ، بل المشاعر والأحاسيس ، يجب أن يكون المسلم مجاهدًا فى سبيل الله ؛ فإن الغزو فى سبيل الله من علامات أهل الإيمان ، وإن التخلف عنه من علامات النفاق ـ والعياذ بالله ـ يقول ﷺ : « **من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق »**(٤) .

وروى أبو داود بإسناد صحيح ، عن أبي أمامة ـ رضى الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « **من لم يغز ، أو يجهز غازيًا ، أو يخلف غازيًا فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»**(٥) .

أيها المسلمون ، أيها الإخوة المجاهدون ، إن علينا أن نهب لنصره الحق ، ودفع الباطل، هذه بلاد المسلمين يهددها أعداء الإسلام ، يريدون أن يتحكموا فى مقدراتها ومقدساتها ، يريدون أن ينالوا من أهلها وخيراتها ، يريدون أن يفسدوا فى الأرض ، ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [الصف : ٨] .

فعليكم ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن تعدوا أنفسكم للجهاد فى سبيل الله، وليس غريبا ـ يا أمة الإسلام ـ أن تصاب هذه الأمة فى بعض أدوارها بألوان من الكوارث ، وأنواع من المصائب والرزايا والحوادث ، ولكن الغريب كل الغرابة أن تضعف وتستكين ، أو تذل

---

(١) رواه البخارى (٣٦) ، ومسلم (١٨٧٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى (٧٤٢٣) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٣) البطر : أى : التبختر . « اللسان » (بطر) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) تقدم تخريجه.

وتهون ، وقد كتب الله لهـا العزة والنصرة والقوة ، ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

فيا أتباع محمد ﷺ ، ويا أحفاد الأبطال والمجاهدين ، ليكن لكم فى الجهاد خير عون على نيل الحياة الكريمة فى الدنيا ، وكسب المثوبة فى الأخرى ؛ فإنه نوع من أهم أنواع العمل الصالح التى يجب على المسلمين أن يحرصوا عليها ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ألا ما أعظمها من تجارة ! وما أعظمه من ثمن ! كما قال الحسن البصرى ـ رحمه الله : « بايعهم ـ والله ـ فأغلى ثمنهم »(١) .

وهل بعد الجنة من ثمن ، يا عباد الله ؟! « ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »(٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ ، ٣٩] .

فيا أمة الإسلام ، لقد رزئت هذه الأمة فى هذا العصر بأنواع من الحقد والتسلط ، والعداء الظاهر والمستتر .

ولو كان سهما واحداً لاتقيته ... ولكنه سهم وثان وثالث

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول به على الدين النجيب !

فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم صبيب !

أتسبى المسلمات بكل أرض ... وعيش المسلمين إذن يطيب ؟!

أما لله والإسلام حق ... يدافع عنه شبان وشيب ؟!

فقل لذوى البصائر حيث كانوا ... أجيبوا الله ويحكم أجيبوا !

فما علينا إلا أن نعد العدة للجهاد فى سبيل الله ؛ إعزازاً لدين الله سبحانه ، ونصرة للمظلومين والمضطهدين ، وردعا للظالمين ، والطغاة والمعتدين ؛ هكذا يجب أن يكون

---

(١) رواه الطبرى فى « تفسيره » (١١ / ٣٥) .

(٢) حديث رواه الترمذى (٢٤٥٠) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٨٨١ ، ١٠٥٧٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

المسلم، وهكذا يجب أن يكون كل مؤمن بالله ربا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً .

يا أيها المسلمون ، يا أيها المؤمنون ، يا أيها المجاهدون ، والله لن يرتفع الذل عن هذه الأمة إلا برفع راية الجهاد فى سبيل الله ، فما عزت الأمة ، وسادت فى كل قرونها وأعصارها إلا برفع راية الجهاد فى سبيل الله ، ولا ذلت وضعفت مكانتها ، وانتهكت حرماتها ، إلا لما ضيعت فريضة الجهاد ،ولما تركت واجب الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله، وإذا رفعت الأمة علم الجهاد ، فلم يبق للظلم مكان فى البلاد ولا بين العباد ، فعليكم ـ معشر المسلمين ـ أن تتقوا الله سبحانه ، وتسيروا على هذا المنهاج العظيم ، الذى رسمه لكم دينكم ، وحثكم عليه نبيكم ﷺ ، قولاً وفعلاً .

إن أمة الإسلام ،أمة البطولات والجهاد والفداء ، لم يعرف التاريخ أمة من الأمم سطرت بطولاتها كهذه الأمة الإسلامية ، إننا من أمة ضمت عبر تاريخها نخبة مميزة من الأبطال المجاهدين :

فهذا أبو بكر صديق هذه الأمة ، يقول يوم الردة : « **والله ! لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ، لقاتلتهم على منعه** »(١) .

وهذا خالد ين الوليد سيف الله المسلول ، الذى يقول : « **لقد حضرت أكثر من مائة معركة ،وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة برمح ، أو ضربة بسهم ، وهأنذا أموت على فراشى ، فلا نامت أعين الجبناء !** » .

إننا من أمة سطر أبطالها أروع النماذج فى الجهاد فى سبيل الله ؛ كمصعب بن عمير ، وسعد بن أبى وقاص ، والقعقاع بن عمرو ، وأبى عبيدة ، وأسامة بن زيد ، وصلاح الدين ، وقتيبة بن مسلم ،وطارق بن زياد ، وعقبة بن نافع الذى وقف على ضفاف البحر قائلاً : « **والله ! لو أنى أعلم أن وراء هذا البحر أناسًا ، لخضته مجاهدًا فى سبيل الله** »(٢) .

الله أكبر ! هذه الصفحات الناصعة ، وهذه البطولات الرائعة ، التى سطرها هؤلاء الرجال ؛ ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ؛ فلنكن ـ رحمكم الله ـ خير خلف لخير سلف .

فإلى المتاجرة مع الله ـ أيها المسلمون ـ إلى الصفقة الرابحة ـ أيها الأثرياء ـ فأنتم مدعوون إلى المساهمة والمرابحة ، وحى على الجهاد ـ يا أمة الإسلام ـ بأموالكم وأنفسكم ؛

---

(١) تقدم جزء منه .

(٢) انظر : « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير (٤ / ١٠٧) .

فصيحات إخـوانكم فى فلسطين وأفغانستان ، وكشمير والشـيشان ، والبوسنة والهرسك ، ونداءات أشقائكم بملء أفـواههم فى بقاع شتى من العالم ، وقـبل ذلك وبعده نداء ربكم - جل وعلا - لكم ، بنداء الإيمان للتـجارة الرابحة ؛ يقول سبـحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : ١٠ ، ١١] .

اللهم أقم علم الجهـاد واقمع(١) أهل الزيغ والكفر والفـساد ، وانشر رحـمتك على العباد ، يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بهدى سيد المرسلين ، وجعلنى وإياكم من عباده المجاهدين ، وحزبه المفلحين .

أقول قـولى هذا ، وأستغفـر الله لى ولكم ولجميع المسلـمين ، فاستغـفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) اقمع : اقهر وذلل . « القاموس » (قمع) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ، نصر عبده ،وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وجاهدوا فى الله حق جهاده ، واعلموا أن للجهاد فى الإسلام أفقًا واسعًا ، ونطاقًا شاسعًا ، وهو أنواع متعددة ؛ بالنفس والقلب والجنان ، والدعوة والقول والبيان ، والسيف واليد والسنان ، والمال والقلم واللسان ، والقدوة الحسنة ،والتربية السليمة ، وهو كما قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ على أربع مراتب :

أولها : جهاد النفس على العلم النافع ، والعمل الصالح ، وهو نقطة البداية لجهاد الأعداء .

ثانيها : جهاد الشيطان على دفع ما يلقى من الشهوات والشبهات .

ثالثها ، ورابعها : جهاد الكفار ، والمنافقين (١) .

وواجب على كل مسلم : أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع على قدر المستطاع ، وأن يروض نفسه وبعدها إعداداً معنويًا وحسيًا للجهاد فى سبيل الله تعالى ؛ فلن تعاد الحقوق المسلوبة ، والديار المغصوبة إلا بذلك ؛ ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة : ٤١] ، وإنه ـ وإن طال ليل الظلام ، وتعاقبت المحن والفتن والآلام ـ فإن ذلك يحمل فى طياته بوارق الفجر لغد مشرق ـ إن شاء الله ـ فكونوا يداً واحدة مع إخوانكم المجاهدين فى سبيل الله فى أى بقعة من بقاع المسلمين .

وليكن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ نبراسًا لكم ؛ فمما جاء فيه قوله :

« **أما بعد : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن تقوى الله أمضى وأقوى العدة على العدو ،وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ،**

(١) « زاد المعاد ، فى هدى خير العباد » (٣ / ٩) .

وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ـ عز وجل ـ وإلا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ؛ كما تسألونه النصر على أعدائكم »(١) .

كما تذكر كتب السير : أن أمير جيش الروم في عصر عمر ـ رضي الله عنه ـ أرسل رجلا من جيشه لينظر جيش المسلمين ، فلما رجع إليه ، قال له واصفا جيش المسلمين : «جئتك من عند قوم دقاق ، على خيول عتاق ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، لهم دوى بالقرآن كدوى النحل »(٢) .

هكذا يجب أن يكون المسلمون إن أرادوا العز لدينهم ، والنصر على أعدائهم ، وإنهم لفاعلون ، إن شاء الله .

وإنه لمن فضل الله على هذه البلاد المباركة حكومة وشعبا : وقوفها مع المجاهدين في شتى البقاع ، ودعمها للحقوق العادلة في كل مكان ؛ فلها من المواقف الطيبة والمشاعر النبيلة ، والدعم المادى والمعنوى : ما شهد به العدو قبل الصديق ، وتلك نعمة ينبغي التحدث بها وشكرها ، وبذل المزيد منها ؛ ولا غرو فهي البقعة المباركة التي انطلقت منها جحافل الإيمان ، وكتائب الجهاد ؛ لرفع راية الإسلام ، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ألا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على إمام المجاهدين ، ورسول رب العالمين ؛ كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) انظر : « العقد الفريد » لابن عبد ربه (١ / ٤٠) .

(٢) انظر : « البداية والنهاية » لابن كثير (٩ / ٥٦٩) .

بالحسبة كنا خير أمة ! (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى شرف هذه الأمة ، فجعلها : خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، أحمده تعالى وأشكره على ما أولاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كتب الخيرية والفلاح ، لدعاة الخير والإصلاح ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، حامل لواء الدعوة والجهاد والكفاح، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه وترسموا خطاه ، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب المساء والصباح .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، إن الإيمان بالله ـ عز وجل ـ والدعوة إليه ، والنصح والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق والصبر ، وإشاعة الخير والفضيلة بين الناس ، ومحاربة الشر والرذيلة والفساد ، واستئصاله من المجتمع : من أبرز سمات هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ التى فاقت بها سائر الأمم ؛ يقول الله جل وعلا : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] ؛ لذا كان الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : القطب الأعظم فى هذا الدين ، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين والصالحين ، بل قد عده بعض أهل العلم ركنا سادسًا من أركان الإسلام؛ كل ذلك لما يشتمل عليه من الفضل العظيم ، والخير العميم ، والفوائد والمصالح العاجلة والآجلة ، ولما يترتب على تركه من استشراء الباطل ، وانتشار الفساد ، وغلبة المعاصى وهيمنتها ، وهى الجالبة لسخط الله ، المنذرة بمقت الله وعاجل عقوبته على الأفراد والأمم.

أمة الإسلام ، إن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : أمارة الإيمان ، وإن تركه علامة النفاق؛ ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ** ﴾ [التوبة : ٦٧] ، ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة : ٧١] ، وهما من أعظم أسباب النصر على الأعداء ، والتمكين فى الأرض ؛ قال عز من قائل : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [الحج : ٤٠ ، ٤١] ، وهما طوق النجاة وشريان الحياة ؛ يقول سبحانه : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا**

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥].

وبالجملة : فهما من أفضل الأعمال ، وآكد الفرائض ، وأوجب الواجبات ، وألزم الحقوق ، وقد جاء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يؤيد ذلك :

يقول أصدق القائلين : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وروى الإمام مسلم ، عن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان** » ، وفى رواية : « **وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** »(١) .

وروى الترمذى وغيره ، عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده ! لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** »(٢) .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل : كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق الله ، ودع ما تصنع ؛ فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض** » ، ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ـ ٨١] ، ثم قال : « **كلا والله ! لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم** » (٣) .

إخوة العقيدة ، أرأيتم لو أن فرداً أصيب بمرض عضال فى جزء من جسمه ، فأهمله ؛

---

(١) « صحيح مسلم » (٤٩) .

(٢) رواه أحمد (٥ / ٣٨٨) ، والترمذى (٢١٦٩) .

(٣) رواه أحمد (١ / ٣٩١) ، وأبو داود (٤٣٣٦) ، والترمذى (٣٠٤٧) .

أو ليس يستشرى المرض فى جسده كله ، فيعسر علاجه ، ويتعذر شفاؤه ؟! فكذلك المنكر - يا عباد الله - إذا ظهر وترك فلم يغير ، فإنه لا يلبث أن يألفه الناس ويستمرؤوه ، وعندئذ: يصبح من العسير تغييره وإزالته ؛ فتعم المنكرات ، وتنتشر الفواحش ، وتغرق سفينة الأمة .

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا بليغًا على ذلك بقوله - عليه الصلاة والسلام - : «**مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ؛ فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذ من فوقنا : فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم ، نجوا ونجوا جميعًا** » (١) .

معاشر المسلمين ، وقد أشاد علماء الإسلام بهذه الشعيرة العظيمة :

يقول الغزالى - رحمه الله : « فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطة وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وانتشرت الضلالة ، وشاعت الجهالة ،واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعر بالهلاك إلا يوم التناد » (٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الذى أنزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله ،وهو من الدين** » (٣) .

ويقول الإمام النووى - رحمه الله : « وهو باب عظيم ، به قوام الأمر وملاكه . . فينبغى لطالب الآخرة ، والساعى فى تحصيل رضا الله - عز وجل - أن يعتنى به ؛ فإن نفعه عظيم » (٤) .

أيها الإخوة فى الله ، المعروف الذى جاء الشرع بالأمر به : اسم يجمع كل ما أمر الله به ورسوله ، من العقائد والأقوال والأفعال ؛ كالإيمان ، وشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ونحوها ، والمنكر : ما أنكره الله ورسوله ، وأقبح

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٢٦٨) ، والبخارى (٢٤٩٣) ؛ من حديث النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما.

(٢) « إحياء علوم الدين » (٢ / ٣٠٦) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (٢٨ / ١٢١) .

(٤) « شرح صحيح مسلم » للنووى (٢ / ٢٤) .

ذلك وأعظمه : منكرات العقائد ، والأمور المبتدعة فى الدين ، وكبائر الذنوب ، عافانا الله وإياكم منها ! .

أمة الإسلام ، يا خير أمة أخرجت للناس ، إن واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليس مقصورًا على أحد بعينه من الأشخاص أو الهيئات ، ولكنه واجب كل مسلم، وكل قدر استطاعته ، بحسب منزلته ومكانته ؛ بيد أن[(١)] على أهل الحل والعقد ـ من الرعاة والعلماء ، والوجهاء والمختصين والدعاة ـ ما ليس على غيرهم : فالأب مسؤول عن أسرته وأهله وأولاده ، والمعلم فى مجاله ، والموظف فى دائرته ، والتاجر فى سوقه ، وهكذا كل على ثغرة من ثغور الإسلام ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، بل المسلم الحق حيثما حل ووقع ، أفاد ونفع ؛ لأنه عضو فى جسد هذه الأمة ، له مكانته ، وعليه واجباته، وهو مطالب بالتفاعل مع مجتمعه ، والألم لألمه ، والنشاط فى محيطه ؛ نشرًا للخير والصلاح ، ودرءًا للشر والفساد .

يا أمة محمد ﷺ ، يا خير أمة أخرجت للناس ، إنه لا سبيل إلى مواجهة التحديات، والوقوف أمام المؤامرات ، إلا بالتمسك بالثوابت واليقينيات ، والمبادىء والمقومات ، التى يترتب عليها عز هذه الأمة وسعادتها فى الحياة وبعد الممات ، مع حسن التعامل مع المتغيرات ، وجامع هذه الثوابت : هو القيام بهذه الشعيرة العظيمة ، والفريضة الكريمة ، التى هى الأصل الأصيل ، والأساس المتين ، الذى متى ما قامت به الأمة ، عزت وسادت، وانتصرت وقادت .

إنه قوام هذا الدين ، به نالت هذه الأمة الخيرية على العالمين .

فالواجب على المسلمين : أن يأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر ، ولا بد من تحلى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والمنتسبين إليه : بالرفق والعلم ، والحلم والرحمة والحكمة ؛ ليكون لعملهم الأثر الإيجابى ، فى بعد عن التعنيف والغلظة .

والحق : أن أهل الحسبة ـ وفقهم الله ـ يبذلون جهودًا جبارة ، تذكر فتشكر ، ينبغى أن يشجعوا ماديًا ومعنويًا ، وأن يكف عن تضخيم أخطائهم .

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط ؟![(٢)]

---

(١) بيد أن ، أي : غير أن . « القاموس » (بيد) .

(٢) البيت لأبى القاسم الحريرى ضمن قصيدة له فى المقامة الشعرية ، مطلعها :

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط

والبيت من شعر الأمثال . انظر : « مقامات الحريرى » (٢٣١) .

والعاملون فى هذا الميدان ، هم من خيار هذه الأمة ـ نحسبهم ولا نزكى على الله أحدًا ـ فمجال الحسبة ـ يا عباد الله ـ تاج عز هذه الأمة ،وثمرة رسالتها ، وأثر دعوتها ، ومظهر من مظاهر حضارتها ، هو صمام الأمان ـ بإذن الله ـ من اللوثات العقدية ، والانحرافات الأخلاقية ، لا تمكين للدولة الإسلامية إلا به ؛ ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[الحج : ٤١] .

هو سفينة النجاة ، وطوق الحياة ، والقائمون به ـ وفقهم الله ـ رجال أهمهم أمر أمتهم، وأرقهم وجود المنكرات فى مجتمعاتهم ، يجدون لإزالة المنكرات بأرواح متوهجة ، وضمائر حية ؛ لحفظ وجود الأمة المعنوى ،وأمنها العقدى والفكرى والسلوكى ،واستمرار بقاء عناصر تمكينها .

هم مشاعل هداية ، ومصادر توجيه ، وسرج إشعاع ، يعملون بحكمة وحماس ؛ لإصلاح ما أفسد الناس ، هم لدين الله دعاة ، وعليه حراس ، كم يلقون من العنت فى هذه المهمة الشاقة ! ولا غرابة أن يعمل بعض الرويبضة للوقيعة بهم ؛ لأنهم يصطدمون بالشهوات ، ويكبحون جماح المغريات ، الإيمان دافعهم ، والغيرة حافزهم ؛ فلله درهم من رجال ،وبوركت أفعالهم وجهودهم ، وضاعف الله مثوبتهم !

ونشهد الله الذى لا إله غيره على حبهم ، والدعاء لهم ؛ لما يضطلعون به من مهام جسيمة ، تعمل على تجفيف منابع الشر فى الأمة ، وحراسة ثغور المجتمع من تسلل الجريمة، بدعوى الحرية الشخصية ، أو التقدمية الزائفة ، أو المدنية المأفونة .

فواجب الأمة جميعًا : تعزيز جانب الحسبة ؛ فإن ضعفه وانحساره ، وطى بساطه ، وانخفاض لوائه ، وإهمال علمه وعمله ـ : نذر شرور خطيرة ، وأضرار مستطيرة على الأمة جميعًا ، وإن المتأمل لأحوال عالمنا الإسلامى المعاصر يدرك ما من الله به على بلاد الحرمين الشريفين ـ حرسها الله ـ من عناية بهذا الجانب المهم ؛ فرعاية الحسبة تاج على رأسها ، وغرة فى جبينها ، جعلت له جهازًا مستقلا ، وجهة خاصة مسؤولة ، ورئاسة عامة ، تتولى رعايتها والعناية بها ، وتلك جهود مذكورة مشكورة ، وعند المنصفين غير منكورة ، يجب أن تروى فلا تطوى ، مع ما يؤمل من تعاون المسلمين ، ومزيد الدعم لأهل الخير والإصلاح فى الأمة ؛ فالشرور كثيرة ، وجهود المغرضين وفيرة فى خرق سفينة الأمة ، والسنن لا تتغير ، والمتغيرات لا تتمهل ؛ والله سبحانه ﴿ **لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[الرعد : ١١]

فلنتق الله ـ يا عباد الله ـ وليكن كل واحد منا هيئة بذاته ، للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولنتعاون فى تحقيق هذا المبدأ العظيم ، ولنكن يدا واحدة على من يريد خرق سفينة أمتنا بالشر والفساد ، رائدنا فى ذلك : الإخلاص والحكمة ،والشفقة والرفق ، والأناة والرحمة ؛ فتلك أبرز الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها من يتصدى لهذا الأمر العظيم ؛ فهم دعاة خير ورحمة ، وحرص وشفقة على إخوانهم المسلمين ، وغيرة على دين الله القويم ،ومن كان بهذه المثابة ، فأولى أن يساند ويعاضد ، ويشجع ويؤازر ،ويكرم ماديًا ومعنويًا .

يا خير أمة أخرجت للناس ، إنه إذا أفلت زمام هذا الأمر ، وطوى بساطه ، وقل أنصاره ، وأخفقت رايته ، وأهمل علمه وعمله : فشت الضلالة ،وشاعت الجهالة ، وفسدت البلاد ، وهلك العباد ، وإن الناظر فيم أصاب المجتمعات المعاصرة ، ليأسى أشد الأسى من تفاقم المحرمات ، وانتشار المنكرات ، مما تعجز عن وصفه الكلمات ، ويترجم عنه الحال فى كثير من الجوانب العقدية والشرعية ، والأخلاقية والفكرية ؛ مما ضعفت معه الغيرة ، وهتكت من أجله أعراض ، وانتشرت الأفكار الهدامة ، والمبادىء المنحرفة ، وتطاول فيه الفساق من الرجال والشباب والنساء ،ولا تسأل عما تضج به القنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية ، مما يلح بالسؤال :

أين الغيرة الإسلامية ؟! وأين الحمية الدينية ؟! بل أين النزعة الإنسانية ، والشهامة العربية ، والرجولة الأصلية ؟! هل نزعت من القلوب ، واضمحلت من النفوس ؟! إنه إذا كثر الخبث ، وانتشر الفساد ، ولم يغير ـ عم العذاب الصالح والطالح ؛ فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى جبريل ـ عليه السلام ـ أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ، قال : يا رب ، إن فيهم عبدك فلانا ، لم يعصك طرفة عين؟ قال : اقلبها عليه وعليهم ؛ فإن وجهه لم يتمعر (١) فى ساعة قط** » (٢)، وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ قالت : قلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟! قال : « **نعم ، إذا كثر الخبث** » ؛ متفق عليه (٣) .

ومع ذلك كله : فلا يزال ـ ولله الحمد والمنة ـ فى أرض الله من هو قائم لله بحجته ،

(١) لم يتمعر ، أى : لم يتغير . « النهاية » (معر) .
(٢) رواه الطبرانى فى « الأوسط » (٧٦٦١) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٧٥٩٥) ، (٧١٨٩ ـ ط . الهند) .
(٣) « صحيح البخارى » (٧٠٥٩) ، و « صحيح مسلم » (٢٨٨٠) .

وصادع بدعـوته ، ولا نيئس من روح الله ، بل نتـفاءل خـيرًا ـ إن شـاء الله ـ ولكن الأمر بحاجة إلى المزيد من الجهـود الإسلامية المتضافرة ؛ لتحـقيق هذا المبدإ العظيم ، ونشره فى بلاد المسلمين ؛ ليعم الخير وينتشر ، ويتوارى الباطل ويندحر ؛ ﴿ **وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى الله وإياكم بسنة سيد المرسلين ،وهدانا صراطه المستـقيم ، وأجارنا ـ بمنه وكرمه ـ من العـذاب الأليم ، وتاب علينا أجمعين ؛ إنه هو التواب الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أفضل من قام بالدعوة والاحتساب ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أولى البصائر والألباب ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وقوموا بما أوجب الله عليكم من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؛ فقد عرفتم منزلته ومكانته فى هذا الدين ، والأدلة عليه ، والوعيد الشديد لمن تركه وأهمله ، وأدركتم ما وصل إليه الحال ، وبان لكم أسباب ذلك ، ونتائجه الوخيمة ، ووقفتم على وصفة من علاج ذلك الأمر ، وصفات من يقوم به .

فلم يبق إلا العمل الجاد المخلص المبنى على أسس سليمة ، وقواعد محكمة حكيمة ، وترك التوانى والتواكل والتلاوم وإلقاء التبعة على الآخرين ، فلو قام كل منا بواجبه ، وعرف دوره ورسالته ، وتعاون مع إخوانه ـ لم يجد الباطل سبيلا ، ولم يلق الفساد رواجا، ولكنها سنة الله في خلقه ؛ لينظر من يجد ويعمل ، ممن يترك الحبل على الغارب ويهمل ، ولكم فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ؛ فقد كان أشد الناس غيرة على دين الله، وحرصا على تبليغ رسالة الله ، وغضبا إذا انتهكت حرمات الله ؛ فتأسوا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ تفلحوا وتسعدوا ، ثم صلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الهادى البشير، والسراج المنير ؛ كما أمركم بذلك المولى اللطيف الخبير ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

القسم السادس
المعاملات

كسبان لا يلتقيان !(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث ، أحمده تعالى حمد معترف بنعمه ، وأشكره جل وعلا شكر مقر بمننه ، وأثنى عليه بما هو أهله ؛ فهو أهل الثناء والمجد ، ومستحق الشكر والحمد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل لنا فى الحلال غنية عن الحرام ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله خير الأنام ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله البررة الكرام وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واشكروه على ما هداكم للإسلام ، وأغناكم بالحلال عن الحرام.

إخوة الإسلام ، لقد جاءت الشريعة الغراء ، بتنظيم شامل لجميع جوانب الحياة ، وإصلاح كامل لكل متطلبات الناس فى شتى شؤونهم الفردية والاجتماعية ، ونظمت للعباد سبل معاملتهم مع الله ، ومعاملاتهم مع عباد الله ، كل ذلك في حدود الحلال الطيب وفى إطار المباح المشروع ، الذى يرعى الحقوق ،ويصون المصالح ، ويدرأ الأضرار والمفاسد ، ويحفظ الدماء والأعراض والأموال ، فى منهاج قويم ، وقسطاس مستقيم ، ونور يستضاء به ، وهدى يقتدى به .

وكما شرع الإسلام عقيدة صحيحة وعبادات سامية ، تصل العبد بربه ؛ يؤديها على ضوء الكتاب والسنة ـ كذلك رسم لهم فى مجال المعاملات ـ فيما بينهم ـ منهجًا سليمًا عدلا ، تحكمه ضوابط شرعية ، وشروط وآداب مرعية ، يجب اعتبارها والتزامها ، والتعامل على مقتضى حدودها ومعالمها ؛ فلا فوضى ولا ظلم ولا باطل ، ولا تعدى ولا غصب ولا غش ، ولا مماطلة ولا غرر ولا غبن ، ولا جهالة ولا خيانة ، بل إنصاف واحترام ، وعدل وصدق وبيان ، ومراعاة لحقوق الآخرين .

يقول الله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [النساء : ٢٩ ، ٣٠] ، ويقول تعالى وتقدس : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ**

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] .

وقال ﷺ فى خطبته العظيمة يوم عرفة : « **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا** »(١) .

وروى الإمام أحمد ، وغيره ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه** »(٢) ، ولمسلم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾** [المؤمنون : ٥١]، **وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾** [البقرة : ١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر ؛ أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ! يا رب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ؛ فأنى يستجاب لذلك ؟!** »(٣) .

أيها المسلمون ، إن الواجب على المسلم أن يسير فى معاملاته - من بيع وشراء ، وإيجار وقرض ، وارتهان وتجارة ، وغير ذلك - على وفق شريعة الله الكاملة ، ولقد ضل أقوام انحسر مفهوم الدين الشامل عندهم ، فقصروه على جانب العبادات، وفصلوا الدين - جهلا أو إعراضًا - عن الحياة ، وما فيها من نظم ومعاملات ، فيتخوضون فى مال الله(٤) بغير حقه ، ولا يبالون بما جمعوه أمن حلال أم من حرام ؟! فالحلال ما حل فى أيديهم أيا كان مصدره ؛ لا يتورعون عن المعاملات المحرمة ، واتباع شتى الوسائل والحيل الممنوعة للحصول على المال عبر أى طريق ! قد استولى عليهم حب الدنيا ، وملك شعورهم بريق المادة ، وفتنهم حب الدرهم والدينار ، وطغى عليهم الهوس المادى ، وقد يضيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا ، وقد يبيعون دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم - والعياذ بالله ! - الربا وسيلتهم ، والغش سجيتهم(٥) ، والخيانة والخديعة شعارهم وديدنهم(٦) ، والأيمان المغلظة مركبتهم ، والظلم والتزوير طريقتهم ، والكذب والتدليس مطيتهم ، فى سبيل الدنيا يستميتون ، وللحصول على زيادة المال بالغالى والرخيص يضحون ، لا يفكرون فى العواقب ، ولا يخافون من المسؤولية ؛ لا لأنفسهم يحاسبون ، ولا بالموت والرحيل عن

---

(١) تقدم .

(٢) رواه أحمد (٥ / ٧٢) ، وأبو يعلى (١٥٧٠) ؛ من حديث عن أبى حرة الرقاشى .

(٣) « صحيح مسلم » (١٠١٥) .

(٤) أى : يتصرفون فيه بما لا يرضاه الله تعالى . « تاج العروس » (خوض) .

(٥) السجية : الطبيعة والخلق ، والجمع : سجايا . « تاج العروس » (سجو) .

(٦) الديدن والديدان : العادة . « القاموس » (ددن) .

هذه الدنيا يعتبرون ، ولا للآخرة والحساب ينظرون ، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

أمة الإسلام ، إنه نظرًا لأهمية المعاملات فى شريعة الإسلام ؛ لما تمثله من خير كبير فى الفقه الإسلامى ، ولما لها من صلة مباشرة بحياة الناس وتعامل بعضهم ببعض ، ولغلبة الجهل على صنوف كثير من الناس ، وقلة العلم فى أحكام المعاملات ، ولأننا نعيش فى زمان طغت فيه الماديات ، وقل فيه التورع عن المحرمات والمشتبهات ، فى عصر أصبح فيه المال غاية عند كثير من الناس ؛ حتى فسدت فى سبيل جمعه الذمم ، وضعف الوازع الدينى والأخلاقى ؛ لذلك كان التنبيه والتذكير بهذا الموضوع مهما جدًا ، كيف لا ولصفة التعامل أثرها البعيد ـ إن سلبًا أو إيجابا ـ على الفرد وأسرته ومجتمعه ؟!

معاشر المسلمين ، إن لطيب الكسب أثرًا بالغا على الفرد فى حسن سلوكه ، وعمارة قلبه ،وحياة ضميره ، واستنارة بصيرته ، وصلاح أسرته ، وقبول دعائه ، وعلى المجتمع لاستتباب أموره ، وصلاح شؤونه ، واستقامة أفراده .

وإن للمعاملات الخبيثة المحرمة أثرًا سيئًا وشؤمًا بالغًا على الفرد والمجتمع ، وقد ورد أن : « **كل لحم نبت من سحت**(١) ، **فالنار أولى به** »(٢) .

وروى الإمام أحمد ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » ، بسند حسن ، من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **ولا يكسب عبد مالا من حرام ، فينفق منه؛ فيبارك له فيه ،ولا يتصدق به ؛ فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره ، إلا كان زاده إلى النار ؛ إن الله ـ عز وجل ـ لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث** »(٣) .

بهذا تعلمون ـ يا إخوة الإسلام ـ أن الكسب الخبيث ، والمعاملات المحرمة ، شر وبلاء وفتنة فى الدنيا ، وعذاب ونار فى الآخرة ـ عياذا بالله ـ كيف يليق بالمسلم أن يسمع هذا الوعيد ،ويلحظ هذه المخاطر العاجلة والآجلة لهذا النوع من التعامل ، ثم لا يبالى بكسبه؟! إن هذا ـ كما أنه نقص فى الدين ـ فهو خلل فى الإدراك والتفكير ، وإيثار للفانية على الباقية .

---

(١) السحت : الحرام الذى لا يحل كسبه . « النهاية » (سحت) .
(٢) رواه أحمد (٣ / ٣٢١) ، والترمذى (٦١٤) ، وابن حبان (١٧٢٣) ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » (١٩ / ١٣٦) ؛ من حديث جابر بن عبد الله ، وكعب بن عجرة ، رضى الله عنهما .
(٣) « المسند » (١ / ٣٨٧) ، و« شعب الإيمان » (٥٥٢٤) .

وقد روى البخارى فى « صحيحه » ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه : أمن الحلال أم من الحرام**» [(١)].

إخوة الإيمان ، إننا اليوم لفى زمان ارتفعت فيه هذه الراية ، فقد كثرت المعاملات المحرمة ، وانتشرت المكاسب الخبيثة ، وصار كثير من المسلمين ـ هداهم الله ـ يأخذ المال بطريق الغش فى المبايعات ، والخديعة فى المعاملات ، وبطريق الخيانة فيما أسند إليه من أعمال ومسؤوليات .

فالموظف الذى يتساهل فى أداء عمله ، ولا ينجز معاملات المسلمين ـ خائن فى وظيفته ، معرض نفسه لأكل الحرام عن طريق أخذ مرتبه مع تفريطه وإضاعته ، وقد لا يتورع بعضهم عن أخذ الرشوة ؛ إنجازًا لبعض المعاملات ، وفى هذا غش للمسلمين وخيانة لأولى الأمر .

والتاجر الذى يتعامل بالربا ، والمداينات المحرمة ، ويكتم العيوب فى السلع ، ويوقع المشترى فى الغبن والغرر ، ويبخس المكاييل والموازين والمقاييس ، أو يتاجر فى أمور محرمة؛ كآلات اللهو ونحوها ، والشركات والمؤسسات ، والمقاولات والمناقصات ، التى لا يتورع أصحابها عن غش المسلمين وخيانتهم .

وكذلك من يظلمون الأجراء والعاملين ، والمستخدمين عندهم بمطلهم حقوقهم ، ومنعهم مرتباتهم ، ومن يتعاطون الرشوة والتزوير ، أو من يغلون [(٢)] فى أموال المسلمين، ويتصرفون فيما هو من المرافق العامة .

وكذلك من يتعاملون بالقمار والميسر ، واليانصيب والتأمينات الباطلة ، وكذلك من يتعاملون بالغصب والتعدى ،والنجش والتغرير والكذب ، سواء كان على الأفراد أم على الجهات والدوائر الرسمية :

كل أولئك سائرون فى طريق الحرام ، وكل تلك جرائم ومخاز يندى لها الجبين ، ويتوقف اللسان عن تعدادها ؛ حياء من الله ، وخجلا من عباد الله ، ولكن أمانة الكلمة تقتضى التنبيه على كل المشكلات الموجودة فى مجتمع المسلمين ؛ لتلافيها والبعد عنها ، ويكفى الكيس زيارة لبعض الأسواق وأماكن المبيعات ، والمعارض للمأكولات والملبوسات ، والسيارات والأراضى والعقارات ، وغيرها ، والاطلاع على شىء مما تقوم به بعض

---

(١) « صحيح البخارى » (٢٠٥٩) .

(٢) يغلون أى : يخونون ، من الغلول ، وهو الخيانة فى المغنم . « اللسان » (غلل) .

الشركات والمؤسسات التجارية ونحوها ؛ ليرى بأم عينه البون الشاسع بين ما يجب شرعًا ، وما يوجد واقعًا .

ولا تسأل عما يجرى فى دوائر المحاكم والحقوق من الخصومات والمنازعات ، على أمور مادية ؛ فى أموال أو عقارات ، أو أراض أو مزارع ، أو سبل أو نحوها ، كان وراءها الطمع المادى ، والظلم والتعدى على حقوق المسلمين ، والله المستعان ! .

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله فى أنفسكم وفى كسبكم ، انظروا ماذا يدخل إلى أرصدتكم من الأموال ،وما يصل إلى أجوافكم من المطاعم .

ويا أيها المتعاملون بالتجارة ، الصدق الصدق مع الله ومع عباد الله ، حذار من ظلم العباد وخديعتهم ، فطوبى لمن طاب كسبه ! ويا شقاوة من نبت لحمه من السحت والمحرمات ! إنه يجب على من أحب نجاته أن يتخلص من حقوق العباد قبل أن يفجأه الأجل فيندم على تفريطه ؛ يقول ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه ؛ من مال ، أو عرض ، فليأته فليتحلله ، من قبل أن يؤخذ منه ، وليس ثم دينار ولا درهم ؛ فإن كانت له حسنات ، أخذ من حسناته لصاحبه ؛ وإلا أخذ من سيئات صاحبه ؛ فطرحت عليه** »(١) .

تذكروا - يا أرباب الأموال - أن الله سائلكم عن كل أموالكم ، صغيرها وكبيرها ، فى موقف عظيم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ؛ فإنه : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، ومنها : عن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ كما صح بذلك الخبر ، عن سيد البشر ﷺ ؛ كما فى الترمذى ، وغيره ، من حديث أبى برزة - رضى الله عنه(٢) - فأعدوا للسؤال جوابًا ، وللجواب صوابًا ،وما أكثر من ستخرسهم الأموال المحرمة عن الإجابة - والعياذ بالله ! - والله نسأل أن يغنينا بحلاله عن حرامه ، ويكفينا بفضله عمن سواه ، إنه جواد كريم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) رواه البخارى (٢٤٤٩ ، ٦٥٣٤) ، والطبرانى فى « مسند الشاميين » (١٣٢٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) رواه الدارمى (٥٥٤) ، والترمذى (٢٤١٧) ، وأبو يعلى (٧٤٣٤) .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نرجو بها النجاة يوم يبعثر ما فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ، وحبيبه وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - والزموا الطيبات المباركة أيا كانت ، فلن يقبل الله إلا الطيب ، وتبينوا فى أمور الحلال والحرام ، واسألوا عما أشكل عليكم من أمور المعاملات ، واحذروا المشتبهات ؛ فمن وقع فيها ، جرته إلى المحرمات ؛ يقول ﷺ : « **إن الحلال بين ،وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ؛ فمن اتقى الشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات ، وقع فى الحرام** »(١) .

وتحلوا - رحمكم الله - بالنزاهة والأمانة فى قيامكم بالأعمال الوظيفية والتجارية ؛ إخلاصًا لله ، ونصحًا لولاة الأمر الذين ائتمنوكم على هذه الأعمال ؛ بالقيام بمصالح المسلمين ، وتحقيقًا للتعاون والمودة بين أبناء المجتمع الإسلامى ، واعلموا : أن للحلال بركة لكم وعليكم وعلى أسركم وأولادكم ومجتمعكم بأسره ،وتذكروا الحساب عن كل درهم اكتسبتموه وفى أى طريق أنفقتموه ، فمن أخذ الأجر ، سأله الله عن العمل ، فصدقا صدقًا - أيها المسلمون - فى معاملاتكم ،وفى كل أموركم ؛ تسعدوا وتفلحوا فى دنياكم وأخراكم .

ألا وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، نبيكم محمد بن عبد الله ، كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٥٦]

(١) رواه البخارى (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) ؛ من حديث النعمان بن بشير ، رضى الله عنه .

نعم المال الصالح للرجل الصالح(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فأوصيكم أيها اناس ونفسى بتقوى الله عز وجل ، وكثرة حمده على آلائه إليكم ، ونعمائه عليكم ، وبلائه لديكم ؛ فكم خصكم بنعمه ، وأزال عنكم نقمه ، وتداركم برحمة ، أعورتم له فستركم ، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم ، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

أيها الناس :

إن المتتبع لتعاليم الإسلام فى القرآن والسنة يرى اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، والحث على تحصيله وحسن تدبيره وتثميره ، بل لقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد فى مللهم ، وعلى حفظ المال والنفس والعقل والعرض .

ومن المسلمات المعلومة بالضرورة ، أن المال زينة الحياة الدنيا ، وأنه مطلوب محبوب، وأن الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق طيبه وحله ، بل إنه يحرض على كسبه ، وحسن التصرف فيه ، لتقضى به الحقوق ، وتؤدى الواجبات ، وتصان الحرمات .

إن المال فى الحقيقة ، لا يطلب لذاته فى هذه الدنيا ، وإنما يطلب عادة ، لما يضمنه من مصالح ، ولما يحققه من منافع ، إنه فى حد ذاته وسيلة لا غاية ، والوسيلة عادة تحمد

---

(١) خطبة للشيخ / سعود الشريم من المسجد الحرام .

أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة وآثار سيئة ، فالمال كالسلاح ، إن كان فى يد مجرم قتل به الأبرياء ، وإن كان فى يد مجاهد مناضل دافع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وقد قال تعالى عن المال ،وما يسوقه من خير أو شر : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ** ﴾ [الليل : ٥ ـ ١١]

وقال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ [العلق : ٦ ، ٧]

وما أسعد المسلم ، حين تعتدل أمامه مسالك الحياة ، فيعمل ويتصبب منه عرقه ، فيزكيه ذلك العرق ويطهره من فضلات الكسل وجمود النفس ، ويكسب الكسب الحلال الطيب ،وتستقيم يده ، وهى تنفق من هذا الكسب الكريم ، ويدخر لنفسه ، ما يحتاج إليه فى غده . قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « **إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » [متفق عليه] ، وقال ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » رواه أحمد ومسلم بنحوه .

أيها الناس :

نعق كذا ناعق فزعموا بحماقة وصفاقة أن الإسلام لا يريد من أهله إلا أن يكونوا فقراء صاغرين ، ويقولون ضالين: إن الله إذا أعطى الدنيا لأحد حرمه من الآخرة ،ويستشهدون بقول القائل :

إن الفقيه هو الفقير وإنما ... راء الفقير تجمعت أطرافها

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا .

والواقع أيها المسلمون أن تلك فرية عظيمة ، تنسب إلى الإسلام وهو منها براء ، بل إن الإسلام هو الذى يحرض على الكسب والنشاط ، ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[الأعراف : ٣٢] .

فالمؤمن ليس درويشًا في معتكفه، أو راهبًا فى ديره ، لا عمل له ولا كسب ، الإسلام لا يعرف المؤمن إلا كادحًا عاملاً ، مؤديًا دوره في الحياة، آخذًا منها معطيًا لها : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[الملك : ١٥] . ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ** ﴾[هود : ٦١] ، ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾[القصص : ٧٧] .

وقد رأى الفاروق رضى الله عنه قومًا قابعين فى ركن المسجد بعد صلاة الجمعة ، فسألهم من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون على الله ، فعلاهم عمر بدرته ، ونهرهم وقال : لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ،وإن الله يقول : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وإن كان الفاروق رضى الله عنه ، يشكو من متوكلين لا يعملون ، ففى حياتنا المعاصرة نشكوا من الأمرين معًا ، من متوكلين لا يعملون ، ومن عاملين لا يتوكلون .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن متوكلون ، فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس ، فأنزل الله : ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ** ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، قال محمد بن نور ، كان سفيان الثورى يمر بنا ونحن جلوس بالمسجد الحرام ، فيقول : ما يجلسكم ؟ قلنا : فما نصنع ؟ قال : اطلبوا من فضل الله ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين .

وسأل رجل أحمد بن حنبل فقال : أيخرج أحدنا إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئًا؟ قال : لا يعجبنى فمن أين يأكل ؟ قال : يتوكل فيعطيه الناس ، قال : فإذا لم يعطوه أليس يتشرف حتى يعطوه ؟ لا يعجبنى هذا ، لم يبلغنى أن أحدًا من أصحاب النبى ﷺ والتابعين فعل هذا ، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى .

قال رسول الله ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا** » رواه أحمد والترمذى وهو صحيح .

وهذا الحديث أخطأ القعدة فى فهمه ، فإن الطيور لم يأتها رزقها رغدًا إلى أوكارها ، وهى قابعة فى أعشاشها ، وإنما غدت فى الصباح سعيًا فى طلبه ، فراحت فى السماء وقد شبعت من رزق الله تعالى وفضله .

أيها المسلمون :

إن من المتحتم عقلاً أنه لا يدعو المسلمين إلى المسكنة والافتقار والاتكال فى القوت على الغير ، أو يصف الإسلام بالحض على ذلك إلا أحد اثنين ؛ إما جاهل بالدين الحنيف يحسبه رهبانية مبتدعة، أو تبتلاً مسرفًا ، وإما مخادع ماكر له فى تلك الدعوة مآرب خبيثة، فهو مطعون النصيحة ، خبيث الغاية ، كيف لا ، ورسول الله ﷺ يقول : « **تعوذوا بالله من الفقر والقلة ، والذلة** » [رواه أحمد] ، ويقول ﷺ : «**اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر** » [رواه أحمد وغيره] .

إن الشيطان بحيله ومكره يخوف المؤمنين من كسب المال ، فينفر طالب الآخرة منه ، ويبادر التائب يخرج ما فى يده ، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أول السلع فى التحصيل ، دينهم وعرضهم ، ويصيرون متمندلين به ، ويقفون فى مقام اليد السفلى التى هى الدون ، والعاقل من الناس من يسعى لكسب ماله وحفظه ما معه ، لينجو من مداراة غنى ظالم ، أو مداهنة بطر جاهل . وقد تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شىء من المال فلا يجد الإنسان بدًا من الاضطراب فى طلبته ، فيبذل عرضه أو دينه .

إن الإسلام ، يريد من أهله أن يكونوا أغنياد أقوياء ، لا مهازيل ضعفاء ، أغنياء بمالهم ليكون سياجًا للدين ، ومددًا لتسليحه وحمايته ، فقد قال تعالى فى قيمة المال ، لإحراز النصر ورفع الشأن : ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً** ﴾ [الإسراء : ٦٠] .

فإن الأمم تنتصر بعد توفيق الله ، بالمال والبنين ، ويوم يكون مالها أداة ترف ، ومصدر استعلاء وطغيان ، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب ؛ فالويل والخسران لأمة ، أورثها مالها هذه الحال . أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار .

أيها المسلمون :

بالمال الحلال ، استطاع المهاجرون إلى المدينة أن يزاحموا اقتصاد أهل الكتاب ، وأن يجعلوا المال مالاً إسلاميًا ، وهذا بحد ذاته له خطورته الظاهرة فى كسب النصر للدين نفسه، فان الإقتصاد فى الأمم يوم تعبث به أيادى من لا ملة لهم ولا شرف ؛ فإنهم يسخرونه ولا شك فى ضرب الملة السمحة ؛ ولذلك كان الإسلام شديد الحض على أن ينطلق المؤمنون فى المشارق والمغارب يكسبون رزقهم ويطلبون من فضل الله ، فى فجاجه العميقة ، هنا وهناك ، أو المخبوءة تحت طباق الثرى ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٠] .

إن المتبطلين العاطلين ، المكتسبين البطالة بالزمالة ، يعتمدون على من سواهم ، ويستغلون عرق غيرهم ، فهم كدود العلق الذى يمتص الدماء ، يحملقون إلى مواضع المحسنين ، قد قضوا على أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة ، مشغولين بالفراغ ، أغنياء بالفقر ، ولقد قال المصطفى ﷺ : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » [رواه البخارى ومسلم] .

قال ابن قتيبة رحمه الله: اليد العليا : هى المعطية ، فالعجب عندى ، من قوم يقولون هى الآخذة ، ولا رأى هؤلاء القوم ، إلا قومًا استطابوا السؤال ، فهم يحتجون للدناءة ،

فأما الشرائع فإنها برئية من حالهم .

عباد الله :

لما فقد المال الصالح ، من يد الرجل الصالح بليت المجتمعات - إلا من رحم الله - بطائفتين منحرفتين :

الأولى منهما : هى طائفة الأثرياء المترفين الذى ضعف عند بعضهم الخلق والدين ، واستخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام ، يأكلون كما تأكل الأنعام ويشربون شرب الهيم ، دون أن يؤدوا واجبًا لدينهم أو مجتمعهم ، يتعاملون فى الشرف على أصول من المعدة ، لا من الروح ، وإذا عظموا الدينار والدرهم فإنما عظموا النفاق والطمع والكذب ، إذ إن حرصهم فوق بصيرتهم ، ولهم فى النفوس رائحة الخبز ، ديدنهم فى مقاييس البشر : خمس وخمس تساوى عشرة ، وسجاياهم المتكررة ، منع وهات ؛ بل هات وهات ، لكنهم مع ذلك لا يجدون فى المال معنى الغنى ، إذ كم من غنى يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يجد .

والطائفة الثانية : طائفة المفلسين القعدة الذين استمرؤوا الكسل والبطالة والتشرد ، دون مال يملكونه ، أو عمل يؤدونه ، ومع ذلك يطلقون لأنفسهم العنان فى مباءات من الانحلال والمعاصى ، فيجمعون بين السوأتين ؛ ضلال وإفلاس قبيحين .

إن الذين يكسلون ولا يربحون ثم يتسولون أو يحتالون باسم التكسب أو العيش ، ليسوا على سواء الطريق ، والذين يحبون المال حبًا جمًا ، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم وخلواتهم القلبية وجلواتهم الروحية ، ليسوا على سواء الطريق أيضًا ، إذ كلا طرفى قصد الأمور ذميم ، وخير الأمور الوسط ، والوسط ما قاله رسول الهدى ﷺ : «**نعم المال الصالح للرجل الصالح** » [رواه أحمد] .

فرحم الله عبدًا كسب فتطهر ، واقتصد فاعتدل ، وذكر ربه ولم ينس نصيبه من الدنيا . ويا خيبة من طغى ماله عليه ، وأضاع دينه وكرامته ، وكان من الدين قال الله فيهم : ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا** ﴾ [الجمعة : ١١] .

عباد الله :

إن المال غاد ورائح ، ومقبل ومدبر ،وما هو إلا وسيلة للإنفاق والبذل ، كما قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى** » [رواه البخارى ومسلم] .

ولا يليق بالرجل القادر ، أن يرضى لنفسه ، أن يكون حملاً على كاهل المجتمع ، ثقيلا مرذولاً ، وأن يقعد فارغًا من غير شغل ، أو أن يشتغل بما لا يعنيه ، إن هذا لمن سفه

الرأى ، وسذاجة العقل ، والجهل بآداب الإسلام ، قال عمر رضى الله عنه : « إنى أرى الرجل فيعجبنى شكله ، فإذا سألت عنه فقيل لى : لا عمل له ، سقط من عينى » .

إن العمل ، مهما كان حقيراً فهو خير من البطالة ، وخير من سؤال أحد من ذوى المال ؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنة مع ذلك السؤال ، وإن منعه فقد باء بذل الخيبة مع ذل السؤال والعز بلا سؤال ، ألذ من كل لذة بسؤال ، والخروج عن ربقة المنن ولو بسف التراب أفضل ، وإن نفس الحر لتحتمل الظما ، حتى لقد قال الفاروق رضى الله عنه : «مكسبة فى دناءة خير من سؤال الناس » .

ولقد قال لقمان لابنه : « يا بنى : استغن بالكسب الحلال ، فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته إحدى ثلاث خصال : رقة فى دينه ، أو ضعف فى عقله ،أو وهاء فى مروءته وأعظم من هذا ، استخفاف الناس به » .

ولا خير فى نيل من ماله عزيز النوال بذل السؤال .

وصلوات الله على المبعوث رحمة للعالمين حيث يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وغلبة الدين وقهر الرجال** » [أخرجه النسائى وأبو داود]
« **اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع** » [أخرجه النسائى وأبو داود] .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن الإسلام رغب في العمل والكسب الحلال ، والاتجار في جمع المال ؛ فقد سئل رسول الله ﷺ : أى الكسب أفضل؟ قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » رواه الطبراني وهو صحيح وقال ﷺ : « **ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » رواه البخارى . وثبت عنه ﷺ فى صحيح مسلم أنه قال : « **كان زكريا عليه السلام نجارًا** » .

وروى الترمذى وابن ماجة بسند حسن عن النبى ﷺ أنه قال : « **التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء** » .

ومر رجل على النبى ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان** » رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح .

ولقد كان أبو بكر رضى الله عنه أتجر قريش ، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول : «يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغى فيه من فضل الله عز وجل ، فإن فيه العبادة والتصديق ، وايم الله ، لأن أموت فى شعبتى رحلى ، وأنا أبتغى بمالى فى الأرض من فضل الله ، أحب إلى من أموت على فراشى » .

وما قتل الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه حتى بلغت غلة نخله مائة ألف . وقال عبد الرحمن بن عوف : « يا حبذا المال ، أصون به عرضى ، وأتقرب به إلى ربى » .

ثم اعلموا رحمكم الله : أن البطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية وأسوئها عاقبة وأشدها تأثيرًا على طمأنينة الحياة وهناءة العيش ، وهى رقية التسول والسرقة والغش

والخداع .

والإسلام ، نظر إلى المكلف نظر اعتبار ، حيث دعاه إلى نزول ميادين العمل على أنواعها ، إما مأجوراً ، أو حراً مستقلاً ، أو مشاركًا فى المال إن استطاع . فإذا صاحب ذلك كله ، صدق وأمانة ، وإخلاص وتوكل ، كان له النجاح والربح والبركة والنماء بإذن الله .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وسيد البشرية .

أحكام اليمين (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى حكم فأحكم ، وحلل وحرم ، أحمده على ما عرف وعلم ، وفقه فى دينه وفهم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مهد قواعد الدين بكتابة المحكم. وأنزله هداية لجميع الأمم ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله ، المبعوث رحمة للعالمين من عرب وعجم ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم على ذلك السبيل ، وسائر المنتمين إلى ذلك القبيل ، وأما بعد ،،،

فيا أيها المسلمون :

اتقو الله حق التقوى ؛ فقد فاز المطيع المتقى ، وخسر المسرف الشقى ، وهلك الظالم المعتدى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران : ١٠٢] .

أيها المسلمون :

كثر على ألسنة الناس اليوم الأيمان والإقسام والنذور ؛ فوجب بيان فقهنا ، وتوظيف أحكامنا ، موعظة وتذكرة ، وتنبيهًا وتبصرة ، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[البقرة : ٢٦٩] .

أيها المسلمون :

اليمين عظيمة فى الدين ، يركن إليها القضاة عند عدم البينة ، ويتراضى بها الناس عند الخصومة ، وتتردد فى معاشرات الناس ومعاملاتهم ، وهى توكيد الشىء بذكر اسم الله، أو صفة من صفاته على وجه مخصوص ، ولا يجوز الحلف بغير الله تعالى ، كالحلف بالأمانة والنبى والملائكة ورأس فلان ؛ فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » ؛ أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى.

ويكره الإسراف فى الحلف والإكثار منه فى أمور الدنيا وتافه الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ﴾[القلم : ١٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾[المائدة : ٨٩] .

---

(١) خطبة للشيخ/ صلاح البدير من المسجد النبوى .

وعن أبى قتادة الأنصارى - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**إياكم وكثرة الحلف فى البيع ؛ فإنه ينفق ثم يمحق** » ؛ أخرجه مسلم .

وأما الإكثار من الحلف فى أمور الدين لتأكيدها ودفع الشك عن سامعها ؛ فهو محمود غير مكروه ، كما كان يفعله النبى ﷺ .

ومن حلف يمينًا قاصدًا عقدها على مستقبل ممكن ، ففعل ما حلف على تركه ، أو ترك ما حلف على فعله مختارًا ذاكرًا - فقد حنث ، ووجبت عليه كفارة اليمين ، وهى إطعام عشرة مساكين ، لكل مسكين كيلو ونصف تقريبًا من بر أو أرز أو تمر ، أو من غالب قوت البلد ، ولا يجزئ إطعام واحد عشر مرات ، أو اثنتين خمس مرات ؛ بل لا يخرج الحالف من العهدة إلا بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، وتتقبل الكسوة بما يجزئ فى الصلاة ، وهو ثوب للرجل يستر عورته ، وللمرأة درع وخمار يستر جميعها ، ولا يجزئ السراويل ولا إزار وحده ، وتجزؤه كسوته من القطن والصوف وسائر ما يسمى كسوة ، والأولى كسوة من الجديد لا من اللبيس ، أو تحرير رقبة مؤمنة ، فإن لم يستطع صام ثلاثة أيام ، واشترط جمهور العلماء أن تكون متتابعات .

ولا يجزئ إخراج النقود فى كفارة اليمين ،ومن فعل خلاف يمينه ناسيًا فلا حنث ولا كفارة ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٥] .

ومن كرر الأيمان قبل الحنث والمحلوف عليه واحد ؛ فلا تجب عليه إلا كفارة واحدة ، ومن حلف ثم حنث ، ثم حلف ثم حنث ، والمحنوث عليه واحد ؛ فعليه كفارات بعدد المرات التى حنث فيها ،ومتى تعددت الأيمان والمحلوف عليه أكثر من واحد ؛ وجب عن كل يمين حنث بها كفارة .

ومن حرم على نفسه مباحًا سوى زوجته ؛ كفر عن يمينه وأتى ما أبيح له .

وعلى المسلم ألا يحرم على نفسه شيئًا أباحه الله له ؛ من طعام أو شراب أو ملبس أو مال له حق شرعى فيه ، ومن حلف لا يفعل برًا ولا تقوى ولا صلة ولا إصلاحًا بين الناس ، حرم عليه أن يعتل بالله ، ووجب عليه أن يكفر ويبر ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[البقرة : ٢٢٤] ، وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها ؛ فليأتها وليكفر عن يمينه** » أخرجه مسلم .

ومن حلف على شىء جازمًا بصحة ما قال ، فظهر بخلاف ما حلف - فلا كفارة

عليه، ومن حلف فقال عـقب يمينه ـ إن شاء الله ـ فقد استثنى ؛ فـإن شاء فعل ،وإن شاء ترك ، ولا حنث عليه ولا كفارة ؛ فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف فاستثنى ؛ فإن شاء رجع ، وإن شاء ترك غير حنث** » ؛ أخرجه أبو داود . ويشترط أن يستثنى بلسانه ،ولا ينفعه الاستثناء بالقلب فى قول عامة أهل العلم .

ومن عقد يمينًا على الكذب والخديعة والفجـور ، لإضاعة حق امرئ مسلم وأكل ماله بالباطل ـ فقد حلف الغموس المردية واليمين الموبقـة ؛ فعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين صبر ، يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر ؛ لقى الله وهو عليه غضبان** » ؛ متفق عليه .

أيها المسلمون :

لا يقع فى الكون شىء لم يكن الله قدره وأراده ، بيد أن الكثير من الناس يظنون أنهم يدركون بالنذر شيئًا لم يقـدره الله لهم ، أو يتبعون به شيئًا قد قـدره الله عليهم ؛ فيعلقون فعل الطاعة على تحصيل منفعـة أو دفع مضرة ؛ كقول ناذر : إن شفانى الله من علتى ، أو شفا فـلانًا ، أو سلم مالى الغائب ـ لأصـومن شهرًا ، أو لأتصدقن بكذا وكـذا ، وهو ما يسمى بـ (نذر المجـازاة والمعاوضة)، أو بـ (نذر التبرر المعلق بـشرط) ، وهو من العادات المكروهة والأعمال المنهى عنها فى الشريعة؛ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تنذروا ؛ فإن النذر لا يغنى من القدر شيئًا ، وإنما يستخرج به من البخيل** » ؛ أخرجه مسلم .

فالنذر لا يجر للناذر فى العاجل نفعًا ، ولا يصـرف عنه ضرًا ، ولا يغير قضاء ، ولا يرد قدرًا ، لكن متى أدرك الناذر ما أمنه لغة ، لزمه الوفاء بما نذر .

ومن ألزم نفسه قربة على وجه التبرر ، بلا شرط ولا صفة ، مثل أن يقول : لله على أن أصوم شهر كذا ـ وجب عليه الوفاء بنذره ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾ [الحج : ٢٩] ، ولقوله تعالى : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ [الإنسان : ٧] ، ولحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال : « **من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصى** » أخرجه البخارى .

ومن نذر نذرًا مطلقًا ولم يسم شيئًا ؛ لزمته كفارة يمين ؛ لحديث عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **كفارة النذر كفارة اليمين** » ؛ أخرجه مسلم .

ومن نذر عبـادة مكروهة فى الشـرع ؛ مثل : قيـام الليل كله ، وصيـام الدهر كله ، وصيام سنة متوالية ـ لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر ، وعليه كفارة يمين .

ومن نذر فعل معصية ؛ مثل أن يقول : والله لا أكلم والدى ، والله لأشربن الخمر ، أو نحو ذلك من الأعمال الممنوعة ـ حرم عليه فعل المحلوف عليه ؛ لأنه معصية ، ولزمته كفارة يمين فى أصح قول العلماء ؛ لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «**لا نذر فى معصية ، وكفارته كفارة يمين** » ؛ أخرجه أبو داود ، وله شواهد .

ومن نذر نذرًا علقه على شرط قصد به المنع أو الحظر ؛ نحو : إن لم أحضر مجلسكم فعلى كذا ـ خير بين فعل ما نذر وبين كفارة يمين ،وكذا من نذر فعل مباح ؛ خير بين فعل ما نذر وبين كفارة يمين .

ومن نذر ما يعجز عن فعله ، وليس فى مقدوره ـ لم يجب عليه الوفاء بنذره ، وعليه كفارة يمين ؛ فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ : « رأى شيخًا يهادى بين ابنيه ؛ فقال : « ما بال هذا ؟ » ، قالوا : نذر أن يمشى ـ يعنى أن يحج ماشيًا ـ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » ، وأمره أن يركب ؛ متفق عليه.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « من نذر نذرًا لا يطيقه ؛ فكفارته كفارة يمين » ؛ أخرجه أبو داود .

فاتقوا الله أيها المسلمون ،واحفظوا أيمانكم ، واحذروا النذور التى تكلفكم ما لا تطيقون ، واجعلوا نشاطكم فيما أوجب الله عليكم ، واستجلبوا النعم واستدفعوا النقم بالعمل الصالح والدعاء ؛ فلا يرد القدر إلا الدعاء .

بارك الله لى ولكم فى القرآن والسنة ، ونفعنى وإياكم بما فيه من البينات والحكمة ، وأستغفر الله فاستغفروه ،إنه كان للأوابين غفارًا .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه ، وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد ، ،

فيا أيها المسلمون :

اتقوا الله وراقبوه ، وأطيعوه ولا تعصوه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] .

أيها المسلمون :

النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، وصرف النذور للقبور والأضرحة والموتى من أعظم الشرك وأكبر الإثم ، فلا يحل لمسلم أن ينذر للمشاهد والقبور والأضرحة بناءً أو زيتًا أو شمعًا أو دراهم أو طعامًا أو ذبحًا ،ومن نذر شيئًا من ذلك وجب عليه التوبة ، وحرم عليه الوفاء بنذره .

ومن ذبح عند قبر فالذبيحة ميتة يحرم الأكل منها أو توزيعها على الناس ، ولو ذكر ذابحها اسم الله عليها، ويجب طرحها أو إطعامها للحيوانات؛ فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الهدى ﷺ : « **لا عقر فى الإسلام** »؛ أخرجه أبو داود؛ قال عبد الرزاق : « **كانوا يعقرون عند القبر ببقرة أو شاة** » ؛ قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

ثم صلوا وسلموا على أحمد الهادى شفيع الورى ، ومن صلى عليه صلاة واحدة ؛ صلى الله عليه بها عشرًا .

اللهم صل وسلم على عبدك المصطفى ونبيك المرتضى ؛ نبينا وسيدنا محمد ، وارض اللهم عن آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، المهاجرين منهم والأنصار ، وعنا معهم بمنك وجودك يا عزيز يا غفار .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

اللهم وفق ولى أمرنا لما تحب وترضى ، اللهم خذ بناصيته للبر والتقوى ، وأصلح له

بطانته يا رب العالمين .

اللهم ادفع عنا الغلاء ، اللهم ادفع عنا الغلاء ، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .

اللهم ارحم موتانا ، واشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، وفك أسرانا ،وانصرنا على من عادانا .

اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسق عبادك وبهائمك ، اللهم اسق عبادك وبهائمك ، اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحيي بلدك الميت . اللهم إنا خلق من خلقك ؛ فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللهم جد علينا برحمتك وإحسانك ، وتفضل علينا بغيثك ورزقك وامتنانك . إليك مددنا بالرجاء أكفنا ؛ فحاشاك من رد الفتى فارغ اليد .

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] ، اذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ،والله يعلم ما تصنعون .

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، وشـرع لنا أكمل الشرائع وأفضل الأحكام ، وأبان لنا الحلال والحرام ، وجعل فى الحلال غنية عن الحـرام ، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله التجـاوز عن جميع الذنوب والآثام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحل الـبيع وحرم الربا ، وأشـهد أن نبـينا محمـدًا عبده المصـطفى ، ورسوله المجتبى ، صلى الله وسلم وبارك علـيه وعلى آله وصحبه أولى الفـضل والتقى ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى .

أما بعد :

فيـا أيها المسلمـون ، اتقوا الله تبـارك وتعالى ، واشكروه على مـا هداكم للإسلام ، وأولاكم من الفضل والإنعام .

عباد الله ، لقد جـاء الإسلام دينا كاملاً ،ونظامًا شاملاً ، عم بإصلاحـه البلاد والعباد، وهيأ بتنـظيمه أمـور المعاش والمعـاد ، شمل مرافق الحـياة كلهـا بل وما بعد المـمات ، وعنى بتصحيح العقائد والعبادات ، وسلامة الأخـلاق والمعاملات ، لم يترك نظامًا فيه صلاح للفرد والمجتمع إلا جـاء به ، وحث عليه أيا كان نوعـه ؛ وازن بين عالمى الروح والمادة ؛ فى تناسق فريد ، وبناء مـحكم لم تشهـد البشرية لـه مثيـلاً عبر التـاريخ ؛ ألا وإن من الأنظمة المهـمة والجوانب العظيمة التى عنى بها الإسلام أيما عناية: الجانب الاقتصادى فى حياة الفرد والأمة ؛ لما له من الأهمية الكبرى فى حياة الناس وواقعهم ، وفى تصرفاتهم المالية وتعاملهم.

إخوة الإسلام ، لقد أقام الإسلام نظامه الاقتصـادى على قاعدة الإيمان وأساس العقيدة، وأن الله سبحانه هو خالق الكون ومالك الملك وحده، له الخلق والأمر ،وله الحكم والتشريع، وأن المال مال الله استخلف العباد فـيه؛ لينظر كيف يعملون، ومكن لهم من الأرزاق والمعايش والأقوات ، ابتـلاء وامتـحانًا ؛ لـيرى صدق تعـاملهم ، وأباح لهم البيع والاتجـار ؛ لتنتظم أمورهم فى هذه الدار ؛ تكافلا وتسخيرًا ، وحكمه وتقديرًا ، ورحمة وتدبيرًا.

ولقد أمـر الإسلام أتبـاعه أن يسـيروا فى ذلك كله على وفق منهج الله ، وعلـى ضوء سنة رسوله ﷺ ؛ مراعاة للمبادئ الإيمانية ، والضوابط الأخلاقـية ، والمعاملات الشرعية ؛ بعيدًا عن الظلم والتعدى، وبخس الناس حقوقهم ،وأكل أموالهم، وابتزاز جيوبهم، وامتصاص دمائهم.

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

معاشر المسلمين ، لقد جاء الإسلام فى نظرته الاقتصادية وسطا بين النظم ، وعدلا بين المبادىء الرأسمالية والاشتراكية ؛ فقاعدته إيمانية ، وأهدافه إسلامية ،ورسالته عالمية ، وضوابطه أخلاقية ، ونزعته إنسانية أخوية ، ووجهته دينية شرعية ، ونظرته واقعية إصلاحية ، لا تحده إلا حدود الشريعة ؛ راعى الملكية الفردية ، وعنى بمصالح الأفراد إلى جانب مصالح الجماعة دون إفراط أو تفريط ، وبلا وكس ولا شطط؛ بحيث لم يجعل للفرد طريقًا للإثراء والتضخم والاحتكار والتسلط على حساب الآخرين ، كما أنه لم يبخسه حقه (١) ، ولم يلغ تملكه ،ولم يجعله مظلومًا فى مجتمع تسوده حرب الطبقات ، ويداس فيه الأفراد المعوزون(٢) ؛ كما هو واقع النظم الأرضية ، والقوانين الوضعية ؛ الشرقية منها والغربية .

أيها المسلمون ، من أهم ملامح النظام الاقتصادى الإسلامى ومحاسنه : تحريمه للربا ، وتشنيعه على المرابين ؛ لما للربا من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، وأخطار كثيرة ، وشرور مستطيرة ، وعقوبات عاجلة وآجلة ، وأضرار بالغة على حياة الأفراد والمجتمعات ، الربا كبيرة كبرى ، وجريمة شنعاء ، وبلية عظمى ، محرم بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين ، عده النبى ﷺ من السبع الموبقات المهلكات ؛ كما فى « الصحيحين »، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه (٣) .

الربا من أكبر الذنوب عند الله ، وأعظم الفواحش ، محرم فى جميع الشرائع السماوية ؛ قال تعالى : ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾ [النساء: ١٦٠ ، ١٦١] ، أكلة الربا متوعدون بالوعيد الشديد فى الدنيا والآخرة ، مهددون بالعذاب فى النار وبئس القرار ، المرابون محاربون لله ورسوله ؛ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] ، وهل يجرؤ على محاربة العزيز الجبار ـ الواحد القهار ، القوى المتين ، الذى بيده ملكوت السموات والأرض ـ من له أدنى مسكة من عقل ، أو ذرة من إيمان ؟! من بارز الله بالمحاربة ، فهو الخاسر المهزوم ، فرحماك إلهنا رحماك ، واللهم سلم سلم !!

المتعاملون بالربا تنفر منهم القلوب ، ينبذهم المجتمع ؛ تراهم شحيحين جشعين ، جموعين منوعين ؛ المرابون ملعونون على لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ ؛ فقد روى

---

(١) لم يبخسه حقه ، أى : لم يظلمه بنقصان حقه . « اللسان » (بخس) .

(٢) المعوزون : الفقراء المعدمون . « اللسان »(عوز) .

(٣) تقدم تخريجه .

الإمام مسلم ، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : « **لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : هم سواء** »(١) ، أى : سواء فى الإثم .

وفى الربا جرأة على دين الله، ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ الذى ألغى مسالك الجاهلية، ومنها المعاملات الربوية؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام: « وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا: ربا العباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوع كله »؛ كما جاء فى خطبة عام حجة الوداع ، خرجها مسلم فى « صحيحه »، من حديث جابر، رضي الله عنه(٢) .

وفى الربا : خراب البلاد والعباد ، فيالربا : تعطيل لمصالح البشر ، وتعريض أموالهم للخطر ، فى الربا : جور وظلم ، وبغى وتسلط ، به يلغى المعروف ، وبه ينعدم الإحسان، به تذهب الأموال ، وتمحق البركات ؛ ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾[البقرة : ٢٧٦] .

المرابى على شفا حفرة من السعير ، وعلى طريق هلكة وشر مستطير ، المرابى مجرم فى حق نفسه ومجتمعه وأمنه ، مبغض عند الله وعند عباد الله .

أمة الإسلام ، ما ظهر الربا فى أمة إلا أهلكها ، ولا فى جماعة إلا دمرها ،ولا فشا فى أمة إلا حل بها الفقر والأمراض والظلم ، وكم نرى ونسمع من تلف الأموال وزوالها ؛ بغرق ، أو حرق ، أو نحوهما من العقوبات العاجلة ! وكم نقرأ ونشاهد ما تفرزه المشكلات الاقتصادية المتأزمة فى العالم من تراكم الديون الهائلة ؛ جراء الربا والتعامل به ، ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ** ﴾[طه : ١٢٧] ! .

اسمعوا ـ رحمكم الله ـ إلى حالة المرابين ـ والعياذ بالله ـ يقول الله ـ عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[البقرة: ٢٧٥] :

قال المفسرون : أى : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى مسه الشيطان وصرعه ؛ كلما قاموا ، صرعوا ، وكلما أرادوا النهوض ، سقطوا ؛ فهم كالمجانين ، والعياذ بالله(٣) !

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **لما أسرى بى ، مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم لا يستطيعون أن يبرحوا ؛ كلما قاموا ، مالت بهم بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال :**

(١) « صحيح مسلم » (١٥٩٨) .

(٢) تقدم .

(٣) انظر : « تفسير الطبرى » (٦ / ٨ ـ ١٢) ، و « تفسير ابن كثير » (١ / ٧٠٨) .

هؤلاء أكلة الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس»(١) .

وروى الإمام أحمد ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت ، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا** »(٢) .

وروى البخارى عن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجل قائم ،وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ؛ فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج ، رمى الرجل بحجر فى فيه ، فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج ، رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : الذى رأيته فى النهر : آكل الربا**»(٣) .

وروى ابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى ، عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ، قال : « **الربا ثلاثة وسبعون بابًا ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه** »(٤) والعياذ بالله، إذا كان هذا أهونها ـ يا عباد الله ـ فكيف بأعظمها ؟! فاللهم عفوك وعافيتك يا الله!.

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فذكر الربا وعظم شأنه، وقال: « **إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل**»(٥) .

اسمعوا يا من تتعاملون بالربا ، أبعد هذا ـ يا عباد الله ـ يقدم من فى قلبه إيمان على التعامل بالربا ، وهو بهذه الشناعة والفظاعة فى الدنيا والآخرة ؟! نعوذ بالله من قسوة القلوب وعمى البصائر !

أمة الإسلام ، ألا إن الربا من أعظم ما ابتليت به المجتمعات المعاصرة ؛ فالواجب على من أراد نجاته يوم العرض على الله أن يحذره غاية الحذر ، ولا يغتر بما عليه المتساهلون الذين غرهم حب المال ؛ يقاسون أتعابه ، ويتحملون حسابه ، ويصلون عذابه !

تذكروا ـ يا عباد الله ـ عقوبة الله ، ولا يحملنكم الجشع والطمع على المعاملات المحرمة ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ؛ ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾[الروم : ٣٩] .

---

(١) رواه أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب « الترغيب والترهيب » (١٣٧٣) .

(٢) « المسند » (٢ / ٣٦٣) ، وابن ماجه (٢٢٧٣) .

(٣) « صحيح البخارى » (٢٠٨٥) .

(٤) « سنن ابن ماجه » (٢٢٧٥) ، و « المستدرك » (٢ / ٣٧) ، و « شعب الإيمان » (٥٥١٩) .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا فى « الصمت » (١٧٥) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٥٥٢٣) .

فـاتقـوا الله ـ يا أهل الإسـلام ـ اتقوا الله أيهـا التـجـار ، اتقـوا الله يا أرباب البنوك والمصارف ، اتقوا الله أيها المسلمون جميعًـا ، أنقذوا الأمة من المعاملات المحرمة ، لا تبتل الأمة بالذل والمهانة والهزيمة بشؤم تعاملكم .

واتقوا الله يا من تتساهلون فى إطلاق الأحـكام على بعض المعاملات ؛ حذار أن تحلوا ما حرم الله بالتحايل على شرع الله ، والأخذ بالرخص ، والأقـوال الضعيفة والمرجوحة ، واحرصوا على براءة ذممكم يوم تعرضون على ربكم . جل جلاله .

إن من العار على أهل الإسلام أن يسـتبدلوا فى أمور معـاملاتهم الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وأن يسـتمرئوا التعامل بالعفن الربوى ، وهم أرباب رسـالة الصلاح ، وحاملوا رايات الإصلاح للبشرية ، كـيف وهم يرون الأنظمة الوضعية تنهار وتـتهاوى بين الفينة(١) والأخرى ؟! فالفرصة فرصة أهل الإسلام فى عرض النظام الاقتصادى على البشرية اليوم ، وسـيحظى بـالنجاح بإذن الله ؛ كـيف وهو تنزيل من حكـيم حمـيـد ؟! وتذكروا ـ أيهـا المتعاملون بالربا ـ المصرع الوخيم للمرابين فى الدنيـا والآخرة ، حذار أن تغتروا بمن يتعامل بالربا ، ستسألون أمام الله عن أموالكم : من أين اكتسبـتموها ؟ وفيم أنفقتموها ؟ كما ورد عن المعصوم ﷺ عند الترمذي، وغيره، من حديث أبى برزة، رضى الله عنه وأرضاه(٢) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[آل عمران : ١٣٠ ، ١٣٢] .

نسأل الله أن يأتى الـيوم الذى تقر فـيه أعين أهل الإسلام ، وتشـفى فيـه صدور أهل الإيمان ؛ بانقشاع سحـابة الربا القائمة عن مجتمـعات المسلمين ، بمنه وكرمه ، ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾[إبراهيم : ٢٠ ، فاطر : ١٧] ، وما ذاك بمستحيـل على أهل الإسلام الغيورين عليه ، والمعتنين بالاقتصاد الإسلامى ، والعاملين على وجود المصارف الإسلامية على مقتضى النصوص والقواعد الشرعية .

سدد الله الخطا ، ونفع بالجهود ، وأغنانا بحلاله عن حـرامه ، وبفضله عمن سواه ؛ إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الفينة : الساعة والحين . « تاج العروس » (فين) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢٥) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى حرم علينا الخبائث وأحل لنا الطيبات ، أحمده تعالى وأشكره وأسأله الثبات ، فى الحياة وعند الممات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تكفر الخطايا والسيئات ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، حث على أكل الحلال والبعد عن المحرمات والمشتبهات ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أولى الفضل والمكرمات ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسموات .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون والمسلمات ، اتقوا الله ربكم عالم السر والخفيات ، والمطلع على ما تكنه الضمائر وترنو إليه المقاصد والنيات .

عباد الله ، لقد شاعت فى كثير من أوساط المسلمين ومجتمعاتهم صور من المعاملات الربوية المحرمة ، وواجب المسلم أن يكون على حذر وحيطة من الدخول فيها والتعامل بها، وأن يسأل أهل العلم عما يشكل عليه منها ، ولقد انتشرت كثير من المعاملات المحرمة والمشتبهة ، والحيل الممنوعة ، وإن من النصح لدين الله ولعباد الله : التنبيه عليها حتى يحذرها الناس :

فمن صور المعاملات الربوية المحرمة : القرض بالفائدة ؛ كأن يقرض رجل آخر مبلغًا من المال على أن يرد عليه هذا المبلغ مع زيادة مئوية محددة .

ومنها : الإيداع بالفائدة ؛ كما يسمونها .

ومنها : ما يحصل عند صرف النقود بعضها ببعض ؛ من عدم التقابض فى المجلس ، ومن ذلك : ما يحصل فى محلات الصياغة والحلى والمجوهرات ؛ من بيعها بدراهم ، ثم يحصل التفرق قبل القبض .

ومنها : بيع العينة المحرم[1] .

وغير ذلك كثير من المعاملات المحرمة ، التى ليس هذا مجال بسطها .

وفى الحديث : عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح**

---

[1] انظر : « المغنى » (٦ / ٢٦١ ـ ٢٦٣) ، و « الموسوعة الفقهية » (٩ / ٩٥ ـ ٩٧) .

بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، أخرجه الإمام مسلم (١) .

وله من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**فمن زاد أو استزاد ، فقد أربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء** »(٢) .

ومن صور المعاملات المحرمة المعاصرة : ما تعمد إليه بعض البنوك والشركات والمؤسسات المالية ، من الدعوة إلى المساهمات التى لا تخلو من الربا والمشتبهات .

فعلى المسلم الحذر من جميع ذلك ؛ فإن الأمر عظيم ، والخطر جسيم .

والبديل عن ذلك كثير ـ بحمد الله ـ من صور التعامل الحلال المباح ، والمجتمع المسلم مجتمع محبة وتراحم ، ومودة وتكافل ، والله عز وجل يقول : ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .

ألا وصلوا وسلموا على النبى الهاشمى ؛ كما أمركم بذلك ربكم عز وجل ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

(١)« صحيح مسلم » (١٥٨٧) .
(٢)« صحيح مسلم » (١٥٨٤ / ٨٢) .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بسنته .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ تعالى ـ حق تقواه ، وسارعوا إلى جنته ورضاه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

أيها المسلمون :

إن نبينا محمداً ﷺ قال : « **إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها** » ؛ من حديث أبى ثعلبة الخشنى ـ رضى الله عنه ـ قال النووى ـ رحمه الله ـ : حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره ، وإن مما فرض الله على عباده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لما فى ذلك من المصالح العامة والخاصة الدينية والدنيوية ، ولما فى ذلك من دفع الشرور والمفاسد ، ودفع العقوبات والنوازل ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وقال تعالى ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

قال عمر ـ رضى الله عنه : « **من أراد أن يكون من هذه الأمة فليوف شرط الله فيها** »، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقال ـ تعالى ـ فى وصف المؤمنين : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن الحذيفى من المسجد النبوى .

وأثنى الله ـ تعالى ـ على من كان عاملا بالمعروف والنهى عن المنكر من أهل الكتاب المتمسكين بشريعتهم التى لم تغير ولم تبدل فقال ـ تعالى : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤] .

والمعروف : كل ما أمر به الإسلام وجوبًا أو استحبابًا ، ولا يأمر القرآن والسنة إلا بما فيه الخير المحقق فى الدارين ، ولا يأمر إلا بما جعله الله سببًا لدخول جنات النعيم ، والمنكر : هو كل ما نهى عنه الإسلام تحريمًا أو كراهة ، ولا ينهى الإسلام إلا عن كل شر محقق فى الدنيا والآخرة ، ولا ينهى إلا عن ما يكون من أسباب دخول النار ، عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ؛ رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، وقال ـ تعالى ـ فى وصف المؤمنين : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال بعض أهل العلم : « إن هذا ركن من أركان الإسلام ، إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (قال بعض أهل العلم) : هو ركن من أركان الإسلام » .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » .

وروى : « أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة ، فيقول له : إليك عنى ، فإنى لم أظلمك فى أهل ولا مال ولا عرض ، فيقول : إنك كنت ترانى على المنكر ولم تنهنى » .

ولا بد لمن أمر بالمعروف أن يتحقق أنه معروف أمر به الشرع ، وأن يتحقق أن المنكر الذى ينهى عنه نهى عنه الشرع ؛ يكون متبعًا للدليل على بصيرة ، وينبغى أن يكون الآمر والناهى أن يكون ذا حكمة بطبعه أو بالتعلم ، وأن يفقه ما يأمر به وينهى عنه ؛ لينزل الأدلة على مدلولاتها، ويسترشد بقول الله وقول رسول الله ﷺ فى الأمور وتقلب أحوالها؛ قال ـ تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حارس الفضائل (حارس الفرائض والفضائل) ، وقامع الشر والرذائل وإذا وهى جانبه وكثر مجانبه دخل على المجتمع كل شر وباطل ، والتغيير باليد هو للسلطان أو نائبه ، والإنكار باللسان بالحكمة ، والترغيب والترهيب ،

وحسن الخلق لكل من يعلم حكم الله فى المنكر ،والإنكار بالقلب لكل أحد .

وكل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مقترنان معًا لا ينفصلان ، فمن أحب المعروف ولم يبغض المنكر فقد فرط فى واجب ، ومن أمر بمعروف ولم ينه عن منكر فقد ترك واجبًا ، ومن نهى عن منكر ولم يحب المعروف فقد خالف هدى محمد ﷺ فلا بد من الأمر بالمعروف ومحبته ، والنهى عن المنكر وبغضه .

وقد قال بعض السلف : «من أمر بمعروف ونهى عن منكر ، فليعرض نفسه على قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] ، وقوله ـ تعالى ـ عن شعيب ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود : ٨٨] ، وقوله ـ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] » .

والصبر واجب على الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ؛ لأنه سيتعرض للأذى كما هى سنة الله بذلك ؛ قال ـ تعالى ـ عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان : ١٧ ، ١٨] ؛ لأنه يتعرض لأهواء الناس ، والهوى يتحكم على كثير من الناس ، والناهون عن المنكر لهم البشرى ، وللآمرين كذلك بالمعروف لهم البشرى فى عاجل الدنيا وآجلها ؛ قال ـ تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

وينجى الله الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر من العقوبة على الذنوب مع ما له من الثواب العظيم ؛ قال ـ عز وجل ـ : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] ، ويكفر الله ـ تبارك وتعالى ـ به بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر به الفتنة فى المال وفى الأهل وفى الولد، فقد سئل حذيفة ـ رضى الله عنه ـ عن الفتن فقال : « إن الصلاة والصيام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكفر الله بها ـ تبارك وتعالى ـ فى ولد الإنسان وفى ماله » .

ووعد الله ـ تعالى ـ من أمر بخير وحذر من شر وعده جنات النعيم ، والنجاة من العذاب الأليم ـ فقال ـ عز وجل : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١١٢]، والبشرى خير الدارين ، ومن هـذه البشارة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢] .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدى سيد المرسلين وقوله القويم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ،ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه .

الخطبة الثانية

الحمـد لله رب العالمين ولى المؤمنين ، أحـمده ربى وأشكره وأتوب إليـه وأستغـفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له يحب المتقين ، وأشهد أن نبينا وسيـدنا محمداً عبده ورسوله بعـثه الله بالهدى واليقين ؛ لينذر من كان حيًـا ويحق القول على الكافرين ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى .

عباد الله :

أعظم نعمة على العـبد أن يمن الله عليه بقلب سليم يعرف المعروف ويحـبه ، ويأمر به ويحب أهله ، ويعرف المنكر ويبغضه ولا يقع معهم فى محرم .

معشر المسلمين :

لقد تفشى الجهل بقلة المعرفة بالأعـمال الصالحات والجهل بالمنكرات ، وأعظم ما ينفع به المسلم أخاه المسلم أن يدله على هدى ، أو يحذره من ردى ومحرم ، والمؤمنون ناصحون بررة يحبـون الخير لإخوانهم المسلمين ـ كـما فى الحديث : « لا يؤمن أحـدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخارى ومسلم من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وعن جرير ـ رضي الله عنه ـ قال : « بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم » .

والمنافق غاش مناع للخير ؛ قال الله ـ تعالى : ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : ٦٧] ، فتـحابوا بينكم ـ معـشر المسلمين ـ بروح الله ، وتناصـحوا بالرفق والمودة والاحتساب .

علمـوا الجاهل أمـور دينه ، علمـوه التوحـيد وأنـواع الشرك بالله ، وأحكام الصـلاة ومسـائل أركان الإسـلام ، عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ﷺ : « **لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم** » .

ذكروا الغـافل عن الله ؛ ليعـمل للآخرة ولا يغـتر بالدنيا ، خـوفوا المتـمرد على الله الجرىء على المعاصى بأن بطش الله شديد ، رغبوا الكسول عن الخيرات بالجد والاجتهاد فى

الطاعات ، أيقظوا الهمم الضعيفة بالقرآن والسنة ليزداد الإيمان .

أيها المسلمون :

إن واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منك لأولادك وأهلك ، والأقرب فالأقرب وجيرانك أولا ؛ فإن عليك - أيها المسلم - واجبًا عظيمًا وأمانة كبرى لأولادك وأهلك أن تأمرهم بما فرض الله عليهم من الحقوق والفرائض ؛ حتى يؤدوها ، وتناهم عن ما حرم الله وتجنبهم طرق الردى وشياطين الإنس والجن الذين يدعون إلى كل شر ورذيلة ، ويصدون عن سبيل الله وعن جنات النعيم ؛ قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم : ٦] ، وأشد الناس حسرة فى الدنيا والآخرة من ضيع هذه الأمانة .

أيها المسلمون :

ألا تحبون أن يكون أولادكم معكم فى دار السلام ؟ قال الله - تعالى - وهو أصدق القائلين - ولا يخلف الله وعده - : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور : ٢١] .

قال المفسرون فى هذه الآية : « إن الله - تبارك وتعالى - يلحق الأولاد بمنزلة الآباء فى الجنة ، وإن عمل الأولاد ناقصًا عن عمل آبائهم تكرما من الله وفضل ورحمة كى تقر أعين الآباء بمشاهدة الأولاد معهم ، ولا ينقص الله - تبارك وتعالى - ثواب أعمال الآباء ؛ فإنه - عز وجل - كريم جواد لا منتهى لكرمه ، والله - عز وجل - دعاكم لتنالوا فضله وتنالوا كرامته ؛ فحققوا ما أمركم الله به لينجز لكم ما وعدكم ، والله - عز وجل - لا يخلف الميعاد .

عباد الله :

﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [لأحزاب : ٥٦] .

اللهم صل وسلم على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم ارض عن الصحابة أجمعين . اللهم ارض عن خلفاء الرسول المهديين - أبى بكر وعمر وعثمان وعلى - وعن سائر الصحب والآل أجمعين . اللهم وارض عنا معهم بمنك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الكفر والكافرين يا رب العالمين ، ودمر أعداءك أعداء الدين .

اللهم أبطل كيد أعداء الإسلام يا رب العالمين . اللهم أبطل مكر أعداء الإسلام يا رب العالمين . اللهم أبطل مخططات أعداء الإسلام التى يريدون بها أن يضربوا الإسلام إنك على كل شىء قدير . اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين يا أرحم الرحمين يا قوى يا متين .

اللهم اقمع البدع التى تحارب الإسلام يا رب العالمين . اللهم اقمع البدع التى تحارب الإسلام . اللهم أبطل البدع التى تحارب الإسلام يا رب العالمين ويا قوى يا متين . اللهم انصر دينك إنك على كل شىء قدير . اللهم أعذنا وأعذ ذرياتنا من إبليس وذريته وشياطينه يا رب العالمين . اللهم أعذ المسلمين من إبليس وذريته وشياطينه إنك على كل شىء قدير .

اللهم آمنا فى أوطاننا ، وأصلح اللهم ولاة أمورنا . اللهم اجعل بلادنا آمنة مطمئنة رخاء سخاء وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين . اللهم وفق خادم الحرمين الشريفين لما تحبه وترضاه . اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله فى رضاك يا رب العالمين . وانصر به دينك وأعل به كلمتك إنك على كل شىء قدير .

اللهم وارزقه البطانة الصالحة التى تدله على الخير وتعينه عليه يا رب العالمين .

اللهم وفقه لما فيه الصلاح والفلاح للبلاد وللعباد يا رب العالمين إنك على كل شىء قدير .

اللهم وفق ولى عهده لما تحب وترضى ، ولما فيه نصرة الإسلام والمسلمين وما فيه الخير يارب العالمين . اللهم وفق النائب الثانى لما تحب وترضاه ، ولما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين . اللهم اجعل ولاة أمور المسلمين عملهم خيراً لشعوبهم وأوطانهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين إنك أنت الرحمن الرحيم .

اللهم نسألك أن تغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، يا حى يا قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله يا رب العالمين .

اللهم أغثنا . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثًا عاجلا يا رب العالمين إنك أنت رحمن الدنيا والآخرة .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١]

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٠ ، ٩١] .

اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ،واشكروه على نعـمه يزدكم (ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

القسم السابع
الأخلاق والسلوك

الأمانة
مفهومها ، ومكانتها ، وآثارها (١)
الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أمر بأداء الأمانات ، ورتب على ذلك جزيل العطايا والهبات ، ونهى سبحانه عن المنكر والغدر وسائر الخيانات ، وأوعد على ذلك أليم العذاب وأشد العقوبات، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يحب من عباده الصادقين الأمناء ؛ أهل البر والطهر والخير والوفاء ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، الموصوف بالصدق والأمانة ، رغب أمته في الأمانة ، وحذرها من الخيانة ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله أهل الطهر والأمانة ، وصحبه أولى الفضل والعدالة ، وتابعيهم بالخير والإحسان والديانة ، وكل من تحلى بالأمانة وتخلى عن الخيانة إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

يا عباد الله ، يربى الإسلام أتباعه على خير السجايا وأحسن الخصال ، وأفضل الأخلاق ،وأنبل الشمائل ، ويترقب من كل متبع له أن يكون ذا نفس عزيزة ، وقلب حى، وضمير يقظ ، تصان به الحقوق ،وتحرس به الأعمال ،وتحفظ به المسؤوليات ؛ ومن ثم جاء الدين الإسلامى بتربية أهل الإسلام على التزام الأمانة وأوجب على كل مسلم أن يكون نزيها أمينًا يتحلى بلباس العفة والأمانة ، ويتخلى عن الغدر والخيانة .

أيها المسلمون ، إن الأمانة عظيم قدرها ، كبير شأنها فى دين الله ـ عز وجل ـ ولذلك جاء الأمر بتحقيقها ورعايتها ؛ يقول سبحانه : ﴿ **فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، وقال جلا وعلا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء : ٥٨] ، وقال عز من قائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢٧] ، وجعل سبحانه أداء الأمانة من أعظم دلائل الإيمان وأهم صفات المؤمنين؛ فقال تعالى وتقدس : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٨] .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

معاشر المسلمين ؛ والآية العظمى فى شأن الأمانة ، وبيان مكانتها ، وعظم منزلتها هى قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، فيا لها من آية عظيمة تبين خطورة الأمر وعظم المسؤولية ؛ حيث أشفقت السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة ، وخافت من عواقب حملها ؛ لما يترتب على التقصير فى ذلك من العذاب والنكال !!

وفى السنة المطهرة : قال ـ عليه الصلاة والسلام : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك** »[(١)] ؛ كما ورد فى السنة : أن الخيانة فى الأمانة من صفات المنافقين ؛ كما فى حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فى « الصحيحين »[(٢)] ، وروى الإمام أحمد ، وغيره، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : « **لا إيمان لمن لا أمانة ، ولا دين لمن لا عهد له** »[(٣)] .

الله المستعان ، عباد الله ، تأملوا ـ رحمكم الله ـ خطورة الأمر وعظم الشأن لهذه القضية المهمة التى ينوء بحملها الضعاف المهازيل ، والظلمة المجاهيل .

أمة الإسلام ،إذا عرفنا قدر الأمانة ومكانتها فى دين الله ـ عز وجل ـ والنصوص الواردة فيها ، فإنه يبقى جانب مهم تجب معرفته لدى كل مسلم ، لا سيما وقد جهله كثير من الناس ، ألا وهو « مفهوم الأمانة » ؛ فإن كثيرًا من العامة يقصر الأمانة فى أضيق معانيها ، حتى لقد انحسر مفهومًا عندهم فى حفظ الودائع فحسب ، مع أن حقيقتها فى الإسلام أضخم وأثقل ، ومفهوما أوسع وأشمل .

إن الأمانة ـ فى شرع الله ـ عظيمة المعنى ، وواسعة الدلالة ، تحمل فى طياتها معانى شتى ؛ يجمعها : شعور المسلم بتبعاته ، وقيامه بمسؤولياته فى كل أمر يوكل إليه ويكلف به من أمور الدين والدنيا ، ويقينه الجازم : أنه مسؤول عنه أمام الله عز وجل ؛ ليقوم بكل ما أسند إليه من حقوق الله وحقوق عباده على خير وجه .

وقد اتفقت أقوال أهل العلم على أن المراد بالأمانة فى آية الأحزاب[(٤)] : جميع

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥) ، والترمذى (١٢٦٤) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) « صحيح البخارى » (٣٣) ، و « صحيح مسلم » (٥٩) ، بلفظ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

(٣) « المسند » (٣ / ١٣٥) ، و « مسند أبى يعلى » (٢٨٦٣) .

(٤) الآية رقم (٧٢) . وانظر : « المحرر الوجيز » لابن عطية (١٢ / ١٢٦) .

التكاليف الشرعية ؛ فمن قام بها ، فقد أدى الأمانة ، واستحق ثواب الله ، ومن تساهل فيها ، فقد عرض نفسه للخيانة وما تجلبه من سخط وعقوبة فى الدنيا والآخرة .

أمة الديانة والأمانة ، إن أعظم أمانة تحملها المسلم أمانة توحيد الله عز وجل ، وإفراده بالعبادة ، وإخلاص العمل له ، وإن الشرك به سبحانه أعظم الظلم وأشد الخيانة .

لزوم سنة المصطفى ﷺ ومنهج سلف هذه الأمة أمانة ، والتخبط فى طريق الغواية والبدعة والضلالة خيانة لله ورسوله ﷺ ؛ والله عز وجل قد قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

تحكيم شريعة الله ، والحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ : أمانة عظيمة ، وتحكيم غير شرع الله من قوانين الجاهلية : خيانة فادحة .

هذا فى بعض أمور العقيدة والمتابعة .

أما العبادات : فهى جميعًا أمانات فى عنق كل مسلم ومسلمة ؛ فالوضوء أمانة ، والغسل من الجنابة أمانة ، والصلاة أمانة ، وكذلك الزكاة والصيام والحج وغيرها .

أمورك السلوك والأخلاق ، من الصدق والوفاء ، والبر والصلة ، والحلم والصفح ، والجود والصبر ، والحياء والإخاء : أمانة ، وضدها ؛ من الكذب والغش ، والقطيعة والجهل : خيانة ، وكذا الكبائر والمحرمات ، وسائر الذنوب والمعاصى ؛ من القتل والزنى، والسحر والشعوذة ، والسرقة والغصب والاختلاس ، والغيبة والنميمة ، والبهتان والحسد، والبغضاء والحقد والشحناء : كلها من ضروب الخيانة .

المعاملات بين الناس ؛ من بيع وشراء ، وتجارة وإجارة ، ونحوها : من أهم جوانب الأمانة ؛ فلا يجوز فيها النجش والغش ، والتدليس والتزوير وكتم العيوب ؛ كل ذلك من أنواع الخيانة .

الوظائف العامة التى اؤتمن عليها الموظفون من قبل ولاة الأمر : أمانات فى أعناق الموظفين ، يجب عليهم أن يتقوا الله فيها ، ويكونوا عند حسن الظن بهم ، أمانة وكفاءة ونزاهة ، وأن يقوموا بها حق قيام ؛ امتثالاً لأمر الله ، وطاعة لرسوله ﷺ ، ونصحا لولاة الأمر ، وقياما بمصالح المسلمين ؛ فاتقوا الله ـ أيها الموظفون ـ فيما أنيط بكم من أعمال ، وإياكم والاستهانة بحقوق عباد الله ، والتساهل والتسويف فى إنجاز معاملاتهم ، وإغلاق الأبواب أمام المراجعين لأمور ليست من مصالح المسلمين ، فتلك من جوانب الغش للمسلمين والخيانة لولاة أمر المسلمين .

معاشر المسلمين ، العلم أمانة ؛ فعلى العلماء والمدرسين وطلبة العلم وحملة الشهادات

العليا : أن يؤدوا الأمانة التى فى أعناقهم بالبلاغ والبيان والتربية ؛ حتى يعم النفع ويتوارى الجهل .

الدعوة إلى الله ، وأعمال الحسبة ، أمانات عظيمة فى أعناق المسلمين والتقصير فيها من أفدح الخيانة للأمة .

قنوات التوجيه والفكر ، والثقافة ومناهج التعليم ، وما قذفت به المدنية الحديثة من قنوات الاتصال ، ووسائل الإعلام : أمانة فى يد من اؤتمنوا عليها ، يجب أن تسخر لخدمة الإسلام والمسلمين .

العقود والمناقصات ، ومشاريع المؤسسات والشركات ، والمرافق العامة : أمانة عظيمة .

الجوارح ؛ من سمع وبصر ، وفؤاد ولسان : أمانات وودائع عند المسلم يجب أن تسخر فيما يرضى الله ـ عز وجل ـ وأن تصان عن ألوان السماع المحرم ، والنظر المحرم ، والاطلاع المحرم ؛ قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

العلاقات الزوجية ، والشؤون الأسرية : أمانة بين الزوجين وأفراد الأسرة ؛ فلا تشاع الأسرار ، ولا تذاع الأخبار .

الأولاد أمانة فى عنق الآباء والأمهات ، يجب أن يحرصوا على تربيتهم وتنشئتهم تنشئة سليمة ،وصيانتهم عن قرناء السوء .

والكلمة أمانة يجب أن يعيها حملة الأقلام ، وصناع الحرف والكلمة ، وأرباب المنابر .

حقوق المجالس ، وعورات المسلمين وأسرارهم : كل ذلك أمانة ؛ وكم من حبال مودة تقطعت ، وعلامات صداقة تصرمت (١) ، ومصالح تعطلت ؛ للاستهانة بمثل هذه الأمور، وإطلاق الكلام على عواهنه(٢) ! .

المرأة أمانة ؛ حجابها وعفافها وحشمتها ، وبعدها عن الرجال : أمانة ، وكذا قرقرها فى البيت وقوامة الرجل عليها ، كل ذلك من أنواع الأمانة .

الأموال العامة والخاصة أمانة عند من أفاء الله عليه ، يجب أن يصرفها فى حقوقها الشرعية .

---

(١) تصرمت ، أى : تقطعت . « اللسان » (صوم) .

(٢) من أمثال العرب قولهم : « أطلق الكلام على عواهنه » أى : لم يتدبره ، فلا يزمه ولا يخطمه ، وقيل : هو إذا لم يبال أصاب أم أخطأ ، وقيل : هو إذا تهاون به ، وقيل : هو إذا قاله من قبيحه وحسنه . انظر : «مجمع الأمثال » (١ / ٣٠٨) ، و « اللسان » (عهن) .

وهكذا ـ إخوة الإسلام ـ تجلى لنا مفهـوم هذه الكلمة العظيمة ، ولا عجب أن أثقلت كاهل الوجود كله حتى أشفق من حملها(١) ؛ فلا يجوز للإنسان أن يستهين بها ، أو يفرط فى حقها بكل ما تحمله من معنى .

أمة الإسـلام ، إن مقيـاس حضارة الأمم ، ومعـيار رقيـها وتقدمـها ؛ إنما هو بنزاهة أفرادها ، وأمانة أبنائها ؛ فلا خير فى أمة سادتها الخـيانة ، واستشرى فيها الفساد والغدر ، والإضاعة والمكر ، ولا تزال الأمـة بخير ما دامت قائمة بالأمـانة ، وإذا اختل هذا الأمر : تصدع بنيانها ، واختل نظامها ، واستشرى فيها الفساد بجميع جوانبه وصوره .

إن الأمانة مصدر الفلاح ، وينبوع(٢) الخير والصلاح ، صاحبها محمود عند الله وعند الناس ؛ ما ارتفعت أمة إلا بها ،ولا ازدهرت إلا بسبـبها ، ولا راجت بضاعة بغيرها، ولا صلحت معاملة بسواها .

وإن ما تعـانيه كثـير من المجـتمعـات ؛ من الخيانة والفـساد بجمـيع أنواعه ـ الفـساد الإدارى، والوظيفى ، والمالى ، وغير ذلك ـ إنما هو بسبب تقـصير أبنائها فى الأمانة ، وما بليت أمة الإسلام بأشـد من وجود الخونة الظلمة ، الجائرين الجهلة ، المتـسلطين على عباد الله بحرمانهم وبخسهم حقوقهم ، ونيلهم من كرامتهم واختصاصاتهم المادية أو المعنوية .

فجدير بنا ـ أمة الإسلام ـ أن نرعى الأمانة ، وأن نقوم بها حق قيام ؛ فإن ذلك كفيل ـ بإذن الله ـ أن يحقق السعادة للمجتمع دنيـا وأخرى ، والله المسؤول أن يوفق الجميع للقيام بما أنيط بهم من أمانات ،وما اضطلعوا به من مسؤوليات ، إنه جواد كريم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، وتوبوا إليه؛ إنه كان للأوابين غفوراً .

---

(١) أشفق منه ، أى : خاف منه وحذر . « اللسان » (شفق) .

(٢) البنبوع : عين الماء ، وجمعه ينابيع . « اللسان » (نبع) .

الخطبة الثانية

الحمد لله القوى المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ اتقوا الله فى أنفسكم ، واتقوا الله فى أماناتكم ، واعلموا أنكم جميعًا أمناء الله فى أرضه ، كل فى موقعه وفيما أسند إليه من مسؤوليات ، وأنكم مسؤولون أمام الله ـ عز وجل ـ عن هذه الأمانة ، حفظتم أم ضيعتم ؟ فـ « **كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته** » ؛ كما فى « الصحيحين » ، من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما (١) .

وعليكم باقتفاء آثار سلفكم الصالح ـ رحمهم الله ـ الذين ضربوا أروع الأمثلة فى حفظ الأمانة ؛ فهذا نبيكم ﷺ يعرف عند قومه بالصادق الأمين ، وهذا نبى الله موسى يوصف بالقوى الأمين ، ويوسف ـ عليه السلام ـ ينعت بالمكين الأمين ؛ ﴿ **فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٤ ، ٥٥] ، وأثر عن عمر ـ رضى الله عنه ـ قوله : « **لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكن من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس ، فهو الرجل** »(٢) ، وقال على ـ رضى الله عنه : « **أداء الأمانة مفتاح الرزق** » .

ولكن ـ يا عباد الله ـ قد ورد أن الأمانة ترفع فى آخر الزمان ؛ كما فى حديث حذيفة ـ رضى الله عنه ـ فى « الصحيحين » ، فى نزول الأمانة ورفعها ، وفيه : ثم حدثنا ﷺ عن رفع الأمانة ، فقال : « **ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ..** » إلى قوله : «**فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن فى بنى فلان رجلا أمينًا** »(٣) ، وروى البخارى أنه ﷺ قال : « **إذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة** »(٤) .

فلنتق الله ـ يا عباد الله ـ ولنحافظ على هذه الخصلة العظيمة ؛ فإن ذلك ـ بتوفيق الله

---

(١) « صحيح البخارى » (٢٥٥٤) ، و « صحيح مسلم » (١٨٢٩) .

(٢) « كنز العمال » للمتقى الهندى (٣ / ٦٧٧) .

(٣) « صحيح البخارى » (٦٤٩٧) ، و « صحيح مسلم » (١٤٣) .

(٤) « صحيح البخارى » (٥٩) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

ـ أمارة الخير والصلاح للأفراد والمجتمعات ، وسبيل السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على الصادق الأمين ؛ كما أمركم بذلك مولاكم رب العالمين ؛ فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله أمر ألا نعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ، أحمده تعالى وأشكره على ما خلقنا ورزقنا وهدانا ،ومن جزيل نعمائه منحنا وأعطانا ، فمن دون الناس خصنا واصطفانا، ومن سائر الأمم اختارنا واجتبانا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ملأ قلوب أهل الإيمان برا ورحمة وحنانا ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق تفضلا منه وامتنانا ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله ، أشرف المرسلين رسالة ، وأفضل البشرية إنسانًا ، أنزل الله عليه كتابا وقرآنا ، شفاء وموعظة ونورًا وفرقانًا ، وهدى للناس ورحمة وبيانًا ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا بنعمة الله إخوانًا ، وعلى البر والخير أنصارًا وأعوانًا ، ونسأل الله أن نكون ممن تبعهم بإحسان؛ لنحقق ـ بإذن الله ـ صلاح ديننا ودنيانا.

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واشكروه على نعمه الباطنة والظاهرة ، وعلى آلائه المتوافرة ، ومننه المتكاثرة ؛ فكم لله سبحانه وتعالى من نعم على عباده ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ! فمن الذى خلقنا إلا الله ؟! ومن الذى رزقنا إلا هو عز وجل ؟! ومن الذى من علينا بالسمع والأبصار والأفئدة ، وأنعم علينا بالعقول والقوى إلا الله سبحانه ؟! ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ؛ لذلك كان حق الله ـ سبحانه ـ أعظم الحقوق على الإطلاق ؛ فى عبادته وتوحيده وطاعته ، لا إله غيره ولا رب سواه؛ وشكر المنعم واجب عقلا ونقلا (٢) ، وأول منعم على العباد هو الله، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ! .

ثم يأتى بعد حق الله وإنعامه : حق الوالد وإحسانه ، وإذا كان لله سبحانه نعمة الخلق والإيجاد، فللوالدين نعمة التربية والإيلاد، والعناية بشؤون الأبناء والأولاد؛ لذلك قرن الله سبحانه حق الوالدين بحقه سبحانه، وما ذاك إلا لعظم حقهما وكريم فضلهما؛ قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء : ٣٦] ، وقال سبحانه : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الأنعام : ١٥١]،

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) انظر : « مفتاح دار السعادة » (٢ / ٣٣٣) .

وقال عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وقال عز من قائل : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

قال بعض السلف : « ثلاث آيات مقرونات بثلاث ، وذكر منها : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] ؛ فمن لم يشكر لوالديه ، لم يشكر الله عز وجل » .

وكما أمر الله تعالى الإنسان بشكره على إنعامه عليه بخلقه ورزقه وتدبيره : أمره بشكر والديه ؛ لإنعامهما عليه وإحسانهما إليه ، ولا يظن أن عاقلا يجهل إحسان والديه عليه ؛ فمن السبب فى وجود الإنسان ؟! ومن الذى اعتنى به فى مراحل عمره منذ أن كان نطفة إلي أن أصبح رجلا ، واهتم به منذ أصل وجوده وحمله ،وولادته ورضاعته ، وفصاله وتغذيته ، وتربيته وتنشئته ، إلى أن أصبح طفلا ثم صبيًا ، ثم شابًا يافعًا ، ثم رجلا جلدًا يتحمل المسؤولية ؟! إن وراء ذلك من هم أحق الناس ببرنا وإحساننا ، إنهم الوالدان اللذان لا نستطيع مكافأتهما ، ولا نقدر على مجازاتهما مهما عملنا وبذلنا ، ولكن نسأل الله بأسمائه الحسنى ، وصفته العلا : أن يجزيهما عنا خير الجزاء ، وأن يكافئهما خير ما كافأ والدا عن أولاده ، وأن يرزقنا برهما ما حيينا ؛ بمنه وكرمه !

أتى عمر - رضى الله عنه - رجل ، فقال : « **أمى عجوز كبيرة ، أنا مطيتها ، أجعلها على ظهرى ، وأنحى عليها بيدى ، وألى منها مثل ما كانت تلى منى ؛ أو أديت شكرها ؟ قال : لا ! : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنك تفعل ذلك بها ، وأنت تدعو الله أن يميتها، وكانت تفعل ذلك بك ، وهى تدعو الله أن يطيل عمرك** »(١) .

ولقى ابن عمر - رضى الله عنهما - رجلا فى المطاف يحمل أمه على ظهره يطوف بها، فقال : « **يا ابن عمر ، أترانى جزيتها ؟ قال : ولا بزفرة واحدة !** »(٢) .

الله أكبر ! ما أعظم الحق ، وما أشد تقصير الخلق ! ولكن نسأل الله أن يعاملنا بعفوه ومغفرته ، إنه جواد كريم .

أيها المسلمون ، كم هى شديدة تلك المعاناة ، وكم هى عظيمة صور التضحيات التى يقدمها الأبوان فى سبيل إسعاد أبنائهم ، وخروجهم إلى معترك الحياة ! وكم يتعب

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى « مكارم الأخلاق » (٢٢١) .

(٢) رواه البخارى فى « الأدب المفرد » (١١) ، وابن أبى الدنيا فى « مكارم الأخلاق » (٢٣٥) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٧٩٢٦) .

الوالدان! وكم يبذلان ويقدمان ، لا سيما الأم الحنون ، تلك المربية المشفقة ، قالب الحنان والعطاء المتدفق بفيض الرحمة والإحسان ، عطفها ملء جنانها ، الأم الرؤوم(١) التى حملتك بين أحشائها تسعة أشهر ، ويعلم الله ما تعانيه من آلام الوحم ، وثقل الحمل ، ثم لا تسأل عما تكابده من آلام الوضع ، وتلاقيه من متاعب المخاض ؛ ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، تقاسى من الأسقام والآلام ما الله به عليم ، بل إنها لتشاهد الموت وهى تعالج آلام الطلق والإنجاب ، ثم متاعب الرضاعة حولين كاملين ، تقوم بها مثقلة ، وتقعد بها متململة .

ثم هى بعد ذلك تجوع لتشبع أنت ، وتسهر لتنام ، وتتعب لتستريح ، كم سهرت الليالى الطويلة وأنت لا تدرى ! وكم تجرعت الآلام ؛ ليحقق وليدها الأحلام ! وتترك كثيرًا مما تشتهيه ؛ خشية ضرر يعتريه ، فهى به رحيمة ، وعليه شفيقة حميمة ، إن غابت عنه دعاها ، وإن أعرضت عنه ناجاها ، وإن أصابه ضر ناداها ؛ بل إنها لتفضل موتها لحياته ، بل تتمنى أن تموت لتحيا أنت ، وتشقى لتستريح أنت ، قد كان بطنها لك وعاء ، وحجرها لك حواء ، وثديها لك سقاء ، وتود لو تقبل المنية دونك فداء ، وكم تعانى من المتاعب عند الفصال والفطام ، والتربية والتنشئة !

وتستمر معها المتاعب حتى بعد أن تشب أنت عن الطوق(٢) وتصبح رجلا وزوجا وذا أولاد ، فالوالدة دائمًا تبحث عنك وتتفقد أحوالك ، يسوءها ما يسوءك ، ويحزنها ما يحزنك ، فلله درهن من أمهات مشفقات ، ومربيات رفيقات ، ووالدات حانيات رفيقات!! جزاهن الله عنا جنات عرضها الأرض والسموات .

أما الأب الغالى ، والوالد الحانى : فذلك الموجه القيم ، والمربى الفاضل ، يسعى ويجد ،ويكدح ويكد ، وينشىء وينفق ، ويربى ويشفق ، يغذوك مولودًا ، ويعولك يافعًا، إذا لقيك هش ، وإذا جئته بش ، وإذا حضر أقعدك على حجره وصدره ، وإذا خرج تعلقت به ، وإذا غبت عنه سأل عنك وانتظر مجيئك ، إذا رآك ابتسم محياه وبرقت ثناياه ، ثم كم يبذل لتعليمك وتنشئتك ، وتغذيتك وتربيتك ! فجزاه الله من والد كريم ، وأب رحيم خير الجزاء وأعظم المثوبة .

لذلك : لا عجب ـ أيها الإخوة ـ أن تكررت الوصية فى كتاب الله فى حق الوالدين ؛ قال تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، وقال سبحانه :

---

(١) الأم الرؤوم : العاطفة على ولدها . « اللسان » (رأم) .

(٢) الطوق : حلى يجعل للعنق . « تاج العروس » (طوق) .

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨] .

ولله در القائل :

إن للوالدين حقـــا علينا بعد حق الإله فى الاحترام
أولادنا وربيـــانا صغــارًا فاستحـقـا نهـاية الإكـرام

وفى مشكاة النبوة يأتى بر الوالدين قرينا للصلاة عمود الإسلام ؛ ومتقدمًا على الجهاد ذروة سنام الإسلام ؛ روى البخارى ومسلم فى « صحيـحيهما » ، عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سألت النبى ﷺ : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : « **الصلاة على وقتها** » قلت : ثم أى ، قال : « **بر الوالدين** » قلت : ثم أى ، قال : « **الجهاد فى سبيل الله** »(١) ؛ فانظـروا ـ يا رعاكم الله ـ كـيف فاق بر الوالدين الجـهاد فى سـبيل الله فى مـعامع القـتال ومشاهد الوغـى وجريان الدماء ؛ ويشهد لـذلك ما فى « الصحيحـين » ـ أيضًا ـ أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يسـتأذنه فى الجهـاد ، فقال : « أحى والداك ؟ » قـال : نعم ، قال : « **ففيهما فجاهد** »(٢) .

أمة الإسلام ، بر الوالدين فـريضة لازمة ، وفضيلة جازمة ،وجـوبها حتم ، وأداؤها عزم ، لا عذر لأحد فى التساهل بها ، والتهاون بشأنها ؛ الدين والشرع ، والنقل والعقل، والمروءة والرحمـة ، ورد الجميل والإنسـانية : روافد ودلائل عـلى القيام بهـا وأدائها على الوجه المطلوب .

بر الوالدين : منهج الأنبـياء والمرسلين ، وعمـل الكرام والصالحين ؛ يقـول الله تعالى عن عيسى ـ عـليه السلام ـ : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[مريم : ٣٢] ، ويقول عن يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[مريم : ١٤] .

والدعاء لهما ـ أحياء وأمواتا ـ دأب المؤمنين المتقين ؛ قال الله عن نوح ـ عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[نوح : ٢٨] ، وقال عن إبراهيم ـ عليـه السلام : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ(٣) وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

---

(١) « صحيح البخارى » (٥٢٧) ، و « صحيح مسلم » (٨٥) .

(٢) « صحيـح البخـارى » (٣٠٠٤) ، و « صحـيح مسلم » (٢٥٤٩) ؛ مـن حديث عبـد الله بن عمرو، رضى الله عنهما .

(٣) هذا الاستغفار من إبراهيم ـ عليه السلام ـ لوالديه ؛ لكن استغفاره لأبيه كان قبل أن يتبرأ منه لما تبين له أنه عدو الله . انظر : « تفسير ابن كثير » (٤ / ٥١٤) .

وأحق الأبوين بالبر الأم : لما علم من مكابدتها العظيمة ؛ ففى « الصحيحين » ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « **أمك** » ، قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » ، قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » ، قال : ثم من ؟ قال : « **أبوك** » ، وفى روايه لمسلم : قال : « **أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أدناك أدناك** »(١) .

فيا أيها الأبناء ، ويا أيتها البنات ، اتقوا الله فى الآباء والأمهات ، بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، واعلموا أن رضا الله فى رضا الوالدين ، وأن سخط الله فى سخط الوالدين .

وإنك لتأسف أشد الأسف من صور تراها ، أو حقائق تسمعها ؛ من تساهل كثير من الأبناء فى بر والديهم ؛ فلا تقدير ولا احترام ، ولا سمع ولا طاعة ، ولا بر ولا أدب ، بل غلظة وفظاظة ، ونهر وعقوق ؛ من الناس من بلغ خسة ووقاحة ، ونذالة وصفاقة : أن يأمره أبوه أو أمه فيهز كتفيه ويثنى عطفيه ويدير ظهره ،وكأن الأمر لا يعنيه ، بل قد يعبس وجهه ، ويقطب جبينه ، ويرفع صوته ، ويسىء أدبه ، ضد أمه أو أبيه !! أما علم ذلك الغر المأفون : أن عمله هذا سبب لشقائه ؟! فالويل له ، ثم الويل له يوم عرضه على مولاه! .

بل من الناس : من وصل به الحال ألا يتورع عن رفع دعوى قضائية ضد أبيه فى المحاكم الشرعية ، أو بلاغ وشكوى ضده في مراكز الشرطة أو دور الحقوق ونحوها !! لماذا كل هذا ؟! أمن أجل حفنة من المال أو شبر من الأرض ؟! حتى انتشرت القطيعة بين كثير من الناس من أجل حطام الدنيا ، أو شىء فى كوامن النفوس ؛ حتى إن بعضهم قد مرت أشهر - بل سنوات - ولم يكلم أحد أبويه ، أو يزره أو يتصل به !! .

بل لقد يبلغ الحال ببعض أهل العقوق : أن يترك أباه أو أمه عند كبرهما أو مرضهما ، فى دور الرعاية الاجتماعية ، وتمر الأيام والشهور وهو لا يعلم عنهما شيئًا !! أين الإيمان؟! وأين الفضيلة ؟! وأين المروءة ؟! بل أين الرحمة والإنسانية ؟! لقد قلب أولئك لآبائهم ظهر المجن(٢) ، وقابلوا الإحسان بالإساءة .

---

(١) « صحيح البخارى » (٥٩٧١) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٤٨) .

(٢) المجن : الترس ، ومن أمثالهم : « قلب له ظهر المجن » ؛ يضرب لمن كان لإنسان على مودة أو رعاية ، ثم تحول عن العهد . انظر : « النهاية » (جنن) ، و « مجمع الأمثال » (٢ / ١٠١) .

أريد حيـــــاته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد![1]

ومن الناس : من إذا تزوج ، نسى أبويـه ، وأهمل شأنهـما ، مـنشغـلاً بما لديه من جديد ! وكم هى صور المعاناة التى تعانيها الأمهات من جراء تفضيل الزوجة على الوالدة ، بل إن بعـضهم قد يـتطاول على أمه فى مـرأى ومسمـع من زوجته وأولاده ، ألا بـئس ما صنعوا ! ، وتبا لما فعلوا !! .

نعم ، عليكم ـ أيها الأولاد ـ أن ترعـوا حقوق الوالدين بالبر والإحـسان ، وعليكم ـ أيها الآباء والأمهات ـ أن تكونوا عونا لأبنائكم فى بركم ، وألا تكلفوهم ما يشق عليهم ، وألا تـتـدخلوا فى خـصـائص شؤونـهم لا سيـمـا بعـد الزواج ؛ لما يـسـبب ذلك من حل وشائج[2] الصلة ، وفصم عرا[3] المحبة والوئام .

ومن الناس ـ لقلة فقهـه ـ من يجعل بره وإحسانه لأصدقائه وزمـلائه ، فيطيع زملاءه ويبر أصدقاءه ، ويعق أمه ويجفـو أباه ! بل إنك لتأسف حين تجد من عليه مظاهر الصلاح والانشغـال بشىء من العلم أو الدعوة ولا يجعل لأبـويه حظا من التقدير والرعـاية ، والبر والعناية .

ومهما كان عـلى الأبوين من تقصير ، فبرهم واجب ، والإحسان إليـهم متعين ؛ قال تعالى : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان : ١٥] ، وفى « الصحيحين » ، عن أسماء ـ رضى الله عنها ـ قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت : إن أمى قدمت وهى راغـبة ، أفـأصل أمى ؟ قال : « **نعم ، صلى أمك** »[4] ؛ فكيف ـ يا عباد الله ـ بما دون ذلك ؟!

ألا فاتقوا الله ـ عباد الله ـ اتقوا الله أيها الآباء ،واعلموا أن ما يعانيه بعضكم من صور العقوق إنما مرده غالبا إلى الإهمال فى التربية ، وما يوجد من آثار لذلك ، فنتيجتها قصور فى التنشئة السليمة ؛ فالذى يهمل أبناءه ولا يرعاهم ، كيف يريد منهم براً ؟! وكيف يجنى

(١) البيـت لعمـرو بن مـعدى كـرب الصـحابـى ـ رضى الله عنه ـ انظر : « ديوانه » (ص ١٠٧) ، و«خزانة الأدب » (٦ / ٣٦١) ، (١٠ / ٢١٠) .

(٢) الوشائج : جمع وشيـجة ، وهى الرحم المشتبكة المتصلة . « لسان العـرب » و « القاموس المحيط » (وشج) .

(٣) العرا : جمع عروة ، وهى ما يستمسك به ويعتصم ، وفصمها : قطعها . « تاج العروس » (عرو) (فصم) .

(٤) « صحيح البخارى » (٢٦٢٠) ، و « صحيح مسلم » (١٠٠٣) .

من الشوك العنب ؟! واتقوا الله أيها الأبناء ، وبادروا للبر بوالديكم مهما كانت الأحوال .

وإن حقًا على كل من كان مقصرًا فى حق والديه أو أحدهما ، أن يبادر من الآن فيطبع قبلة حارة على جبين أبيه أو أمه ، ويندم على ما مضى ، ويعتذر عما سلف ، وحقًا على كل قاطع أن يبر ويصل ، ويصبح ويمسى بالخير والبر والإحسان ، وإن على جميع قنوات التربية والتوجيه ـ من المسجد والبيت ، والمدرسة ووسائل الإعلام ـ أن تعنى بهذه القضية التربوية والاجتماعية المهمة ، وحذار أن ينقلب المجتمع الإسلامى ـ مجتمع التعاون والتكافل ، والبر والتواصل ـ إلى مجتمع مادى لا يؤمن بقيم ، ولا يهتم بمبادئ ، ولنا موعظة فيما نرى ونشاهد ، والله المستعان !

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنا الله وإياكم بهدى سيد المرسلين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أمرنا بالبر وأداء الحقوق ، ونهانا عن القطيعة والعقوق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يطمع فى رضاه وإلى جنته يتوق ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ما تعاقب الجديدان بين غروب وشروق .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - وأدوا حقه كما أمركم ، واعلموا أن الله كما أمر بالبر وأداء الحقوق ، نهاكم عن القطيعة والعقوق ، وجعل ذلك كبيرة من كبائر الذنوب الموجبة لسخط الجبار ، والمعرضة لعذاب الواحد القهار ؛ ففى « الصحيحين » عن أبى بكرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** » ثلاثًا ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ..** »(١) فانظروا - يا رعاكم الله - كيف قرن العقوق بالشرك ؛ عياذا بالله ؟!

وفى « الصحيحين » ، عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ ، قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ..** »(٢) ، وفيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه** » قيل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟! قال : « **يسب الرجل أبا الرجل ؛ فيسب أباه ، ويسب أمه ؛ فيسب أمه** »(٣) ، وإنك لسامع من ذلك فى دنيا الناس عجبا ! .

وفى الحديث الصحيح ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه ﷺ قال : « **رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ؛ فلم يدخل الجنة** »(٤) ؛ كما ورد فى الحديث الصحيح - أيضًا أن الثلاثة الذين لا يدخلون الجنة : « **العاق لوالديه** »(٥) .

ألا إن بر الوالدين - يا عباد الله - متأكد فى جميع مراحل الحياة ، لا سيما عند المرض

---

(١) « صحيح البخارى » (٥٩٧٦) ، و « صحيح مسلم » (٨٧) .
(٢) « صحيح البخارى » (٢٤٠٨) ، و « صحيح مسلم » (٥٩٣ / ١٢) « كتاب الأقضية » .
(٣) « صحيح البخارى » (٥٩٧٣) ، و « صحيح مسلم » (٩٠) .
(٤) رواه مسلم (٢٥٥١) .
(٥) رواه أحمد (٢ / ٦٩) ، والنسائى (٥ / ٨٠) ؛ من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما .

والكبر ، بل إنه يستمر حتى بعد الوفاة ؛ فقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، عن أبى أسيد الساعدى - رضى الله عنه - قال : قال رجل : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « **نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما** »(١) .

وعن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله بن عمر ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ! إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير ؟! فقال عبد الله : إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه** »(٢) .

فاتقوا الله - عباد الله - والله الله في البر والصلة والإحسان ، قبل فوات الأوان ! والتوبة التوبة ، أيها المقصرون فى أداء الحقوق ، والواقعون فى شىء من العقوق ، قبل أن تقول نفس : يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله !

ثم صلوا وسلموا - رحمكم الله - على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، نبيكم محمد بن عبد الله ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل فى علاه ، فقال عز من قائل : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب : ٥٦].

---

(١)« المسند » (٣ / ٤٩٨)، و « سنن أبى داود » (٥١٤٢) .

(٢)رواه مسلم (٢٥٥٢) .

المؤمن القوى (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ذى القوة المتين ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، الملك الحق المبين . وأشهد أن سيـدنا ونبينا محمـدًا عبده ورسوله الصادق الأمين . وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فاتقـوا الله ـ أيها المسلمون ـ ، فـفى تقوى الله الفـرج من كل هم ، والمخرج من كل ضيق ، وفيها صلاح أمر الدنيا والآخرة .

أيها الأحبة ، أخـرج الإمام مسلم رحمه الله فى صحيحـه وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قـال : « **المؤمن القـوى خيـر وأحب إلى الله من المؤمن الضعـيف ، وفى كل خير . احـرص على ما ينفـعك ، واستعن بالله ولا تعـجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فـعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، ومـا شاء فعل . فإن لو تفتح عمل الشيطان** » (٢) .

إنه حديث عظيم من كلمه ﷺ يرسم فيه جانبًا من منهاج القوة ، وحرص المؤمن على ما ينفع ، واقتران ذلك بالبعد عن العجز مع صدق التوكل والرضا بما يجرى به القضاء .

أيهـا الإخوة فى الله ، ومن أجل مـزيد تعليق على هدا التـوجـيه النبـوى الكريم . . فلتعـلموا أن العقـيدة حين تتـمكن من القلوب فهى مـعين لا ينضب للنشـاط المتواصل ، والعمل الدؤوب ، والحماس الذى لا ينقطع .

إن صدق العقيدة وصحتها تضفى على صاحبها قوة تظهر فى أعماله كلها ، فإذا تكلم كان واثقـًا ، وإذا عمل كان ثابتـًا ، وإذا جادل كان واضـحًا ، وإذا فكر كـان مطمئنًا . لا يعرف التردد ولا تميـله الرياح . يأخذ تعاليم دينه بقوة لا وهن مـعها : ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ** ﴾ [البقرة : ٦٣ ، ٩٣] ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ [مريم : ١٢] ﴿ **فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٤٥] إنه أخذ بعزيمة لا رخاوة معها ، لا قبول لأنصاف الحلول ، ولا هزال ولا استهزاء .

---

(١) خطبة للشيخ / صالح بن حميد من المسجد الحرام .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٥٢ ـ ح ٢٦٦٤) ، وابن ماجة (١ / ٣١ ـ ح ٧٩) .

هذا هو عهد الله مع أنبيائه والمؤمنين .. جد وحق ، وصراحة وصرامة .

هذا جانب من القوة فى رجل الإيمان ،وجانب آخر يتمثل فى ثبات الخطى . حين يكون المؤمن مستنير الدرب يعاشر الناس على بصيرة من أمره ، إذا رآهم على الحق أعانهم، وإن رآهم على الخطأ جانبهم ،ونأى بنفسه عن مسايرتهم ، متمثلا التوجيه النبوى: « **لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا . ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا** »(١) .

إنه توطين للنفس ، وقسر لها على المسار الصحيح ، وإذا أردت أن تمتحن قوة الرجل فى هذا فاستخبره أمام الأعراف والتقاليد التى لا تستند إلى شرع : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾[الزخرف : ٢٣] .

ينضم إلى ذلك ـ أيها الإخوة ـ القوة فى الحق ، والقوة فى المصارحة فيه . حين يبتعد المؤمن القوى عن المداهنة والمجاملة المذمومة ؛ فتراه يواجه الناس بقلب مفتوح ، ومبادىء واضحة ، لا يصانع على حساب الحق . ومن يحيا بالحق لا يتاجر بالباطل . المؤمن القوى غنى عن التستر بستار الدجل والاستغلال . سيرته مبنية على ركائز ثابتة من القوة والفضيلة والكمال .

ومن أجل هذا .. فإن الصدع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينبثق من هذا السمو النفسى والقوة الإيمانية ، وقوة الاستمساك بالحق والرضا به ولو كره الكارهون لـ « **تأخذن على يدى الظالم فتأطروه على الحق أطرا** »(٢) من حديث أبى عبيدة واللفظ للترمذى .

إنها قوة فى مصارحة المخالفين وتنبيه الخاطئين ، إنها نقد للعيوب المعلنة ، لا خوف من وجيه ، ولا حياء من قريب ، ولا خجل من صديق . وبعبارة جامعة مانعة : لا تأخذه فى الله لومة لائم .

هذا ضرب من القوة محمود فى معاصى معلنة ، ومذنبين مجاهرين . ولا تكون قوة بصدق ، خالصة بحق ، إلا حين تبتعد عن مشاعر الشماتة ، وحب الأذى ، وقصد التشهير .

ويقترن بذلك ـ أيها الإخوة ـ نوع من القوة آخر ، إنه القوة فى ضبط النفس والتحكم

---

(١) أخرجه الترمذى (٤ / ٣٢٠ ـ ح ٢٠٠٧) وقال : حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه أبو داود (٤ / ١٢١ ، ١٢٢ ـ ح ٤٣٣٦) ، والترمذى (٥ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ ـ ح ٣٠٤٧ ، ٣٠٤٨) ، وابن ماجة (٢ / ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ـ ح ٤٠٠٦) ، وله شاهد عن أبى موسى رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح انظر المجمع (٧ / ٢٦٩) .

فى الإرادة التى تنشأ من كمال السجايا وحميد الخصال . كإباء الضيم ، وعزة النفس ، والتعفف ، وعلو الهمة ، وإنك لترى فقيراً قليل ذات اليد ولكنه ذو إرادة قوية ، ونفس عازمة . شريف الطبع ، نزيه المسلك ، بعيد عن الطمع والتذلل .

إن القوة فى ضبط النفس . . آخذة بصاحبها بالسير فى مسالك الطهر ، ودروب النزاهة ، والاستقامة على الجادة . أما الرجل الخرب الذمة ، الساقط المروءة فلا قوة له ولو لبس جلود السباع ، ومشى فى ركاب الأقوياء .

وقد قال هود عليه السلام لقومه آمراً لهم بالاستغفار ، والبعد عن مزالق الخاطئين : **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾** [هود : ٥٢] وابن آدم إذا انحرف ؛ فقد يتعرض للعنة أهل الأرض والسماء ، ويكون فى ضعفه وحقارته أقل من الذر والهباء .

ولمثل هذا جاء الحديث الصحيح : « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** »(١) .

وقد قال بعض أهل العلم فى هذا الباب : إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، وإذا ملك الإنسان نفسه فقد قسر شيطانه .

أما القوة العسكرية فمطلب فى الشريعة معلوم : **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾** [الأنفال: ٦٠] .

إنه القوة التى تحفظ الإسلام وأهل الإسلام ، فلا يصدون عن دين الله ولا يفتنون . قوة ترهب أعداء الله فعلى ديار الإسلام لا يعتدون . قوة ترهب أعداء الله فلا يقفون فى وجه الدعوة والدعاة . وهى قوة كذلك من أجل الاستنصار للمستضعفين والمغلوب على أمرهم ؛ ليظهر أمر الله ، ويحق الحق ويبطل الباطل .

وفى جميع مجالات القوة ـ أيها الإخوة ـ يكون الخير والمحبة الإلهية : « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » .

أما قوله ﷺ : « **استعن بالله ولا تعجز** » . فإنه يمثل صورة أخرى من صور القوة . إنه قوة العزم والأخذ بالأسباب على وجهها ، يستجمع المؤمن فى ذلك كل ما يستطيع فى سبيل تحقيق غاياته ، باذلا قصارى جهده فى بلوغ مآربه ، غير مستسلم للحظوظ : «**استعن بالله ولا تعجز** » .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠ / ٥٣٥ ـ ح ٦١١٤) ، ومسلم (٤ / ٢٠١٤ ـ ح ٢٦٠٩) .

إن المرء مكلف بتعبئة قواه وطاقاته ؛ لمغالبة مشكلاته إلى أن تنزاح عن طريقه ، فإذا استطاع تذليلها فذلك هو المراد . وما وراء ذلك فيكله إلى ربه ومولاه .

أما التردد والاستسلام للهواجس ، وتغليب جوانب الريب والتوجس . فهذا مجانب للقوة ، وصدق العزيمة ، فالقوة فى الجزم ، والحزم والأخذ بكل العزم .

ولهذا كان من أعظم المصائب الهدامة: العجز ، والكسل ، والجبن ، والبخل ، إنها صور من صور الضعف والخور ، وقد استعاذ منها جميعها نبيكم محمد ﷺ فى دعاء رفعه إلى مولاه ، قائلا : « **اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** »(١) . إنها كلها تصب فى مصاب الضعف ، والانهزام النفسى والعملى .

أما استعادة الأحزان ، والتحسر على ما فات ، والتعلق بالماضى ، وتكرار التمنى بـ (ليت) والتحسر فى الزفرات بـ (لو) فليس من خلق المؤمن القوى ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان ،وما عمله إلا الهواجس ، والوساوس ، فهو الوسواس الخناس . فلا التفات إلى الماضى إلا بقدر ما ينفع الحاضر ويفيد المستقبل .

فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ ، واستمسكوا بعرى دينكم ، وخذوا أمركم بقوة ، وسيروا فى درب الحق بعزيمة ، متوكلين على ربكم ، معتصمين بحبله ؛ تكونوا من الراشدين . نفعنى الله وإياكم بهدى كتاب الله وبسنة محمد رسول الله ﷺ ، وهدانا الصراط المستقيم ، وأقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) أخرجه البخارى (١١ / ١٨٢ ـ ح ٦٣٦٩) ، ومسلم (٤ / ٢٠٧٩ ـ ح ٢٧٠٦) بنحوه .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، له الحمد في الأولى والآخرة ، أحمده سبحانه وأشكره ، على نعمه الباطنة والظاهرة ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، جمع الله به القلوب المتنافرة ، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الدجى والبدور السافرة ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

أيها الإخوة في الله ، لا زلنا مع هذا الحديث العظيم وهو يرسم جانبًا من جوانب القوة إلى جانب قوة الأخذ بالأسباب وشد العزائم . إنها قوة اليقين ، المتمثلة في عقيدة المسلم أمام الأحداث والغير ، « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ».

ثقة بالله واعتماد عليه حين تتوالى الظروف المحرجة ، وتنعقد الأجواء المدلهمة ، ويلتفت المرء يمنة ويسرة فلا يرى عونا ولا أملا ولا ملجأ ولا ملاذا إلا إلى الله وبالله وعلى الله . ذلكم هو مسلك النبيين والمرسلين والصالحين من بعدهم : ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

وجماع ذلك - أيها الإخوة - أن القوة هي عزيمة النفس ، وإقدامها على الحق في أمور الدنيا والآخرة . إنها إقدام على العدو في الجهاد ، وشد عزم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصبر على الأذى في الدعوة إلى الله ، واحتمال المشاق في ذات الله ، واصطبار على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر المفروضات ، ونشاط ودأب في طلب الخيرات ، والمحافظة عليها ، وهي بعد ذلك قوة في القيام بمهمة الاستخلاف في هذه الأرض واستعمارها كما طلب ربنا الذي أنشأنا فيها .

فاتقوا الله - رحمكم الله - ، وخذوا بعزائم الأمور ، واعتصموا بحبل الله وتوكلوا عليه .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ونزغات الشيطان وسيئات الأعمال ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وجعل التآخي سمة من سمات أهل الإسلام ، ولازمًا من لوازم صحة الإيمان ،وصير عباده بعد الفرقة كأشد وأقوى بنيان ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من رسله ، آخى بين المؤمنين ، وسعى إلي التأليف بين قلوب المسلمين ، فجمع الله به بعد الفرقة ، وأغنى به بعد العيلة (٢) ، وأعز به بعد الذلة ، فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأخيار ، المهاجرين منهم والأنصار ،والتابعين ومن تبعهم بإحسان ماتعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] .

عباد الله ، من المبادئ العظيمة التى أرسى دعائمها ديننا الحنيف مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان ؛ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وإذا كانت الأخوة بين الناس تختلف باختلاف المقاصد والمشارب ، فإن أوثقها عروة ، وأحكمها لحمة ، وأقواها رابطة ، وأثبتها مودة : أخوة الدين التى لا تنفصم عراها ، ولا تتصرم حبالها ، ولا تتغير بتغير الأحداث والزمان ، ولا تختلف باختلاف القوم والمكان ، بل تجمع أهل الإسلام على تباعد الأقطار ، وتنائى الديار ، واختلاف البقاع والأمصار ، أخوة أساسها العقيدة والإيمان ، وقاعدتها الدين الخالص للواحد الديان ، وهذا سر قوتها ورسوخها ، وتأليفها بين أبنائها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتكوينها منهم وحدة راسخة الدعائم ، متينة البناء ، لا تنال منها العواصف الهوجاء ؛ كالبنيان المرصوص ، والجسد الواحد .

روى البخارى ومسلم فى « صحيحيهما »، عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) العيلة : الفاقة والفقر . « اللسان » (عيل) .

قال رسول الله ﷺ : « **إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا - وشبك ﷺ أصابعه**»[١] ، ولهما من حديث النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[٢] .

معشر الإخوة: إن أخوة الإسلام هى روح الإيمان القوى ، ولباب المشاعر الفياضة ، والأحاسيس المرهفة التى يكنها المسلم لإخوانه فى العقيدة ، حتى إنه ليحيا بهم ، ويعيش معهم وفيهم ، فكأنهم جميعًا أغصان تفرعت من دوحة[٣] واحدة ، وانبثقت من أصل واحد، تضمحل[٤] معه فوارق الأجناس والألوان ، وتتوارى من خلاله التميزات العرقية، وتموت العصبيات القومية ، والفوارق الجنسية ؛ لتبقى القاعدة الكبرى التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى العالمى ، الذى تضمه آصرة خاصة ، وتظله راية واحدة لا ثانى لها ، إنها راية الإيمان ، وآصرة الأخوة فى الإسلام ؛ يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

إخوة الإسلام ، فى المجتمع الإسلامى القائم على عقيدة الإيمان والملتقى على شعائر الإسلام - يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب ، وتحل رابطة الإيمان محل الروابط المادية ، والمصالح الشخصية ، والمطامع الذاتية ؛ فيه يحب المسلم لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه؛ يحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، ويشاطرهم أفراحهم وأتراحهم[٥] ، ويشاركهم آلامهم؛ ولهذا قضى الإسلام على مظاهر الأثرة الظالمة والأنانية الباغية ؛ لأنها نزعة بغيضة، وآفة كريهة ، حاربها الإسلام ، وأحل مكانها الإخاء والمودة .

والناظر فى تاريخ هذه الأمة : يدرك أنه لم يكن لأمة الإسلام أن تجتمع لها كلمة ، أو يتوحد لها صف ، أو ترتفع لها راية ، أو تقوم لها دولة ، أو يرهب منها عدو - إلا بتآخيها فيما بينها إخاء عظيمًا لا مثيل له فى تاريخ الأمم ، إخاء يمثل قوة راسخة قام عليها أساس أمة عزيزة صابرة ، قوية قاهرة ، ردت الهجمات الكاسحة ، والحملات الغاشمة ، والاعتداءات الجائرة ، وخرجت بعد الصراع مع خصومها مرهوبة الجانب ، رفيعة العماد ،

---

(١) « صحيح البخارى » (٤٨١) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٨٥) .
(٢) « صحيح البخارى » (٦٠١١) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٨٦) .
(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، والجمع : دوح . « اللسان » (دوح) .
(٤) اضمحل الشىء ، أى : ذهب . « اللسان » (ضحل) ، و « تاج العروس » (ضمحل) .
(٥) الأتراح : جمع ترح ، وهو ضد الفرح . « النهاية » (ترح) .

وطيدة الأركان .

أمة الوحدة والإخاء ، في تاريخنا ـ نحن المسلمين ـ نماذج عظيمة ،ومظاهر فريدة لقوة التلاحم والتآخى بين أبناء الإسلام ، أشهرها مؤاخاة المصطفى ﷺ بين المهاجرين والأنصار(١) رضى الله عنهم ـ فكان لكل أنصارى أخ له من المهاجرين؛ حتى إن الأنصارى ليذهب بأخيه المهاجر إلى بيته ، فيعرض عليه قسمة كل شيء فى بيته من مال أو متاع ، ويشاركه حياته سراءها وضراءها ؛ فأى إخاء فى الدنيا يعدل هذا الإخاء الإسلامى؟! قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر : ٩] .

ثم ماذا حدث ـ أيها المسلمون ـ بعد أن أحكمت المادة سيطرتها على قلوب كثير من أهل الإسلام ، وألقت المدنية الزائفة ثقلها فى كثير من البقاع ، وتجاوزت الدنيا الأيدى إلى القلوب: وافق ذلك ضعف فى الإيمان ، وخلل فى التربية وانسياق وراء الملذات والماديات؛ فضعف التحكم أمام المؤثرات والتحديات؛ حدث جراء ذلك توتر فى العلاقات الاجتماعية ـ لأتفه الأسباب ـ بين كثير من الناس ، حتى الأقربين نسبا ومصاهرة ، ورحما ومجاورة ؛ فسادت الخصومات ، وكثرت المنازعات ، وغلب الجفاء ، واستحكمت القطيعة؛ فأذهبت الود والصفاء ، وأدى ذلك إلى الشقاق والمرافعات ، وعمت الأثرة والأنانية وحب الذات .

من مظاهر ذلك ـ ولو عجبتم : ألوان من التعامل تعج بها الساحة الاجتماعية ، تعد من إفرازات ضعف الإخاء الإسلامى بين أهل الإسلام ، بل حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، ومن صور ذلك : أخ تحصل له مع أخيه ـ ابن أمه وأبيه ـ خلافات يسيرة على شيء قليل من حطام هذه الدنيا الفانية ، فتتعقد القضية وتتضخم المشكلة ، ويعجز أهل الإصلاح ، ويأبى كل واحد إلا التردد على المحاكم ، ودور القضاء ، ومراكز الشرطة ؛ للانتقام من أخيه ، من أجل حفنة مال ، أو شبر من الأرض ، حتى إن أحدهم لم يلق السلام على أخيه منذ أشهر بل سنوات ، فسبحان الله عباد الله !!

لماذا كل هذا ؟ أخ يشتكى أخاه !!

آخر لم يقف على بيت عمه ولا خاله، ولا ابن عمه ولا ابن خاله، لزيارتهم، بل وحتى لم يكلف نفسه رفع سماعة الهاتف للاتصال بهم منذ سنوات عدة من أجل مشادة كلامية!

صديق ولى حميم ، وزميل عزيز كريم ، تصحبه السنوات العديدة فى صفاء ووئام ، فتحدث هفوة ، أو تحصل زلة وجفوة ، فتنفصم عرا المحبة ، وتتصرم حبال المودة ،

---

(١) انظر مؤاخاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٥٠٤) .

وتتحول إلى ضغائن وأحقاد وظنون سيئة ! .

جار ملاصق ، جداره بجدارك، تحبه ويحبك ، تزوره ويزورك ، فيتخاصم الأطفال - كعادتهم - فتغضب الأمهات ، وتعلو الصيحات ، ويتدخل الآباء العقلاء ، فتنشب بينهم معركة حامية ، هجر في القول (١) ، وتشابك بالأيدى ، وتتدخل الجهات المسؤولة ، وتصبح نتيجة ذلك قطيعة دائمة ، وجفاء مستمرا ، وتشهيرًا بالمجالس ، بل يدفع ذلك إلى الانتقال والانتقام .

فالله المستعان ! أهذه الأمة الواحدة ؟! أهذه تعاليم الأخوة الإسلامية الصادقة؟! كفى - يا عباد الله - تشاحنا وهجرا ، حذار أن ينجح الشيطان فى التحريش بينكم (٢) ، اصطلحوا أيها المتشاحنون ، وتواصلوا أيها المتقاطعون ؛ فإن شؤم التشاحن والقطيعة عظيم فى الدنيا والآخرة ؛ ألم تسمعوا قوله ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » أخرجه البخارى ومسلم، من حديث أبى أيوب - رضى الله عنه (٣) - وقوله - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه البخارى ، من حديث أنس - رضى الله عنه: « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » (٤)، وقوله : « **تعرض الأعمال يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا ، إلا رجلا بينه وبين أخيه شحناء ، يقول : دعوا هذين حتى يصطلحا** » ؛ أخرجه مسلم ، وغيره؛ من حديث أبى هريرة ، رضي الله عنه (٥) .

وعلى صعيد آخر - أيها الأحبة فى الله - ما مدى إسهام أهل الإسلام فى تحقيق الأخوة الإسلامية ؟! بمعنى : من منا نظر فى حال إخوانه ، وأوضاع جيرانه ، لا سيما من أهل الفقر والفاقة ، والضعف والعجز والحاجة ؛ فمن كان عنده فضل مال أو غذاء أو كساء فليفتش عن إخوانه المحتاجين ، وما أكثرهم ! فإن ذلك تحقيق للتكافل ، وغرس للمحبة ؛ وذلك يحتل القدر الكبير من الأجر الجزيل عند الله جل وعلا ، أما الذين يتقلبون فى نعم الله ، وعلى بعد أمتار منهم إخوة لهم فى الإسلام يتضورون جوعًا (٦) ، فلم يحققوا هذا المبدأ العظيم .

---

(١) الهجر فى القول : القبيح من الكلام . انظر : « اللسان » (هجر) .

(٢) التحريش بين القوم : الإفساد بينهم ، وإغراء بعضهم ببعض « اللسان » (حرش) .

(٣) « صحيح البخارى » (٦٠٧٧) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٦٠) .

(٤) « صحيح البخارى » (٢٤٤٣) .

(٥) رواه الطيالسى (٢٥٢٥) ، وأحمد (٢ / ٢٦٨) ، ومسلم (٢٥٦٥) .

(٦) يتضورون جوعا ، أى : يتلوون ويصيحون من الجوع . « تاج العروس » (ضور) .

أمة الإسلام ، وحين نذكر بواجب الأخوة الإسلامية ، فإننا لا ننسى إخوة لنا فى العقيدة ، فى بقاع كثيرة من عالمنا الإسلامى ، لهم علينا واجب الدعم والمؤازرة ، والدعاء والبذل والمناصرة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء : الشعوب المجاهدة الصابرة ، والأقليات المسلمة المضطهدة فى كل مكان .

فأقول للذين جفت أيديهم من البذل ، وتوقفت ألسنتهم عن الدعاء لإخوانهم : لا تفعلوا ذلك ؛ فإخوانكم بأمس الحاجة إلى دعمكم وبذلكم ودعائكم ، ولا تستقلوا شيئًا تدفعونه وتقدمونه .

أما إخواننا في الأرض المباركة - وسلام الله على أرض المعراج المباركة - فإنهم فى بطولة مستمرة وجهاد مستميت ، ولو قل ما فى أيديهم ، وهم يتطلعون إلى دعم إخوانهم المسلمين ، ومناصرتهم ، والدعاء لهم ؛ حتى يطهر الله أرض الأقصى المبارك من احتلال الغاصبين ، ورجس الغاشمين، ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾[إبراهيم: ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[الحجرات : ١٠] .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بهدى سيد المرسلين ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجه ولعظيم سلطانه ، أحمده تعالى على عظيم فضله وأشكره على جزيل إحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى مغفرته ورضوانه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن من لوازم تقواه القيام بحقوق الأخوة فى الله ؛ فروضوا أنفسكم على أن تحبوا لإخوانكم المسلمين ما تحبونه لأنفسكم ؛ قال يحيى الرازى : **« ليكن أقل حظ المؤمن منك ثلاث : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرحه فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تذمه »**(١) .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن خذلان المسلم شىء عظيم ، يترتب عليه انفصام عرا الأخوة ، وجلب الذلة والمهانة للجميع ، وما هان المسلمون إلا يوم أن وهنت أواصر الأخوة بينهم ، وأصبح الأخ يتنكر لأخيه ، فى الوقت الذى تجمع فيه أعداء الإسلام على المسلمين ؛ **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾** [الأنفال : ٧٣] .

فالتوبة التوبة ، يا أهل الأوبة ، من داء التنافر والتناحر ، والتشاحن والتدابر !! وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام، والتعاون والأخوة والوئام ؛ تحققوا ما تصبون إليه من رشد وخير ، فى دنياكم وأخراكم ، ولعلى أذكر أن من ثمرات هذا الكلام عمليا أن يسعى ويبادر كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء ، والتزاور والنقاء ؛ فور ما يسمعون هذا الكلام ، ليعلموا أن خيرهما عند الله وأبعدهما من الشيطان الذى يبدأ بالصلة والسلام(٢)، ومتاع الدنيا قليل يا عباد الله ، **﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾** [القصص : ٦٠] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على نبى الرحمة والهدى ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ؛ فقال عز من قائل : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) « جامع العلوم والحكم » لابن رجب (ص ٢٩٤) .

(٢) كما مر فى حديث « الصحيحين » المتقدم.

تحذير المسلمين والمسلمات ، من آكل الحسنات !!(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله ، يهدف الإسلام إلى بناء الفرد المسلم بناء محكمًا متكاملاً ، قوة فى الإيمان والعقيدة ، وسلامة فى الصدر والدخيلة ، ونصاعة فى المنهج والسيرة ، وطهارة فى القلب والسريرة ، ونزاهة فى الخلق والسلوك ؛ ليعيش المرء فى ظل الإسلام قرير العين ، سليم القلب ، مبرأ من وساوس الضغينة والشحناء ، منزها عن سلوك الحسد والبغضاء ، وليس أبعد للهموم وأطرد للوساوس والغموم ولا أنصع للصفحة من الرضا بالله ، والرضا عن الله ، فى قضائه وقدره ، وفى عدله وحكمه واختياره لعباده .

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة ... رغدا بلا قتر صفوا بلا قلق

خلص فؤادك من غل ومن حسد ... فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

إخوة الإيمان ، إن الفرد المتحلى بهذه السجايا الكريمة هو لبنة المجتمع المثالى ، ونواة الأمة الإسلامية الحقة ؛ حيث ينشد الإسلام إقامة المجتمع المتماسك ، والكيان الشامخ ، الذى ترفرف بين جنباته رايات المحبة والوئام ، والمودة والإيثار والسلام ، وتربط بين أبنائه وشائج الحب المتبادل ، والود المشترك ، والتعاون الشائع البناء ، بعيدا عن الأثرة الممقوتة، والفردية المتسلطة ، والأنانية الشخصية ، التى إن نمت جذورها ، وتفرعت أشواكها ،

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

أذوت زهرات الإيمان المتفتحة ، وشوهت أنوار عقد الإسلام الوضاءة المتلألئة ؛ ولذلك حارب الإسلام الأمراض القلبية ، والأدواء النفسية والاجتماعية ، واعتنى بوصفها وتشخيصها أكثر من الأمراض الجسدية والأدواء البدنية ؛ فحينما يحل المرض بالبدن : يهرع(١) الإنسان إلى أمهر طبيب ليصف له العلاج الشافى بإذن الله ؛ لكن أمراض القلوب قد لا يحس بها المرء حتى تفسد عليه دينه ، والعياذ بالله !

لذا فقد أحاط الإسلام المجتمع بحصن منيع ؛ حتى لا تتسرب إليه هذه الأدواء القاتلة، والأمراض القلبية الفتاكة ، وحافظ على سفينة المجتمع أن تخرقها هذه الأدواء ؛ فتطوح بها بعيداً عن شاطىء الأمن والأمان ، ودوحة الخير والاطمئنان ؛ فيتسرب الإيمان منه تسرب الماء من الإناء المثلوم (٢) ، ويغرق المجتمع فى لجج الضغائن والأحقاد ، وأمواج الشر والفساد ، والأثرة والعناد فيكون فريسة للطامعين ، وصيدا سمينا للأعداء المتربصين ، يحكمون عليه قبضتم ، وينفثون سمومهم ، ويقع على أيديهم خراب البلاد والعباد ؛ عياذا بالله من سخطه وأليم عقابه ! .

أمة الإسلام ، هناك داء عضال ، ومرض قلبى قتال ، ما فشا فى أمة إلا كان نذير هلاكها ،وما دب فى ديار إلا كان سبيل فنائها ، وما انتشر فى صفوف جماعة إلا كان سبب شقائها وبلائها ، إنه مصدر كل بلاء ،ومنبع كل عداء ، وأصل كل شقاء ؛ سلاح مضاء ، وسيف بتار ، يضرب به الشيطان القلوب فتتمزق ، والمجتمعات فتتفرق ؛ يفسد المودة ، ويقطع حبال المحبة ، ويهدم أواصر القربى ؛ يغرس الضغينة والبغضاء ، ويزرع الحقد والشحناء ، وينبت العداوة واللأواء ، بل يحلق الدين ، ويهدم الدنيا ، ويقضى على بواعث الخير بين المؤمنين .

ذلكم ـ يا عباد الله ـ هو داء الحسد ؛ تمنى زوال نعمة الله عن الغير ، وكراهية وصول الخير للغير ، وتلك خصلة ذميمة ، تعمى عن الفضائل ، وتأخذ صاحبها إلى طريق الرذائل ؛ حتى تقضى عليه بأشد المعاول ، ولا قاتل الله الحسد ما أعدله ! لم يزل بصاحبه حتى قتله !

إصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله (٣)

(١) يهرع : يسرع من اضطراب . انظر : « القاموس » (هرع).
(٢) أى : المكسورة شفته . « اللسان » (ثلم) .
(٣) انظر : « أدب الدنيا والدين » للماوردى (ص ٤٢٥) ، والبيتان ـ أيضًا ـ فى «العقد الفريد» لابن =

الحسد - يا عباد الله - داء الأمم ، وسرطان الشعوب ؛ روى الإمام أحمد ، والترمذى؛ أن النبى ﷺ قال : « **دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين** »(١) .

فما أورد الأمم أشر موارد العطب ، وأصدرها أفظع مصارع الهلاك إلا الحسد ، ما أذهب ريح الأمة ، وفرق كلمتها ، ومزق وحدتها ، وأخل بصفوفها : إلا الحسد والحاسدون ، لا كثرهم الله ! ولا عجب ؛ فإنه أول ذنب عصى الله به ،ومنه انطلقت أول شرارة ؛ لتوقد عوامل الشقاء فى الإنسانية : فما الذى أوقع إبليس فى معصية الله إلا حسده لأبينا آدم ، عليه السلام ؟! وما الذى حمل قابيل على قتل هابيل إلا حسده لأخيه ؛ ﴿ **فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٣٠] ؟! وما الذى حمل إخوة يوسف على ما فعلوا به إ لا الحسد ؛ ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يوسف : ٨] ؟!

وما الذى حمل اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ! - على جحد نبوة الرسول ﷺ ، والسعى فى بث الفساد فى هذه الأمة إلا الحسد ؟! قال سبحانه : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ [البقرة : ١٠٩] ، وهو الذى دفع كفار قريش إلى الاستكبار عن دعوة النبى ﷺ ؛ ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [الزخرف : ٣١ ، ٣٢] .

أمة الإسلام ، واليوم ما فرق الأمة شيعًا متناحرة ، وأحزابًا متناكرة إلا الحسد ،وما ظهر الخلاف فى الأمة حتى ذهب مجدها ،وضعف أمرها ، ووهن عزمها ، وما تسلط عليها أعداؤها إلا بالحسد ، وما انقسمت الأمة إلى قوميات ،وتفرقت إلى دويلات ؛ فهم فى عالم السياسة مذاهب شتى ، وفى عالم الاقتصاد والاجتماع والسلوك مشارب شتى ، حتى شغل بعضهم ببعض ، بل نهش بعضهم بعضا ، وتفرقوا أيدى سبا(٢) - إلا بالحسد والبغضاء ، والحقد والشحناء .

= عبد ربه (٢ / ٣١٢) ، قال : أنشدنى فتى بالرملة ، يعنى : قرطبة وذكرهما .

(١) « المسند » (١ / ١٦٧) ، و « جامع الترمذى » (٢٥١٠) ؛ من حديث الزبير بن العوام ، رضى الله عنه .

(٢) يقال فى المثل : تفرقوا أيدى سبا ، أى : تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده . انظر : « مجمع الأمثال » للميدانى (١ / ٢٧٥) .

وكما قيل :

.... ما أشبه الليلة بالبارحة (١)

فما يفعله يهود اليوم ، وصهاينة العصر ، بإخواننا فى فلسطين المسلمة ـ من إبعادهم عن أرضهم ، وحرمانهم من وطنهم وأهلهم ، وأولادهم وأموالهم ـ إلا برهان على الصلف الصهيونى ، والحسد اليهودى ،وما تجاوزات الصرب النصارى ، وأعمالهم الشنعاء، وجرائمهم النكراء فى جمهورية البوسنة والهرسك ـ إلا دليل على الحقد الصليبى والحسد الصربى على الإسلام والمسلمين ، وما أفعال الهندوس الوثنيين فى بلاد الهند ، وهدمهم للمساجد ، وإهانتهم للمشاعر والشعائر ـ حتى أراقوا الدماء ،ومزقوا الأشلاء ، وهدموا مشيد البناء وقتلوا الأطفال ورملوا النساء ـ إلا دليل على الحقد الوثنى على كل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

وقل مثل ذلك في الصومال ، وكشمير ، وبورما ، وإريتريا ، والفلبين وغيرها من البقاع .

فالحسد ـ يا أمة الإسلام ـ خصلة شيطانية ، وخلة يهودية ، وغليانات عدوانية ، وهيجانات إبليسية ، يبثها إبليس ، وأعوان إبليس فى كل زمان ؛ وإنه لوخيم المرتع ، شديد النكاية ، سيىء العاقبة ؛ يحرق القلوب ، ويبعث المحن والكروب ، ويجلب العدوان والخصومات والخطوب ، ويدع الديار بلاقع(٢) ، حذر منه المصطفى ﷺ أمته ؛ فقال فيما صح عنه : « **لا تحاسدوا** (٣) ، **ولا تباغضوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا**(٤) ، **ولا تناجشوا**(٥) ،**وكونوا عباد الله إخوانًا** » (٦) .

---

(١) هذا عجز لطرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء المعلقات ،والبيت بتمامه :

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة !

أى : ما أشبه بعض القوم ببعض ، والبيت من أشعار الأمثال . انظر : « مجمع الأمثال » (٢ / ٢٧٥) .

(٢) البلاقع : جمع بلقع ، وبلقعة ، وهى الأرض القفر التى لا شىء بها . « النهاية » (بلقع) .

(٣) أصلها : « لا تتحاسدوا » ، وحذفت إحدى التاءين وكذا ما بعده من أفعال .

(٤) التجسس ، بالجيم : البحث عن العورات والتحسس ، بالحاء : الاستماع لحديث القوم . وفيهما أقوال أخر . انظرها فى : « النهاية » (جسس) .

(٥) من النجش فى البيع ، وهو أن يمدح السلعة ليروجها ، أو يزيد فى ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ؛ ليقع غيره فيها . « النهاية » (نجش) .

(٦) رواه البخارى (٦٠٦٤) ، ومسلم (٢٥٦٣) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

إخوة الإيمان ، الحسد يذهب الحسنات ، ويلهب السيئات ؛ روى أبو داود فى «سننه»، من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ : « **إياكم والحسد ؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » ، أو قال : « **العشب** »[(١)] .

ألا قاتل الله الحسد ! كم أذهب من نعمة ! وكم أحل من نقمة ! وكم فرق بين الإخوة، وشتت شمل الأحبة !! غير أن المحسودين هم أهل الفضل والمعالى .

ما يحسد المرء إلا من فضائله ... بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

* * *

إن يحسدونى فإنى لا ألومهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم ما بى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظًا بما يجد [(٢)]

معاشر المسلمين ، الحسد جمرة تتقد ، ونار تضطرم ، وصاحبه سيىء النية ، خبيث الطوية ، معاقب فى الدنيا قبل الآخرة ؛ قال أبو الليث السمرقندى : « يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود : غم لا ينقطع ، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد عليها ، وسخط الرب ، وغلق باب التوفيق »[(٣)] ، عياذا بالله .

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه ... فالكل أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغيًا إنه لدميم

وترى اللبيب محسداً لم يجترم ... شتم الرجال وعرضه مشتوم [(٤)]

الحاسد : لا يجلب إلا ضرراً ، ولا يورث إلا خطراً ، ولا ينظر إلا شزراً [(٥)] ، ولا يضمر إلا غدراً ، ولا يعمل إلا شراً ، ولا يدبر إلا مكرًا ؛ النعمة لا ترضيه ، والمنة تؤذيه، والنعمة عليك تشقيه .

و« **الحسود لا يسود** »[(٦)] ، ولا يبلغ المقصود ، يقتل نفسه ، ويؤجج نار الحقد فى

---

(١) « سنن أبى داود » (٤٩٠٣) .

(٢) البيتان بلا نسبة فى « العقد الفريد » (٢ / ٣١٣) ، و« شرح قطر الندى » لابن هشام (ص ٤٧٠).

(٣) « تنبيه الغافلين » أبى الليث السمرقندى (١ / ١٩٠) .

(٤) الأبيات لأبى الأسود الدؤلى . انظر : « خزانة الأدب » للبغدادى (٨ / ٥٦٧) .

(٥) النظر الشزر : نظر فيه إعراض ؛ كنظر المعادى المبغض . « اللسان » (شزر) .

(٦) هذا من الأمثال التى استعملها المولدون ، يضربونه فى ذم الحسد . انظر : « مجمع الأمثال » (١ / ٢٣٠) .

صدره حيث لا يشعر المحسود ،وفى حديث عند النسائى ، وابن حبان فى « صحيحه » ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » : « **لا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد** »(١) ،وعند الطبرانى : « **لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا** »(٢) .

وقد ييئس الشيطان من إيقاع المسلم فى الشرك والوثنية ؛ لكنه لا ييئس أن يحرش بين المسلمين ، روى مسلم وغيره ، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم**(٣) »(٤) .

ومن المعلوم ـ رحمكم الله ـ أن من لوازم الحسد ، وآثار الحقد : سوء الظن بالإخوان، وتتبع العورات ، والنفخ فى الهنات ، ونشر السقطات ، وتلمس العثرات . وإن الحاسدين ليجدون فى الغيبة ،ونهش الأعراض ، والنميمة : متنفسًا لأحقادهم المدفونة ،وخباياهم المكنونة ؛ فلا يتريحون إلا إذ نشروا المعايب ، ولا يتلذذون إلا بإذاعة الأخطاء والمثالب ، وايم الله ! إن ذلك دليل دناءة الهمة ، ولا سيما أن أهل الحقد واللؤم والخسة : إذا رأوك حسدوك ،وإذا تواريت عنهم اغتابوك .

وقد يأتى الحسد فى قالب النقد ، وإبداء السوءات ؛ فيتلهى الحاسدون بنشر الفضائح، ويتلذذون بسرد القبائح ، فلماذا كل هذا ـ يا أهل الإسلام ـ وقد قسم الله بين الناس أرزاقهم وأخلاقهم ؟! ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النساء: ٥٤].

أمة الإسلام ، يشتد قبح الحسد حين يكون بين المنتسبين إلى العلم والمعروفين بالخير والدعوة والإصلاح ، وإنه ليكثر بين الأمثال والنظراء ، والقرناء والزملاء ،وكذلك فى صفوف النساء ، والمتطلعين إلى المراتب والمناصب ؛ فقد يوجد من بين الأقران من يبر إخوانه ويفوق زملاءه ، فتتحرك سهام الحسد ، وترمى شرارات الكيد والحقد ، فتقضى على الأخوة ، وتورث الأحقاد والضغينة والقطيعة ، وإنك لواجد فى المجتمع من ذلك شيئًا كثيرًا ، فما أكثر المتحاسدين ! وما أكثر المتقاطعين والمتشاحنين ، هداهم الله ! وليس حسد أعداء الإسلام على المسلمين بغريب ،ولكن الغرابة كل الغرابة أن يسرى التحاسد بين أهل الإسلام !!

---

(١) « سنن النسائى » (٦ / ١٣) ، و « صحيح ابن حبان » (٤٦٠٦) ، و « شعب الإيمان » (٦٦٠٩) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) « المعجم الكبير » (٨١٥٧) ؛ من حديث ضمرة بن ثعلبة ، رضى الله عنه .

(٣) أي : ولكنه يسعى فى التحريش بينهم بالخصومات والشحناء ، والحروب والفتن وغيرها . انظر : «شرح النووى على مسلم » (١٧ / ١٥٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٨١٢) ، وأحمد (٣ / ٣٥٤) .

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ وانبذوا من قلوبكم ترسبات الغل والحسد ، واصطلحوا وتوادوا وتصافوا ، وتصافحوا وتسامحوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا ،وليكن شعاركم ما قاله السلف الأخيار من المهاجرين والأنصار : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال ؛ لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ؛ لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق والحسد والشحناء ، والحقد والبغضاء ، وأعيننا من الخيانة ، وألستنا من الكذب ، يا سميع الدعاء ، اللهم إنا نعوذ بك من شر الحاقدين ، وكيد الحاسدين ؛ إنك على كل شيء قدير .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه التى لا تعد ،والشكر له على إحسانه الذى لا يحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عليه المعول والمعتمد ، وإليه المستند ،ومنه وحده المستمد ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ؛ أكرم الأمة فى الدين والخلق والمحتد[١] ، أمره ربه بالتعوذ من شر النفاثات فى العقد ،ومن شر حاسد إذا حسد ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ؛ أسلم الأمة صدوراً ، وأبرها قلوبًا ، وأطهرها سيرة وأمجد ،والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أبيض وأسود .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحرصوا على سلامة القلوب ، وراقبوا مولاكم علام الغيوب، واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن ثواب سلامة الصدور ، دخول الجنة دار السلام والحبور ؛ روى الإمام أحمد وغيره ، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ فقال : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » ، فطلع رجل من الأنصار تنطف[٢] لحيته من وضوئه [٣] ، قد تعلق نعليه فى يده الشمال ، قال : فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، وذهب إلى بيته ، وبقى عنده ثلاث ليال ، فلم ير منه كثير صوم ولا صلاة ، فقال له: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقو : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** »[٤] ، ولم أرك عملت كبير عمل ، فما الذى بلغ ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى أحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله : « **هذه التى بلغت بك** » .

واعلموا ـ يا رعاكم الله ـ أنكم محسودون على ما آتاكم الله من نعم فى هذه البلاد المباركة ، بلاد الحرمين الشريفين ، حرسها الله ! فنعمة العقيدة الصحيحة ،ونعمة الأمن والأمان ، والخيرات والاطمئنان ،ونعمة التلاحم بين القمة والقاعدة ، والترابط بين الرعاة والرعية ، والدولة والعلماء ، نعم يود كثير ـ ممن شرقت قلوبهم ـ أن يبثوا الفتنة ، ويوقظوا

---

(١) المحتد : الأصل ؛ يقال : فلان كريم المحتد . « اللسان » (حتد) .

(٢) تنظف ، أى : تقطر . « النهاية »(نطف) .

(٣) الوضوء ، بفتح الواو : الماء الذى يتوضأ به . « اللسان » (وضأ) .

(٤) رواه معمر فى « جامعه » (٢٠٥٥٩) ، ومن طريقه أحمد (٣ / ١٦٦) ، والنسائى فى «الكبرى» (١٠٦٩٩) .

المحنة ، ويبذروا القلاقل ، وإننا لنسمع ونرى من وسائل الإعلام المغرضة المأجورة شيئًا كثيرًا ، لا بلغهم الله مآربهم ، ورد كيدهم خاسئين خائبين ، ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾ [فاطر : ٤٣] .

وتذكروا ـ رحمكم الله ـ أن حسد الأعداء لا ينتهى ؛ فكونوا على حذر وفطنة ، يريد أعداء عقيدتكم إلى أمور ليست من دين الله في شيء ؛ بإحداث زيادات ،وتعظيم لبعض الشهور والمناسبات ، مما ليس فى كتاب ولا سنة ، وليس عليه منهج السلف الصالح .

وفئة أخرى : تريد أن تجر الأمة إلى التشبه بأعداء الملة ؛ بتعظيم أيامهم وأعيادهم ؛ حسدا وكيدا لعقيدة السلامة والصفاء ، والطهر والنقاء ، هذا وقد تبين الداء ، وتشخص الدواء ، فما بقى إلا العمل والاقتداء ، ثبتنا الله وإياكم على دينه القويم ، وصراطه المستقيم .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على خير الورى ، كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

الإعراض، عن مقراض الأعراض!(١)

الخطبة الأولى

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ أحمده تعالى وأشكره ، ألف بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم إخوة متحابين متراحمين ، على الخير متعاونين ، وفى سبيل الفضائل متكاتفين ؛ لألسنتهم وجوارحهم حافظين ، وعن الغيبة والبهتان مبتعدين ، وللفحش والزور مجتنبين ، وعن أعراض إخوانهم ذابين ومدافعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، هو المرجو سبحانه لصلاح أمور الدنيا والدين ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطاهرين الطيبين ، وصحبه الغر الميامين ، ومن اقتفى أثره ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا عباد الله ، اتقوا الله ربكم ، وترجموا التقوى إلى سلوك عملى فى أمور حياتكم ، وواقع تطبيقى فى كل أحوالكم ؛ تحملكم على حب الخير وإشاعة الفضيلة ، ودرء الشر وإقصاء الرذيلة .

أيها المسلمون ، من أهم ما يميز المجتمع الإسلامى : أنه مجتمع مودة وتراحم ، وتكاتف وتلاحم ، ومحبة وتلاؤم ، يقوم على أسس التعاون المشترك ، والتقدير المشاع ، وينبنى على قواعد المحبة المتبادلة ، والمعاملة الرقيقة ، لا مكان فيه للأثرة الممقوتة ، والأنانية المكروهة ، والفردية المتسلطة ؛ قلوب أفراده مفعمة بالحب لإخوانهم ، وألسنتهم ثرة بذكر محاسنهم وفضائلهم ، حذره من الوقيعة فى أعراضهم ، والنيل من كرامتهم ، لا يحملون الحقد الدفين ، ولا ينشرون الإفك المبين ، فهم كما وصف الله : ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

إخوة الإيمان ، لقد أحاط الإسلام المجتمع المسلم بسياج منيع من داخله ، يحول دون تصدع بنيانه ، وتزعزع أركانه ؛ فأقام الضمانات الواقية ، والحصانات الكافية ، الحائلة دون معاول الهدم والتخريب : أن تتسلل إلي جبهته الداخلية ، فتعمل عملها هدما وتخريبًا ،

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

وفرقة وتأليبًا ، وطالب أهل الإسلام أن يرعوا حق الإيمان والأخوة ، وأن يصلحوا ذات بينهم ، وأن يحفظوا ألسنتهم من الوقيعة فى أعراض المؤمنين ، وأن يقفوا سدا منيعًا أمام الجرائم المدمرة ، والأمراض الاجتماعية الفتاكة التى تأتى على بنيان المجتمع من القواعد ، وتحوله إلى مجتمع صراع دائم ، وتفكك مستمر ، وإحن[1] متكاثرة ، وفئات متناحرة ، وويل للمجتمع يومئذ من أعدائه المتفرجين من بعد ؛ حيث سيكون لقمة سائغة لهم !

أيها المسلمون ، هناك مرض عضال ، وداء خطير منتشر بين الناس قل أن تسلم منه المجالس ، ويندر أن ينفك منه مجتمع من المجتمعات ، بل إنه يضرب أطنابه فى كثير من مجالسنا واجتماعاتنا ولقاءاتنا ، إلا من رحم الله ، ويخيم بظله الثقيل عليها - مع عظيم خطره على الإيمان والأخلاق ، وكبير أثره على الأفراد والأسر والمجتمعات - إنه « داء الغيبة» ، ويا لها من خصلة ذميمة ، تنم عن ضعف الإيمان ،وسلاطة اللسان ، وخبث الجنان ؛ صاحبها يمثل لؤم الطبع ، وقبح المعشر ، وضعف الخلق ، وقلة الوازع ، ودناءة السجايا .

الغيبة : مصيبة على المجتمع أيما مصيبة ، تفعل فى القلوب والأرواح أفعالاً عجيبة ، تؤثر على الأسر والمجتمعات آثارًا خطيرة غريبة ، وتفعل بها فعل النار فى الهشيم ، تفرق بين الإخوة وتباعد بين الأحبة ، تفسد العلاقات بين الزملاء ،وتعكر المودة بين الأصدقاء ، كم فرقت بين المرء وزوجه ، والابن وأبيه ، والأخ وأخيه ! كم مزقت من آصرة ، وأثارت من فتنة ! كم أذكت من أحقاد ، وأورثت من ضغائن ، وأوغرت من صدور ! كم جرت من شرور عظمى ، وأخطار كبرى ! بل لربما قامت الحروب الطاحنة بين فئات ودول بسبب ذلك ، والعياذ بالله ! .

المغتاب : عضو مسموم فى المجتمع ، ومؤذ لله ولرسوله والمؤمنين ، مفسد بين المسلمين ، والله لا يحب المفسدين .

لذلك - يا عباد الله - جاء الإسلام بتحريم الغيبة تحريمًا قاطعًا ، بل نقل القرطبى - رحمه الله - الإجماع على أن الغيبة من الكبائر [2] ؛ تعدل القتل ، والربا ، والزنى ، وسائر الكبائر . ويقول ابن حجر - رحمه الله - : « الغيبة هى : الداء العضال ، والسم الذى فى الألسن أحلى من الزلال » .

وقد جعلها من أوتى جوامع الكلم ﷺ عديلة قتل النفس ،وغصب المال ؛ يقول -

---

(١) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد فى الصدر . « اللسان » (أحن) .
(٢) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى (١٦ / ٣٣٧) .

عليه الصلاة والسلام ـ فيما أخرجه مسلم ، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه : «**كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**»(١) ، ويقول الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ : «**والله ، للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الأكلة**(٢) **فى جسده**»(٣) .

وأعظم من ذلك وأجل : كلام ربنا عز وجل : ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

فتأمل ، أخى المسلم ـ رحمك الله ـ هذا الأسلوب البليغ ، فى النهى المقرون بالمثال الذى يزيد الأمر شدة وتغليظًا ، والعمل تقبيحًا وتشنيعًا ؛ ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ ؛ فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذر جبلة وطبعًا ، ولو كان كافرًا ، فكيف إذا كان أخًا فى الدين ؟! فإن الكراهية أعظم ؛ بل فكيف إذا كان ميتًا وجيفة ؟! فسبحان الله ـ عباد الله ـ ما أعظم خطر الغيبة ! وما أشنع جرمها ! ويا سبحان الله ، ما أكثر تساهل الناس بها اليوم ؛ حتى لكأنها مائدة مجالسهم ! فالله المستعان .

معاشر المسلمين ،وفى معنى الغيبة يقول ﷺ فيما رواه مسلم ، وأبو داود ، وغيرهما، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه : «**أتدرون ما الغيبة ؟**» قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟! قال : «**إن كان فيه ما تقول ، فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ، فقد بهته**»(٤) .

وللمغتابين نسوق هذا الوعيد الشديد لأرباب هذه البضاعة البئيسة ؛ يقول ﷺ فيما رواه أحمد ، وأبو داود : «**يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من اتبع عوراتهم ، يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته، يفضحه فى بيته**»(٥) .

أيها الإخوة فى الله ، أتدرون ما عقوبة المغتابين ؟! اسمعوا ، يا من تظنون أن الأمر يسير ؛ روى أبو داود ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لما عرج بى ، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون**(٦) **وجوههم وصدورهم ، فقلت : من**

---

(١) « صحيح مسلم » (٢٥٦٤) .

(٢) الأكلة : داء يقع في العضو ، فيأتكل منه . « اللسان » (أكل) .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى « الصمت » (ص ١٩٢) .

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٩) ، وأبو داود (٤٨٧٤) ، والترمذى (١٩٣٤) .

(٥) رواه أحمد (٤ / ٤٢٠) ، وأبو داود (٤٨٨٠) ؛ من حديث أبى برزة الأسلمى ، رضى الله عنه .

(٦) يخمشون : يخدشون ويجرحون . « النهاية » (خمش) .

هؤلاء يا جبريل ؟! قال : هؤلاءُ الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم »(١) ، ولما قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ للنبى ﷺ : « حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعنى أنها قصيرة ـ قال ـ عليه الصلاة والسلام : « **لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر ، لمزجته!** »(٢) أي : أنتنته وغيرت ريحه .

فاسمعوا ـ يا من تقعون فى أعراض عباد الله تخطئة وتجريحًا ، ثلما وتنقيصًا وتقبيحًا فمن الناس من ينصب نفسه حكمًا على الخليقة فى جلسه ، بل فى لحظة ، يخطىء هذا ويسفه ذاك ، ويجهل ذا ويضلل ذاك ، وهو أهون عليه من شرب الماء ، أين الخوف من الله؟! أين استشعار رقابة الله ؟! أين رعاية حرمة حقوق عباد الله ؟! لقد وصل الأمر فى هذا ذروته ، وبلغ غايته ونهايته ؛ فالأمر خطير جد خطير ـ يا معشر المسلمين ـ لا يسع السكوت عليه والرضا به ، لقد تحولت كثير من المجالس والمنتديات إلى أسواق تروج فيها أعراض المسلمين ،وتقدم لحومهم فى أطباق من عذاب ، ويتندر بأفعالهم وتصرفاتهم فاكهة فى المجالس ، وهى من نار ، والعياذ بالله ! .

لقد وجد فى الساحة فئام من الفارغين ذوى البطالة المقنعة ، آثروا الكلام على العمل، وأقعدهم التوانى والكسل ، عجزوا عن اللحاق بركب الجادين العاملين ؛ فأعملوا فيهم كلاما ونقدا ؛ بضاعتهم النقد والتجريح ، ديدنهم البحث عن أخطاء الآخرين ، والإشارة إليهم بالتصريح والتلميح ، عقدوا المجالس وكونوا اللقاءات لأجل هذه البضاعة الزائفة.

ذلك مما يؤسف له أشد الأسف ، ومما يندى لـه الجبين ، ومما تبكى له المروءة ، وتئن له الفضيلة ، ولقد زين الشيطان لهؤلاء سوء أعمالهم ! .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله : « ومن العجب : أن الإنسان يهون عليه الاحتراز من كثير من المحرمات ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ؛ حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة ،وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقى لها بالا ؛ يزل بالواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب »(٣) .

ويقول الحسن ـ رحمه الله : « **إذا رأيت الرجل يشتغل بعيوب غيره ، ويترك عيوب نفسه ، فاعلم أنه قد مكر به** »(٤) .

---

(١) « سنن أبى داود » (٤٨٧٨) .

(٢) رواه أحمد (٦ / ١٨٩) ، وأبو داود (٤٨٧٥) ، والترمذى (٢٥٠٢) .

(٣) « الداء والدواء » (ص ٢٤٤) .

(٤) انظر : « الصمت » لابن أبى الدنيا (ص ١٩٨) .

وفى الحديث عنه ﷺ : « **أتدرون ما أربى الربا عند الله ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : « **فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم** » ، ثم قرأ - عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٨](١) .

أمة الإسلام ، لقد أدب الرسول ﷺ صحابته الأدب الرفيع ؛ حيث قال : « **لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئًا ؛ فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر** »(٢) .

الله أكبر ! أين هذا من حال المفتونين بتتبع الزلات ، وتعقب الهفوات ، وإبراز السقطات ؟! يوسعون الخرق ، ويفضحون الخلق ، ويجعلون من الحبة قبة ، وينفخون فى الكلمات ، ويمتطون صهوة سوء الظن بإخوانهم ، والشائعات المغرضة ، ورب كلمة تموت فى حينها ولا تبارح مكانها ، ورب كلمة صارت شرارة ، تعقبها نار ملتهبة تقضى على الأخضر واليابس ، تجد هؤلاء مغرمين بسرد الفضائح ، وإعلان القبائح ، وإبداء العورات، وكشف الستور والسلبيات ، فى الأفراد والمجتمعات ، والدول والحكومات ، والمؤسسات والهيئات ، فى العلماء والعامة ، فى الشباب والشيب ، فى الرجال والنساء ، ، ، وهلم جرا .

ومنهج السلف - رحمهم الله - التناصح المحبوب ، لا التفاضح المذموم ؛ قال عمر - رضى الله عنه - : « **عليكم بذكر الله ؛ فإنه شفاء ، وإياكم وذكر الناس ؛ فإنه داء** »(٣) ، ويقول بعض السلف : « **الغيبة أشد من الزنى ، قيل : وكيف ؟ قال : الرجل يزنى ثم يتوب، فيتوب الله عليه ، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه** »(٤) ،وقال قتادة: « **ذكر لنا أن عذاب القبر من ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من البول ، وثلث من النميمة** »(٥) ، واغتاب رجل آخر عند بعض السلف ، فنهره ، فقال : « **يا هذا ، إياك وولوغ الكلاب !** »(٦) .

---

(١) رواه أبو يعلى (٤٦٨٩) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٦٧١١) ؛ من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

(٢) رواه أبو داود (٤٨٦٠) ، والترمذى (٣٨٩٦) ؛ من حديث ابن مسعود ، رضى الله عنه .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى « كتاب الصمت » (ص ٢٠٤) .

(٤) « كتاب الصمت » لابن أبى الدنيا (ص ١٦٤) ، وانظر : « كنز العمال » (٣ / ٥٨٩) .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا فى « كتاب الصمت » (ص ١٩٠) .

(٦) انظر : « كتاب الصمت » لابن أبى الدنيا (ص ٢٩٩) .

أيها المسلمـون ، من أشد الغيبة خطرًا ، وأعظمـها ضررًا : الوقيـعة فى أعراض ولاة أمور المسلمين ؛ فالذى ينبـغى : الدعاء لهم ، وإبراز محاسنهم ، ومناصحتـهم فيما بينك وبينهم ؛ حتى لا تـوغر صدور العـامة ، ولا تؤلب عواطف الجـماهير ؛ وكـذلك العلماء وأهل الدعوة والإصلاح ، فلحـومهم مسمومة ، وغيـبتهم مذمومة ، ومن ابتلى بـالوقيعة فيهم ، والثلب لهم(١) ـ ابتلاه الله قبل موته بموت القلب ؛ والعياذ بالله ! كما قال الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله(٢) ـ والكمال لله وحده .

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط ؟! (٣)

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واتقين الله ـ أيتها المسلمات ـ فإن الغيبة فى مجالس النساء كثيرة ـ فى فـلان وفلانة ـ بشكل مذهل ، وقد رآكن رسول الله ﷺ أكثـر أهل النار ؛ كما فى « الصحيحين » ، من حديث ابن عباس ، رضى الله عنه(٤) .

اتقوا الله ـ أيها المسؤولون ـ عن مصالح المسلمين، لا تجعلوا للمغتابين عندكم رواجا ، واحذروا تصديقـهم فى فلان وغيره ، إلا بعد التـبين والتثبت(٥) ؛ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات : ٦].

واتقوا الله ـ يا حملة الأقـلام والتقريرات ، ويا أصحاب الرأى والاسـتشارات ـ إياكم والتحايل على البرآء ، واحذروا سوء الظن بالمسلمين .

واتقوا الله ـ أيها العلماء والدعاة ـ وفروا أعـراض إخوانكم، احملوهم ـ ولو خالفوكم ـ على المحامل الحسنة ، واحذروا أن يوقع الشـيطان بينكم ؛ فإنه يئس أن يعبده المصلون ؛ فعمل على التحريش بينهم ، ولا يفسد ذات بينكم الأغرار والأدعياء ، والجهلة والسفهاء.

واتقوا الله ـ يا شـباب الإسلام ـ كونوا يدا واحـدة فى الخير والصلاح ، تلاحـموا مع علمائكم الربـانيين ، وولاتكم المسلمين ، وكونوا صفـا واحدًا علي أعـدائكم المتربصين ،

---

(١) الثلب لهم ، أى : العيب لهم ، والتنقص منهم . « اللسان » (ثلب) .

(٢) « تبيين كذب المفترى » لابن عساكر (ص ٣٠٧) .

(٣) البيت للحريرى ، وقد سبق تخريجه.

(٤) « صحيح البخارى » (٢٩) ، و « صحيح مسلم » (٢٧٣٧) .

(٥) أما وجوب التبين : فمسـتفاد من قراءة الجمهور : ﴿ فتبينوا ﴾ ، وأمـا وجوب التثبت : فمن قراءة حمزة والكسـائى وخـلف : ﴿ فتثبـتوا ﴾ . انظر : « النشر ، فى الـقراءات العـشر » لابن الجـزرى (٢ / ٢٥١ ، ٣٧٦) .

والله سبحانه يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] .

نفعنى الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدى سيد المرسلين ، وجنبنى وإياكم طريق الغافلين والمغتابين ، وجعلنا جميعًا إخوة متحابين ؛ إنه جواد كريم !

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه، وتوبوا إليه ؛ إنه كان للأوابين غفوراً .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، قوله الحق ، ووعده الصدق ، وأمره الإحسان والرفق ، نحمده تعالى ونشكره بالعمل والنطق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى العبادة والتدبير والرزق ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى كافة الخلق ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحرصوا على اجتماع القلوب ، وراقبوا ربكم علام الغيوب، ابتعدوا عن مجالس الغيبة ، فشؤمها يعم المتكلم والسامع والراضى ، ولا تغتروا بكثرة المغتابين .

أيها المسلمون ، لقد أدركنا جميعًا خطورة الغيبة وشناعتها ، وأنها تحصل بأدنى شىء يذكر عن المسلم وهو يكرهه ، خلقًا أو خلقًا أو نحو ذلك ؛ كما تبينت حكمة الإسلام فى تحريمها ؛ حفاظًا على أعراض المسلمين ، وتأكيدًا لحرمتهم، وصيانة للمجتمع عن معاول[1] الهدم المعنوية التى تصدع بنيانه من الداخل .

أحبتى فى الله ، وإذا بحثنا عن الأسباب والبواعث لهذا المرض الخطير ، وجدناها لا تعدو : ضعف الإيمان ، وقلة الوازع ، وعدم الخوف من الله ؛ إضافة إلى التشفى والغيظ، والانسياق وراء رغبات النفس الأمارة بالسوء ، والعمل على رفعها فوق منزلتها ، والحط من أقدار الآخرين ، فالذى يغتاب الناس يقول بلسان حاله : « أنا الكامل ، والناس مخطؤون ! وأنا المحق ، والناس مبطلون ! » ، وكفى بذلك ضعة ودناءة ، أضف إلى ذلك: تمكن الحسد والشحناء ، والحقد والبغضاء ، والضغائن فى النفوس ، والاسترسال مع الآخرين دون حسيب ولا رقيب .

وقد وضع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ كالغزالى ، والنووى ، وغيرهما[2] : استثناءات ستة تجوز فيها الغيبة للضرورة ، وهى : التظلم ، والاستفتاء ، والاستعانة على تغيير

---

(١) المعاول : جمع معول ، وهى : الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر . « اللسان » (عول) .

(٢) انظر : « إحياء علوم الدين » (٣ / ١٥٢ ، ١٥٣) ، و « رياض الصالحين » (ص ٤٥٠ ، ٤٥١)، و « الأذكار » (ص ٥٤٠ ـ ٥٤٣) ، و « الزواجر » لابن حجر الهيثمى (٢ / ٢٩ ـ ٣١)، و « سبل السلام » (٨ / ٣١٠ ، ٣١١) ، وراجع رسالة العلامة الشوكانى « رفع الريبة ، عما يجوز ولا يجوز من الغيبة » .

المنكر، وتحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، وإظهار فسق المجاهر ، والتعريف بالإنسان إذا لم يعرف إلا بوصف يتميز به عن غيره .

وقد جمعها الناظم بقوله :

والقدح ليس بغيبة فى ستة متظلم ، ومعرف ، ومحذر
ولمظهر فسقًا ، ومستفت ، ومن طلب الإعانة فى إزالة منكر[١]

أيها الإخوة فى الله ، أما العلاج لهذا المرض الخطير - يا عباد الله - فهو التوبة إلى الله بالكف عن هذا الجزم الخطير ، وكثرة الاستغفار ، ومجانبة مجالس الغيبة ، والبعد عن أهل السوء والباطل ، والدعاء لمن اغتبته فيه ، وذكره بالخير ، وإبداء محاسنه وفضائله فى المكان الذى اغتبته فيه ، والتحلل منه ، والمحافظة على كفارة المجلس وختامه بالاستغفار والتوبة ، وأطر النفس على الظن الحسن ،وطلب المعاذير ، والبعد عن الشائعات المغرضة والظنون السيئة ، وتذكر الموت والدار الآخرة .

يروى أن معروفًا الكرخى - رحمه الله - إذا اغتاب عنده أحد قال : « **يا هذا ، اذكر الكفن والقطن والحنوط إذا وضعن عليك** »[٢] .

ويا سلوى لمن اغتابهم الناس ؛ لاستفادتهم من حسناتهم ؛ يروى أنه لما بلغ الحسن البصرى أن رجلا اغتابه ، أرسل إليه طبقا من رطب ، وقاله له : « **بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك - أى : بغيبتك لى - فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرنى ؛ فإنى لا أقدر على مكافأتك على التمام** »[٣] .

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتوبوا إلى ربكم من جميع الذنوب والمعاصى ؛ تسعدوا وتفلحوا فى دنياكم وأخراكم ، رزق الله الجميع التوبة النصوح ، والأوبة الصادقة ؛ بمنه وكرمه .

هذا ؛ وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على من بعثه الله رحمة للعالمين ؛ كما أمركم بذلك إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ؛ فقال عز من قائل : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) هذان البيتان نسبهما الصنعانى إلى ابن أبى شريف . انظر : « سبل السلام » (٨ / ٣١١) .
(٢) انظر : « حلية الأولياء » (٨ / ٣٦٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩ / ٣٤١) .
(٣) انظر : « إحياء علوم الدين » (٣ / ١٦٤) .

الخصلة الذميمة : المشي بالنميمة !!(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ذى المن والعطاء ، والعز والعظمة والكبرياء ، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله فى هذه الدنيا كشف البلاء وتوالى النعماء ، وفى الآخرة حسن العقبى وعظيم الجزاء .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا أنداد له ولا شركاء ، سبحانه لا يعجزه شىء في الأرض ولا فى السماء ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل الرسل وخاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وسيد الأصفياء ، صلى الله عليه وعلى آله الشرفاء الأتقياء ، وصحبه النجباء الأوفياء ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فأوصيكم - عباد الله - بتقوى الله - جل وعلا - فإنها العدة فى الشدة والرخاء ، والذخيرة فى السراء والضراء ، تكشف الهموم ، وتذهب الغموم ، وتجلب الأرزاق ، وتيسر الأمور بإذن الله ؛ ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] ، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق : ٤ ، ٥] .

أيها المسلمون ، من الأهداف الكبرى ، والمقاصد العظمى التى قصدت إليها شريعتنا الغراء : بناء الفرد الصالح ، وإقامة المجتمع المسلم المثالى ، الذى تصل بين أفراده جسور المحبة والمودة والصفاء ، وتنشأ بين أبنائه علاقات الأخوة والتعاون والوفاء ، مجتمع المحبة والتراحم ،والتكاتف والتلاحم ، والمودة والتلاؤم ، القائم على أسس التعاون المشترك ، والحب المتبادل ، والمبنى على قواعد التعامل الرفيق ، والتقدير المشاع ؛ فلا مكان للأنانية الممقوتة ، ولا الأثرة المكروهة ، ولا الفردية المتسلطة ؛ قلوب أفراده مفعمة بالمحبة لإخوانهم ، وألسنتهم ثرة بذكر محاسنهم وفضائلهم ، سليمة من الولوغ فى أعراضهم ، والوقيعة فى سيرتهم ، والطعن فى سريرتهم ، والنيل من كرامتهم ، لا يحملون حقدًا دفينًا ، ولا ينشرون إفكا مبينًا ، يعيشون متحابين فى بناء شامخ ، وجسد واحد ، وبنيان مرصوص ، حلقات مترابطة فى سلسلة محكمة ، وجواهر ناصعة ، ودرر متلألئة فى عقد

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

فريد مصون من التناثر والاندثار ، وحصن حصين لا تتسلل إليه عوامل التصدع والانهيار .

إخوة الإيمان ، لقد طالب الإسلام أهله المتشرفين بحمل رسالته : أن يرعوا حق الإيمان والأخوة ، وأن يصلحوا ذات بينهم ، وأن يقفوا سدا منيعًا أمام الجرائم المدمرة ، والأمراض الاجتماعية الفتاكة ، التى تأتى على بنيان المجتمع من القواعد ، وتحوله إلى مجتمع صراع دائم ، وتفكك دائب ، وإحن متكاثرة ، وفئات متناحرة ، ودعا إلى الحفاظ على سلامة المجتمع ،وضمان أمنه واستقراره ؛ ليتصدى لعاتيات العواصف ، وتلاطمات الأمواج ؛ حتى لا تغير مسار سفينة المجتمع ، أو تحدث فيها الشروخ والخروق ؛ فتطوح بها بعيداً عن بر الأمان وشاطىء السلامة والنجاة .

وإنه لا يزال المجتمع بخير ما عرف فيه أفراده حقوق بعضهم تجاه بعض ، وسادت بينهم الأخلاق الفاضلة ،وتلاشت بينهم الصفات الذميمة ، والمسالك المرذولة .

معاشر الإخوة ، وإن من أهم السجايا الحميدة التى ينبغى أن تسود بين أفراد المجتمع : حسن الظن بالمسلمين ، والتثبت فى نقل الأخبار لهم وعنهم ، ولقد أدب الإسلام أتباعه على ذلك ؛ حفاظًا على تماسك المجتمع ، وتلاحم أفراده ؛ يقول سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات : ٦] ، وفى قراءة حمزة والكسائى : ﴿ **فَتَثَبَّتُوا** ﴾(١) ، وقال جل وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وقال ﷺ - فيما أخرجه البخارى ومسلم: « **إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث** »(٢) ، وروى مسلم - أيضًا - أن رسول الله ﷺ قال : « **كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع** »(٣) ، وفى رواية(٤) : « **كفى بالمرء إثمًا ...** » .

أحبتى فى الله ، إن شأن المسلم الواعى ألا يقبل أي قول يصل إلى مسمعه دون التثبت والتحرى ؛ فقد يكون المخبر مغرضًا ، أو يجر إليه مغنمًا ، أو يدفع عنه مغرمًا ، أو ينال مكانة وحظوة ، وإذا كان فى دنيا النبات طفيليات تلتف حول النبتة الصالحة؛ لتفسد نموها - فإن فى البشر من هم كذلك ، وأعنى : من يلتفون حول أفراد المجتمع ، فيوغرون الصدور، ويبعثون الشرور ، فتحدث القطيعة والشحناء ،والعداوة والبغضاء ، بين أفراد

---

(١) انظر : « النشر ، فى القراءات العشر » لابن الجزرى (٢ / ٢٥١ ، ٣٧٦) .

(٢) « صحيح البخارى » (٦٠٦٦) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٦٣) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٣) « صحيح مسلم » (٥) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) عند ابن حبان فى « صحيحه » (٣٠) .

المجتمع المسلم ، وتضرب الظنون السيئة أطنابها بين ظهرانيهم ؛ فتقضى على البقية الباقية من المودة والصفاء بينهم .

وخطر هؤلاء عظيم فى الأمة ، وهم كثير - لا كثرهم الله - فكم أحدثوا فجوات بين المسلمين ! وكم تجنوا على الأبرياء ! وكم أشعلوا نار الفتنة والعداوة بين المتحابين والأصفياء! مما يحتم على المسلمين أن يحذروهم فلا يصدقوهم ، وذلك مبدأ إسلامى عظيم تجب المحافظة عليه ؛ سدًا للباب أمام الوشاة المتربصين ، ونقلة الشائعات المغرضين ، ومنعا لمروجى الشائعات والبلاغات الكيدية المغرضة ، والأخبار المكذوبة عن البرآء الغافلين .

روى البخارى فى « الأدب المفرد » ، وغيره ، عن أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - قالت : قال النبى ﷺ : « **ألا أخبركم بشراركم ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «**المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت** »(١) ،وروى أحمد ، وأبو داود ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أربى الربا : الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق**»(٢) .

وقديما تولى عبد الله بن أبى رأس المنافقين كبر الإفك المبين ، فى تلويث سيرة الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سموات عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها - فقال سبحانه منوها إلى ما ينبغى اتخاذه فى مثل هذه المواقف المخزية : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ . . إلى قوله سبحانه : ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ١٦ ، ١٧] .

وهو منهج مرسوم يجب أن يحتذى عند سماع كل شائعة ، ورواج كل ذائعة ؛ لئلا يحصل الندم بالإساءة إلى مسلم ، وإشاعة ما ليس فيه ، أو الكذب عليه ،ونقل ما لم يصدر عنه تحت شعار « يقولون ! » ، أو « يزعمون ! » ، وهذا ضرب من السعى فى الأرض بالفساد ، والله لا يحب المفسدين ، ونوع من الإيذاء للمؤمنين ، وإشاعة ما هم منه براء ؛ والله عز وجل يقول : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

معاشر المسلمين ، إن من الأمراض الاجتماعية الخطيرة المنتشرة بين الناس مرضًا عضالا، وداء عياء ، إنه الخصلة الذميمة والخلة الوخيمة ، وما هى يا رعاكم الله ؟

(١) رواه البخارى فى « الأدب المفرد » (٣٢٣) ، وأحمد (٦ / ٤٥٩) .

(٢) « المسند » (١ / ١٩٠) ، و « سنن أبي داود » (٤٨٧٦) ؛ من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه .

إنها « النميمة » ، التى تنم عن ضعف الإيمان ، وخبث الجنان ، وسلاطة اللسان ، وهى : « **نقل الكلام من شخص إلى آخر ؛ للإفساد بينهما** » .

والنمام لئيم الطبع ، قبيح المعشر ، دنىء الهمة ، قليل المروءة ، يتقاطر خسة وقبحًا ، وقذارة ودناءة ، قد ترسب الغل فى أعماقه ؛ فلا يستريح حتى يزيد ويرغى ، ويفسد ويؤذى ، فكم باعد بين أحبة ، وشتت من إخوة ، وقطع من حبال مودة ، وأفسد من علاقة ، ومزق من آصرة ، وأثار من فتنة ، وأذكى من أحقاد ، وأورث من ضغائن ، وفرق بين زوجين ، وباعد بين متصافيين !! بل كم دمر من بيوتات ، وأهلك من مجتمعات ، ونسف من حضارات !! بل لربما قامت الحروب الطاحنة - بسبب ذلكم - بين دول وفئات !! والعياذ بالله !

إنه عضو مسموم ؛ يحدث القطيعة والجفاء ، ويتكلم فى الخفاء ، يتلون كالحرباء ، وينفث سمومه كالحية الرقطاء ، ديدنه الإفساد والهمز ، وعادته الخبث والغمز ، وسلوكه الشر واللمز ، لا يحب إلا الإثارة والتهويش ، ولا يتلذذ إلا بالشائعة والتحريش ، ولا يرتاح إلا بالتقول والادعاء ، ولا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال ؛ حتى يفسد بين الأحبة ، ويفرق بين الإخوة ، وكم حصل من جناية على الأكفاء المؤهلين بسبب وشاية دعي مأفون !!

لذلك جاء الإسلام بالتحذير منه ، ومن عمله ؛ قال سبحانه : ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ [الهمزة : ١] ، وقال جل وعلا : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [القلم : ١٠ ، ١١] .

وأخرج الإمام مسلم ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة نمام** »(١) ، وفى رواية عنده وعند البخارى : « **لا يدخل الجنة قتات** »(٢) ، قال النووى - رحمه الله - : «**وهما بمعنى واحد** »(٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : « وقيل : الفرق بينهما : أن النمام هو الذى يحضر القصة فينقلها ، والقتات : الذى يتسمع من حيث لا يعلم به ، ثم ينقل ما سمعه »(٤) ، وقد حكى الذهبى - رحمه الله - الإجماع على تحريم النميمة ، وذكر أنها من كبائر الذنوب(٥) .

---

(١) « صحيح مسلم » (١٠٥) ؛ من حديث حذيفة ، رضى الله عنه .

(٢) « صحيح البخارى » (٦٠٥٦) .

(٣) « شرح مسلم » للنووى (٢ / ١١٢) .

(٤) « فتح البارى » (١٠ / ٤٧٣) .

(٥) كتاب « الكبائر » للذهبى (ص ١٦٠) .

وفى « الصحيحين » ، من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين ، فقال : « **إنهما ليعـذبان ،وما يعذبان فى كبير ؛ أما أحدهمـا : فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر : فكان يمشى بالنميمة** »(١) ، وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم ما العضة ؟**» ـ وهى أشد البهتان ـ قال : « **هى : النميمة القالة بين الناس** »(٢) .

عباد الله ، أبعد هذا الوعيد الشديد الذى ترتعد من هوله الفرائض ، يرتضى أحد من المسلمين هذا المسلك المشين فى كشف الأسرار ، وهتك الأستـار ، والغرام بتتبع الزلات ، وتعقب الهـفوات ، وتضخيم الهنات ؟! ورب كلـمة تموت فى حينها ولا تبـارح مكانها ، ورب كلمة صارت شرارة فأضرمت نارًا عظيمة تقضى على الأخضر واليابس ، وقد قيل : « **إن النمام يفسد فى ساعة ، ما لا يفسده الساحر فى سنة** » .

ومنهج السلف ـ رحمهـم الله ـ الستر والتناصح ، لا النم والتفاضح ، ويقـول عمر ـ رضى الله عنه ـ : « **لا تظن بكلمـة خـرجت من فى مـسلم شـرًا وأنت تجد لها فى الخيـر محملا** »(٣) .

إن من الرجولة والشجاعة : أن تواجه أخـاك بما فيه ، وإن من الجبن والصفافة واللؤم والوضاعـة : أن تظهر له المحبـة وتقول له : أنت ! وأنت ! فإذا تواريـت ، قلبت له ظهر المجن (٤) ؛ فأبديت عيـوبه ، وولغت فى عرضه ، وقلت : فيـه ! وفيه ! وتلك ـ والله ـ مسـالك المقـبوحين الوضـعاء ، والمرذولين اللؤمـاء ؛ يقول ﷺ فى الحـديث الصحـيح : «**تجدون شـر الناس ذا الوجهين : الذى يأتى هؤلاء بوجـه ، وهؤلاء بوجه** »(٥) ، ومثله ذو اللسانين ؛ الحلو أمامك ، والحنظل وراءك .

وإن تعجب ، فـعجب شأن من يسلم عـقله لهؤلاء النمامين ، فـيصدقـهم فى كل ما يقولون دون تثبت ولا روية !! .

قال الغزالى ـ رحمه الله ـ : « كل من حملت إليه النميمة ، وقيل له : « إن فلانا قال

---

(١) « صحيح البخارى (٢١٨) ، و « صحيح مسلم » (٢٩٢) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٠٦) .

(٣) رواه ابن الدنيـا فى « مـداراة الناس » (٤٥) ، وانظر : « شـعب الإيمان » (٨٣٤٢ ، ٨٣٤٤ ، ٨٣٤٥) .

(٤) مثل تقدم تخريجه وشرحه .

(٥) « صحيح البخارى » (٣٤٩٤) ، و « صحيح مسلم » (٢٥٢٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

فيك كذا وكذا ، أو فعل في حقك كذا وكذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أوفى ممالاة عدوك ، أو تقبيح حالك » أو ما يجرى مجراه ـ : فعليه ستة أمور :

الأول : ألا يصدقه ؛ لأن النمام فاسق ، والفاسق مردود الشهادة ؛ بنص القرآن الكريم(١) .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك ، وينصحه ، ويقبح عليه فعله .

الثالث : أن يبغضه في الله تعالى ؛ فإنه بغيض عند الله تعالى ، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

الرابع : ألا يظن بأخيه الغائب السوء ؛ لقوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

الخامس : ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث ، وتتبع العورات ؛ فإن «من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف رحله»(٢) .

السادس : ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه ، ولا يحكى نميمته »(٣) .

وقد جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فذكر له عن رجل شيئًا ؛ فقال عمر : « يا هذا ، إن شئت ، نظرنا في أمرك : فإن كنت كاذبًا ، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] ، وإن كنت صادقًا ، فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١١] ، وإن شئت عفونا عنك ؛ فلا تعود إليه ؟! فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدًا ! »(٤) .

أمة الإسلام ، إننا لنشكو إلي الله تفشى هذه الظاهرة في صفوف كثير من المسلمين اليوم ؛ ألا فلنتق الله ـ عباد الله ـ ولنحذر من هذه الخصلة الدميمة ، والبضاعة الذميمة ، وليتق الله أرباب الوظائف والمسؤوليات ؛ فإن لهذا الصنف عندهم رواجا وانتشارًا ، ولتتق الله النساء ؛ فإن سوق النميمة في صفوفهن رائجة ، إلا من رحم الله ! .

وليتق الله أصحاب الاستشارات ، وحملة الأقلام والتقريرات ؛ فلا يتحاملوا على

---

(١) راجع : الآية رقم (٦) من سورة الحجرات .

(٢) رواه الترمذى (٢٠٣٢) ؛ من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما .

(٣) عن : « إحياء علوم الدين » بتصرف يسير (٣ / ١٥٦) ، ونقل كلام الغزالى : كل من النووى فى « الأذكار » (ص ٥٥١) ، وابن حجر فى « فتح البارى » (١٠ / ٤٧٣) .

(٤) « إحياء علوم الدين » للغزالى (٣ / ١٥٦) .

البرآء الغـافلين ، ولا يسيؤوا الظن بالمسلمين ، ولا سـيما أهل الخـير والفضل ، والحسـبة والإصلاح ،وليتق الله طلبة العلم ؛ فـلا يحملهم الخلاف ـ فيما فيـه سعة ومندوحة ـ ولا الانتصار لوجـهات النظر : على الوقيعة بإخوانـهم وسوء الظن بهم ،وليتق الله أرباب هذه البضاعـة الخاسرة ؛ فيكفوا عن هذه المسلك المرذول ، والعـمل المشين ، وليتوبوا إلى ربهم قبل أن يفجأهم الأجل ،ولات ساعة مندم ! .

والله المسؤول أن يصلح قلوبنا وأعمالنا ،وأن يهـدينا سبل السلام ، وأن يكفينا شر كل حاسد ونمام ، إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول .

نفعنى الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدى سيد المرسلين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولسائر المسلمين ، فاستغفروه، وتوبوا إليه ؛ إنه هو البر الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى تفرد بكل كمال ، واختص بأبهى جمال ،وأعلى جلال ، وتفضل على عباده بجزيل النوال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال ، المنزه عن الأشباه والأنداد والأمثال ،وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، كريم السجايا وشريف الخصال ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وأفضل آل ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

عباد الله ، إذا التمست عوامل ودوافع هذا الداء الخطير ـ داء النميمة ـ فإنه يبرز فى طليعتها : ضعف الإيمان ،وسوء التربية ، ورفقة السوء ، وانطواء القلوب على الحقد والحسد ، والكبر والتعالى ، إضافة إلى الفراغ والبطالة التى يعانى منها بعض هؤلاء المفتونين ، ومن ذلك : السعى إلى إرضاء الآخرين ،والهوى ، والجهل بعواقب هذا الداء الخطير .

أما طريق علاجه : فإنه يكمن فى تقوية الإيمان ، والتربية الحسنة ، والرفقة الصالحة ، وإعمار وقت الفراغ بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وسلامة الصدور ، والانشغال بعيوبك عن عيوب غيرك .

وليتذكر من ابتلى بهذا الأمر الخطير ، والشر المستطير : مصرعه فى قبره ؛ فإن ذلك من أسباب عذاب القبر ، وموجبات دخول النار ، والعياذ بالله ! وليتذكر موقفه يوم العرض على ربه ، وليحافظ على لسانه ، وليشغله بالخير والذكر وما يقرب إلى الله ، وقد كان ﷺ ينهى أصحابه أن يبلغه أحد عن أحد ما يسوءه ؛ روى أبو داود ، وغيره ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئًا ؛ فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر** »(١) .

فعلينا جميعًا ـ يا رعاكم الله ـ أن نسعى للإصلاح والتوفيق والتقريب ، لا للتباعد والتنافر والتخريب ؛ يقول ﷺ ـ فيما رواه أبو داود ، والترمذى : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟!** » قالوا: بلى يا رسول الله! قال : « **صلاح ذات البين ؛**

(١) تقدم تخريجه .

فإن فساد ذات البين هى : الحالقة »[١] ، ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : « **هى الحالقة ؛ لا أقول : تحلق الشعر ،ولكن تحلق الدين »**[٢] .

وإياكم وإرضاء الشيطان الذى يئس أن يعبده المصلون ، ولكنه لم ييئس من التحريش بينهم ؛ كما فى الحديث عند مسلم ، وغيره [٣] ، ولنكن كهذا الصحابى الجليل الذى قال عنه ﷺ ـ وكان جالسًا يومًا مع أصحابه : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » ، ولم يكن ـ رضى الله عنه ـ كثير صوم ولا صلاة ، وإنما هو كما قال عن نفسه ـ رضى الله عنه : « **غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه** » ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما : « **فهذا الذى بلغ بك**»[٤] ، وقد قال سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على النبى المختار ؛ كما أمركم بذلك العزيز الغفار ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) ، والترمذى (٢٥٠٩) ؛ من حديث أبى الدرداء ، رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى (٢٥١٠) ؛ من حديث الزبير بن العوام ، رضى الله عنه .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) تقدم تخريجه .

مرض بلا مضض(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، أحـمده سبحانه وأشكره لا إله غيره ولا نعبد إلا إياه ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ، وأشهـد أن سيدنا ونبينا مـحمدًا عبـده ورسوله أكرمه ربه فـاجتباه ، وأحـبه فضعف عليه الوجع وابتلاه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبـوه فى السر والنجوى قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

لقد خلق الله الحـياة على طريقـة اختلطت فـيها اللذائذ بـالآلام ، والمحاب بالمكاره ، فهـيهـات أن ترى لذة لا يشوبها ألم ، أو صـحة لا يكدرها سـقم ، أو سروراً لا ينغـصه حزن، أو راحة لا يخالطها تعب ، أو اجتماعًا لا يعقبه افتراق ، أو أمانًا لا يلحقه خوف ، إن هذا ينافى طبيـعة الحياة ودور الإنسـان فيها ، قـيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : صف لنا الدنيـا ، فقـال : « مـاذا أصف من دار أولها بكـاء ، وأوسطها عناء ، وآخـرها فناء» .

ومن البلايا ما يصاب به العبد من أمراض .

وفى عـالمنا اليوم انتشـر العلم وفشت الأمـراض ، أمـراض لم نعهـدها ، وبلايا لم نعرفها، اسـتحدثت آلات وتقنية ، واستجـدت أمراض مستعصيـة لم يكن هذا الأمر سهواً والقدر عبثًا ، بل إنها سنة ربانية أكـدتها نصوص القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ،وقال ﷺ : « **لم تظهر الفاحشـة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فـشًا فيهم الطاعون والأوجـاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا** » أخرجه ابن ماجه والحاكم .

هذا المرض الذى يهـابه الإنسان ويفـزع من وقوعه ويدفع الغـالى والنفيس لـئلا يحل بداره .

المرض : كلمة مرعبة وحـالة مفزعة ، تخالجها الأحزان والهـموم والأكدار والغموم ،

(١) خطبة للشيخ / عبد البارى الثبيتى من المسجد النبوى .

والعبد لا يتمنى البلاء ، ولا يتعرض له ، بل يسأل الله العافية كما قال ﷺ : « **اسألوا الله العفو والعافية ، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية** » أخرجه الترمذى وأحمد .

ولو تأمل المسلم النصوص الشرعية ، والمراتب العالية السنية ، لو تأمل ما فى المرض من حكم وأسرار وثمرات من الخير غزار ، لمن ابتلى بالمرض فصبر ، ورضى واستسلم للقضاء والقدر ، لعلم أن المرض بلاء ومحنة فى طيه جزاء ومنحة .

المرض : سبب تكفير الذنوب والسيئات ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه ، إلا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها** » أخرجه البخارى ومسلم .

ودخل المصطفى ﷺ على أم السائب أو أم المسيب فقال : « **ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين ؟ قالت : الحمى لا بارك الله فيها ، فقال : لا تسبى الحمى ، فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد** » أخرجه مسلم .

ويقول ﷺ من حديث سعد بن أبى وقاص : « **فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة** » أخرجه الترمذى وابن ماجة .

وقال قيس بن حماد : « ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا » .

بالمرض : تكتب الحسنات وترفع الدرجات ، طرق رسول الله ﷺ وجع ، فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه ، فقالت له عائشة : لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه ، فقال النبى ﷺ : « **إن الصالحين يشدد عليهم ، وإنه لا يصيب مؤمنا نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت به عنه خطيئة ورفع بها درجة** » رواه أحمد .

المرض : سبب دخول الجنة ، قال ﷺ : « **يقول الله سبحانه : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثاباً دون الجنة** » رواه ابن ماجه .

المرض : سبب النجاة من النار ، فقد عاد النبى ﷺ مريضًا فقال : « **أبشر فإن الله يقول : هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة** » أخرجه ابن ماجه وأحمد .

فمن تأمل هذه الأحاديث ، زالت همومه وانقشعت غمومه وامتلأ قلبه رضا بما قدر الله ، وهذا أعلى من مقام الصبر .

عبد الله : إن ابتلاءك بالمرض نعمة فلا تجزع ،ومنحة فلا تقلق ، فما أخذ منك إلا ليعوضك خيراً ، وما ابتلاك إلا ليطهرك ويرفع درجتك ، فسلم له تسلم .

إخوة الإسلام :

إن الصحة تدعو - أحيانًا - إلى الأشر والبطر والإعجاب بالنفس لما يتمتع به المرء من نشاط وقوة وهدأة بال ، فإذا قيده المرض - أحيانًا - وتجاذبته الآلام أوقاتًا ، انكسرت نفسه وتقارب نفسه ، فرق قلبه ، ولان حسه ، وتطهر من أدران الزهو والكبر .

فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد عبده بأنواع من أدوية المصائب ، تكون حماية له من هذه الأدواء ، وحفظًا لصحة عبوديته ، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه ، فلولا أنه سبحانه يداوى عباده ، بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا .

ورب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « إن الله سبحانه لا يقضى لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أوسره، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء، وإن كان فى صورة المنع ، ونعمة وإن كان فى صورة محنة ، وبلاؤه عافية وإن كان فى صورة بلية ، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به فى العاجل ، ولو رزق من المعرفة حظًا وافرًا لعد المنع نعمة ، والبلاء رحمة وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية ، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى .

والعبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه ، ومن رحمته أنه نغص عليهم الدنيا وكدرها ، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ، ويرغبوا فى النعيم المقيم فى داره وجواره ، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم ليعطيهم ، وابتلاهم ليعافيهم ، وأماتهم ليحييهم » انتهى كلامه .

ولهذا كان الأنبياء والصالحون يفرحون إذا نزل بهم البلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء حيث قال ﷺ : « **وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء** » رواه ابن ماجه ، لأنهم يعلمون أن أعظم الجزاء مع عظم البلاء ، ولأنهم يعلمون أن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه ، ولهذا كان أشد الناس بلاء أحبهم إليه سبحانه ،ولما سئل المصطفى ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة** » رواه الترمذى وابن ماجه .

ولهذا كان النبى ﷺ من أشد الناس بلاء ،ولما أصابته الحمى قال أبو سعيد الخدرى : كنت أجد حرها بين يدى فوق اللحاف فقال : يا رسول الله ما أشدها عليك ، قال : « **إنا**

كذلك يضعّف لنا البلاء ويضعّف لنا الأجر » أخرجه ابن ماجه .

وابن مسعود رضى الله عنه يمس النبى ﷺ بيده فيتعجب من شدة الحمى عليه قائلا : إنك لتوعك وعكا شديدًا ! فيخبره النبى ﷺ بأن الحمى تشتد عليه كما تشتد على رجلين ، ثم يخبره أن له الأجر مرتين . رواه البخارى ومسلم .

ونبى الله أيوب عليه السلام ، بقى أسير مرضه ثمانية عشر عامًا ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فى حديث صحيح .

أخى المريض : كشف الله عنك كل ألم وضر - إذا ابتليت بمرض عارض فاحمد الله تعالى أنك لم تصب بمرض أشد منه ، أو بمرض مزمن ، وإذا أصبت بداء شديد فاحمد الله تعالى أنك لم تصب بأكثر من داء ، ولو شاء لأصابك ، وإذا أصبت بأمراض فاحمد الله واشكره أنه أبقى عليك عقلك ، ولو شاء لسلبك إياه .

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « ما أصبت ببلاء إلا كان الله على فيه أربع نعم : أنه لم يكن دينى ، وأنه لم يكن أكبر منه ، وأنى لم أحرم الرضا ، وأنى أرجو ثواب الله تعالى » .

ويطفئ المريض المبتلى مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب : انظر يمنة فهل ترى إلا محنة ، ثم اعطف يسرة فهل ترى إلا حسرة؟ ولو فتشت العالم لم تر فيه إلا مبتلى بفوات محبوب أو حصول مكروه .

أخى المريض :

اختار الله لك المرض ورضيه لك والله أعلم بمصلحتك من نفسك ، وحق الله عليك فى هذه البلوى هو الصبر ، فهو عبودية الضراء ، والجزع لا يفيدك بل يزيد عليك آلامك ويضاعف المصيبة وأحزانك ، وسوف تنسى - أخى المريض - كل ما كنت تعانيه من آلام وأسقام إذا دخلت دار السلام حين ينادى مناد : « **إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا ، فذلك قوله عز وجل** : ﴿ **وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف : ٤٣] » رواه مسلم .

ما أعظم الأجر لو قدر الله المرض على عبد وهو مقيم على عبادة وحسن طاعة ، لو قدم إليه المرض وهو من أهل القرآن ، المحافظين على فضائل الأعمال ، القائمين فى جوف الليل ، الصائمين بالنهار ، هذا حتى لو أقعده المرض كتب الله ما كان يعمل حين كان صحيحًا ، فأى فضل هذا ؟ أخرج البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مرض العبد أو**

سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا » .

قال **أحد السلف** : « رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى ،وتارة بالتداوى إلى أن يشتد عليهم ، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى الصالح من وصية أو فعل خير أو تأهب للموت ، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها ، أو عنده ودائع لا يردها ، أو عليه دين أو زكاة ، أو فى ذمته ظلامة لا يؤديها ، وإنما حزنه على فراق الدنيا إذ لا هم له سواها » .

أخى المريض :

إنك أحوج ما تكون إلى رحمة ربك وعفوه فلم تهجر القرآن ؟ لم تغفل عن ذكر الله والدعاء ؟ لم ترفع الشكوى إلى الخلق وتنسى الإله الحق ؟ لم تتهاون بالصلاة بحجة المرض؟ صل الصلاة لوقتها قائمًا ، فإن لم تستطع فجالسًا ، فإن لم تستطع فعلى جنبك متوجهًا إلى القبلة ، فإن لم تتمكن فصل حيث كان اتجاهك ولا إعادة ، فإن لم تستطع فصل مستلقيًا رجلاك إلى القبلة .

فإن شق فعل كل صلاة فى وقتها فللمريض الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير حسبما يتيسر ، أما الفجر فلا جمع بينها وبين صلاة بعدها أو قبلها .

سئل رسول الله ﷺ : أنتداوى ؟ قال : « **نعم يا عباد الله تداووا** » أخرجه الترمذى وأبو داود .

وأخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل** » .

والدعاء من أنفع الأدوية ، فعن عثمان بن أبى العاص أنه أتى رسول الله ﷺ قال عثمان : وبى وجع قال :فقال لى رسول الله ﷺ : « **ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاثًا ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** » رواه مسلم .

وأخرج أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه ، أو كانت به قرحة أو جرح ، قال النبى ﷺ بإصبعه هكذا ـ أى : وضع سبابته بالأرض ثم رفعها : « **باسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا** » .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الداعى إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله تعالى عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أخى المسلم : وقاك الله أنواع المرض وصرف عنك لواذع المضض .

إن للمريض حقوقًا : فعيادته سنة ، والدعاء له هدى رسول الأمةﷺ ، لأن الله عز وجل يقول كما فى الحديث القدسى : « **يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده** » أخرجه مسلم .

وقال على رضى الله عنه : سمعت رسول اللهﷺ يقول : « **ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة** » أخرجه الترمذى وابن ماجه .

عيادة المريض : للدعاء له كما قالﷺ : « **ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفى** » رواه الترمذى وأبو داود .

وكان المصطفىﷺ إذا عاد مريضًا يقول : « **أذهب الباس رب الناس ، اشف وأنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا** » أخرجه البخارى ومسلم .

عيادة المريض : لتعلم فقرنا وحاجتنا إلى خالقنا ، حين ترى المريض مستلقيًا على فراشه يتقلب ألمًا ويئن وجعًا ،ونحن نرفل فى لباس الصحة والعافية ، وأن ما ابتلى به المرضى يمكن أن نبتلى به ، فإن الله قادر على كل شىء سبحانه وأنه ليس أحد بممتنع من الله عز وجل .

عيادة المريض : لنذكره بالصبر ، وعدم الجزع على ما فاته ، وأن نعمل على إصلاح

ما يمكن أن يكون قد تهدم من نفسه ، فقد يحصل مع تحطيم النفس ، تمكن الشك ، ووجود السخط على الله ، وبغض قضائه وقدره ، وزوال الإيمان ،ومن وصل إلى ذلك فقد خسر الدنيا والآخرة نسأل الله السلامة والعافية .

عيادة المريض : للقيام بحقوقه ، فقد يبتلى بمرض يقعده ، وهموم نفسية تشغله ، فهو يعول أسرة ، ويرعى أطفالا ، ويتفقد والدين كبارًا ، ومن واجب الأخوة مواساته مصابه بأن تقف إلى جواره ، وتخفف آلامه وأحزانه ، فتتحمل عنه شيئًا من متطلبات الحياة ، وتكاليف المرض ورعاية الذرية والولد .

أخي المسلم : عليك بمعالجة مرضك بإزالة سببه وهو الذنب قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : ٣٠] .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير . . .

القسم الثامن
القضايا الاجتماعية

الزواج حصانة وابتهاج(١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءًا ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، النبى القدوة ، والمربى الأسوة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان من الرجال والنسوة ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى وأطيعوه ، وراقبوه دوما ولا تعصوه.

عباد الله ، من القضايا الاجتماعية التى عنى بها الإسلام عناية بالغة ، ورعاها رعاية فائقة ؛ حيث جاء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالحث عليها والترغيب فيها - : « قضية الزواج » ؛ لما يترتب عليه من مصالح الدين والدنيا ، ولما له من الحكم السامية ، والمنافع المتعددة ، والمعانى الكريمة ؛ فهو ضرورة اجتماعية ؛ لبناء الحياة ، وتكوين الأسر ، وتأسيس الفضيلة ، وغض الأبصار ، وتحصين الفروج ، وكثرة النسل بقاء للنوع الإنسانى؛ كما أنه أمر محبب إلى النفوس ؛ تقتضيه الفطرة السوية ، ويحث عليه الشرع الحنيف ، ويتطلبه العقل الصحيح ، ويألفه الطبع السليم به تتعارف القبائل ، وتتكون الشعوب ، وتتكاثر الأمم ، فيه الراحة النفسية ، والطمأنينة القلبية ، والتقلب بين أعطاف النعيم ، والتعاون على أعباء الحياة الاجتماعية ، ويكفيه أنه آية من آيات الله الدالة على حكمته ، والداعية إلى التفكر فى عظيم خلقه ، وبديع صنعه ؛ ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١] .

إخوة الإسلام ، لقد عاد أمر الزواج من قضية شرعية ، وضرورة بشرية ، وعبادة عظيمة إذا أخلصت فيه النية ، إلى مشكلة اجتماعية خطيرة ، لا من حيث هو ، وإنما من حيث ما أحدثه الناس فيه مما لا يمت إليه بصلة ، ولا يرتبط به شرعًا ، ولا عقلاً ؛ ولكنه

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

أصبح - من فعل الناس له - أمرًا حتميًا ، لا يتم الزواج بدونه ،وكأنه هو المقصود ، نتيجة الانسياق وراء الأعراف البالية، والعادات الجاهلية، والانقياد الأعمى خلف شعارات زائفة ، والبحث عن المفاخرة والمباهاة ؛ على حساب الشرع الحنيف ، والعقل السليم ، والفطرة السوية .

معاشر المسلمين ،لقد كثر الحديث عن معضلات الزواج ، وطفحت فيه الكتابات والمقالات ، وملأت قلوب الناس ومسامعهم ، وشغلت أوقاتهم ، وتسببت فى إسعاد أفراد وأسر ، وتقريض وتشتيت بيوت أخر ، وبحت حناجر الغيورين على مجتمعهم ؛ من التحذير مما يصاحب كثيرًا من الزيجات من المشكلات والتعقيدات ، بل والمحرمات والمنكرات ، والتقاليد والمخالفات ؛ من التغيير والشكليات ، والتفاخر والمباهاة فى الكماليات .

أمة الإسلام ، لقد رسم ديننا الإسلامى الحنيف المنهج الواضح فى هذه القضية المهمة؛ فقد جاء بتوفير أمور الزواج ، والحث على الاقتصاد فيه ؛ روى الإمام أحمد ، والبيهقى ، من حديث عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة** »[1] ؛ فالذين يخالفون هذا المنهج بالتأخير والتسويف ، والإثقال والتعقيد - إنما يخالفون منهج الله وسنة رسوله ﷺ القولية والفعلية ، والمسلم الحق لا يرضى لنفسه بذلك أبدًا .

إخوة الإيمان ، ويحسن هنا أن أذكر بعض المشكلات والعقبات فى طريق الزواج ، مع الإشارة إلى آثارها السيئة على الفرد والمجتمع ، وبيان المنهج السليم ، والعلاج القويم ، والدواء الناجع ، لكل مشكلة منها ؛ لعلها تجد آذانًا صاغية ، وقلوبًا واعية ، وتطبيقًا عمليًا.

فأول هذه المشكلات : عزوف كثير من الشباب من الجنسين عن الزواج المبكر ،ولهم فى ذلك حجج واهية ، وأسباب أوهى ، بعضها يعود إلي المجتمع كله ،وبعضها يعود إليهم ؛ وذلك لتعلقهم بآمال وأحلام سرابية ، وخيالات وأوهام وقتية ، هى في الحقيقة من إيحاء الشيطان .

فبعضهم : يتعلق بحجة إكمال الدراسة ؛ زاعمين أن الزواج يحول بينهم وبين مواصلة دراستهم ، وتلك حجة داحضة ، وشبهة واهية ؛ فمتى كان الزواج عائقًا عن التحصيل العلمى ؟! بل لقد ثبت بالتجربة والواقع : أن الزواج الموفق يعين على تفرغ الذهن ،

---

(١) « المسند » (٦ / ١٤٥) ، و « سنن البيهقى » (٧ / ٢٣٥) .

وصفاء النفس ، وراحة الفكر .

ثم ـ وأقولها بحق ـ ماذا تنفع المرأة بالذات شهاداتها إذا بقيت عانسًا ، قد فاتها ركب الزواج ،وأصبحت أيما لم تسعد فى حياتها بزوج وأولاد يكونون لها ذخرًا فى الحياة ، وبعد الممات ؟!

فوصيتى للشباب ، من ذكور وإناث : أن يفكروا جديًا فى موضوع الزواج متى ما تيسر لهم أمره ، وألا يتعلقوا بأمور مثالية ـ فى زعمهم ـ تكون حجر عثرة بينهم وبين ما يرومون من سعادة ، وينشدون من خير ونجاة ، وألا يتذرعوا بما يسمونه « تأمين المستقبل»؛ فإن المستقبل بيد الله عز وجل ، وعنده وحده العلم به .

وكذلك : ألا يحتجوا بمسألة المادة والرزق ؛ فهى من عند الله سبحانه وتعالى ، مع بذل الأسباب فى ذلك ،والله عز وجل يقول : ﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور : ٣٢] ، وهذا أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يقول : « **أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى** » (١) ، ويقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «**التمسوا الغنى في النكاح** »(٢) .

فعزوف الشباب من الذكور والإناث عن الزواج : له مضاره الخطيرة ، وعواقبه الوخيمة ، ونتائجه المدمرة على الأمة بأسرها ، لا سيما فى هذا الزمن الذى كثرت فيه أسباب الفتنة ،وتوفرت فيه السبل المنحرفة لقضاء الشهوة ؛ فلا عاصم من الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، والفساد الأخلاقى ، إلا اللجوء إلى الزواج الشرعى .

ومن المؤسف : أن يصل بعض الشباب إلى سن الثلاثين أو أكثر وهو لم يفكر بعد فى موضوع الزواج ،وما انفتحت أبواب الفساد إلا لما وضعت العراقيل أمام الراغبين فى الزواج، بل لم يتنشر الخنا والزنا ، واللواط والاستمناء ، والمعاكسات والمغازلات ، والعلاقات المشبوهة ، والسفر إلى بيئات موبوءة ـ إلا بسبب تعقيد أمور الزواج ، لا سيما مع غلبة ما يخدش الفضيلة ، ويقضى على العفة والحياء ؛ مما يرى ويقرأ ويسمع من ألوان الفساد ؛ مما قذفت به المدنية الخبيثة ، وما لفظته الحضارة الزائفة ؛ وحدث ولا كرامة عما تبثه كثير من الوسائل الإعلامية ، والقنوات الفضائية ، والشبكات المعلوماتية ؛ مما تئن منه الفضيلة ، ويندى له الجبين ، والله المستعان .

أمة الإسلام ، وهناك مشكلة أخرى ، وعقبة كأداء ، ألا وهى : « **منع النساء من**

(١) رواه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » (٨ / ٢٥٨٢) .

(٢) رواه ابن جرير فى « تفسيره » (٩ / ٣١١) .

زواج الأكفاء » ، والرسول ﷺ يقول : « **إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه ، فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** » ؛ خرجه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم؛ بسند صحيح(١) ؛ فهناك بعض الأولياء ـ هداهم الله ـ قد خانوا الأمانة التى فى أعناقهم ـ من بناتهم ، وفتياتهم ـ بمنعهن من الزواج من الأكفاء ، دينا وخلقًا وأمانة ؛ فقد يتقدم إليهم الخاطب الكفء فى دينه وأمانته وخلقه ، والذى لا يلفى نظيره ، ولا يدرك قرينه ؛ فيماطلونه ويعتذرون له بأعذار واهية ، وينظرون فيها إلى أمور شكلية ، وجوانب كمالية ، واعتبارات ثانوية ، ويسألون عن ماله ووظيفته ،ووجاهته ومكانته ، ويغفلون أمر دينه وخلقه وأمانته .

بل لقد وصل ببعض الأولياء الجشع والطمع : أن يعرض ابنته سلعة للمساومة ، وتجارة للمزايدة والعياذ بالله ، وما درى هذا المسكين أن هذا غش وعضل(٢) وخيانة !!

فأين الرحمة عند هؤلاء الأولياء ؟! كيف لا يفكرون فى العواقب ، والنتائج المزرية ؟! أيسرهم أن يسمعوا الأخبار المروعة ، والأنباء المزعجة عن بناتهم ، مما يندى له جبين الفضيلة والحياء ؟! وماذا لو ردوا هم عن الزواج وهم فى شوق إليه ؟! كيف سيكون رد الفعل عندهم ؟!

فيا أيها الأولياء ، اتقوا الله فيما تحت أيديكم من البنات ، بادروا بتزويجهن متى ما تقدم الخاطب الكفء فى دينه وخلقه ؛ إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ؛ وعضل النساء ، ورد الأكفاء : فيه جناية على النفس ، وعلى البنت ، وعلى الخاطب ، وعلى المجتمع كله والأمة بأسرها .

معشر المسلمين ، ومن المشكلات المستعصية ، والعقبات المستفحلة : مشكلة غلاء المهور ،والمبالغة فى الصداق ؛ حتى صار الزواج عند بعض الناس من الأمور الشاقة أو المستحيلة ، وبلغ المهر فى بعض البقاع حدًا خياليًا لا يطاق ، إلا فى ديون تثقل كاهل الزوج ، ويؤسف كل مسلم : أن يصل الجشع ببعض الأولياء أن يطلب مهرًا يزيد على مائة أو مائتى ألف ريال ، من أناس يعلم الله حالهم ، لو جلسوا شطر حياتهم فى جمع ذلك المبلغ ، لما استطاعوا ، فيا سبحان الله ! أإلى هذا الحد بلغ الطمع وحب الدنيا ببعض

---

(١) « جامع الترمذى » (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) ، و « سنن ابن ماجه » (١٩٦٧) ، و« المستدرك » (٢ / ١٦٥ ، ١٦٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، وأبى حاتم المزنى ، رضى الله عنهما .

(٢) عضل النساء : منعهن من التزوج ، وحبسهن عنه ظلمًا ؛ قال الله تعالى : ﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ** ﴾ [البقرة : ٢٣٢] . « اللسان » (عضل)، وانظر : « تفسير ابن كثير » (١ / ٦٣١ ـ ٦٣٢) .

الناس؟! وكيف تعرض المرأة الحرة الكريمة سلعة للبيع والربح ؟!

إن المهر فى الزواج - يا عباد الله - وسيلة لا غاية ، ومغزى لا جباية ، وإن المغالاة فيه لها آثار سيئة على الأفراد والمجتمعات لا تخفى على كل عاقل ؛ من تعطيل الزواج ، أو الزواج من مجتمعات مخالفة للمجتمعات المحافظة .

ولم يقف الشره ببعض أولياء الأمور عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى أن يشترط شروطًا ليست فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله ﷺ ، ومنها : أن يقدم الخاطب أموالاً للأب، وأخرى للأم ومساعدات للأقارب ، وعطايا للأصحاب ، ونحو ذلك مما هو خروج عن منهج السلف الصالح - رحمهم الله - يقول الفاروق - رضى الله عنه - : « **لا تغالوا صداق النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا ،أو تقوى عند الله - كان أولاكم وأحقكم بها محمد ﷺ** »[(١)] ، وقد قال النبى ﷺ لرجل : « **التمس ولو خاتمًا من حديد** » ، فلما لم يجد ، قال له النبى ﷺ : « **زوجتكما بما معك من القرآن** »[(٢)] ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - على وزن نواة من ذهب[(٣)] .

وقد أنكر ﷺ على المغالين فى المهور ؛ فقد جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إنى تزوجت امرأة على أربع أواق من الفضة - يعنى : مائة وستين درهمًا - فقال النبى ﷺ : «**على أربع أواق ؟! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ، ما عندنا ما نعطيك** »[(٤)] .

فالله المستعان ، كيف بحال المغالين اليوم ؟! الذين يجب الأخذ على أيديهم ، وبذل الجهود لتوعيتهم وتعلقهم ،وكان الله فى عون الضعاف ذوى الدخول المحدودة !!

أمة الإسلام ، . ومشكلة المشكلات فى موضوع الزواج : ما أحيطت به الزيجات من تكاليف باهظة ، ونفقات عظيمة ، وعادات اجتماعية فرضها الناس على أنفسهم ، تقليدًا وتبعية ، مفاخرة ومباهاة ؛ كحلى وأثاث خيالى ، إسرافًا وتبذيرًا ، واستئجار لأفخم الفنادق ، وأعظم القصور ، وأجمل القاعات ، وحدث ولا حرج ، عما يخفى ولا يشاهد .

لماذا كل هذا ، يا أمة الإسلام ؟! كيف يعرض المسلم نفسه لسخط الله عز وجل ، فيكون من زمرة الشياطين ؛ لإسرافه وتضييعه الأموال فى غير الوجه الشرعى ؟! وقد قال

---

(١) رواه الطيالسى (٦٤) ، وأحمد (١ / ٤١) ،وابن ماجه (١٨٨٧) .

(٢) رواه البخارى (٥٠٢٩) ، ومسلم (١٤٢٥) ؛ من حديث سهل بن سعد ، رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى (٥١٥٥) ، ومسلم (١٤٢٧) ؛ من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) رواه مسلم (١٤٢٤) ، وابن حبان (٤٠٩٤) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضي الله عنه .

عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

إنه لما يندى له الجبين : أن تصرف أموال طائلة كفيلة أن تسد كفاية قرى عديدة على مناسبة واحدة ، فى أي سبيل ذلك ؟! أغركم وجود المال بين أيديكم ؟! ألا تعتبرون بأحوال إخوان لكم فى العقيدة ممن لا يجدون ما يسد رمقهم ، ولا ما يروى ظمأهم ، ولا يوارى عوراتهم ؟!

نعوذ بالله من الكفر بنعمه ، ونسأله تعالى ألا يؤخذانا بما فعله السفهاء منا ، إننا - والله - نخشى عقوبة الله العاجلة قبل الآجلة ، وكم رئيت عشرات الذبائح ، وأكوام الأطعمة : مهانة مرمية فى أماكن النفايات ،والعياذ بالله !

فاتقوا الله - عباد الله - وتناصحوا فيما بينكم ، وتعقلوا كل التعقل فى موضوع الزواج، ولا تتركوا الأمر بأيدى غيركم من السفهاء والقاصرات ، ودعوتى للمصلحين والوجهاء، والعلماء والأثرياء ، وأهل الحل والعقد فى الأمة : أن يكونوا قدوة لغيرهم فى هذا المجال ؛ فالناس لهم تبع .

والله المسؤول أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، إنه جواد كريم ؛ ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه ، وتوبوا إليه ؛ إنه كان للأوابين غفورًا .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى حكم فقدر ، وشرع فيسر ، سبحانه أحل النكاح ، وحرم السفاح ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فالق الإصباح ، وأشهد أن نبينا وقدوتنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ،وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، ما تعاقب المساء والصباح .

أما بعد :

فاتقوا الله - معشر المسلمين - واشكروه على نعمه الباطنة والظاهرة وخذوا بمنهج الإسلام فى كل أموركم ، واحذروا من مخالفته ؛ فإنها جالبة للفتنة والعذاب الأليم .

أيها الأحبة فى الله ، إن مما أحدثه الناس فى حفلات الزواج : أموراً منكرة فى الشرع؛ فعلاوة على الإسراف والتبذير ، والتفاخر والمباهاة - فهناك أمور أخرى توسع بعض الناس فيها ؛ نتيجة ضعف الإيمان ، وقلة العلم ، والإغراق فى المادة :

فمن ذلك : أن بعض الناس يجعل من حفلات الزواج موسما للاختلاط بين الرجال والنساء ، وظهور الزوج مع زوجته أمام الحاضرين وهم بكامل الزينة ، وتلتقط الصور المحرمة لهم ، وفى هذا من الفتنة والفساد ما لا يعلمه إلا الله !

وبعضهم : يجعله موسم سمر وسهر على اللهو واللعب المحرم ، إلى ساعة متأخرة من الليل ، وآخرون : يضيعون الحياء من الله ،ومن عباد الله ؛ فيجعلون فرصة الزواج فرصة للعلاقات المشبوهة ، واللقاءات المحرمة ، وبعضهم : يؤذى جيرانه وإخوانه المسلمين بالأصوات المحرمة ، والإزعاج بالسيارات وغيرها ، وصنف : يجعله فرصة للسماع المحرم للأغانى الخليعة المنكرة ، التى تذكى الشهوة ، وتصد عن ذكر الله - عز وجل - وتكون طريقًا إلى الفساد ، والعياذ بالله !

وهذا كله وغيره مما يحتاج إلى أن يعاد النظر فيه ، وأن نبدأ جميعًا التطبيق العملى فى اليسر والسماحة ، والسير على الهدى الشرعى ، والسنن النبوى ، فى هذه القضية المهمة ، وغيرها .

ولا يفوتنى هنا : أن أشيد ببعض إخواننا المسلمين الذين ضربوا أمثلة يشكرون عليها فى الاقتصاد والترشيد ، والتخفيف والتيسير فى أمور زواجاتهم ، وهى بادرة ليست غريبة على مجتمعنا - بحمد الله - نرجو أن تعم المسلمين جميعًا قريبًا - بإذن الله - متى ما تزايد الوعى ، وساد التناصح والتكاتف بين المسلمين .

ألا وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على النبى المختار ؛ كما أمركم بذلك المولى العزيز الغفار ؛ فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

نصائح للزوجين (١)

أما بعد : فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله وأطيعوه ، فإن تقواه أفضل مكتسب ، وطاعته أعلى نسب ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

أيها المسلمون ، إن الله تعالى بلطيف حكمته وما أودعه فى إبداع العالم من عجائب قدرته خلق الإنسان مجبولاً إلى السكن والاستقرار ، وطبعه فى أصل خلقته على الحاجة لذلك والاضطرار ، ويسر له برحمته وفضله زوجًا من نفسه ليسكن إليه ويرتبط بها ؛ إذ الإنسان لجنسه أميل وعليه أقبل ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

أيها المسلمون ، الرابطة الزوجية رابطة عظمى ، صدرت عن رغبة واختيار ، وانعقدت عن خبرة وسؤال وإيثار ، عقدها مأمور به شرعًا ، مستحسن وضعًا وطبعًا ، والأسرة هى اللبنة الأولي لبناء المجتمعات ،وبصلاحها تصلح الأوضاع ، وبفسادها تفسد الأخلاق والطباع ، ركناها وقائداها زوج وزوجة ، يجمع بينهما ولاء ووفاء ومودة وصفاء وتعاطف وتلاطف ووفاق واتفاق وآداب وحسن أخلاق ، تحت سقف واحد ، فى عيشة هنية ومعاشرة مرضية . وفى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الإصلاح التام والعدل العام ما يؤيد قواعد هذه الرابطة فلا تنثلم ، ويؤكد عقائدها فلا تنخرم .

أيها المسلمون ، إن سبب كثرة المشكلات وتفاقم الخلافات وظهور المنازعات وشيوع الطلاق والفراق لأسباب تافهة إنما هو التقصير فى معرفة الأحكام الشرعية وآداب الحياة الزوجية وما تقتضيه المسؤولية الأسرية ؛ إذا كيف تكون الأسرة فى هناء وصفاء والزوج ذو بذاء وجفاء، إذا غضب نفخ ونفث، واكفهر وازمجر، فيه حب الأنا والذات ، خيره مقفل وشره مرسل ، كف يابس ووجه عابس ، ومعاملة فاسدة وأقوال سافلة ، تورث كلما لا يندمل وصدعًا لا ينشعب ، وتترك المرأة حسيرة كسيرة ، حائرة بين مرين : طلب تطليقها أو الصبر على تعليقها. وإن من الأزواج من إذا أبغض المرأة كدها وهدها، وكرهها ظلما، وأكل مالها ومنعها حقها، وقطع نفقتها ، وربما أخذ ولدها وهو تحت حضانتها ورعايتها ، وتركها أسيرة الأحزان ، تعانى كرب الأشجان ، فأين الإحسان ؟! أين الإحسان يا أهل القرآن؟!

---

(١) خطبة للشيخ / صلاح البدير من المسجد النبوى .

أيها المسلمون ، وكيف يكون للأسرة هناء وصفاء والزوجة ولاجة خراجة ، ثرثارة مهذارة ، طعانة لعانة ، لا تجيب إلى إنصاف ، ولا ترضى بعيش كفاف ، وتئن عند طلبها كسلا تمارضا ، ولا ترضى لأمرها معارضا ، مقصرة مفرطة ،ومسرفة مفرطة ، كثيرة النوم واللوم ، مرهاء ملداء ، لا كحل ولا حناء ، شوهاء فوهاء ، تبطل الحق بالبكاء ، تنسى الفضل وتنكر الجميل ، وتكثر على ذلك التعليل والتدليل ، يقول النبي ﷺ : « **اطعلت في النار فإذا أكثر أهلها النساء** » ، فقيل : لم يا رسول الله ؟ قال : « **يكفرن العشير - يعني الزوج - ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيراً قط** » أخرجه البخاري(١) .

أيها الزوجان الكريمان ، اتقيا الله في حياتكما الزوجية ، بلاها بالحقوق ،ولا تدمراها بالعقوق ، وليقم كل واحد منكما بما أوجب الله عليه تجاه رفيق عمره وشريك حياته ، واخضعا لنصوص النقل ومنطق العقل قبل أن يستبد بكما الشقاق ويحصل الطلاق والفراق ويأكل أحدكما من الندم كفيه ويعض على يديه ويفد شعره ويمضغ شفتيه ، واحتكما لقول المولى جل وعلا : ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[البقرة: ٢٢٨] ، وقول النبي ﷺ : « **ألا إن لكم من نسائكم حقًا ،ولنسائكم عليكم حقًا** » أخرجه الترمذي(٢) .

أيها المسلمون ، إن من رام شريكًا للحياة بريئًا من الهفوات سليمًا من الزلات فقد رام أمرًا معوزًا ، وطلب وصفًا معجزًا ، يقول النبي ﷺ : « **لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر** »(٣) أخرجه مسلم ، ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة** » أخرجه أحمد(٤) .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان (٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه ، وأخرجه أيضًا مسلم في الكسوف (٩٠٧) .

(٢) سنن الترمذي : كتاب الرضاع (١١٦٣) من حديث عمرو بن الأحوص رضى الله عنه ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرجه أيضًا النسائي في الكبرى (٩١٦٩) ، وابن ماجة في النكاح (١٨٥١) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢٩ ، ٢٤٦٤) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب : الوصية بالنساء (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٤) مسند أحمد (٥ / ٢٧٧ ، ٢٨٣) عن ثوبان رضى الله عنه ، وأخرجه أيضًا أبو داود في الطلاق (٢٢٢٦) ، والترمذي في الطلاق (١١٨٧) ، وابن ماجة في الطلاق (٢٠٥٥) ، وقال الترمذي: « هذا حديث حسن » ، وصححه ابن الجارود (٧٤٨) ، وابن خزيمة كما في الفتح (٩ / ٤١٠) ، وابن حبان (٤١٨٤) ، وانظر تخريجه في الإرواء (٢٠٣٥) .

أيتهـا المرأة المسلمة والزوجـة المؤمنة ، كونى لبـعلك أرضًا يكن لك سمـاء ،وكونى له مهـادًا يكن لك عمـادًا ، وكونى له أمة يكـن لك عبدًا ، تعـهدى وقت طعـامه ، والزمى الهدوء عند منامه ، فإن مرارة الجـوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبه ، اصـحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، ولا تفشى له سرًا ، ولا تعصى له أمرًا ، واحذرى أنواع التقصير ، واجتنبى أسباب التكدير ،ولا تصومى صيام تطوع وزوجك شاهد إلا بإذنه، ولا تأذنى فى بيته لمن يكره إلا بإذنه ، واعلمى أنك أشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا ،ولا تلحفى به فـيقلاك ، ولا تتباعدى عنه فينساك ، واجـتهدى على نفسك بما هو أدعى لرغبتـه وأملأ لعينه ،وليكن ذلك وفق القيـود الشرعية والآداب المرعـية ، وإذا دعاك لحاجته فـحققى رغبته وأجيبى دعـوته ، يقول رسول الهدى ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيب فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح** » متفق عليه(١) .

قومى بخدمته بنفس راضية ؛ فإن فى خدمته تقوية مودة وإرساء محبة ، ولتكن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهـا وعن أبيها لك فى ذلك أسوة وقـدوة ، تقول رضى الله عنها : تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مـال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز ، فكان يخبـز لى جارات لى من الأنصار ، وكن نسـوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبيـر التى أقطعـه رسول الله ﷺ على رأسى ، وهـى منى على ثلثى فـرسخ . أخرجـه البخارى(٢) .

ويقول علـى بن أبى طالب رضى الله عنه فى وصف ما قـامت به زوجه فاطـمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنهـا : إنما جرت بالرحى حتى أثرت بيدها ، واسـتقت بالقربة حتى أثرت فى نحـرها ، وقمت البيت حـتى اغبرت ثيـابها ، وأوقدت القـدر حتى دكنت ثيابها . أخرجه أبو داود(٣) .

وحسب المرأة طوبى وبشرى قـول الصادق المصدوق ﷺ : « **أيما امرأة ماتـت وزوجها راض عنها دخلت الجنة** » أخرجه الترمذى(٤) ، وقوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام:

---

(١) صحـيح البخارى : كـتاب بدء الخلق (٣٢٣٧) ، صحـيح مسلم : كـتاب النكاح (١٤٣٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) صحيح البخارى : كتاب النكاح (٥٢٢٤) ، وأخرجه أيضًا مسلم فى السلام (٢١٨٢) .

(٣) سنن أبى داود : كتـاب الأدب (٥٠٦٢) ، وأخرجـه أيضًا أبو نعيـم فى الحلية (١ / ٧٠ ، ٢ / ٤١) ، وأورده الألبانى فى ضعيف سنن أبى داود (١٠٧٥) .

(٤) سنن الترمذى : كتاب الرضـاع ، باب : ما جاء فى حق الزوج على المرأة (١١٦١) ، وأخرجه = .

« إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » أخرجه ابن حبان(١) .

أيها الزوج الكريم ، اتق الله في زوجك ، لا تكلفها ما لا تطيق ، وأعنها عند الضيق، وأشفق عليها إذا تعبت ،وداوها إذا مرضت ،وراعها عند ظرف حملها ونفاسها ورضاعها ، وأجزل لها الشكر ، وتلقاها ببر وبشر ، واعلم أن قوامتك لا تعنى القهر والغلبة والاستبداد والاحتقار ، بل هى قوامة تحفظ لها كرامتها ، وتستوجب تعليمها وتأديبها وإعفافها ، ولا يكن جل همك مراقبة أخطائها وإحصاء زلاتها ،ولا تبالغ فى إساءة ظن بلا ريبة ،ولا تتغاض عما يخل بالدين والمروءة ، واحذر شكا قاتلا وظنًا مدمرًا، يقول النبى ﷺ : **« غيرتان : إحداهما يحبها الله ، والأخرى يبغضها الله . الغيرة فى الرمية يحبها الله ، والغيرة فى غيره يبغضها الله »** أخرجه أحمد(٢) .

أيها الزوج الكريم ، إياك والمعاتبة الكثيرة ، فإنها تورث الضغينة ،ولا تمنع أهلك رفدك فيملوا قربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطؤوا وفاتك ، يقول النبى ﷺ : **« كفى**

= أيضًا ابن ماجه فى النكاح ، باب : حق الزوج على المرأة (١٨٥٤) ، وأبو يعلى (٦٦٠٣) ، والطبرانى فى الكبير (٢٣ / ٣٧٤) ، والحاكم (٤ / ١٧٣) من طريق مساور الحميرى عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنها ، ومساور هذا وأمه مجهولان ، قال الذهبى فى الميزان (٤ / ٩٥) : « مساور الحميرى عن أمه عن أم سلمة فيه جهالة ، والخبر منكر » ، ولذا ضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٤٢٦) .

(١) صحيح ابن حبان (٤١٦٣) من طريق هدبة عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأخرجه أيضًا الطبرانى فى الأوسط (٤٥٩٨) ، وقال ابن حبان : « تفرد بهذا الحديث عبد الملك بن عمير من حديث أبى سلمة ،وما رواه عن عبد الملك إلا هدبة بن المنهال وهو شيخ أهوازى » . وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن عوف ، أخرجه أحمد (١ / ١٩١) ، والطبرانى فى الأوسط (٨٨٠٥) ، قال المنذرى فى الترغيب (٢ / ٦٧١) : « رواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة ، وحديثه حسن فى المتابعات » . وفى الباب عن أنس عند أبى نعيم فى الحلية (٦ / ٣٠٨) ،وعن عبد الرحمن بن حسنة عزاه الهيثمى في المجمع (٤ / ٣٠٦) إلى الطبرانى ، وقد حسنه الألبانى فى آداب الزفاف (ص ٢٨٦) .

(٢) مسند أحمد (٤ / ١٥٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وأخرجه أيضًا معمر فى جامعه (١٠ / ٤٠٩ ـ المصنف) والرويانى (١٨٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٧ / ٣٤٠) ، وصححه ابن خزيمة (٢٤٧٨) ، والحاكم (١٥٢٥) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٤ / ٣٢٩) : « رجاله ثقات » ، وأعله الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٣٩٦٢) بجهالة أحد رواته .

بالمرء إنما أن يضيع من يقوت » أخرجه أبو داود(١) .

كن جوادًا كريمًا، فمن جاد ساد، ومن أضعف ازداد، ولا خير في السرف، ولا سرف في الخير ، وعاشروهن بالمعروف ، أطعموهن واكسوهن ، ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ** ﴾ [الطلاق : ٦] ، ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٧] ، يقول رسول الله ﷺ : « **اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » أخرجه مسلم (٢) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « **إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة** » متفق عليه (٣) .

أيها المسلمون ، لقد كان سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام جميل العشرة دائم البشر مع أهله ، يتلطف معهن ،ويضاحكهن ويداعبهن ، ويقول بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه : « **خيركم خيركم لأهله ،وأنا خيركم لأهلي** » (٤) ، ويقول ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ،وخياركم خياركم لنسائهم** » أخرجه البخاري (٥) ،

---

(١)سنن أبي داود : كتاب الزكاة (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأخرجه أيضًا أحمد (٢ / ١٦٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥) ، والنسائي في الكبرى (٩١٧٧) ، والبزار (٢٤١٥) ، والطبراني في الأوسط (٤٣٥٤ ، ٥١٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٧ / ٤٦٧ ، ٩ / ٢٥) ، وصححه ابن حبان (٤٢٤٠) ، والحاكم (١٥١٥) ، والنووي في رياض الصالحين (ص ٩٤) ،وانظر تخريجه في الإرواء (٩٨٩) . وهو عند مسلم في الزكاة (٩٩٦) بلفظ : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

(٢)صحيح مسلم : كتاب الحج (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي ﷺ .

(٣)صحيح البخاري : كتاب الإيمان (٥٥) ، صحيح مسلم : كتاب الزكاة (١٠٠٢) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .

(٤)أخرجه الترمذي في المناقب ، باب : فضل أزواج النبي ﷺ(٣٨٩٥) ، والدارمي في النكاح (٢٣٦٠) دون الشطر الثاني ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٤٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ،قال الترمذي : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » ، وصححه ابن حبان (٤١٧٧) ،وله شواهد ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٥) .

(٥)أخرجه أحمد (٢ / ٢٥٠) ، والترمذي في الرضاع ، باب : ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢) ، وأبو داود في السنة ، باب : الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢) دون الشطر الأخير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ،وصححه ابن حبان (٤١٧٦) ، والحاكم (١ / ٣) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٤) ، ولم يخرجه البخاري بهذا السياق .

ويقول عليه الصلاة والسلام حاثًا وآمرًا : « **استوصوا بالنساء خيرًا** » أخرجه البخارى(١) .

أيها الأزواج ، لا تتجاوزوا ما شرع الله لكم من الضرب غير المبرح حال النشوز إلى ما حرم عليكم من الضرب المفظع والاعتداء الموجع والجلد المروع ، فإن عواقبه وخيمة وأضراره جسيمة ، وفى البخارى أن النبى ﷺ قال : « **لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها فى آخر اليوم** »(٢) .

لقد تجاوز رجال على عهد رسول الله ﷺ ، فطاف النساء بآل رسول الله ﷺ يشتكين الضرب من أزواجهن ، فقال رسول الله ﷺ : « **لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ، ليس أولئك بخياركم** » أخرجه أبو داود (٣)، وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ولا تضرب الوجه ولا تقبح » أخرجه أحمد (٤)، فويل للظالم ويل للظالم يوم اقتصاص المظالم .

أيها الأزواج ، إن السهر والسمر خارج المنزل من مثيرات القلق والأرق ، ينغص على الزوجة حياتها ، ويزعزع ويزلزل استقرارها ، ويضيع بسببه الأولاد فلذة الأكباد وثمرة الفؤاد ، حتى يصيروا فريسة لوحوش الظلام وفتن هذا الزمان ، فاحذروا هذا السهر واجتنبوه ولا تقربوه .

أيها المسلمون ، إن ظهور المعاصى والمخالفات وانتشار المنكرات فى كثير من البيوتات من أعظم أسباب خرابها ودمارها ، ولقد دب الشقاء والشقاق وثارت ثائرة الغيرة واشتعلت

---

(١) صحيح البخارى : كتاب النكاح (٥١٨٦)من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ،وأخرجه أيضًا مسلم فى كتاب الرضاع (١٤٦٨) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب النكاح (٥٢٠٤) من حديث عبد الله بن زمعة رضى الله عنه ، وأخرجه أيضًا مسلم فى كتاب الجنة (٢٨٥٥) بنحوه .

(٣) سنن أبى داود : كتاب النكاح (٢١٤٦) من حديث إياس بن عبد الله رضى الله عنه ، وأخرجه أيضًا النسائى فى الكبرى (٩١٦٧) ، وابن ماجه فى النكاح (١٩٨٥) ، والدارمي فى النكاح (٢٢١٩) ، والبيهقى في الكبرى (٧ / ٣٠٤ ، ٣٠٥) ، وصححه ابن حبان (٤١٨٩) ، والحاكم (٢٧٦٥) ، وقال الحافظ فى الفتح (٩ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) : « له شاهد من حديث ابن عباس فى صحيح ابن حبان ، وآخر مرسل من حديث أم كلثوم بنت أبى بكر عند البيهقى » ، وأورده الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٨٧٩) .

(٤) مسند أحمد (٤ / ٤٤٧) ، وأخرجه أيضًا أبو داود فى النكاح ، باب : حق المرأة على زوجها ، وابن ماجه فى النكاح (١٨٥٠)، والنسائى فى الكبرى (٩١٧١)، وصححه ابن حبان (٤١٧٥)، والحاكم (٢ / ١٨٧ ، ١٨٨) ، والدارقطنى كما فى التلخيص الحبير (٤ / ٧) ، وصححه الألبانى في الإرواء (٢٠٣٣) .

نيران الشك والحيرة بين كثير من الأزواج بسبب طبق القنوات الخطر المحدق والشر المطبق ، فحين رأى غيرها ورأت غيره رغب عنها وزهدت فيه ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٧] ، نعوذ بالله من الخزى والعار ومن فعل يقرب إلى النار .

فاتقوا الله عباد الله ، وطهروا بيوتكم مما يستوجب اللعنة والطرد والإبعاد ، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد : ٢٧] .

أيها المسلمون ، ألا فلتذهب المرأة مربية أجيال برقة طبع ولطافة حس وذكاء عاطفة ، وليذهب الرجل قوامًا وقائدًا بقوة بأس وجلالة فكر وسلامة تقدير وتدبير ، وليذهب الأثنان إلى حياة كريمة فى ظل تمسك بالدين وفعل للواجبات واجتناب للمحرمات وتعاون على البر والتقوى ، و« رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ، ثم أيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح فى وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء »[1] .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١] .

بارك الله لى ولكم فى القرآن والسنة ، ونفعنى وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٢٥٠) ، وأبو داود فى الصلاة ، باب : قيام الليل (١١١٣) ، والنسائى فى قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الترغيب فى قيام الليل (١٥٩٢) ؛ وابن ماجه فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (١٣٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه ابن خزيمة (٣ / ١٨٣ ، ١١٤٨) ، وابن حبان (٦ / ٣٠٧ ـ ٣٥٦٧) ، والحاكم (١ / ٣٠٩) ، وهو فى صحيح سنن أبى داود (١٢٨٧) .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعى إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فيا أيها المسلمون اتقوا الله وراقبوه ، وأطيعوه ولا تعصوه ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] .

أيها المسلمون ، العدل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة ، وبالعدل والإنصاف يدوم الحب والائتلاف ،وليس للجائر جار ، ولن تعمر له دار .

أيها المعددون ، اتقوا الله واعدلوا بين أزواجكم ، اعدلوا بينهن فى مسكنهن وملبسهن ومأكلهن والنفقة عليهن والمبيت عندهن ،واحذروا الجور والحيف ، فإنه من أسباب العذاب وموجبات العقاب ، يقول النبى ﷺ : « **إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط** » أخرجه أحمد [(١)] ،وكان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . متفق عليه [(٢)] . وكان يقسم بين نسائه ويعدل بينهن ، ويقول ﷺ : « **اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك** » يعنى: القلب ، أخرجه أبو داود [(٣)] .

---

(١) مسند أحمد (٢ / ٣٤٧ ، ٤٧١) ، وأخرجه أيضًا أبو داود فى النكاح (٢١٣٣) ، والترمذى في النكاح (١١٤١) ، والنسائى فى عشرة النساء (٣٩٤٢) ، وابن ماجه فى النكاح (١٩٦٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وصححه ابن الجارود (٧٢٢) ، وابن حبان (٤٢٠٧) ، والحاكم (٢ / ١٨٦)، ووافقه الذهبى، وقال الحافظ فى البلوغ (١٠٨٥) : « إسناده صحيح » ، وهو فى صحيح سنن الترمذى (٩١٢) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الهبة (٢٥٩٤) ، صحيح مسلم : كتاب التوبة (٢٧٧٠) عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) سنن أبى داود : كتاب النكاح (٢١٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه أيضًا أحمد (٦ / ١٤٤) ، والترمذى فى النكاح (١١٤٠) ، والنسائى فى عشرة النساء (٣٩٤٣) ، وابن ماجة فى النكاح (١٩٧١) ، وقد اختلف فى إرساله ووصله ،ورجح الترمذى وغيره من الحفاظ إرساله ، وصحح الموصول ابن حبان (٤٢٠٥) ، والحاكم (٢٧٦١) ، وقال ابن كثير فى تفسيره (٣ / ٥٠٢) : « إسناده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات » ، وانظر تخريجه فى الإرواء (٢٠١٨ ، ٢٠٢٤) .

اعدلوا بينهن ، وراعوا ما يحصل بينهن من الغيرة التى لا يقدرون على دفعها ،ولا سبيل لهن إلى رفعها ومنعها ، غيرة تغير القلب والطبع ، وتهيج الغضب وتقلب الوضع ، فعن جسرة عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ، أهدت إلي النبى ﷺ إناء فيه طعام ، فما ملكت نفسى أن كسرته ، فقلت : يا رسول الله ، ما كفارته ؟ قال : « **إناء كإناء ، وطعام كطعام** » أخرجه أحمد (١)، وعن عائشة مرفوعًا : «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه » أخرجه أبو يعلى (٢) .

فتعاملوا بالعقل والحكمة ، واحذروا قالة السوء وصاحب السوء وعمل السوء ، ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور : ٣١] .

واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم ـ أيها المؤمنون ـ من جنه وإنسه ، فقال قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين .

---

(١)مسند أحمد (٦ / ١٤٨) ، وأخرجه أيضًا أبو داود فى البيوع (٣٥٦٨) ، والنسائى فى عشرة النساء (٣٩٥٧) ، والبيهقى فى الكبرى (٦ / ٩٦) ، كلهم من طريق فليت عن جسرة عن عائشة ، قال البيهقى : « فليت العامرى وجسرة بنت دجاجة فيهما نظر » ، أما الحفظ فحسن إسناده فى الفتح (٥ / ١٢٥) ، وأورده الألبانى فى ضعيف أبى داود (٧٦٢) .

(٢)مسند أبى يعلى (٤٦٧٠) ، وقال الحافظ فى الفتح (٩ / ٣٢٥) : « سنده لا بأس به » ، وقال الهيثمى في المجمع (٤ / ٣٢٢) : « فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس ، وسلمة بن الفضل وقد وثقه جماعة ابن معين وابن حبان وأبو حاتم ،وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، وبهاتين العلتين أعله الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢٩٨٥) .

« أبغض الحلال ! » (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ، أحكم الأحكام ، وشرع الشرائع ، وجعل شريعته المهيمنة على ما سواها بلا منازع ، أحمده تعالى وأشكره ، وأستعينه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حث سبحانه على حماية الأسر من عوامل الشقاق والعاتيات البلاقع ، وصانها من أسباب التصدع والانهيار ، وأمر بسد طرقه والذرائع ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين العابد الخاشع ، جعل من بيت الزوجية مثالا لكل مقتف متابع، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الطلائع ، والنجوم الطوالع ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم ما تعاقب الجديدان وتتابعت المجامع ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله ربكم ، اتقوه جل وعلا فى أنفسكم ، وفى أسركم ، اتقوه سبحانه فى علانيتكم وسركم ، وعسركم ويسركم ،اتقوه فى كل أموركم وأحوالكم .

عباد الله ، قضية اجتماعية خطيرة ، ومشكلة أسرية كبيرة ، تتجلى فى ظواهر مريرة، وتبرز فى حالات كثيرة ، تسود أرجاء المجتمعات ، وتهدد كثيرًا من الأسر والبيوتات ، كم فرقت من جموع ، وأذرفت من دموع ! كم شتتت من أسر ، وصدعت من منازل ، وأطفأت من شموع ! كم قوضت من بناء ، وأحدثت من عناء ، وأورثت من شقاء ، وأيمت من نساء (٢) ، وضيعت من أبناء ! كم كانت سببًا فى إحداث فتن ومشكلات ، وإذكاء محن ومعضلات ! كم كانت سببا وراء إحن وخصومات ، وسلما لتفشى القطيعة والمنازعات ! أتدرون ما هذه القضية الأسرية الخطيرة ؟! أتعلمون ما هذه المشكلة الاجتماعية الكبيرة ؛ التى هددت حياة كثير من الأفراد والأسر ، وحولتها إلى جحيم لا يطاق ؟! إنها قضية « الطلاق » وكفى بها من مشكلة ! وأعظم بها من معضلة !! حتى لتكاد تمثل فى هذا العصر ، محل الصدارة فى المشكلات الاجتماعية الخطيرة .

معاشر المسلمين ، لقد كثر الطلاق فى هذه الأزمنة ،وفشا فشوا رهيبًا ؛ مما ينذر بأشد الخطر على البيوت والأسر ، وشاع انتهاجه شيوعًا عظيمًا ، وتساهل فئام من الناس بالتلفظ به حتى عند أتفه الأسباب ،ولاكته كثير من الألسنة بسبب وبلا سبب ، وإن تعجبوا فعجب

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) كم أيمت من نساء ! أى : جعلتهن أيامى لا أزواج لهن . انظر : « اللسان » (أيم) .

صنيع أقوام بهـذه القضية ؛ حتى حـولوها إلى ممازحات وألاعيب ،وتحديات وأعاجيب ! حتى عم الخطب ،ودوت نداءات الخطر ،وصيحـات الإنذار ، وارتفعت إحصاءات الطلاق فى المجتمع ،وعلت نسبه وأرقامه ، بشكل ينذر بعـواقب وخيمة على المجتمع بأسره ،ولم تزل هذه القضية مصدر قلق لكثير من الناس، فإذا اكتوى أحدهم بنارها ،واصطلى بلظاها ـ هرع إلى المفتين والقـضاة ، يسألهم مخرجـا حتى إن بعضهم ليلجـأ إلى حيل وأكاذيب فى سبيل الوصول إلى بغيته ؛ حتى أشغل العلماء عن قضاياهم الأهم ، وأثقلت كواهل القضاة فى المحاكم بجموع غفيرة ،ومعاملات كثيرة ، فى هذه القضايا .

ولا تسأل عن رنين الهواتف ، وسيول المعاملات ، وعقد الجلسات ، وأعداد المراجعين والمراجعات فى هذه الأمور، ناسين أو متناسين أن قضـية الطلاق شريعة محكمة ، لا أهواء محكمة ، وأنها حـد من حدود الله التى حدها ، ونهى عن تعديها ؛ قـال تعالى فى سياق آيات الطلاق : ﴿ **وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق : ١] ، ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، كما أن الطلاق آية من آيات الله لا بد من معرفتها ، والحذر من الاستهزاء بها ؛ ﴿ **وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

وإحساسًـا بخطر هذه القضية ، كـان لابد من التطرق إليها ، والبحث فى أسـبابها ، وآثارها ، وطرق علاجـها ،وشىء من حكمـها وأحكامهـا ؛ لنكون على بصيـرة فى أمور ديننا، ومن الله نستلهم التوفيق والسداد ؛ بمنه وكرمه !

أيها المسلمون ، أيتها المسلمات ، أيها الأزواج ، أيتـها الزوجات ، لقد شرع الإسلام علاقة الزواج لتبقى لا لتفنى ،ولتدوم لا لتنقطع ، ولينشأ الوفاق ، ويزول الشقاق ، ومنح الأسرة من الضمانات ، وأرسى لها من الدعائم ما يكفل لهـا الاستقرار والثبات ، واحترام الإسلام عقـدة النكاح ، وأطلق عليها لفظ : « الميثاق الغليظ » ، واعـتبر رابطة الزواج من أقوى العقود ،وعهده من آكد العهود .

ولم تترك الشـريعة الأمر بين الزوجين سدى ، تـتحكم فيهم الأهواء ، ويسـيرون فى حياتـهم الزوجيـة على غـيـر هدى ، بل حـدد الحقـوق والواجـبـات ، ووزع الوظائف والمسئـوليات على حسب القـدرات والإمكانات ،ومراعـاة الطبائع والنفسيات ، كل ذلك بأسلوب عادل حكيم ، وبقسطاس مستقيم مـستمد من قوله سـبحانه : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، كما أوصى الإسلام أن تسـود بيت الزوجية علاقـات المودة والرحمة ، وأن ترفـرف عليه رايات الحنان

والإشفاق ، وتلوح عـليه أعلام الإحسان والوفـاق ، وأمر بالمعاشرة بالمعـروف ، والمعاملة بالحسنى ؛ ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ١٩] ، نعم ـ أيها الإخوة والأخوات ـ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيـرًا ، روى مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يفرك(١) مؤمن مؤمنة ؛ إن كره منها خلقًا ، رضى منها آخر** »(٢) .

إنه لا بد للرجال من معرفة طبيعة النسـاء ،وما خلقن له ،وجبلن عليـه ، ولما كان بعض الرجال قد يطلب المثالية فى المرأة بعيدًا عن الـواقعية ، أرشد الإسلام إلى مراعاة هذا الجانب ؛ فقد أخرج البخارى ، ومسلم ، فى « صحيحيهما » ؛ أنه ﷺ قال : « **استوصوا بالنساء خيرًا ؛ فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعـوج شىء فى الضلع أعلاه ؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ؛ فاستوصوا بالنساء خيرًا** »(٣) .

كما حرص الإسلام على حماية الأسرة أن يتسلل إليها أهل التخبيب ، ودعاة التأليب ، وأرباب التخريب من كل بعيد أو قـريب ، وسد الباب دون التدخل فى شؤون الزوجين إلا بنية الإصلاح ؛ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **ليس منا من خبب امرأة على زوجها**»(٤) أى : أفسدها عليه(٥) .

وعلى الرغم مما وضعه الإسلام من أسس لبناء الأسرة وحمـايتها ، فإن من شأن البشر الخطأ ، ومن طبيعـتهم التقصير ؛ فـقد تعصف بالأسرة عواصف الشـقاق والخلاف ؛ لأنه قلما يتفق الزوجـان ويتطابقان من كل الوجوه ؛ لكن التفاوت بين الزوجين لا يضـرهما ما تعاشرا بالمعروف ، وتعاملا بالحلم والصبـر والتحمل ، وأكرم كل صاحبه ، وأطرح الهوى ورغبات النفس جانبـا ؛ إن الذى يهدد كيان الأسرة : تتبع الهفـوات ، وتقصى العثرات ، وتلمس السقطات ، وتضخيم الهنات .

لكن ـ يا عـباد الله ـ مـا الذى يجب اتخاذه من قـبل الزوجين عند حـصول الشـقاق والنزاع ؟ هل الطلاق أول العـلاج كمـا يعمـد إليه بعـض المتعـجلين الذين لا ينظرون إلى العواقب ؟! هل الطلاق من السـهولة ، بحيث يتـخذه قليلو الصبـر ، ضعاف التـحمل ، وسيلة أولى لحسم الخلاف ؟!

---

(١) لا يفرك ، أى : لا يبغض . « النهاية » (فرك) .

(٢) « صحيح مسلم » (١٤٦٩) .

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أحمد (٢ / ٣٩٧) ، وأبو داود (٢١٧٥) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٥) انظر : « النهاية » (خبب) .

لقد أرشدنا الإسلام إلى المنهج الحق عند حدوث النشوز بين الطرفين ، ووضع لذلك وسائل علاجية لا تخفق أبدًا ، متى ما صفت السريرة ، وحسنت النية ؛ يقول عز وجل : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء : ٣٤] ، ويقول سبحانه : ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء : ١٢٨] .

وإذا استحكم النزاع واستدام ، فقد شرع الإسلام التدخل للإصلاح بتحكيم الحكمين ، ويتأكد ذلك على أهل الزوجين ؛ قال سبحانه : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** ﴾ [النساء : ٣٥] .

لكن السؤال الذى يطرح نفسه : هل قام الزوجان بالحقوق والواجبات ؟! وإذا حصل النزاع ، فهل عملا بمنهج الإسلام لعلاج ذلك ؟! هل سعيا للإصلاح ؟! أين أهل الصلح من الأقارب والأهل ؟! أين تحكيم الحكمين ؟! أو أن ذلك فى عداد الأمور المهجورة ؟! إنه إذا أمكن الوفاق ، فلا يجوز للمرأة الإقدام على فصم عرا الزوجية بطلب الطلاق ؛ يقول ﷺ : « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة** »(١) .

لكن إذا تعذر الوفاق ، وتحولت الحياة إلى جحيم لا يطاق ، ولم تعمل أسباب العلاج ووسائل الإصلاح عملها فى القلوب ـ فقد قال سبحانه : ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٣٠] .

إخوة الإسلام ، إن الطلاق إذا لم يكن لأسباب شرعية ، فهو عبث لا يقره الدين ، وتخريب لا تعمر به الحياة ، فأين الذين يفكرون فى العواقب ؟! ما ذنب الأولاد والأطفال؟! وما جريرة الضعفاء والضعيفات ، والأبرياء والبريئات ؟! ولقد ورد فى الخبر : « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** »(٢) ؛ فليعلم كل من أقدم على الطلاق أو فكر فيه ؛ أن الطلاق من الأمور العظيمة التى يفرح لها الشيطان ، ويبعث من أجلها جنوده ، وكفى بذلك تحذيراً منه وتنفيراً ! روى الإمام مسلم فى « صحيحه » ، من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ؛ فأدناهم**

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٨٣) ، وأبو داود (٢٢٢٦) ، والترمذى (١١٨٧) ، والحاكم (٢ / ٢٠٠)، والبيهقى (٧ / ٣١٦) ؛ من حديث ثوبان ، رضى الله عنه .

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨) ، وابن ماجة (٢٠١٨) ، والحاكم (٢ / ١٩٦) ؛ من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .

منه منزلة أعظمهم فتنة ؛ يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا ! فيقول : ما صنعت شيئًا ! ثم يجىء أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته! قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ! »[١] .

أمة الإسلام ، وإذا تبين للجميع خطورة أمر الطلاق ، وشىء من آثاره على الأسر والمجتمعات ـ فإن من المناسب تلمس أهم أسبابه ، تشخيصًا للداء ، ووصفا للدواء .

والباحث عن أهم أسباب وقوعه يجد أن منها : عدم قيام كل من الزوجين بواجباته تجاه الآخر ، والتقصير فى المعاشرة بالحسنى .

كما أن منها : سوء الخلق ، وضعف الوازع ، وقلة الصبر والتحمل ، وطلب المثالية، ووجود الفوارق بين الزوجين ، والاستجابة لداعى الهوى والغضب ، وعدم التحكم فى النفس وضبط الأعصاب ،والتدخل من الأفراد خارج نطاق الأسرة ممن لا يهمهم الأمر ؛ للتحريش بين الزوجين[٢] .

كما أن منها : عدم الالتزام بمنهج الإسلام عند حدوث أى خلاف ، والتقصير فى الإصلاح والتحكيم ، وغير ذلك .

فيا أيها الأزواج والزوجات ، اتقوا الله فى أنفسكم .

ويا أيتها الزوجات ، اتقين الله فى أزواجكن ، لا تكن إحداكن سببًا فى استفزاز زوجها ، وإثارة أعصابه ، فمن بحقوق الأزواج والبيوت والأولاد ؛ فالمرأة الموفقة هى التى تكسب زوجها ، وتمتص غضبه ، وتعرف حقوقه ، لا من تشعل النار ،وتزيد الطين بلة .

وليتق الله الأزواج ، وليصونوا علاقاتهم عن الخلافات والمنازعات ، إن كانوا يريدون سعادتهم فى دنياهم وأخراهم .

ويا من دب النزاع بينهما ، احتكموا إلى دينكم وإسلامكم ؛ ففيه القضاء على أسباب الخلاف ، وحسم النزاع من مبدئه ، واقتلاع الشر من جذوره ، والله المسؤول أن يوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يصلح القلوب ، ويجمع الشمل بمنه وكرمه ؛ إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ،ولجميع المسلمين والمسلمات، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) « صحيح مسلم » (٢٨١٣) .

(٢) يقال : حرش بينهم تحريشًا ، أى : أفسد وأغرى بعضهم ببعض . « اللسان » (حرش) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى تفرد بكل كمال ، واختص بأبهى جمال ، وأعلى جلال ، وتفضل على عباده بجزيل النوال ، له الحمد فى كل حال وعلى كل حال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدس عن الأشباه والأمثال ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله المنعوت بأشرف الخلال ، وأكرم الخصال ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وأفضل آل ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واتقين الله ـ إماء الله ـ تفقهوا جميعًا فى أمور دينكم ، واعلموا أن للطلاق أحكامًا يجب معرفتها على كل مواقع له ؛ فلا يجوز للمطلق أن يطلق كيفما شاء ، بل لا بد من منهج شرعى فى ذلك .

ومن ملامحه : أن يطلق الرجل زوجته بإحسان ؛ قال تعالى : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

ومما ينبغى فقهه فى ذلك : أن الطلاق نوعان : طلاق سنى وطلاق بدعى .

فالطلاق السنى : هو الذى يجب التزامه عند إيقاع الطلاق ؛ وذلك : بأن يطلق الرجل امرأته طلقة واحدة فى طهر لم يجامعها فيه .

والطلاق البدعى : أن يطلقها أكثر من طلقة دفعة واحدة ، أو يقول : أنت طالق ثلاثًا ، أو يطلقها وهى حائض ، أو يطلقها فى طهر قد واقعها فيه ، وفاعل ذلك آثم ، مرتكب أمرًا محرمًا .

فهل التزم المطلقون هذه الأحكام ؟! وهل فقهوا أحكام الطلاق ؟!

ثم إنه لا بد من التنبيه على مسألة كثر الوقوع فيها ، وهو « طلاق الثلاث » ؛ أخرج النسائى ، عن محمود ين لبيد ، قال : أخبر رسول الله ﷺ : عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا ، فقام ـ عليه الصلاة والسلام ـ غضبان ، ثم قال : « **أيُلْعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟!** » حتى قام رجل وقال : يا رسول الله ، ألا أقتله ! (١)

وجاء رجل قد طلق امرأته ثلاثا إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فسأله ؟ فسكت مغضبًا ، ثم قال : « **ينطلق أحدكم فيركب الحماقة ، ثم يقول : يا ابن عباس ، يا ابن**

---

(١) « سنن النسائى » (٦ / ١٤٢) .

عباس ! والله يقول : **﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾** [الطلاق : ٢] ، **وإنك لم تتق الله ، فلا أجد لك مخرجًا ؛ عصيت ربك ،وبانت منك امرأتك** » ، وجاءه رجل قد طلق امرأته ألفًا ، فقال : « **أتتخذ آيات الله هزوا ؟! يكفيك من ذلك ثلاث** »(١) .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ ولا تستعجلوا فى أمور الطلاق ؛ فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا ! .

وإذا كان من توجيه لعلاج هذه الظاهرة ، فإنه يتلخص فى التخلى عن كل ذرائعه وأسبابه التى سبق التنبيه على شىء منها ، ثم لا بد أن يكون للعلماء والوجهاء ، فى كل حى ومدينة ، وأسرة وقبيلة : جهود فى علاج المشكلات الزوجية ، عن طريق لجان إصلاح موثوقة من أهل الخير والفضل فى المجتمع ، يلجأ إليها ـ بعد الله ـ كل من واجهته مشكلة كهذه ، وبذلك تقل المشكلات ، بإذن الله .

وأخيرًا : من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله حاله ، وأصلح زوجه ، وأصلح أسرته وأولاده ، وقد قال سبحانه فى سياق آيات الطلاق: **﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾** [الطلاق : ٢] ، **﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾** [الطلاق : ٤] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على النبى المختار ؛ كما أمركم بذلك المولى العزيز الغفار ؛ فقال جل من قائل : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) انظر : « المصنف » لعبد الرزاق (١١٣٤٦ ـ ١١٣٥٣) .

النداء الحانى ، إلى النصف الثانى (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وجعل لكل دوره فى الحياة الدنيا ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الذى أوصى أمته بالنساء خيرًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ما صبح بدا ، وما ليل سجا (٢) ، وسلم تسليمًا سرمديًا أبدًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله تبارك وتعالى ، ويا أيتها المسلمات ، اتقين الله ـ عز وجل ـ واشكروه جميعًا على ما هداكم للإسلام ، وأولاكم من الفضل والإنعام .

عباد الله ، من محاسن ديننا الإسلامى ، ومميزات شريعتنا الغراء : أنها جاءت بالشمول والكمال ، فلم تترك جانبًا من جوانب الحياة إلا نظمته أحسن نظام وأحكمه ، ولله الحكمة البالغة فيما يخلق ويختار ؛ ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] .

أيها المسلمون ، ومن الجوانب الرئيسة التى تولاها الإسلام بالعناية والرعاية ، وأحاطها بسياج منيع من الصيانة والحماية ، ورسم لها خير منهج لما لها من الأهمية والمكانة : الجانب المتعلق بالمرأة وشؤونها ، ومسؤوليتها فى الأمة ، ومكانتها فى المجتمع ، وما لها من حقوق ، وما عليها من واجبات ؛ وما ذاك إلا لأنها اللبنة الكبرى ، والنواة الأولى التى يقوم عليها عمود الأسرة ، وبالتالى نهضة الأمة وبناء حضارتها ، ولأنها الأم الرؤوم المشفقة ، العفيفة المربية ، والزوج الحنون المؤنسة ، والأخت الكريمة السارة ، والبنت اللطيفة البارة ، بل هى المدرسة الحقيقية لإعداد الأجيال ، وصناعة الرجال .

إخوة الإيمان ، لقد جاء الإسلام والمرأة مهضومة الحقوق ، مهيضة الجناح(٣) ، مسلوبة الكرامة ، مهانة مزدراة ، محل التشاؤم وسوء المعاملة ، معدودة من سقط المتاع ، وأبخس السلع ، تباع وتشترى ، توهب وتكترى ، لا تملك ولا ترث ؛ بل : تقتل وتوءد بلا ذنب ولا جريرة فلما جاء الإسلام بحكمته وعدله ، رفع مكانتها وأعلى شأنها ، وأعاد لها

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام . .

(٢) سجا الليل : سكن ودام . « اللسان » (سجو) .

(٣) أى : مكسورة الجناح . « اللسان » (هيض) .

كرامتها وأنصفها ؛ فمنحها حقوقها ، وألغى مسالك الجاهلية نحوها ، واعتبرها شريكة شقيقة له فى الحياة .

وقد ذكرها الله فى كتابه الكريم مع الرجل فى أكثر من موضع ؛ يقول سبحانه : ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ**﴾ [آل عمران : ١٩٥]، ويقول عز وجل : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٩٧] ، وقال تعالى وتقدس سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وأوصى بها النبى ﷺ خيرًا ؛ ففى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً** »(١) ، ولأحمد ، وأبى داود ، والترمذى ، عنه ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ،وخياركم خياركم لنسائهم** »(٢) .

كما ضمن لها الإسلام الكرامة والإنسانية ، والحرية الشرعية ، والأعمال الإسلامية ، التى تتفق مع طبيعتها وأنوثتها ، فما لا يخالف نصا من كتاب ، أو سنة ، ولا يعارض قاعدة ومقصدًا من مقاصد الشريعة ، وفى محيط نسائى مصون . كما ساوى بينها وبين الرجل فى عدد من المجالات ، إلا أن هذه المساواة قائمة على ميزان الشرع ومقياس النقل الصحيح ، والعقل الصريح ؛ فقد جعل الله لكل من الرجل والمرأة خصائص ومزايا ، ومقومات ليست للآخر ، وأهل كلا منهما لما سيقوم به من مهام فى هذه الحياة ، فأعطى الرجل قوة فى جسده ؛ ليسعى ويكدح ، ومنح المرأة العطف والحنان ؛ لتربية الأبناء ، وتنشئة الأجيال ، وبناء الأسر المسلمة .

أمة الإسلام ، أى شىء تريده المرأة بعد هذا التكريم ؟! وأى شىء تنشده بنات حواء بعد هذه الحصانة والرعاية ؟! أيستبدلن الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟! أيؤثرن حياة التبرج والسفور ، والتهتك والاختلاط ، على حياة الطهر والعفاف والحشمه ؟! أيضربن بنصوص الكتاب والسنة ، الآمرة بالحجاب والعفة عرض الحائط ، ويخدعن بالأبواق الماكرة ، والأصوات الناعقة ، والدعايات المضللة ، والكلمات المعسولة الخادعة ، التى تطالعنا بين الفينة والأخرى ، وتثار بين حين وآخر ؟! أيتركن التأسى بأمهات المؤمنين الطاهرات ،

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

وأعلام النساء الصـالحات ؛ كـ « عائشة » ، وخديجـة ، وفاطمة ، وسمية ، ونسـبية » ، ويقلدن الماجنات ، ويتشبهن بالفاجرات ، عياذا بالله ؟!

أختى المسلمة ، إنك لن تبلغى كمـالك المنشود ، وتعيدى مـجدك المفقود ، وتحـقـقى مكانتك السامية ، إلا باتـباع تعاليم الإسلام ،والوقوف عند حدود الشريعـة ؛ فذلك كفيل أن يطبع فى قلبك مـحبة الفـضائل والتنزه عن الرذائل ؛ فـمكانك والله تحمـدى ، وبيتك تسعدى ،وحجابك تصلحى ، وعفافك تريحى وتستريحى !

قال سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩] .

فأنت فى الإسلام درة مصونة ، وجوهرة مكنونة ، وبغـيره : دمية فى يد كل فاجر ، وألعوبة وسلعة بهـا يتاجر ، بل يلعب بها ذئاب البـشر ، فيهدرون عـفتها وكرامـتها ، ثم يلفظونهـا لفظ النواة ، ويرمونهـا رمى القذاة (١) ، فمـتى خالفت المـرأة آداب الإسلام ، وتساهلت بالحـجاب ، وبرزت للرجال مزاحمـة متعطرة : غاض مـاؤها ، وقل حياؤها ، وذهب بهاؤها ؛ فعظمت بها الفتنة ، وحلت بها الشرور والنقمة .

فيا أيتها المسلمة ، المعتزة بشرف الإسلام ، ويا أيتها الحرة الـعفيفة المصونة ، أنت خير خلف لخيـر سلف ، تمسكى بكتاب الله وسـنة رسوله ﷺ ، وكونى على حـذر وفطنة من الأيدى الماكرة ،والعيون الغادرة ، والأنفس الخبـيثة الشريرة ، التى تريد أن تنزلك من علياء كرامتك ، وتهبط بـك من سماء مجدك ، وتخرجك من دائرة سعـادتك ، وإياك والخديعة والانهزام ، أمام هذه الحـرب السافرة بين الحجاب والـسفور ، والعفاف والإباحـية ، كيف وقد بت ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن التبرج والسفور مطية الفساد ، وطريق الشرور !

إن أعداء الإسلام : قد سـاءهم ، وأقض مضاجعهم ، ما تـتمتع به المرأة المسلمة من حصانة وكرامة ؛ فسلطوا عليها الأضواء ، ونصبوا لها الشباك ، ورموها بنبلهم وسهامهم ، ومن الغريب أن يحقق مقاصدهم ، ويسـير فى ركابهم ، ويسعى فى نشر أفكارهم ـ أناس من بنى جلدتنا ، يتـكلمون بألسـنتنا ، فيـشنون الحـرب الفكرية الشعواء ، على أخـواتنا المسلمات مـاء وجوهنا ، عـبر العناوين الخادعـة ، والمقالات الساحـرة ، هنالك وهناك ، فـينادون ـ زوراً وبهتـانًا ـ بتـحرير المرأة ، ويطـالبون بعـمل المرأة وخـروجهـا من المنزل ،

---

(١) القذاة : مـا يقع فى العين والماء والشراب ، مـن تراب أو وسخ أو غير ذلك ، وجـمعـه : قذى . «النهاية » (قذى) .

ويشيعون الشائعات المغرضة ، والشبه الداحضة عن المرأة المسلمة ؛ فيقولون عن المجتمع المسلم المحافظ : « إن نصفه معطل ، ولا يتنفس إلا برئة واحدة ،وكيف تترك المرأة حبيسة البيت ،ورهينة المنزل؟!» وما إلى ذلك من الأقوال الأفاكة (١) ، والعبارات المضللة ، فماذا يريد هؤلاء ؟! وإلى أي شيء يهدفون ؟! نعم إنهم يهدفون إلى تحرر المرأة من أخلاقها وآدابها ، وانسلاخها من مثلها وقيمها ومبادئها ، وإيقاعها فى الشر والفساد ! يريدونها عارضة للأزياء ، وسلعة للسذج والبسطاء ! فمن لصلاح البيت ،وسعادة الأهل ، وتربية الأجيال ؟!

خبرونى بربكم : أى فتنة تقع ، وأى بلاء يحدث ، إذا هتك الحجاب ، ووضع الجلباب ، وافترس المرأة الذئاب ؛ نتيجة السفور والاختلاط ، فى الدوائر والمكاتب ، والمدارس والأسواق ؟! أما يكفى زاجرًا ، ويشفى واعظًا ـ يا عباد الله ـ ما وقعت فيه المجتمعات المخالفة لتعاليم الإسلام ؛ من الهبوط فى مستنقعات الرذيلة ، ومهاوى الشرور، وبؤر الفساد ، حين أهملت أمر المرأة ، حتى انطلقت الصيحات المجربة ، والنداءات المتكررة ؛ مطالبة بعودة المرأة إلى حصنها وقرارها ؟! هل يرضى من فيه أدنى غيرة ورجولة أن تصير امرأته ووليته مرتعا لأنظار الفسقة ، وعرضة لأعين الخونة ، ومائدة مكشوفة ، ولقمة سائغة ، أمام عديمى المروءة ، وضعاف النفوس ؟!

ولقد أفادت الأوضاع السائدة أن خروج المرأة من بيتها هو أمارة الخراب والدمار ، وعلامة الضياع والفساد ، وعنوان انقطاع وشائج الألفة والمحبة والفضيلة (٢) ، وانتشار غوائل الفساد والرذيلة بين أبناء المجتمع .

فإلى أخواتنا المسلمات ، فى عالمنا الإسلامى ، وإلى نصف أمتنا الثانى ، يوجه هذا النداء الحانى ، من هذه البقعة الطاهرة : بالتمسك الحق بكتاب الله ، والعض على سنة نبيه ﷺ بالنواجذ ، واتباع تعاليم الإسلام وآدابه .

وإلى الجمعيات النسائية ، فى كل مكان : يوجه نداء التحذير من مغبة(٣) مخالفة المرأة لهدي الإسلام ، والانسياق وراء الشعارات البراقة ، والدعايات المسمومة المضللة ، ضد أخلاق المرأة ومثلها وقيمها .

---

(١) الأفاكة : الكذابة ، من الإفك ، وهو الكذب . « اللسان » (أفك) .

(٢) وشائج الألفة والمحبة والفضيلة ، أى : روابطها وما يؤدى إلى التفافها وتشابكها ، مفردها : وشيجة. انظر : « اللسان » (وشج) .

(٣) مغبة الأمر : عاقبته وآخره . « اللسان » (غبب) .

وإلى المسؤولين عن الفتاة المسلمة ، تعليما ورعاية ، قوامة وعناية : أن يتقوا الله ـ عز وجل ـ ويقوموا بواجبهم تجاهها ، مع التركيز والعناية بالجوانب الإيمانية والتربوية والأخلاقية، لا بد من وضع حد فاصل ، وسد منيع ، أمام السيول المتدفقة من المظاهر الفاضحة ، والمناظر الماجنة ، والأفلام الخليعة ، والصور العارية ،وشبه العارية ، التى تقضى على الغيرة والأخلاق ، وتورث الدياثة والرذيلة .

أما أولياء أمور النساء ، من أزواج وآباء : فإننا نذكرهم بواجب القوامة على المرأة ؛ امتثالا لقوله سبحانه : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ [النساء : ٣٤] ؛ فعليهم أن يتقوا الله ـ عز وجل ـ وأن يقوا أنفسهم ونساءهم وأبناءهم عذاب الله سبحانه ، وذلك بالقيام بتربيتهم ، وأطرهم على تعاليم الإسلام ،وليحذروا من الاسترسال فى ترك الحبل على الغارب ؛ فإننا نناشد فيهم غيرتهم على نسائهم ، ونخاطب فيهم شهامتهم[(١)] ؛ ذبًا عن أعراضهم ، وصوتًا لمحارمهم ، فضلا عن ديانته وأخلاقهم .

فيا أيها العقلاء ، اعتبروا واحذروا ولا تنخدعوا ؛ فالسعيد من وعظ بغيره ، واعلموا أن نكبة الأمة اليوم فى مجتمعاتها ، وإخفاقها فى أخلاقها ـ لم تكن إلا بعد ما نكبت فى نظام أسرها ،وفساد تربيتها لنسائها ؛ وقد قال الصادق المصدوق ﷺ : « **ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء** »[(٢)] ،وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « **اتقوا الدنيا، واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء** »[(٣)] . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦] .

نفعنى الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وبسنة سيد المرسلين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ،ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) يقال : شهم الرجل شهامة ؛ فهو شهم : إذا كان ذكيا نافذا فى الأمور ماضيًا « اللسان » (شهم).
(٢) رواه البخارى (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) ؛ من حديث أسامة بن زيد ، رضى الله عنهما.
(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢) ؛ من حديث أبى سعيد ، رضى الله عنه .

الخطبة الثانية

الحمد لله الحكيم العليم ، وأشهد أن لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى العالمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واتقين الله إماء الله ـ تمسكوا جميعًا بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ؛ فخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها .

أيها الإخوة والأخوات فى الله ، إن قضية المرأة من الخطورة والأهمية بمكان كبير ، وتحتاج إلى عرض متجدد مركز ؛ لأنها اتخذت مطية وغرضا من أعداء الإسلام ؛ يبثون من خلالها شبههم ، وينشرون أباطيلهم وسمومهم فى غفلة من كثير من المسلمين ، ولكيلا ينخدع بعض الدهماء(١) والدهماوات ؛ فإن على المسلمين ـ كل فى مجاله ـ : العناية بهذه القضية ، وبيان منهج الإسلام فيها ؛ لنبث للعالم بأسره أننا ـ ولله الحمد ـ فى يقظة من أمر ديننا ، وأن فتياتنا المصونات عزيزات بإسلامهن ، متمسكات بدينهن ، لا تنطلى عليهن(٢) أقوال الناعقين ، أعداء المثل والقيم والمبادئ السامية ، لا سيما ونحن نعيش فى بلاد الحرمين ـ حرسها الله ـ حيث تتحلى المرأة بالسير على المنهج الإسلامى الصحيح ؛ حتى أصبحت فريدة فى نوعها ، متميزة عن غيرها ، شامة بين بنات جنسها ؛ فى وقت تتقاذف المرأة فيه أمواج الفتن ، وما ذاك إلا بتمسك قادتها ـ وفقهم الله ـ بتعاليم الإسلام ، وتأكيدهم على منع كل ما يخالف ذلك من مظاهر التبرج والسفور ، والاختلاط ونحوها ، ولله الحمد والمنة .

ويحسن هنا التنبيه إلى أمر مهم ، وهو : أن المرأة المسلمة إذا حضرت بيوت الله ـ ولا سيما فى الحرمين الشريفين ـ فإن عليها أن تكون مثالا فى الاحتشام والوقار ، والستر والعفاف ، والحجاب الشرعى في وجهها وجميع بدنها ؛ اتباعا للنصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة ؛ كما يجب عليها أن تكون بعيدة عن مزاحمة الرجال ، وإيذائهم بالتعطر ، والتزين بالثياب الجميلة والحلى الفاخرة ؛ ليكتب لها الأجر ؛ إن شاء الله .

---

(١) الدهماء : جماعة الناس وكثرتهم . انظر : « اللسان » و « تاج العروس » (دهم) .

(٢) أى : لا تشكل عليهن ، تقول : أمر مطلى ، أى : مشكل مظلم . « تاج العروس » (طلى) .

فهل تجد هذه الكلمات آذانا صاغية ، وقلوبًا واعية ؟! ذلك ما أرجو وآمل ؛ ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [هود : ٨٨] .

ألا وصلوا وسلموا - رحمكم الله - علي المصطفى المختار ؛ كما أمركم بذلك العزيز الغفار ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

لا تدخلوا حتى يؤذن لكم (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضى لنا الإسلام دينًا . أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ذو الأدب الجم ، والخلق الرفيع ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وعظموا أمر ربكم ،واستغفروه ثم توبوا إليه ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر : ٥٥] .

عباد الله ، لقد جعل الله البيوت سكنا يأوى إليها أهلها ، تطمئن فيها نفوسهم ، ويأمنون على حرماتهم ، يستترون بها مما يؤذى الأعراض والنفوس ، يتخففون فيها من أعباء الحرص والحذر .

وإن ذلك لا يتحقق على وجهه إلا حين تكون محترمة فى حرمتها لا يستباح حماها إلا بإذن أهلها فى الأوقات التى يريدون ، وعلى الأحوال التى يشتهون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٧ ، ٢٨] .

إن اقتحام البيوت من غير استئذان ؛ هتك لتلك المحرمات ، وتطلع على العورات ، وقد يقضى إلى ما يثير الفتن ، أو يهيئ الفرص لغوايات تنشأ من نظرات عابرة . . تبعها نظرات مريبة . . تنقلب إلى علاقات آثمة ، واستطالات محرمة .

وفى الاستئذان وآدابه ما يدفع هاجس الريبة ، والمقاصد السيئة .

أيها الإخوة المؤمنون : إن كل امرىء فى بيته قد يكون على حالة خاصة ، أو أحاديث سرية ، أو شؤون بيتية فيفجأه داخل من غير إذن قريبًا كان أو غريبًا ، وصاحب البيت مستغرق فى حديثه ، أو مطرق فى تفكيره ، فيزعجه هذا أو يخجله ، فينكسر نظره حياء ، ويتغيظ سخطًا وتبرمًا .

---

(١) خطبة للشيخ / صالح بن حميد من المسجد الحرام .

ولقد يقصر فى أدب الاستئذان بعض الأجلاف من لا يهمه إلا قضاء حاجته ، وتعجل مراده ، بينما يكون دخوله محرجًا للمزور مثقلا عليه .

وما كانت آداب الاستئذان وأحكامه إلا من أجل ألا يفرط الناس فيه أو فى بعضه ، معتمدين على اختلاف مراتبهم فى الاحتشام والأنفة ، أو معولين على أوهامهم فى عدم المؤاخذة ، أو رفع الكلفة .

تأملوا أيها المؤمنون قوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ [النور : ٢٧] .

إنه استئذان في استئناس ، يعبر عن اللطف الذى يجب أن يكون عليه الزائر والطارق مراعاة لأحوال النفوس وتهيؤاتها ، وإدراكًا لظروف الساكنين فى بيوتاتهم وعوراتهم .

وهل يكون الأنس والاستئناس إلا بانتفاء الوحشة والكراهية ؟؟؟ .

أدب رفيع يتحلى به الراغب فى الدخول لكى يطلب إذنًا لا يكون معه استيحاش من رب المنزل ، بل بشاشة وحسن استقبال .

ينبغى أن يكون الزائر والمزور متوافقين مستأنسين ، فذلك عون على تأكيد روابط الأخوة الإسلامية .

ولقد بسطت السنة المطهرة هذا الأدب العالى ، وازدان بسيرة السلف الصالح تطبيقًا وتبيينًا .

فكان نبيكم محمد ﷺ إذا أتى باب قوم ، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ،ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، ويقول : « **السلام عليكم ، السلام عليكم** »(١) .

ووقف سعد بن عبادة مقابل الباب فأمره النبى ﷺ أن يتباعد . وقال له : « **وهل الاستئذان إلا من أجل النظر** »(٢) .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، اطلع رجل من جُحر فى حجر النبى ﷺ ومع النبى ﷺ مدرى (أى : مشط) يحك به رأسه ، فقال النبى ﷺ : « **لو أعلم أنك تنظر ؛ لطعنت به فى عينك ، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر** »(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ ـ ح ١٠٧٨) ، وأبو داود (٤ / ٣٤٨ ـ ح ٥١٨٦) واللفظ له .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٦ / ٢٢ ـ ح ٥٣٨٦) واللفظ له ، وقال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح . انظر المجمع (٨ / ٤٤) ، وأبو داود (٤ / ٣٤٤ ـ ح٥١٧٤) بنحوه .

(٣) أخرجه البخارى (١١ / ٢٦ ـ ح ٦٢٤١) ، ومسلم (٣ / ١٦٩٨ ـ ح ٢١٥٦) .

والمستأذن - أيها الإخوة - يستأذن ثلاث مرات فإن أُذن له وإلا رجع . وقد قيل : إن أهل البيت بالأولى . يستنصتون ، وبالثانية يستصلحون ، وبالثالثة يأذنون أو يردون ، لكن قال أهل العلم : لا يزيد على ثلاث إذا سمع صوته وإلا زاد حتى يعلم أو يظن أنه سمع .

ويقول في استئذانه : السلام عليكم أأدخل ؟ فقد استأذن رجل على النبي ﷺ وهو في بيته « فقال : ألج ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه : « **اخرج إلى هذا ! فعلمه الاستئذان فقل له : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟** » فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ ، فدخل »(١) .

وله أن يستأذن بنداء أو قرع أو نحنحة أو نحو ذلك .

تقول زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : كان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت .

ويقول الإمام أحمد : يستحب أن يحرك نعله في استئذانه عند دخوله حتى إلى بيته ؛ لئلا يدخل بغتة . وقال مرة : إذا دخل يتنحنح .

ومن الأدب: أن الطارق ، إذا سئل عن اسمه فليبينه ، وليذكر ما يعرف به . ولا يجيب بما فيه غموض أو لبس . يقول جابر رضي الله عنه : « أتيت إلى النبي ﷺ في دين كان على أبي ، فدققت الباب ، فقال : « من ذا ؟ » فقلت : أنا ، فقال النبي ﷺ : « **أنا !!** » كأنه كرهها »(٢) .

وإذا قرع الباب فليكن برفق ولين من غير إزعاج أو إيذاء ولا ازدياد في الإصرار، ولا يفتح الباب بنفسه ، وإذا أذن له في الدخول فليتريث ، ولا يستعجل في الدخول ، ريثما يتمكن صاحب البيت من فسح الطريق وتمام التهيؤ ، ولا يرم ببصره هنا وهناك ، فما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر .

والاستئذان حق على كل داخل من قريب أو بعيد من الرجل والمرأة ، ومن الأعمى والبصير .

عن عطاء بن يسار ، أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال : يا رسول الله ، أستأذن على أمي ؟ فقال : « نعم » قال الرجل : إني معها في البيت ؟؟ فقال رسول الله ﷺ : « **استأذن عليها** » . فقال الرجل : إني خادمها . فقال له رسول الله ﷺ : « استأذن عليها ،

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٦٩) ، وأبو داود (٤ / ٣٤٥ - ح ٥١٧٧) واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري (١١ / ٣٧ - ح ٦٢٥٠) ، ومسلم (٣ / ١٦٩٧ - ح ٢١٥٥) .

أتحب أن تراها عريانة ؟ » قال : لا . قال : « **فاستأذن عليها** »(١) .

ويقول أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : إذا دخل أحدكم على والدته فليستأذن .

والأعمى يستأذن كالبصير ، فلربما أدرك بسمعه ما لا يدركه البصير ببصره .

« **ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه ، صب فى أذنه الآنك يوم القيامة . والآنك هو الرصاص المذاب** »(٢) .

أيها الإخوة فى الله . وهناك أدب قرآنى عظيم ، لا يكاد يفقهه كثير من المسلمين . إنه قول الله عز وجل : ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ** ﴾ [النور : ٢٨] .

إن من حق صاحب البيت أن يقول بلا غضاضة للزائر والطارق : ارجع ، فللناس أسرارهم وأعذارهم ،وهم أدرى بظروفهم ، فما كان الاستكنان فى البيوت إلا من أجل هذا .

وعلى المستأذن أن يرجع من غير حرج ، وحسبه أن ينال التزكية القرآنية .

قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها . لقد طلبت أن استأذن على بعض إخوانى ليقول لى : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط . لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ** ﴾ [النور : ٢٨] . ذكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره .

إن من الخير لك ولصاحبك أيها الطارق ، أن يعتذر عن استقبالك بدلا من الإذن على كراهية ومضض ،ولو أخذ الناس أنفسهم بهذا الأدب ،وتعاملوا بهذا الوضوح ؛ لاجتنبوا كثيرًا من سوء الظن فى أنفسهم وإخوانهم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، والتزموا بدينكم ، واستمسكوا بآدابه ، وحافظوا على مشاعر الأخوة ، وتخيروا فى أوقات الزيارات ، وقدروا لإخوانكم أحوالهم وظروفهم ،والتمسوا لهم الأعذار ،ودعوا الأعراف والتقاليد الخاطئة .

نفعنى الله وإياكم بهدى كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ ، وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ (٢ / ٩٦٣) قال ابن عبد البر : مرسل صحيح .

(٢) أخرجه البخارى (١٢ / ٤٤٦ ـ ح ٧٠٤٢) .

لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

الخطبة الثانية

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ، ومذل من خالف أمره وعصاه ، أحمده سبحانه وأشكره ، من توكل عليه كفاه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اصطفاه واجتباه ، وقربه إليه وأدناه ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه .

أما بعد :

أيها المؤمنون ، اتقوا الله واعلموا أن الإسلام كما شرع آدابًا للاستئذان من خارج البيوت ؛ فقد أوضح آدابًا خاصة أدب بها الصغار الذين لم يبلغوا الحلم فى أوقات خاصة فى عورات ثلاث : من قبل صلاة الفجر ، وفى أثناء الظهيرة ،ومن بعد صلاة العشاء ، أوقات يخلو بها المرء فى نفسه ، أو مع زوجه يتخفف فيها من كثير من القيود فللعمل وقته، وللراحة وقتها ، فيعطى كل ذى حق حقه .

أيها الإخوة فى الله ، إن هذه التفاصيل الدقيقة فى آداب الاستئذان تؤكد فيما تؤكد حرمة البيوت ، ولزوم حفظ أهلها من حرج المفاجآت ،وضيق المباغتات ، والمحافظة على ستر العورات . عورات كثيرة تعنى كل ما لا يرغب الاطلاع عليه من أحوال البدن ، وصنوف الطعام واللباس وسائر المتاع ، بل حتى عورات المشاعر والحالات النفسية ، حالات الخلاف الأسرى ، حالات البكاء والغضب والتوجع والأنين . كل ذلك مما لا يرغب الاطلاع عليه لا من الغريب ولا من القريب ، إنها دقائق يحفظها ويسترها أدب الاستئذان . فهل يدرك هذا أبناء الإسلام ؟؟ .

الحجاب والجلباب (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، والتابعين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

أيها المؤمنون ، أوصيكم ونفسى بتقوى الله عز وجل ؛ فمن اتقى الله حفظه ، ويسر له أمره ،وهداه إلى رشده .

عباد الله ، لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، لا خير إلا دل الأمة عليه ،ولا شر إلا حذرها منه . فشمل دينه أحكامًا ووصايا ، وأوامر وتوجيهات فى نظام متكامل مربوط برباط الفضيلة بجميع أنواعها وشتى كمالاتها ووسائلها .

وإن من أعظم مقاصد هذا الدين ، إقامة مجتمع طاهر ، الخلق سياجه ، والعفة طابعه، والحشمة شعاره ، والوقار دثاره ، مجتمع لا تهاج فيه الشهوات ، ولا تثار فيه عوامل الفتنة ، تضيق فيه فرص الغواية ، وتقطع فيه أسباب التهييج والإثارة .

ولقد خصت المؤمنات بتوجيهات فى هذا ظاهرة ، ووصايا جليلة .

فعفة المؤمنة نابعة من دينها ، ظاهرة فى سلوكها ، ومن هنا كانت التربية تفرض الانضباط فى اللباس سترة واحتشامًا ، ورفضًا للسيرة المتهتكة والعبث الماجن .

فشرع الحجاب ليحفظ هذه العفة ويحافظ عليها ، شرع ليصونها من أن تخدشها أبصار الذين فى قلوبهم مرض .

وأحكام الحجاب فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ صريحة فى دعوتها ، واضحة فى دلالته ، ليست مقصورة علي عصر دون عصر ، ولا مخصوصة بفئة دون فئة .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحزاب : ٥٩] .

---

(١) خطبة للشيخ / صالح بن حميد من المسجد الحرام .

تقول أم سلمة وعائشة رضى الله عنهما : « لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية » (١) .

والجلباب : كل ساتر من أعلى الرأس إلى أسفل القدم ، من ملاءة وعباءة ، وكل ما تلتحف به المرأة فوق درعها وخمارها .

وإدناء الجلباب يعنى : سدله وإرخاءه على جميع بدنها ، بما فى ذلك وجهها . وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما : هو تغطية الوجه من فوق رأسها ، فلا يبدو إلا عين واحدة .

وما خوطب به أمهات المؤمنين أزواج النبى ﷺ مطالب به جميع نساء المؤمنين :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣] .

فنهى عن الخضوع بالقول والتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، وأمر بالمعروف من القول ، ولزوم القرار فى البيوت .

نساء المؤمنين فى ذلك كنساء النبى ﷺ ، بل هو فى حق نساء المؤمنين آكد وأولى كما لا يخفى .

وما قوله سبحانه : **﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾** [الأحزاب : ٣٢] إلا تأكيداً لهذا ، إذ المقصود : أنهن محل الأسوة والامتثال الأول ، ومن بعدهن أسوتهن .

وفى هذا يقول أبو بكر الجصاص : وهذا الحكم وإن نزل خاصًا فى النبى ﷺ وأزواجه، فالمعنى فيه عام فيه وفى غيره .

وفى مقام آخر ـ أيها المؤمنون والمؤمنات ـ يقول الله عز وجل : **﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾** [النور : ٣١] .

ولقد ذكر فى الآية زينتان : إحداهما لا يمكن إخفاؤها **﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾** ولم يقل إلا ما أظهرن منه ، فعلم بهذا : أن المراد بالزينة الأولى زينة الثياب ، أما الزينة الثانية : فزينة باطنة يباح إظهارها لمن ذكرتهم الآية : **﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ﴾** إلخ الآية وأنت خبير أيها المؤمن وخبيرة أيتها المؤمنة بأن ممن رخص فى إبداء

(١) أخرجه أبو داود (٤ / ٦١ ـ ح ٤١٠١) .

الزينة أمامهم : الأطفال وغير أولى الإربة من الرجال . والوجة مجمع الحسن ومحط الفتنة، فهل يرخص كشفه للبالغين وأولى الإربة من الرجال . الأمر فى هذا جلى ظاهر .

وفى نفس الآية الكريمة: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] .

وهو ما يتحلى به في الأرجل من خلخال وغيره ، فإذا كان صوت الخلخال بريدًا إلى فتنة ، فكيف بالوجه الذى يحكى الجمال والشباب والنضارة . وصوت الخلخال يصدر من فتاة وعجوز ، ومن الجميلة والدميمة .

أما الوجه فلا يحتمل إلا صورة واحدة .

يقول صاحب الدر المختار فى فقه أبى حنيفة رحمه الله :

وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لخوف الفتنة كمسه ، وإن أمن الفتنة . ويقول عليه الشارح ابن عابدين رحمه الله : المعنى أنها تمنع من الكشف لخوف أن يري الرجال وجهها فتقع الفتنة ؛ لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة ، وأما قوله : (كمسه) أي : كما يمنع من مس وجهها وكفيها ، وإن أمن الشهوة ؛ لأنه سبيل إلى الشهوة والفتنة فكذلك يغطى الوجه ؛ لأنه طريق إلى الفتنة .

وقبله قال أبو بكر بن الجصاص : والمرأة الشابة مأمورة بستر وجهها ، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج ؛ لئلا يطمع فيها أهل الريب .

وفى السنة: أيها المؤمنون والمؤمنات حين أبيح للخاطب النظر من أجل الخطبة فغير الخاطب ممنوع من النظر. والمقصود الأعظم من النظر هو الوجه؛ ففيه يتمثل جمال الصورة.

وحينما قال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » قالت أم سلمة رضى الله عنها : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ أي : الأطراف السفلى من الجلباب والرداء ـ قال : « **يرخين شبرًا** » قالت : إذا تنكشف أقدامهن . قال : « **فيرخينه ذراعًا ،ولا يزدن عليه** »(١) .

فإذا كان هذا فى القدم فالوجه أكثر فتنة فلا يعدوا أن يكون تنبيهًا بالأدنى على الأعلى. والحكمة والنظر تأبيان ستر ما هو أقل فتنة، والترخيص فى كشف ما هو أعظم فتنة .

أيها الإخوة والأخوات :

ومهما قيل فى الحجاب ، فى كيفيته وصفته ، فما كان يومًا ما عثرة تمنع من واجب ،

(١) الحديث أصله فى الصحيحين أخرجه البخارى (١٠ / ٢٦٦ ـ ح ٥٧٨٤) ، ومسلم (٣ / ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ـ ح ٢٠٨٥) ، والحديث بتمامه أخرجه الترمذى (٤ / ١٩٥ ، ١٩٦ ـ ح ١٧٣١) وقال : حديث حسن صحيح .

أو تحـول دون الوصول إلى حق ، بل لقـد كان ولا يـزال سبـيلا قـويمًا يمكن المرأة من أداء وظيفتها بعفة وحشمة وطهر ونزاهة على خير وجه وأتم حال .

وتاريخ الأمة شاهد صدق لنساء فضليات جمعن فى الإسلام أدبًا وحشمة وسترًا ووقارًا وعملا مبرورًا ، دون أن يتعثرن بفضول حجابهن ، أو سابغ ثيابهن .

وإن فى شواهد عصرنا من فتياتنا المؤمنات ، متحجبات بحجاب الإسلام ، متمسكات بهدى السنـة والكتاب قائمـات بمسئـولياتهن ، خيـر ثم خيـر ثم خير من قـرينات لهن ، شاردات كاسيات ، عاريات مائلات مميلات لا يدخلـن الجنة ، ولا يجدن ريحها متبرجات بزينتهن تبرج الجاهلية الأولى .

وليعلم دعاة السـفور ، ومن وراءهم أن التقدم والتخلف له عوامله وأسـبابه ، وإقحام الستر والاحتشام والخلق والالتزام عامـلا من عوامل التخلف ، خدعة مكشوفة ، لا تنطلى إلا على غفل ساذج ، فى فكره دخل ، أو فى قلبه مرض .

ودعاة السفـور ليسوا قدوة كـريمة فى الدين والأخلاق ، وليسوا أسـوة في الترفع عن دروب الفتن ، ومواقع الريب ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥ ـ ٥٦] .

أيها الإخوة ، إن وظيفة المرأة الكبرى ، ومهمتها العظمى فى بيتها وأسرتها وأولادها ، وكل ما تتحلى به من علم ووعى يجب أن يكون موجها لهذه المهمة وتأهيلا لهذه الوظيفة .

الرجل هو الكادح في الأسـواق والمسؤول عـن الإنفاق ، والمرأة هي المربى الحـانى ، والظل الوارف للحياة ، كلما اشتد لفحها ، وقسا هجيرها .

وإن انسـلاخ أحد الجنسين عن فطرته من أجل أن يلحـق بجنس ليس منه ؛ تمرد على سنة الله، واعوجاج عن الطريق المستقيم. ولن يفيد العالم من ذلك إلا الخلل والاضطراب، ثم الفـساد والدمار. ومـا لعن المتشـبهـون من الرجال بالنسـاء ولا المتشـبهات من الـنساء بالرجال، إلا من أجل هذا .

وسوف تحيق اللعنة ، ويتحقق الإبعـاد عن مواقع الرحمة فى كل من خالف أمر الله ، وتمرد على فطرة الله .

نفعنى الله وإياكم بهدى كتابه ، وبسنة نبيه محـمد ﷺ ، وأقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على جزيل النعماء، والشكر له على ترادف الآلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وسيد الأولياء، صلي الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأتقياء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المؤمنون، كما أمرت المؤمنة بلزوم الحجاب عند خروجها ومقابلة غير المحارم فقد أمرت أن تقر فى بيتها فبيتها خير لها، ووظيفتها في بيتها من أشرف الوظائف فى الوجود، وما يحسنها ولا يتأهل لها إلا من استكمل أزكى الأخلاق، وأنقى الأفكار.

إن من الخطأ فى الرأى والفساد فى التصور، الزعم بأن المرأة فى بيتها قعيدة لا عمل لها، فما هذا إلا جهل مركب، وسوء فهم غليظ، سوء فهم بمعنى الأسرة، وجهل بطبيعة المجتمع الإنسانى، والتركيب البشرى.

والأشد والأنكى: الظن بأن هذه الوظيفة قاصرة على الطهى والخدمة، إنها تربية الأجيال والقيام عليها؛ حتى تنبت نباتًا حسنًا، ذكورًا وإناثًا، إنها فى الإسلام تعدل شهود الجمع والجماعات فى حق الرجال، وتعدل حج التطوع والجهاد.

جاءت أسماء بنت السكن الأنصارية الأسهلية رضى الله عنها الملقبة بخطيبة النساء. جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، إن الله بعثك للرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات، مقصورات مخدورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وفضلتم علينا بشهود الجنائز، وعيادة المرضى، وفضلتم علينا بالحج بعد الحج، وأعظم من ذلك الجهاد فى سبيل الله. وإن الرجل منكم إذا خرج لحج أو عمرة أو جهاد؛ جلسنا فى بيوتكم نحفظ أموالكم، ونربى أولادكم، ونغزل ثيابكم، فهل نشارككم فيما أعطاكم الله من الخير والأجر؟ فالتفت النبى ﷺ بجملته[1] وقال: «هل تعلمون امرأة أحسن سؤالا عن أمور دينها من هذه المرأة؟» قالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تسأل سؤالها، فقال النبى ﷺ: «**يا أسماء، افهمى عنى أخبرى من وراءك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لرغباته يعدل ذلك كله**» فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر وتردد: «يعدل ذلك كله، يعدل ذلك كله»[2]. فهل يفقه هذا نساء المؤمنين؟؟.

---

(١) أى بجسده كله.

(٢) أخرجه البيهقى في شعب الإيمان (٦ / ٤٢٠، ٤٢١ ـ ح ٨٧٤٣).

تربية الأولاد(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أرشد الخلق إلى أكمل الآداب ، وفتح لهم من خزائن رحمته وجوده كل باب ، أنار بصائر المؤمنين ، فأدركوا الحقائق وطلبوا الثواب ، وأعمى بصائر المعرضين عن طاعته ، فصار بينهم وبين نوره حجاب ، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، الملك العزيز الوهاب ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بأجل العبادات، وأكمل الآداب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، رراقبوه فى السر والنجوى قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

عباد الله :

الأولاد هبة الله للآباء ، تسر الفؤاد مشاهدتهم ، وتقر العين برؤيتهم ، وتبتهج النفس بمحادثتهم ، فهم ريحانة الألباء ، وزهرة الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾[الكهف : ٤٦] ،وجاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبى ﷺ فضمهما إليه وقال : « **إن الولد مبخلة مجبنة** » أخرجه ابن ماجة ، أى : « من أجلهم يبخل الإنسان ويجبن » .

هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة .

الولد أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة نفيسة وهى قابلة لكل نقش ، فإن عود الخير نشأ عليه ، ولأبويه الأجر والثواب ، وإن عود الشر نشأ عليه ،وكان الوزر فى عنق أبويه .

لهذا نجد الرسول ﷺ يحدو الوالدين على تربية الأبناء ويحضهما عليها ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ـ وفيه ـ والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته** » رواه البخارى ومسلم .

هذه المسؤولية أضاعها بعض الآباء ، فاهتماماتهم الأرضية ، ومطامحهم الدنيوية ،

---

(١) خطبة للشيخ / عبد البارى الثبيتى من المسجد النبوى .

قتلت أوقـاتهم ، وأنهكت قواهم ، وأشغلت فكرهم بهمـوم دنياهم ، ففـقد الأولاد أبوة التوجيه ، أبوة التربية ، أبوة العطاء والخبرة .

كـيف يمارس التـربيـة وهو لا يعيش حـيـاة أولاده ، لا يناقش همـومـهم ، لا يحل مشكلاتهم ، لا يصحح مسارهم ، لا يهذب أخلاقهم ، فالتربية ليست مجرد طعام طيب، وشراب هنيء ،وكسوة جميلة .

ويعظم الخطب حين تضيع الأم التربية بمشاغلها واهتماماتها ، يضع الرسول ﷺ قاعدة أساسية مفادها أن الولد يشب على دين والـديه ، فقد أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيـامة قبل أن يسأل الولد عـن والده ، فإنه كما أن للأب على ابنه حـقًا ، فللابن على أبيه حق » ، ثم يقول : « فمن أهمل تعليم ولده ما ينفـعه وتركه سدى ، فقد أساء غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء ،وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عابت بعـضهم ولده على العقـوق فقال : يا أبت إنك عـققتنى صغـيرًا فعـققتك كبـيرًا ، وأضعتنى وليدًا فأضعتك شيخًا » انتهى كلامه رحمه الله .

تدبر دعوة إبراهيم عليه السلام : ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

من عظم الإيمان فى قلب الخليل عليه السـلام أن تكون أمنيته ذرية صالحـة ، إن غيره يطلب لذريته الغنى والرياسة ، أو مـا شاء من متع الحياة الدنيا ، لكن أنـبياء الله لهم شأن أعلى وأمنية أسمى .

عرف الأولـون ما للأبناء من أثر فى حـياة الأمـة ، إذ هم الدم الحار الذى يتـدفق فى عروقها ، والشمس الساطعة التى تضىء جـوانبها ، والسلاح القوى الذي يوجه إلى صدور أعدائها ، والدرع الواقى الذى يحمى حماها ويحقق لها المجد والعزة .

وبفضل التربية على العقيدة الصافية ، والأخلاق السامية ، خرج لنا السلف أكرم جيل وأفضل رعية ، ولو سبرنا أحوالهم وتتـبعنا سيرهم ، لوجدنا أن وراء كل واحد منهم تربية عميقة .

هذا أنموذج لأم من أمهات السلف ، جعلت من ولدها بفضل الله علمـا شامخًا وإمامًا

جليلا ، حيث تقول لابنها أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري : « يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي » ، تتخوله بالموعظة وتؤدبه ، تغذي القلب والروح ، وتشحد الهمة بالطموح ، فتقول له : « يا بني إن كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » .

قلب تاريخ هؤلاء وغيرهم تر أن وراء العظماء تربية إيمانية ، أساسها أب همام وأم قديرة .

أما رسول الله ﷺ فقد كانت تربية الأولاد همًا من همومه ، تستغرق جانبًا من وقته ومهماته ، ها هو يركز في قلوبهم العقيدة والإيمان ، ويعلمهم التقوى والإيمان ، ويقوي صلتهم بالله ، فيقول لابن عباس رضي الله عنهما : « **يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله**» رواه الترمذي .

كان يرحمهم ، ويبعث في نفوسهم الثقة ،ويكرمهم ، يحرك مشاعر الأطفال ويشعرهم بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب ، قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فقال رسول الله ﷺ : « **من لايرحم لا يرحم** » رواه البخاري .

يحثهم على العلم والتعلم ، ويهيىء لهم أسبابه ، ويضم ابن عباس رضي الله عنهما داعيًا له بقوله : « **اللهم علمه الكتاب** » رواه البخاري .

يعلمهم الآداب الكريمة ، والخلال الحميدة ، فعن عمرو بن أبي سلمة قال : « كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله ﷺ : « **يا غلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك** » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عامر قال : « دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعالى أعطيك ، فقال لها رسول الله ﷺ : **وما أردت أن تعطيه ؟** قالت : أعطيه تمرًا ، فقال لها رسول الله ﷺ : « **أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة** » أخرجه أبو داود .

إذا وجد الولد أمه تكذب على أبيه ، أو وجد أباه يكذب على أمه ، أو وجد أحدهما يكذب على الجيران ، ولوكان ذلك مرة واحدة فإنها كفيلة بأن تدمر قيمة الصدق في نفسه، ولا ينفعهما حينئذ في تقرير قيمة الصدق في نفس الولد أن يرددا على سمعه النصائح والمواعظ في ذلك .

وكذلك لو وجد أمه أو أباه يغش أحدهما الآخر ، أو يغشان فى قول أو فعل ، مرة واحدة فإن تلك المرة من غشيان الغش كفيلة بأن تدمر قيمة الاستقامة فى نفسه ، ولو انهالت على سمعه التعليمات ، وهكذا فى كل القيم والمبادئ التى تقوم عليها الحياة الإنسانية .

إن السباق المحموم ، والغرور المشؤوم لسرقة أولادنا من بيتنا ، سرقة أفكارهم وعقولهم وقلوبهم آثاره خطيرة .

فالعلم اليوم ـ وقد اتصل شرقه بغربه ، وتقارب أعلاه من أدناه ـ تموج فى سمائه فضائيات مهلكة ، وقنوات مدمرة ، وأفكار مبلبلة ، وتتلوث أرضه بمخدرات مفسدة ، وقصص ماجنة ، وروايات خليعة ، ناهيك عن شياطين الإنس والجن ، كل ذلك يهدم معالم الشخصية الإسلامية ، وبناء معالم شخصية أخرى يتغلغل فيها الانحراف ، وتستهويها الجريمة ،وتمارس التمرد والعقوق .

إن الذى يهمل تربية ولده وإعداده، ليس يقتل نفسًا واحدة ،ولكنه يقتل خلقًا كثيرًا ، ويجنى بعد هذا على الأمة كلها، حين يصير هذا الولد أستاذًا أو مسؤولاً أو قيمًا على أسرة.

وقوام التربية الحقة وملاكها أن تجتمع عليها تدبيرات ولاة الأمور والعلماء والآباء : كل فى منصبه ومكانته .

إلا أنه قد بقى منصب الآباء وحق الرعاية المنوطة بهم مطالبًا بيقظة دائمة ، وتربية إيمانية عميقة ، كما يفرض منصب الإصلاح بالمؤسسات التربوية على اختلاف مواقعها اهتمامًا مكملا للبناء والإصلاح ، فننمى فيها وبها بذرة التدين ، ونتعهدها بالنماء ، ونحفظها من أيدى العابثين ، ليكون أبناء الجيل فاعلاً لا غافلاً ، مؤثرًا لا متأثرًا ، متبوعًا لا تابعًا ، مصلحًا لا مقلدًا ، ويكون لبنة بناء وإشعاع خير لمستقبل مجتمعه ، وحضارة أمته، له انتماؤه الإسلامى المتميز، وعقيدته الراسخة ، وجديته الماضية .

إن الجيل الذى لا يعرف إلا الترف والبذخ والانغماس فى الملذات جيل ناعم ، لا يصلح لشدائد الحياة ، يهرب من تحمل الأعباء ، ينشأ نشأة لينة طرية ، لا رجولة فيها ولا خشونة ، لا صبر ولا مصابرة ، يشعر بالعجز عن القيام بواجبه ، وتحقيق معالى الأمور ، لم يترب على بذل الجهد والتضحية لخدمة أمته ،وسعادة مجتمعه ، فقد اعتاد الأخذ ولم يتعود على العطاء .

إن الأمم التى بعد صيتها ـ قد دخلت التاريخ ـ لبلوغها عنان السماء فى الصنائع

والمآثر، التي يناط بمثلها الذكر الجميل على وجه الدهر ، ويخلد الثناء الطيب على تراخي الأحقاب ، لم تكن لتحقق شيئًا مما حققت ، ما لم تكن تملك قدرًا من حياة الجد والهمة العالية ، هذه سنة الله في الحياة أن لا ينجح إلا الجادون أصحاب الهمم العالية .

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كان يقول كل يوم : « **اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل** .... » رواه البخارى .

وفى العاجز الكسول يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « لا يزال فى حضيض طبعه محبوسًا ، وقلبه عن كماله الذى خلق له مصدودًا منكوسًا ، قد أسام نفسه مع الأنعام ، راعيًا مع الهمل ، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة ، واستلان فراش العجز والكسل ، لا كمن رفع له علم ، فشمر إليه وبورك له فى تفرده فى طريق طلبه ، فلزمه واستقام عليه ».

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل لترفع درجته فى الجنة فيقول : أنى هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك** » أخرجه ابن ماجه .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فقد حذر الرسول ﷺ من الدعاء على الأولاد ، ذلك أن دعوة الوالد مستجابة ، وما يدريك أنها قد توافق ساعة إجابة ، فيشقى الولد بعدها شقاء عظيمًا ، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم** » رواه أبو داود .

وقال : « **ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن : دعوة المظلوم ،ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده** » أخرجه ابن ماجه .

ما دامت دعوتك مستجابة فلم تحرم ولدك وفلذة كبدك فضل دعوة صالحة تكون سببًا إن شاء الله تعالى فى هدايته ، واستقامته ، وبركته ومصدر خير ، وسبب أمن لوالديه ، ومجتمعه وأمته .

فهؤلاء أنبياء الله ورسله لا يغفلون عن الدعاء والالتجاء إلى الله أن يهب لهم ذرية صالحة قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، ولما وهب الله له يحيى قال : ﴿ **وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾ [مريم : ٦] .

من الواجب علينا أن نغرس فى قلوب الأولاد الإيمان ومحبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، وأن نملأ أوقات فراغهم بالمفيد ، بل إن أعلى المطالب وأشرف المواهب اشتغالهم بحفظ كتاب الله تعالى ، فهو يزكى نفوسهم ويحفظ أوقاتهم ، يحميهم من الضياع والانحراف ، يفجر ينابيع الحكمة فى قلوبهم ، ففضائل القرآن لا تخفى .

يملأ أوقات فراغهم بمزاولة حرفة أو صناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فذلك من أشرف المكاسب ، والإسلام كرم العمال ، واعتبر كسب الرجل من يده من أفضل القربات ، لقد

كان النبي ﷺ يزاول التجارة قبل مبعثه ، وهو القائل كما روى البخاري : « **ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم**» ، فقال أصحـابه : وأنت ؟ فقال : «**نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**» .

وأخرج البخاري عنه عليـه الصلاة والسلام أنه قال : « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** » .

من الواجب على الأب أن يجنب أولاده الـكسل والبطالة ، فإن لـهمـا عواقب سـوء ومغبة ندم .

يشوقـهم إلى الذهاب للمسـجد صـغارًا ، ويحملهم عـليه كبـارًا يخصص لهم وقـتًا يؤنسهم فيه ، يسليـهم ، يعلمهم ما يحتاجون إليه ويقص عليـهم أحسن القصص ، يشبع عواطفهم بالرعاية والرحمة والحنان ، يصطحبهم لحلق العلم والمحاضرات والندوات ، يقيم لهم حلقة علمية في بيته ، يعلمهم فيها القرآن وحسن الاستماع وأدب الحوار .

يحذرهم أصحاب السوء أن يلتقطوه فيهووا به إلى دركات الرذيلة وارتكاب الجريمة .

ومسك الختام تشويقهم إلى سيرة سـيد الأنام ﷺ ، فهي التطبيق العملي لمعاني القرآن والأخلاق العظيمة ، ولما لها من تأثير محـبب في النفس ، ولما تحمل في حياتها من معاني الحب والإخلاص .

التربية تحتاج إلى صبر ومصابرة ودعاء ومـتابعة ، فربما استجاب الولد بعد حين وادكر بعد أمة .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير . . . .

نحو تربية أمثل فى عصر الفضائيات (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم كان شره مستطيراً ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، بعثه بين يدى الساعة هاديًا ومبشراً ونذيراً ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً صلى الله وسلم ويارك عليه وعلى أصحابه ،وجزاه عن أمته ودعوته جزاء وفيراً .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة المسلمون ، أوصيكم ونفسى بتقوى الله - جلا وعلا - فعليكم بتقوى الله - رحمكم الله - اتقوه سبحانه فى أنفسكم وأسركم وأهليكم ، اتقوه فى أولادكم ورعاياكم ، ومن تحت أيديكم ، اتقوه ؛ يقيكم ، ويغنيكم ، ويهديكم .

عباد الله ، أرأيتم بماذا يقاس تقدم الأفراد والمجتمعات ؟! وبأى معيار يوزن رقى الشعوب والبيئات ؟! وعلى أى أساس تبنى الأمجاد وتشاد الحضارات ؟! كل ذلك لا يتم إلا بالعناية الفائقة بموضوع فى غاية الأهمية ، موضوع هو هاجس العلماء والمربين ، وقضية الدعاة والمصلحين ، وهم المفكرين والغيورين ، وقبل ذلك وبعده : هو أمنية الآباء والأمهات ، والعملية الكبرى للمدرسين والمدرسات ، والمربين والمربيات ؛ كما أنه مطلب ملح لدى الدول والحكومات ؛ كم بذلت من أجله أزمنة وأوقات ! وكم دعم بكثير من الإمكانات والقدرات ! كم صرفت لتحقيقه جهوداً وكم أنفقت فى سبيله أموال بلا حدود ! وليس ذلك بكثير على موضوع متى ما تحقق فى أمة ، عزت وسادت ، وأفلحت وقادت ، وإذا أهمل ، حل فيها الفساد والدمار ، وحصل لها الخراب والبوار ؛ حينذاك قل : على الأمة العفاء (٢) ، وسطر على أنقاضها (٣) عبارات العزاء !

أتدرون - يا عباد الله - ما ذلكم الموضوع المهم ؟! إنه « موضوع التربية » ، وكفى بها من مهمة ! وأعظم بها من أمانة ومسؤولية ! .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) العفاء : الهلاك والدروس وذهاب الأثر . « اللسان » (عفو) .

(٣) الأنقاض : جمع نقض ، وهو المنقوض ، أى : المهدوم . « تاج العروس » (نقض) .

معاشر المسلمين ، إن مسؤولية تربية الأجيال ، وإعداد النساء والرجال - مسؤولية عظمى ، وإن قضية العناية بفلذات الأكباد ، وثمرات الفؤاد من النشء والأولاد - قضية كبرى ، يجب على أهل الإسلام أن يولوها كل اهتمامهم ؛ لأن مقومات سعادتهم - أفرادا ومجتمعات - منوطة بها ؛ ولذلك فإنه لا بد من الإعداد لها أيما إعداد ؛ رسما للمناهج ، وإعدادًا للخطط ، وتضافرا فى الجهود ، وتولية للأكفاء ؛ لتتم العملية التربوية سليمة من تعثر الخطا ؛ بعيدة عن التناقض والازدواجية، مجانبة للتقليد والتبعية ؛ اعتزازًا بشخصيتنا الإسلامية ، وشموخًا فى مناهجنا الشرعية ، مترسمين هدى القرآن الكريم ، ونهج السنة النبوية .

إخوة الإسلام ، إن ضرورتنا للتربية الإسلامية من أعلى الضرورات ، وحاجتنا إليها أشد إلحاحا من كل الحاجات ؛ فما قيمة الأجساد والأبدان بلا قيم ولا أديان ؟! وما قيمة الصور والأشباح بلا عقول ولا أرواح ؟! وهل تغنى القوالب إذا فسدت القلوب ؟! فى الأجساد تشترك كل الكائنات ، وفى البحث عن الطعام والشراب تشارك الإنسان فصائل الحيوانات ، وفى الحاجة إلى الغذاء والهواء يشترك المؤمنون والكفار ، والأبرار والفجار ، والأخيار والأسرار ، لكن بالمبادىء والقيم ، بالتربية والتعليم ، بالعقيدة والإيمان : يستقبل أهل الإسلام !

إخوة العقيدة ، كم تعانى المجتمعات البشرية اليوم من مصائب وحوادث ؟! وكم تجرعت من ويلات وكوارث ؟! لماذا ارتفعت معدلات الجرائم بما يذهل العقول ؟! لم يكن ذلك ليحدث إلا لما أهملت قضية التربية ، وما تفشى الظلم والطغيان والفساد إلا لما أسيئت تربية الإنسان ، وانحرفت أخلاقياته ، وانجرفت سلوكياته فى مهاوى الردى والضياع ، لقد خلفت خلوف ، ووجدت أجيال بعد أجيال ، منتكسة الفطرة ، معدومة التربية ، لا تعرف حقوق الله ، ولا حقوق عباد الله ، لا يحملون رسالة ، ولا يحققون هدفا ولا غاية ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرًا ، حياتهم لهو وبطالة ، وأحوالهم شر وغواية ، فى الرذائل غارقون ، وللفضائل تاركون ، لا خير فيهم للبلاد ولا للعباد ؛ فأى جناية على المجتمع أعظم من هذه ؟!

إن وجود أجيال فى معزل عن التربية الحقة : جريمة فى حق المجتمع ، وجناية على الأمة بأسرها ؛ كم اشتكت المجتمعات من انحراف الأحداث ! وكم اشتكى الآباء من تمرد الأبناء ! وكم عانى الوالدان من العقوق ، وإهمال أبنائهم فى أداء الحقوق ؛ متناسين أن مكمن الداء فى هذه المشكلات كلها هو سوء التربية ! .

لذلك كان حقًا على أهل الإسلام : أن يقوموا بمسؤولياتهم فى تحقيق هذا الأمر بكل

ما أوتوا من إمكانات ، وأن تتكاتف فى ذلك جميع القنوات : البيت والأسرة ، الوالدان والأقارب ، المدارس والجامعات ، المساجد والمنتديات ، المجتمع بكافة فئاته ، وسائل الإعلام بشتى قنواتها ، الكل يجد فى التربية والبناء ، وغرس القيم والأخلاق فى البنات والأبناء ؛ ليخرج جيل مثالى من الرجال والنساء .

أمة الإسلام ، لقد عنى ديننا الإسلامى بقضية التربية عناية كبيرة لم تشهد المجتمعات البائدة (١) والمعاصرة لها مثيلا ، عناية لم تقم بها الأنظمة التربوية شرقيها وغربيها ، بعيداً عن الفلسفات المعقدة ، والأفكار الملوثة ؛ فأبدع الإسلام ، وأخفقت جهود المفتونين بأعدائه، وسطع نور الهداية على البشرية ، وأظلمت حياة المعرضين عن طريق الهداية الربانية ، وإن انتفشت ألقابهم ، وخدعوا السذج بمعسول كلامهم بدعوى التجديد والمعاصرة ، والحق : أن كل النظريات التربوية هى فى معزل عن هدى القرآن والسنة النبوية، إنها إفلاس ما بعده إفلاس ، فماذا قدمت للبشرية إلا الضياع والدمار ، حين استجارت من الرمضاء بالنار (٢) ؟! ولا منفذ لأجيال العالم إلا بالتربية على الإسلام ، حيث الهدف السامى ؛ وهو تحقيق العبودية لله الواحد القهار ، وتسخير كافة الجوانب لخدمة هذا الأصل الأصيل ؛ وكذا تربية الأجيال على أنهم حملة عقيدة ، وأرباب هدف وغاية ، وأصحاب إيمان وخلق ؛ يتجلى ذلك فى أقوالهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم كافتها .

إخوة الإيمان ،وحينما نقف بعض الوقفات مع أهم القنوات المسؤولة عن التربية فى المجتمعات ، نرى أن البيت هو القاعدة الأساسية للتربية ، والأسرة هى النواة الأولى فى القيام بالعملية التربوية ، ويبدأ ذلك من اختيار الزوجة الصالحة ذات المنبت الحسن والمعدن النفيس ؛ حيث تعد الزوجة لتكون مربية فضلى ،ومدرسة أولى ، ويتدرج ذلك حتى يفتح الطفل عينيه فى أحضان أبويه ؛ ليجد العناية المعنوية ، والتربية الإيمانية ؛ قبل العناية المادية، انطلاقًا من واجب الإسلام فى ذلك ؛ يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾[التحريم : ٦] .

قال أهل العلم : « **أى : علموهم وربوهم وأدبوهم بما يكون وقاية لهم من عذاب الله**»(٣) ، وتلك أمانة عظيمة ، الويل كل الويل لمن خانها ؛ يقول ﷺ فيما رواه الشيخان،

---

(١) المجتمعات البائدة ، أي : المنقرضة الهالكة . « اللسان » (بيد) .

(٢) من أمثال العرب قولهم : « كالمستجير من الرمضاء بالنار » ، وأصله بيت لكليب وائل ، وهو قوله:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

انظر : « مجمع الأمثال » (١ / ٣٧٥) .

(٣) انظر : « زاد المسير » لابن الجوزى (٨ / ٣١٢) ، و « تفسير ابن كثير » (٨ / ١٦٧) .

عن ابن عمر - رضى الله عنهما : « **كلكم راع ،وكلكم مسئول عن رعيته**» (١) .

فى البيت يتعلم الطفل - وهو فى مدارج صباه - ما يكون عليه أبواه ؛ فهما القدوة له، يتأسى بأفعالهما ، ويقتدى بأقوالهما وأعمالهما ؛ لذلك فإن مسؤولية الأبوين فى توجيه الابن عظيمة ، يقول ﷺ فى بيان عظيم تأثير الأبوين على ابنهما : « **كل مولود يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه** »(٢) ،وروى الترمذى وغيره ؛ أنه ﷺ قال: « **ما نحل**(٣) **والد ولده أفضل من أدب حسن** » (٤) ،وقال - عليه الصلاة والسلام - : «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع** »(٥) .

هذه توجيهات تربوية للبيت المسلم ، حيث يتربى النشء فيهم على العقيدة والفضائل؛ كما يتروى من الزاد الحسى ، بل أكثر ؛ ومن هنا فإن كثيرًا من الآباء والأمهات يخطىء حينما يقصر التربية على إشباع الرغبات ، والتركيز على الماديات .

فيا أيها الآباء والأمهات ، اتقوا الله فى أولادكم ، كونوا قدوة لهم فى الخير ، نشؤوهم على العناية بكتاب الله ، والاهتمام بسنة رسول الله ﷺ ، اسلكوا فى تربيتهم منهج الإسلام ، تحلوا بالرفق فى معاملتهم ، والحزم عند تكرر أخطائهم ، وحذار أن تظهروا أمامهم بمظهر غير لائق ، عودوهم على فعل الخير للغير ، والتخلق معهم بأحسن الأخلاق، عودوهم عفة اللسان ، والبعد عن السباب والشتائم ، وقول الزور والبذاءة ونحوها، إياكم أن يطلع الأولاد على الخلافات بينكم ! لما يجره ذلك من ضرر على نفسياتهم ، وتحطيم لمعنوياتهم .

وإياكم ثم إياكم أن تكلوا عملية تربيتهم للخادمين والخادمات !! فهم ضرر على الأسرة ؛ لما يحملونه فى الغالب من أفكار وأخلاق وعادات ثبت فى الواقع خطرها ، وثبت لدى كل غيور شرها وضررها ، أبعدوهم عن قرناء السوء ، تابعوهم فى صلواتهم وخلواتهم ، تابعوهم مع من يمشون ؟! ومن يصاحبون ؟! ماذا يقرؤون ؟! وماذا يسمعون؟! وماذا يشاهدون ؟! كونوا الرقابة المكثفة المقرونة بمشاعر المحبة والحنان والشفقة ،

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه البخارى (١٣٨٥) ، ومسلم (٢٦٥٨) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٣) نحله : أعطاه بلا عوض . « تاج العروس »(نحل) .

(٤) رواه أحمد (٣ / ٤١٢) ، والترمذى (١٩٥٢) ، والحاكم (٤ / ٢٦٣) .

(٥) رواه أحمد (٢ / ١٨٠) ، وأبو داود (٤٩٥) ، والحاكم (١ / ١٩٧) ؛ من حديث عبد الله ابن عمرو ، رضى الله عنهما .

فالراعى الفطن لا يهمل رعيته فى أرض المسبعة(١) .

حذار أن تتسلل إلى الأسر - باستئذان أو بغيره - ألوان من الغزو الفكرى والخلقى ؛ فتهدم ما بنيتموه ، وتنقض ما شيدتموه ، نشؤوهم على الفضيلة ، والبعد عن الرذيلة .

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه !

ادعوا الله لهم دائمًا بالهداية والصلاح ؛ كما كان أنبياء الله ، عليهم صلوات الله وسلامه :

فهذا الخليل - عليه السلام - يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات : ١٠٠] ، ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، ويقول : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وهذا زكريا - عليه السلام - يقول : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨] ، وما قيمة الذرية ، إن كانت غير طيبة ، والعياذ بالله ؟!

وهذا لقمان الحكيم فى وصاياه المشهورة لابنه الواردة فى سورة لقمان(٢) .

وهذا نبيكم وقدوتكم محمد ﷺ فى توجيهاته وتربيته للشباب قولاً وفعلا .

علموهم آداب الطعام والشراب والمنام ، والمخالطة والمساجد .

فاتقوا الله - أيها الآباء والأمهات - تابعوا أبناءكم ؛ فإنهم أمانة في أعناقكم ، واحذروا من ترك الحبل لهم على الغارب .

أخى المسلم المبارك ، وإذا سألت عن القناة الثانية فى تنشئة الأجيال فى ظلال التربية على الإسلام ، وجدتها « المدرسة » ؛ حيث يبرز دورها التربوى ؛ فما ظنك بمكان يقضى فيه الشاب شطر يومه ، ويمارس فيه ألوانًا من الأعمال ؟! لا شك ولا ريب أن المدارس ثغور مهمة ، وقلاع حصينة ، يجب أن يقوم المسؤولون عنها بواجبهم حق قيام ، تعليمًا وتربية وإصلاحًا .

فيا أيها المدرسون والمدرسات ، اتقوا الله فيما حملتم من أمانة تعليم أبناء المسلمين ، كونوا قدوة لهم فى الخير ، نشئوهم على حب التربية والتعليم ، امزجوا بين العمليتين كلتيهما ،وكونوا الجسور المتواصلة بين المدرسة والأولياء ؛ ليتحقق صلاح الأبناء بإذن الله ، حذار أن تخالفوا أقوالكم بسلوككم وأفعالكم ! لا ير الطلاب منكم أمرًا محرمًا ؛ فو الله لا

---

(١) أرض مسبعة ، أى : كثيرة السباع . « اللسان » (سبع) .

(٢) انظر : الآيات رقم (١٣) إلى (١٩) من سورة لقمان .

ينفع العلم بدون أدب ولا خلق ولا تربية !

وحين يأتى دور « المسجد » - يا عباد الله - نجده واحة الأمن والأمان ، والراحة والاطمئنان ،ويتعلم فيه الناس التلاوة والصلاة ، والذكر والدعاء ، ولا ريب أن للمساجد والمدارس دورًا كبيرًا فى التربية ؛ فهى معاقل حصينة ، وقلاع عتيدة ، وثغور مهمة ؛ حيث إنها تشع نورًا وإصلاحًا فى المجتمع بأسره .

أما وسائل الإعلام ، فمسؤوليتها من أعظم المسؤوليات ، لا سيما في هذا العصر الذى هو عصر الإعلام وكفى ؛ فالواجب استثمار هذه الوسائل بالتربية والتنشئة لأجيال المسلمين؛ لأنها دخلت كل بيت ، وعمت كل مدينة وقرية ، فاستثمارها فى الخير متعين ، وفى نشر الفضيلة متحتم ، وما إخال المسؤولين عنها إلا على دراية بذلك ، وحدث ولا حرج عما تموج به القنوات الفضائية ، والشبكات المعلوماتية ؛ مما يفسد التربية ، مما يتطلب وعيا عميقًا ، وحذرًا شديدًا .

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا إلى تربية أبنائنا وبناتنا على ما يحبه ويرضاه ؛ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان : ٧٤] ، ربنا هب لنا من ذرياتنا من يكون صالحًا مصلحًا ، هاديًا مهديًا ؛ يا سميع الدعاء !

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ،وتوبوا إليه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ذى المنن والآلاء والعز والعظمة والكبرياء ، المستحق لأعظم الشكر ،وأجزل الثناء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الأنداد والنظراء ، والأمثال والشركاء ، أوجب على الأمهات والآباء ، حسن تربية البنات والأبناء ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله إمام الحنفاء ، وقائد الأصفياء ، وأُصل من قام بالتربية والإصلاح والبناء ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأوفياء ، وصحبه الأتقياء ، ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسماء .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وقوموا بما أوجب الله عليكم من تربية أنفسكم وأولادكم ومن تحت أيديكم ؛ فقد عرفتم جميعًا أهمية هذه القضية ، لا سيما فى هذه الأعصار المتأخرة ؛ فوالله الذى لا إله غيره ! لو قمنا بهذه القضية ، لم نشتك من مشكلات ، ولم نعان من جرائم وانحرافات ، ولاختفت مظاهر الانحلال ، وتلاشت معاطب الاختلال .

بيد أن هناك ـ يا عباد الله ـ جزئية لها أهميتها الخاصة فى هذه القضية التربوية العامة ، ألا وهى: العناية بتربية المرأة : بنتًا ، وأختًا ، وزوجة ، لا سيما تنشئتها منذ الصغر على الفضيلة والحياء ؛ ولله در القائل :

من لى بتربية النساء فإنهـا ... فى الشرق علة ذلك الإخفاق ؟
ربوا البنات على الفضيلة إنها ... فى الخافقين لهن خير وثاق
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا(١) ... بالرى أورق أيمان إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق (٢)

فما عانت مجتمعات اليوم من المظاهر المحرمة ، والمناظر المثيرة ، إلا لما أهملت تربية المرأة ،وما عمت الفتنة بمظاهر التفسخ والتبرج والتبذل ، والسفور والاختلاط ، إلا لما أهملت تربية المرأة ؛ فليتق الله القوامون على النساء من الأزواج والآباء فليؤدبوهن ويأخذوا على أيديهن ، ويلزموهن بالقرار فى البيوت ، والحجاب الشرعى ، حتى لا يفتن ولا

---

(١) الحيا : المطر ؛ لإحيائه الأرض . « تاج العروس » (حيى) .

(٢) الأبيات من قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم . انظر : « ديوانه » (١ / ٢٣٠) .

يفتن، فيأتين على بنيان التربية من القواعد .

ومن الخطأ كل الخطأ ، والخيانة فى الأمانة : إهمال المرأة ، والانسياق وراء طلباتها ، دون سؤال عن حلال أو حرام ، ودون رقيب أو حسيب ، فى لباسها وسائر اهتماماتها ، وقد وصل الحال ببعض الناس أن يعمد إلى جلب الصور الفاضحة ، والمظاهر المحرمة ، والوسائل المثيرة ، فيتركها بين أبنائه وبناته .

ألقاه فى أليم مكتوفًا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء !

فليتق الله الجميع فيما اؤتمنوا عليه ، وليقوموا بواجب التربية ، كل فى مجاله ؛ يصلح الحال ، ويسعد المجتمع ؛ بإذن الله .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على معلم البشرية ، وقائد البرية ؛ كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ضوابط التعامل بعد الطلاق(١)

الحمد لله أمر بالعدل والإحسان ونهى عن الظلم والعدوان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد ولد عدنان ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه أهل التقوى والإيمان .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون لا خير إلا فى التقوى ، ولا صلاح إلا فى طاعة المولى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

إخوة الإسلام :

إن فى الإسلام وشريعته إقامة للحياة الأسرية على قاعدة العدل والمعاملة بالإحسان وتحريم الظلم والعدوان ، ألا من الظواهر السيئة والصور القبيحة ما يحدث من التصرفات بعد الافتراق ومن السلوكيات بعد الطلاق ما لا يقره الشرع القويم ، ولا يرضاه الطبع السليم ولا الخلق الكريم .

يقول - جل وعلا : ﴿ **وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٣٧].

جاء فى التفسير : « أن من مضامين هذه القاعدة الحث على التعاطف والتراحم ، والترغيب فى المعروف والفضل ، والتعامل بالإحسان والصلة والشفقة » .

إخوة الإسلام :

إنها أفعال تحدث بعد الطلاق هى من الظلم المبين ومن العدوان العظيم الذى حذر منه رب العالمين ، عن أبى ذر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** » ؛ الحديث رواه مسلم .

إنها أفعال تحدث بعد الطلاق من الزوجين تتضمن السعى إلى الإضرار بالآخر ، وإلحاق الأذية به والحرص على إعناته ، وإلحاق المشقة به ، وذلك أمر محرم فى شرع الله - جل وعلا - وعلى لسان رسوله ﷺ، يقول ربنا - جل وعلا : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٨] ، ويقول -

(١) خطبة الشيخ / حسين آل الشيخ من المسجد النبوى .

سبحانه ـ : ﴿ **لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وفى الحديث المشهور عن النبى ـ ﷺ ـ : « **لا ضرر ولا ضرار** » ، وفى لفظ : « **من ضار ضار الله به ، ومن شاق شق الله عليه** » .

ولهذا فمن الأصول الفقيهة المعتبرة قاعدة منع التأسف فى استعمال الحق .

يقول الشاطبى ـ رحمه الله ـ : « الأصل عصمة الإنسان عن الإضرار به وإيلامه » ، ويقول العلماء : « إن الله ـ جل وعلا ـ حينما قال : ﴿ **وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، ختم هذه الآية بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، وهذا يجرى مجرى التهديد بما قد يحدثه أحد الزوجين بالآخر من ضرر بعد الطلاق ، أو إهمال فى واجب عليه ، أو أداء حق مترتب عليه ، بل الذى ينبغى فى الإسلام أن يكون الإنسان عادلا فى تعامله مع كل أحد ، فكيف بمن سبق أن ربط بينهما رباط عظيم وهو الزواج الشابط فحينئذ عليهما أن يكون التعامل مندرجًا إما بالعدل والإنصاف الواجب ، وهو أخذ الواجب وإعطاؤه ، وإما أن يكون التعامل بالفضل والإحسان ـ وهذه مرتبة أعلى ـ وهى إعطاء ما ليس بواجب من التسامح فى الحقوق والغض مما فى النفس ، والحرص على المعاملة بالأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة .

معاشر المسلمين :

إذا تقررت تلك القواعد المثلى والأصول العظمى التى تضبط التعامل بعد الطلاق فى حكم الإسلام ، فإن هناك صورا من الظلم الحاصل والعدوان الواقع فى هذه المسائل تشهد بذلك أروقة المحاكم ويشهد بذلك ما يشاع من أخبار صادقة فى أوساط المجتمع وذلك فى صور شتى ، منها : مطل بعض الأزواج بحقوق المطلقة بالحقوق المقررة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، من بذل مؤخر الصداق ـ ربنا ـ جل وعلا ـ يقول فى ذلك : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء : ٤] ، وكذا مما لا يجوز التهرب منه ما هو واجب للمطلقة الرجعية من عدم جواز إخراجها من مسكنه ما دامت فى العدة أو من بذل نفقة العدة لها .

يقول ـ سبحانه ـ : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾ [الطلاق : ١] ، وكذا مما لا يجوز المطل به ـ وهو فى الصور الواقعة ـ عدم بذل النفقة للمطلقة البائن متى كانت حاملا حتى تضع ، والبائن هى التى لا يجوز لها أن يراجعها إلا بعقد جديد إذا كانت البينونة صغرى ، أو بعد نكاح من آخر إذا كانت البينونة كبرى ، يقول ـ جل وعلا :

﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٦] .

إخوة الإسلام :

ومن صور الظلم الواقعة بعد الطلاق ، تهرب بعض الآباء ومطلهم عن الالتزام بالنفقة للأولاد ؛ خاصة الذين تحت حضانة والدتهم المطلقة ، تلك النفقة الواجبة بصريح نصوص الشريعة وإجماع الأمة ،وكذا يلحق بذلك إهمال الأب فى مراعاة تعليم أولاده أو رعايتهم الصحية ، ونقص الإشراف والاهتمام ما داموا تحت حضانة والدتهم ، فضلا عن إسداء العطف إليهم وهم ينتظرون ذلك من أبيهم .

قال ﷺ : « **كلكم راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهل بيته ومسؤول عن رعيته** » ، واسمعوا لهذا الحديث العظيم من المصطفى ـ ﷺ ـ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت** » ؛ صححه النووى .

معاشر المسلمين :

إن الواجب على الرجل والمرأة بعد أن قدر الله ـ جل وعلا ـ لحكمة وانفصل أحدهما عن الآخر أن يحرصا على المأوى الدافىء والملجأ الآمن للأولاد ، وأن يحرصا على غرس الحب والسكينة والهدوء والطمأنينة فى نفوس أبنائهم على الأب والأم ـ بعد أن وقع الطلاق المكروه ـ أن يتعاونا على المصالح المشتركة فى غرس التربية الحسنة ، وأن يكمل أحدهما وظيفة الآخر ، ويوجد حوارًا أسريًا مشتركًا لحل المشكلات وحسم كل الخلافات لتحقيق الأمن النفسى والأمان الاجتماعى للأولاد فى توافق وتفاهم من الوالدين على أساليب التنشئة السليمة لينمو الأطفال نموًا سليمًا ، ولا يحصل ذلك إلا بالتعاون والاحترام المتبادل بين الوالدين ؛ ولهذا فإن من الصور السيئة التى تقع بعد الفرقة حرمان الأم من حقها الأصلى الذى قرره شرع الإسلام فى حضانة صغارها .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان له بطني وعاء، وحجري له حواء وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينزعه مني، فقال ﷺ : «أنت أحق به ما لم تنكحي» والحديث صحيح عند أهل العلم.

واسمعوا لتطبيق الصحابة رضي الله عنهم ما سطره النبي ﷺ من توجيه، روى سعيد فى « مصنفه» أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه، حكم على عمر بعاصم لأمه أم عاصم، وقال : « ريحها وشمها ولطفها خير له منك » ، ورواه عبد الرزاق بلفظ : «هى أعطف وألطف وأرحم وأحنى وأرأف ، وهى أحق بولدها ما لم تتزوج » .

ألا وإن أعظم جرما من حرمان الأم ، ألا وإن أعظم جرما من حرمان الأم من حقها

فى الحضانة ما يفعله بعض الآباء القساة فيحرمها من الحضانة ، ثم يعلو ذلك قبحًا بمنعها من الزيارة مطلقًا ، ومن رؤية أولادها البتة ، وقد قال ـ ﷺ ـ وهو الرحيم المشفق : « **لا توله والدة عن ولدها** » ؛ حسنه السيوطى ، وقال : « **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته** » ؛ حديث صحيح عند أهل العلم .

ويلحق بذلك ـ أيها المسلمون ـ منع الأم الأولاد ـ إذا كانوا تحت حضانتها ـ منعهم من زيارة والدهم ؛ فذلك أمر لا يجوز فى حكم الإسلام لأن فيه إغراء بالعقوق ، ودفعًا إلى قطيعة الرحم ، وذلك كبيرة من كبائر الدين .

إخوة الإسلام :

ومن صور الظلم التى تمارس بعد الطلاق ما يقع من أحد الوالدين من النيل من عرض الآخر وشتمه ، والاستهزاء به والانتقاص من قدره على مسمع من الآباء ، الأب يشتم عند أولاده أمهم ، والأم تشتم والدهم عند أولاده ، فذلك ما يجرح كرامة ومشاعر الأبناء ويؤذيهم نفسيًا ـ وإن لم يتكلموا بذلك ـ وذلك من الظلم المبين من أوجه متعددة .

وأشد من ذلك جرمًا ما يقع من بعض الآباء ، حينما ينتقم من الأم المطلقة عن طريق تعذيب الأولاد جسديًا بالضرب ونحوه ، أو معنويًا وذلك بالتكلم عليهم بالألفاظ التابية والعبارات البشعة مما يسمى اليوم بالعنف الأسرى ،وهو محرم شرعًا وعقلا وعرفًا ، وسواء كان ذلك مباشرة من الأب أو بإذن ورضى منه عن طريق كما يقع من بعض زوجات الآباء، فليتق الله كل من أغواه الشيطان وركن إلى العدوان ونسى الرحمة والإحسان ؛ فمهما بلغ الحق مبلغه ، ومهما اندفن فى النفس ضغينة على الآخر فما ذنب الطفل البرىء ؟

وربنا ـ جل وعلا يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر : ١٨] ، والنبى ﷺ يقول : « **لا يجنى جان إلا على نفسه** » ، أين هؤلاء من قوله ﷺ : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ولا يوقر كبيرنا** » ؛ حديث صحيح .

أين قسوة هؤلاء من توجيه المصطفى ﷺ ؛ قالت عائشة : « قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : « أتقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم ، فقالوا : لكنا والله ما نقبل ، فقال رسول الله ﷺ : «**أو أملك لكم شيئًا إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟**» ؛ متفق عليه .

وفى حديث عن أبى هريرة قال : « قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع ابن حابس ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال : « **من لا يرحم لا يرحم** » ؛ متفق عليه .

أيها الآباء :

تذكروا توجيه النبى ﷺ حينما قال : « **ما من شىء أثقل فى ميـزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبـغض الفاحش البـذىء** » ؛ حديـث رواه الترمـذى ، وقال : حسن صحيح ، وفى حديث آخر رواه الترمذى أيضًا : « **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ، ولا الفاحش ولا البذىء** » .

فعليكم بالرفق والرأفة واللين ؛ إن الله رفيق يحب الرفق ، يقول العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ : « فإن قيل : إذا كان الصـبى لا يصلحه إلا الضرب المبرح أى الموجع ، فهل يجوز ضربه تحصيلا لمصلحه تأديبـه ؟ قلنا ؛ أى : قال العز بن عبد السلام فى الجواب عن ذلك : « لا يجوز ذلك ، بل لا يجوز أن يضربه ضربًا مبرحًا ؛ لأن الضرب الذى لا يبرح مفـسدة ، وإنما جاز لـكونه وسيلة إلى مصلـحة التأديب ، فـإذا لم يحصل التـأديب سقط الضرب الخفيف كما يسقط الضرب الشديد ؛ لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد » انتهى.

فاتقوا الله ـ أيها المؤمنون ـ والتزموا بتلك التوجيهات والآداب تفلحوا وتفوزوا وتسعدوا فى الدنيا والآخرة .

أقول هذا القول وأستغفر الله لى ولكم ولســائر المسلمين من كل ذنب ؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ولى الصالحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الخلق أجمعين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام الأنبياء والمرسلين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ،وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسى بتقوى الله - جل وعلا - فمن اتقاه وقاه ،وأسعده ولا أشقاه .

إخوة الإسلام :

من الصور المحرمة ما يحصل بعد الطلاق من إفشاء سر أحد الزوجين ونشره وإذاعته بين الناس ؛ مما يكون فيه إضرار بالآخر وأذيته ، قال العلماء : « يحرم على كل مطلق إفشاء السر إذا كان فيه إضرار وأذية ، وما يكون فيه غضاضة عليه » .

روى مسلم - رحمه الله - عن النبى ﷺ أنه قال : « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ، ثم ينشر سرها » ، وفى رواية : « من أشر الناس » .

قال معاوية - رضى الله عنه وأرضاه : « إفشاء السر خيانة » .

وقال الحسن : « إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ، فكيف بإفشاء سر من ربطتك به علاقة شرعية وجمعتكما كلمة الله ؟» .

قال أحد السلف : « من أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم ؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطبائع السليمة كلها » .

ومن الصور المحرمة - عباد الله : أن يفترى أحد الزوجين على الآخر الكذب ويختلق عليه ما لا يصح من قول أو فعل أو وصف ليشين به الآخر ويعيبه به ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل : ١٠٥].

ثم إن الله - جل وعلا - أمرنا بالصلاة والسلام على النبى الكريم ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللهم عن الآل والصحابة أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أذل الشرك والمشركين ، اللهم أصلح أحوالنا

وأحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، اللهم نفس كرباتهم ، اللهم اشف مرضاهم ، اللهم أغن فقراءهم ، اللهم أصلح ضالهم ياذا الجلال والإكرام ، اللهم ول عليهم خيارهم ، اللهم ول عليهم خيارهم ، اللهم ول عليهم خيارهم ، اللهم لا تجعل لفاجر عليهم يدا ، اللهم لا تجعل لفاجر عليهم يدا ، اللهم لا تجعل لفاجر عليهم يدا يارب العالمين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

اللهم أصلح قلوبنا بالقرآن ، اللهم أصلح قلوبنا بسنة النبى - ﷺ - اللهم من على المسلمين بطاعتك وطاعة رسولك اللهم من على المسلمين بطاعتك وطاعة رسولك ، اللهم من على المسلمين بطاعتك وطاعة رسولك ، اللهم اجعل التقوى شعارهم ، اللهم اجعل التقوى شعارهم ، اللهم اجعل التقوى شعارهم ، اللهم ومن عليهم بالرخاء والسخاء يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم عليك بأعدائهم ، اللهم عليك بأعدائهم ، اللهم عليك بأعدائهم يارب العالمين، اللهم من أراد إفساد مجتمعات المسلمين فعليك به ، اللهم من أراد إفساد مجتمعات المسلمين فعليك به يارب العالمين ، اللهم من أراد إفساد مجتمعات المسلمين فاكبته يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم لا تجعل له راية ، اللهم لا تجعل له راية ، اللهم لا تجعل له راية، واجعله للعالمين عبرة وآية ، اللهم اجعله للعالمين عبرة وآية ، اللهم اجعله عبرة وآية ، حسبنا الله وكفى ، حسبنا الله وكفى .

حسبنا الله وكفى على كل من تسلط على المسلمين، على قيمهم وثوابت دينهم ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين .

اللهم وفق ولى أمرنا لما تحبه وترضى ، اللهم وفق ولى أمرنا لما تحبه وترضى ، وخذ بناصيته للبر والتقوى ، اللهم واجعله عونًا للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، اللهم اجعله عونًا للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، اللهم انشر به سنة نبيك محمد ﷺ اللهم انشر به سنة نبيك محمد ﷺ اللهم انشر به سنة نبيك محمد ﷺ .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، اللهم مسنا الضر فأنزل علينا الغيث، اللهم مسنا الضر فأنزل علينا الغيث ، اللهم مسنا الضر فأنزل علينا الغيث ،

اللهم أجدبت ديارنا وقحطت بلادنا ، اللهم يا ذا الجلال والإكرام أنزل علينا الغيث ، اللهم ارحمنا يا ذا الجلال والإكرام بنزول المطر ، اللهم ارحمنا بنزول المطر .

اللهم لا تؤاخذنا بجرائرنا ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفاء منا ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ، اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا يا ذا الجلال والإكرام ، أنت الغنى الحميد ، أنت الغنى الحميد ، أنت الغنى الحميد فأغثنا يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم أغث ديار المسلمين ، اللهم أغث ديار المسلمين ، اللهم أغث ديار المسلمين .

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين ، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد .

شباب ومخاطر (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسى بتقوى الله ، فهى النجاة وسبيل الفلاح ، من اتقاه وقاه ، ومن سلك سبيله نجاه .

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

لقد سيقت هذه الآية الكريمة للادكار والاعتبار ، ففيها ينبه جل وعلا بنى الإنسان إلى أصل خلقهم ، ثم إلى الأدوار التى مروا وسيمرون بها فى هذه الحياة ، يخرج من بطن أمه إلى الدنيا ضعيفًا واهن القوى، أحوج ما يكون إلى غيره: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ ، ثم يأخذ فى القوة حتى يصير شابًا مكتمل القوى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ ، ثم يأخذ فى النقص فيكتهل ، ثم يشيخ ، ثم يهرم : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ .

الشباب : هو زمن العمل ؛ لأنه زمن قوة بين ضعفين ، وهو ضيف سريع الرحيل ، فإن لم يغتنمه العاقل تقطعت نفسه بعد حسرات ، إنه صحة لن تعود ،ونشاط لن يبقى ، وحواس تنقص ، كانت صفية بنت سيرين توصى فتقول : « يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب ، فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب » .

---

(١) خطبة للشيخ / عبد البارى الثبيتى من المسجد النبوى .

الشباب : أمل المستقبل وزمن الحاضر ونهضة الغد ، هم أغلى من كل رغبة ، وأفضل من أي فائدة ، وأسمى من أى مغنم ،ما استتب لأمة أمن إلا بسواعدهم ، وما اتسق لها عز إلا بعزتهم ،ولا تهيأت لها رفعة إلا بقوتهم .

إن مرحلة الشباب سلاح ذو حدين ، تحمل فى طياتها عنصر الخير ، وقد تتوجه إلى البر والإصلاح والبناء والتعمير ، أو تشتغل إلى عكس ذلك وتؤدى إلى شر مستطير ، وهدم وتدمير ، وضرر وإفساد .

والقرآن الكريم يعرض نماذج رفيعة للشباب المؤمن ، ويجعلها مثلاً أعلى للشباب فى كل زمان ومكان ، ففى سورة الكهف قال : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ [الكهف : ١٣ ، ١٤] .

ويسجل القرآن حياة يوسف عليه السلام الذى تعرض للابتلاء من صغره ، بل كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من المحن والشدائد ، فخرج منها جميعًا طاهرًا نقيًا عفيفًا نزيهًا ، حافظ على نقاوة شبابه ومروءته وشرفه ، ثم مكن الله له فى الأرض : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٥٥ ، ٥٦] .

كما يعرض القرآن لحياة موسى عليه السلام ، وكيف أنه فى ريعان شبابه ، وعنفوان قوته ، كان يستخدم هذا الشباب فى حمل الخير ومساعدة المحتاجين : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٣ ، ٢٤] .

الشباب : لهم ماض مشرق فى التاريخ الإسلامى، كانوا أول الداخلين فى الإسلام والملتفين حول رسول الله ﷺ ، والشعلة المضيئة فى السيرة، غذاهم الإسلام بمبادئه، وروضهم على تعاليمه، ففى ميدان العلم والمعرفة جعل منهم أئمة فى الدين وأعلامًا فى الفقه، وفى مجالات العبادة جعل منهم رهبانًا بالليل : ﴿ **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[الذاريات : ١٧ ، ١٨] ، كانوا مشاعل النور إلى العالم فى الدعوة إلى الله، وسطروا ملاحم البطولة ، ونال كثير منهم شرف القيادة ، وشرف النصر، وشرف الشهادة.

الشباب : هم عدة المستقبل ، وإذا أردت أن تبين مستقبل أمة ، فانظر إلى شبابها ، فإذا وجدته مؤمنًا به ، مقتديًا برسول الله ﷺ مقبلاً على الطاعة ، يحيا حياة عاملة جادة ،

ينافس فى ميادين الاختراع والابتكار والبناء ، فاعلم أن للأمة غدا مشرقًا بالعز والمجد .

أما إذا رأيت شباب الأمـة معرضًا عن تقوى الله ، منغمسًـا فى الرذائل ، منصرفًا إلى اللهو والعبث ، غارقًا فى الشهوات والملذات ، فقد الاتزان فى تفكيره وسلوكه فأى مستقبل تتطلع إليه الأمة ؟

لقد كان رسول الله ﷺ يهتم بالشباب ، يجيب دعوتهم ، فعن عبد الله بن بسر قال : « بعثنى أبي إلى رسول الله ﷺ أدعوه إلى الطعام ، فجاء معى . . . » أخرجه أحمد .

ولقد كان وهو في مـجالسه التى يحضرها كـبار القوم يعرف للشبـاب قدرهم ، فعن سهل بن سـعد رضي الله عنه قال : « أتى النبـى ﷺ بقدح ، فشرب مـنه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره ، فقال : «يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ ؟ قال : ما كنت لأوثر بفضلى منك أحدًا يا رسول الله ، فأعطاه إياه » أخرجه البخارى .

وحين يمرض أحدهم يعـوده ويطمئن على حاله ، فعن زيد بن أرقم قـال : « أصابنى رمد فعادنى النبى ﷺ . . . » أخرجه أحمد .

هذا الاهتمام يجب أن يستثير اهتمـام العالم المسلم ، والكاتب المسلم ، وأهل الرأى والتربية لتحصين الشباب من المخاطر التى تواجههم ، وقد تسبب لهم الانحراف ومنها :

الفراغ : الذى يسبب تبلد الفكر، وضعف النفس، واستيلاء الوساوس والأفكار الرديئة، والإرادات السيئة، ومن علم أن الشباب ضيف لا يعـود، وفرصة إذا مرت لا رجوع لها شغله بطاعة الله والعمل الجاد ، ومن أتبع نفسه هواها قاده الشيطان بزمام الشباب إلى التهلكة.

جلسـاء السوء : يفـسدون فى الأرض ولا يصلحـون، وإذا ارتبط بهم الشاب فـإنهم يجرونه إلى المغامرات الدنيئة، والمخدرات المدمرة ، بل ما يزالون به ليكون عضواً فاعلاً فى سلك التهريب، ونشر الرذيلة قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» أخرجه أحمد.

كثرة المثيرات : من خلال المشـاهد الهابطة التى تصور لهم مـباهج الحيـاة المتحللة ، وترسخ فى أذهانهم أن الدنيـا كأس وغانيـة ، وهذا ما يتطلع إليـه ، إنها عمـلية استثارة مستمرة ، ليسقط الشباب فى ميدان القيم ، ويفلس فى ميدان الروح والخلق .

إن شبابنا يقع فى كل دقيقة من يومه تحت تأثير الضخ الإعلامى الفضائى الذى يصوب ضد حصوننا أعتى سلاح ، لينزع الشباب من تربته ، فيقطع من جذوره ، ويمنع عن ورده.

والأمة التى تسعى لحماية شبابها مطالبة بإعلام يرد على مقولات الترويج والتخريب ، إعلام يدخل معتـرك المنافسة باقتدار يحول الجـهد فى مغبات الشهـوة والرذيلة ، إلى إجهاد

النفس فى ميادين اكتساب العلم والمعرفة على أرضية الخلق والإيمان ، ليضمن حضوراً فاعلا فى ميادين التقدم والحضارة والقيم ، فإنه لا بقاء لأمة أظلم روحها ، واضطرب تفكيرها ، ولصقت بالأرض لصوق الهوام والحشرات .

الشباب : فى كل أمة هم ثروتها ، فالإنتاج الاقتصادى فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة يحتاج إلى الطاقات الشابة والسواعد المفتولة التى تعمل بكفاءة وإخلاص ،وعلم وإيمان ، وقوة وأمانة .

وميادين البحث العلمى بحاجة إلى صبر ومعاناة ، وسهر ومجاهدة ، لذا فإن المحافظة على الشباب عقيدة راسخة ، وفكراً صافيًا ، وجسمًا قويًا أشد إلحاحًا ، فهم ثروة الأمة الحقيقية .

ومن المخاطر التى تواجه الشباب : التأثر بالأخلاق الوافدة : فى الملبس ،فى الأفكار، فى الثقافات ، فى طريقة الحياة الاجتماعية ، بل قد يتجاوز الأمر مرحلة التقليد إلى مرحلة الإعجاب بأخلاق الكفار ، إنها دليل على انغلاق الفكر وضياع الشخصية ، إذ كيف يقلد المسلم الكافر فى باطله ، والغرب فى انحلاله وميوعته، فلا إله فى نظره يرقب جزاءه ، ولا دين يتقيد بحدوده ويسير مع أحكامه، فعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»**، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: « **فمن ؟** » أخرجه البخارى.

ومن الأخطار : غلاء المهور : وتكليف الشاب الأموال الطائلة ، فيحرم الشاب من الزواج المبكر ، ويترتب على ذلك مفاسد أخلاقية ، والإسلام حث على تخفيف المهور ، ونبذ التباهى بالمظاهر والشكليات فى حفلات الخطبة والزواج ، قال ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ،ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » أخرجه البخارى ومسلم .

ومن أعظم المخاطر: انشغال الآباء والأمهات: عن تخصيص الوقت الكافى للتربية، فيترك الشباب فى مواجهة العواصف العنيفة، والتيارات العاتية دون سنة من توجيه وإرشاد، وهذا يجعل مقاومتهم ضعيفة، ومناعتهم محدودة ، فيغرقون فى دوامات تطويهم وتعصف بهم.

قال تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٧ ـ ١٠] .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الداعى إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

لقد حرص الإسلام على تكوين الشباب فحث على التزام الطاعة لله والعبادة له قال ﷺ : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ وذكر ـ وشاب نشأ فى عبادة الله** » رواه البخارى ومسلم .

حث الشباب على اغتنام القوة والصحة فى الشباب فقال ﷺ : « **اغتنم خمسًا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك** » رواه الحاكم .

بين أنهم محاسبون على هذا الشباب ومسؤولون عنه فقال : « **لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس** : ومنها ـ **وعن شبابه فيم أبلاه** » رواه الترمذى .

أعظم وسيلة لتحصين الشباب ترسيخ الإيمان : فالإيمان بالله يملأ القلب طمأنينة ، ويبعث فى النفس الثقة ، ويحوط المؤمن بسياج منيع ، التوجيه الصالح الرشيد الذى يتضافر عليه البيت والمدرسة ، فالشباب بحاجة إلى أبوة بحب ، ونصح بعلم ، وتوجيه بإخلاص ، وقيادة بمثل .

لا يكفى أن نطيل الكلام فى مزايا الإسلام والمسلمين دون أن نهيىء قدوة صالحة ، وأسوة حسنة لشبابنا فى بيته ومن حوله .

لا بد أن نحرص على المصادر التى يستقى منها الشباب ثقافتهم وزادهم الفكرى ، حتى تكون صدورهم منابع صافية غير مشوبة بلوثات فكرية أو شبهات دينية ، لتصب جميع القنوات فى تنشئة الجيل الصاعد .

الكلمة المسموعة ، الحرف المطبوع ، الأندية والجمعيات تكون كلها جوا مؤثرا على تربية الشباب وتوجيههم ، فإذا كانت متمشية مع عقيدة الأمة ، معبرة عن قيمتها وحضارتها نشأ جيل من الشباب مؤمن بربه ، متمسك بعقيدته .

المسجد له دوره باعتباره محضنًا للشباب ، يمنحه الثبات والاستقامة ، فهل يحيى

الأئمة والخطباء دور المسجد ورسالته ؟

ويجب التنويه إلي وجود الشباب المستقيم المتمسك بالإيمان الصحيح والعمل القويم ، ينبذ العنف والتطرف ، يلتف حول العلماء وولاة أمره .

يؤدى واجبه تجاه أمته ووطنه ومجتمعه ، ها هو فى كل ميدان ، فى العلم والعمل ، فى الصناعة والتجارة ، في التقنية والإنتاج ، شباب يعد مفخرة الأمة ورمز حياتها وسعادتها، هو من مبشرات الخير ، ومن خير المبشرات ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف : ١٣] .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير . . . .

القسم التاسع

مآسي المسلمين وقضاياهم

صرخة عبرة، وذرفة عبرة، إبان حرب الخليج (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، لا إله إلا الله قاصم الجبابرة ، وكاسر الأكاسرة ، ومبيد القياصرة ! سبحانه هو الله الواحد القهار ! سبحانه هو الغنى ! سبحانه هو القوى .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، نبى شرح الله صدره ، ووضع وزره ، ورفع فى العالمين قدره ، وأعلى فى الآفاق ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، نصره بالرعب ، وأيده بالحق ، وجعل عزه ونصره تحت ظل سيفه ورمحه ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا نفوسهم وأرواحهم جهادًا فى سبيل الله، ونصرة لدين الله ، وإعلاء لكلمة الله ، وقطعا لدابر أعداء الله ؛ فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وعمن سار على نهجهم ، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا عباد الله ، أوصيكم ونفسى بتقوى الله ؛ فعليكم بتقوى الله - رحمكم الله - فإن فى تقوى الله الخروج من المضايق ، والنجاة من المآزق ، والسلامة من المزالق ؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

أيها المسلمون ، لقد اقتضت حكمة الله - عز وجل - وجرت سنته في كونه وخلقه ، أن يكون هناك صراع بين الحق والباطل ، ومقارعة بين قوى الخير وقوى الشر ، ومعركة دائمة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجهاد بين جبهة الحق والعدل ، فى مقابل الظلم والبغى والعدوان ، ودفع للناس بعضهم ببعض ؛ صلاحا لهذا الكون ، وعمارة لهذه الأرض ، وإبقاء على العناصر الخيرة ، وإقصاء للعناصر الشريرة ، وبترا للأعضاء المسمومة فى أي مجتمع ؛ حتى لا تؤثر على بنيته وكيانه ، وإن من طبيعة هذا الدين أنه فى معركة دائمة ، وصراع دائب مستمر مع الشعارات الجاهلية ، أيا كان مصدرها ، ومنهجها ،

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

وزمانها .

ولقد خاض الإسلام منذ بزوغ شمسه هذه المعركة الحاسمة على اختلاف جوانبها ، وخرج منها ـ بحمد الله ـ ظافرًا منتصرًا ؛ تحقيقًا لوعد الله ـ جل وعلا ـ لقد عانى من الكفر والظلم ؛ فاقتلع جذوره ، واستأصل شأفته ، عانى من النفاق ؛ فأبدى عواره ، وكشف أسراره ، وهتك أستاره ، وفضح أخباره ، وأبان أخطاره ، كل ذلك حفاظًا على مقومات المجتمع ، وسلامته من أى عدوان على المستضعفين ، أو إزهاق لنفوس الأبرياء ، أو هدر لحقوقهم وإضاعة لمقدراتهم .

معاشر المؤمنين ، ولقد ألزم الإسلام أتباعه درء الفتن عن هذا الدين ، وصيانة الحق فى الأنفس والعقول والأموال والأعراض من عبث العابثين ، وعدوان المعتدين ؛ لذلك فقد ربى الإسلام أتباعه أن يكونوا دائمًا على أتم استعداد ، وأكمل أهبة ، وأقوى إعدادًا ؛ لمقاومة البغى ، واستئصال الشر ، ومقاومة الظلم ،ومقارعة الباطل وأهله ، ودرء الفساد والجرائم ؛ حتى لا تستذل الرقاب ؛ وينتشر الخوف والإرهاب ، ويشتد ساعد التسلط والعداء ، وحتى لا ينال من أهل الإسلام ، ولا من دينهم وديارهم ، وكرامتهم ومقدراتهم: أى عدو أو حاقد ، كائنًا من كان .

وقد مدح الله أهل الإيمان بهذه الخصال ؛ فقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾[الشورى : ٣٩] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[الشورى : ٤١ ، ٤٢] .

ومنذ أن أعلن الإسلام تحرير البشرية من الخضوع لغير الله ، وأنقذ الإنسانية من عبودية العباد إلي عبادة رب العباد ، وطهرها من أدران الجاهلية ،وأعتقها من أغلال الطواغيت والظلمة ، منذ ذلك الحين : هاج الشر ، وماج الظلم ، وثارت عواصف الباطل ، وتحركت قوى البغى والطغيان ؛ لتعمل على كل صعيد وميدان ، وتلاحقت ملاحم الصراع، عبر الأزمنة والأعصار ، وفى مختلف البقاع والأمصار ، وتتابعت على هذه الأمة موجات الحقد والفساد والعدوان ،وحلقات الظلم والبطش والطغيان ؛ تهدف إلى تمزيق وحدة المسلمين ، وترمى إلى تدمير كيانهم ، وتقويض بنائهم وحضارتهم بشتى الأساليب ، ومختلف الأسلحة والوسائل .

إخوة العقيدة ، ولقد منى الإسلام[1] عبر تاريخه الطويل بكثير من الدسائس

---

(١) منى بكذا منيا ومنوا ، أي : ابتلى . « اللسان » (منى) .

والمؤامرات، وأنواع من التحديات والهجمات ، تحديات داخلية ،وتحديات خارجية ، وحروب معلنة ، وأخرى خفية ، ومع وقوف الإسلام طودا شامخًا(١) ، وحصنا منيعًا ، إلا أن الأعداء لم يكفوا، ولن يكفوا ، ولا يزالون في سعي حثيث ، إلى كل هدف خبيث؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة : ٣٢] .

ومن أخطر هؤلاء الأعداء: من يتظاهر بالإسلام، ويلبس لبوس الإيمان، ويرفع الشعارات البراقة، والمظاهر الزائفة، ويخدع الناس بالكلمات المعسولة، والألفاظ الرنانة، وصدق الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٦] .

معاشر المسلمين : وما أشبه الليلة بالبارحة ! فالأعداء هم الأعداء ، بل ألد ! والتحديات هى التحديات ، بل أشد ! إجرام يناسب أحوال العصر ، وإرهاب يساير تقدم الزمن ومما زاد الطين بلة: زعامات تتسلط على رقاب الشعوب المقهورة ، وتحكمهم بالحديد والنار ، وتجرهم إلى الهلاك والدمار ، وأنظمة تتلاعب بمصائر الشعوب ، وتتحكم فى مقدراتهم ، وتدوس كرامتهم ، تبنى عروشها على جماجم الأبرياء ، وأشلاء الضعفاء - كان الله في عون الشعوب المقهورة ! - ووسائل إعلام هى معول هدام ، مأزورة غير مأجورة ، لعبت بالحرف (٢) ، وأرخصت مصداقيته ، وضيعت أمانة الكلمة ، لا تفتأ تقلب الحقائق ، وتعكس المفاهيم ، تهذى(٣) بما تدرى وبما لا تدرى ، وتهرف بما تعرف وبما لا تعرف (٤) ، تمثل أبواقًا ناعقة لخدمة الباطل وأهله ، وشعوب كثيرة ، وجموع غفيرة : سارت فى ركاب القوم وخدعت بالبهارج ، ترسف فى أغلال(٥) الجهل والهوى ،

---

(١) الطود : الجبل العظيم . « النهاية » (طود) .

(٢) الحرف : اللغة . « اللسان » و « تاج العروس » (حرف) .

(٣) هذى يهذى هذيانا : تكلم بكلام غير معقول . « اللسان » (هذى) .

(٤) من أمثال العرب قولهم : « لا تهرف بما لا تعرف » ، ويروى : « لا تهرف قبل أن تعرف » ؛ يضرب لمن يتعدى فى مدح الشيء قبل معرفته ، والهزف : الإطناب فى المدح . راجع : « مجمع الأمثال » (٢ / ٢١٩) .

(٥) ترسف : تمشى مشى المقيد ،والأغلال : جمع غل ، وهو : الجامعة من الحديد توضع فى اليد أو العنق . « تاج العروس » (رسف) (غلل) ، والمراد : أن الجهل والهوى ملازم لها .

يتبعون كل ناعق، ويشايعون كل مارق، إمعات[1] إن عد الثقات، وسفهاء إن عد العقلاء، وغوغاء ودهماء إذا ذكر الرجال العظماء ، ولؤماء إذا ذكر الكرماء .

فواأسفا ، ثـم واأسفا على أحوال هؤلاء ! وسبحـان من يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء !

أمة الإسلام ، ولا تزال الأحداث الجـارية فى الساحة تستأثر بالحديـث ؛ حيث تعجز الكلمات عن وصفها وبيان مآلها ، ويستعجم اللسان عن التعبير عن أخطارها وتكاد الحرب على خليجنا الآمن تنهي شهرها الأول من عمـرها القصير إن شاء الله ، ولكن من المؤسف جدًا أن من تولى كبـرها ، وأضرم نارها « صدام الطاغيـة » لا يزال يرسف فى ثوب صلفه وغروره ، معرضًا الأمة بأسرها إلى أضرار خطيرة ، وشرور مستطيرة ، وإن المتضرر الأول من هذه الحرب الدامية هو الشعب العراقى المسلم الأبى ! ، فبأى حق يتعرض هذا الشعب المظلوم بحكم دكـتـاتورى ظالم عنيـد، إلى الحـرب والدمار ؟! حـيث لا يسـمع إلا أزيز الطائرات ، وطلقات المدافع ، ودوى الانفجارات ،وحركة الدبابات ، وإطلاق الصواريخ ! إننا نطالب طاغـيـة العـراق : أن يرعى حـقوق الأخـوة التى تربط المسـلمين فى كل مكان بإخوانهم المسلـمين فى بلاد الرافدين[2] ، وبغداد الرشـيد وابن حنبل ، فـيبـادر فوراً إلى إيقاف رحى الحرب ، وينسحب من أرض الكويت المسلم الشقيق .

وإن تعجبوا ـ يرعـاكم الله ـ من أفعال هذا الطاغية ، فعجب تلاعـبه بالشعارات ! أى إسلام ، وأي إيمان لمن ابـتغى غيـر الله حكما ، وغـير دينه منهـجًا ، ورضى بالشـعارات الكفرية ، وقـتل الأبرياء ، وسفك الدماء ، وروع الآمنين ، وفـعل ما لم يفعله أئمـته فى الضلال والإجرام عبر التاريخ ؟!

ثم الأعـجب من ذلك : أن يتـباكى على المقـدسات ، وهو الذى يمطر أرض الحـرمين بالصواريـخ الحاقدة بين حين وآخـر ! ويرفع شعـارات الجهاد والاسـتشـهاد ، وهو الأولى بالمجاهدة والقتال ؛ لأفعـاله الشنيعة !! وفي أى قواميس الشهادة يوجـد أن الشهيد من قتل الأبرياء ، وسفك الدماء وظلم وطغـى وبغى ؟! يتظاهر بالحماس لقضيـة فلسطين ، وكأنها لم تكن قضية المسلمين إلا هذه الأيام ، لما جعل قضيـته الواحدة عدة قضايا ساخنة ! وأين قضيـة الكويت عن شفقته وعطـفه ؟! حتى المياه الصافـية ، والحيوانات الوادعة ، والبـيئة السليـمة ؛ برا وبـحرًا وجـوا ـ لم تسلم من عـدوانه !! إمعـانًا فى الكيـد ، وإغراقًا فى

---

(١) إمعات : جمع إمعه ، وهو : الذى لا رأى له ولا عزم ؛ فهو يقول لكل أحد : أنا معك . . انظر : « اللسان » (أمع) .

(٢) بلاد الرافدين : العراق ، والرافدان : دجلة والفرات . « اللسان » (رفد) .

الإجرام، والعياذ بالله!

واليوم يشغل الرأى العام بقضية عدد من المدنيين قتلوا ، يا سبحان الله ! هل قتل هؤلاء جريمة لا تغتفر ، ،وقتل وتشريد أبناء الكويت مسألة فيها نظر ؟!

يطلق بعض الصواريخ على إسرائيل ؛ لصرف أنظار بعض الدهماء إلى بطولته المزيفة، ولكن كيف يستساغ إطلاقه الصواريخ على بلاد المقدسات الإسلامية ؟! سبحان الله !

.... لك الويل ! لا تزنى ولا تصدقى ! (١)

والعجب العجاب من حال هؤلاء المرتزقة الانتهازيين النفعيين ، الذين يصفقون ويزمرون ، ولا يكتفون بذلك ، بل يعلنون الحداد ـ كما زعموا ـ على بعض القتلى المدنيين، لكن أين هم يوم أصيب إخواننا الكويتيون ؟! كفى ضحكا على أذقان الشعوب ، وذرا للرماد فى العيون ، إلى الله المشتكى ، وهو المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل !! .

أحوال مبكية ، وأوضاع مزرية ، وأمة الإسلام آل أمرها إلى هذه الحال المتردية ، فيا لها من محنة ! وكفى بها من فتنة ، تتطلب من كل مسلم صادق الإسلام ـ والصدق قليل فى عالم التزييف ـ أن يقوم بدوره فى زحمة الأحداث ! فالغفلة والإعراض هما الداء العضال ، لا بد من صدق العزيمة فى علاج الأزمات ، ومن التوجه الصادق إلى الله ؛ فهو الملجأ فى الشدائد والملمات (٢) : الولاة والقادة بدورهم فى تحقيق الشريعة ، والعلماء والدعاة بدورهم فى تبصير الشعوب الإسلامية الحائرة ، والشباب المسلم بالتسلح والإعداد بالقوة المعنوية والمادية ، والمرأة المسلمة أم الأبطال ، ومربية الأجيال ، بالإعداد والتربية ، ولو أن تصلح حالها وتساعد بالتزامها بحجابها وعفافها وحشمتها ؛ لأننا نطلب النصر من الله بالقيام بطاعته ، والتقرب إليه بعبادته ، والبعد عن المعاصى والمحرمات ، ، ، وهكذا ، والكل بدعائه وتضرعه ، ولو بكف شره ، وفرج الله آت لا محالة ، وملامح النصر قريبة بحمد الله ؛ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف : ٢١] ، والله حسبنا ونعم الوكيل ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء : ٨١] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) عجز بيت لإسماعيل بن عمار الأسدى ، والبيت بتمامه :

يقول لها أهل الصلاح نصيحة لك الويل ! لا تزنى ولا تصدقى !

وعجز البيت من الأمثال . انظر : « تمثال الأمثال » للشيبى (٢ / ٥٣٣) .

(٢) الملمات : جمع ملمة ، وهى النازلة الشديدة من نوازل الدهر . « اللسان » (لمم) .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والعزة والنصرة للمؤمنين والذلة والمهانة والهزيمة لأعداء الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولى المؤمنين ، وخاذل الكفرة والظالمين ، والمنتقم من الظلمة والبغاة والمعتدين ، والمنتصر للمظلومين والمضطهدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المجاهدين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ تمسكوا بدينكم ، وكونوا على وعى بما يحيكه أعداؤكم ضدكم، فأنتم فى هذه البلاد الآمنة محسودون ؛ لما تنعمون به من أمن وأمان ، وراحة واطمئنان ، يريد أعداؤكم أن يعكروا صفو أمنكم ، ورغد عيشكم ، فما فتئوا يبثون الأقاويل الكاذبة ، والشائعات المغرضة مما ظهر أمره ـ بحمد الله ـ ولم يعد خافيًا على أولى البصائر .

ومن خططهم الخبيثة : تكوين خلايا للإرهاب والإجرام ، وعصابات للإفساد والتخريب ، وقد ظن أولئك أنهم يجيدون الاصطياد فى الماء العكر ، ولكن خاب ظنهم ، وضل سعيهم ؛ فلن يفلتوا من رقابة الله ، ثم لن يعدموا جزاءهم الرادع الذى سيقع بهم بإذن الله ، وبأمثالهم من كل من تسول له نفسه العبث بأمن الآمنين ، وإن أمن بلاد الحرمين الشريفين لمسؤولية المسلمين جميعًا من أهل ووافدين ومقيمين ، ويجب على كل واحد منا أن يكون جنديًا فى ميدانه ، وعينا ساهرة على ثغره ، راصدة لكل مجرم أثيم من قبله .

وتحية تقدير وإعزاز للجنود المجهولين ؛ الذين يسهرون على أمن بلدنا ، حيث ينام الناس ، ويتعبون حيث يستريح غيرهم ، لا حرمهم الله ثواب ما يقومون به من خدمة لدينهم ومقدساتهم ! ولا تزال الوصية موصولة لجنود الأشاوس (١) ، وليوثنا الأكاسر ، المرابطين فى جبهات القتال ، وفى ميادين الشرف والبطولة والفداء ، فى الخطوط كلها أماميها وخلفيها ، وفى الجهات جميعها ، فالله الله فى الثبات والصبر والاحتساب ، والمرابطة والصدق ، والذكر والطاعة والدعاء ! فالنصر قادم ـ بإذن الله ـ قال سبحانه :

---

(١) الأشاوس : جمع أشوس ، وهو الشديد الجرىء على القتال . « اللسان » (شوس) .

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على نبى الرحمـات والملاحم ، كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ؛ فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

قضايا المسلمين والأقصى إلى أين ؟!(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، أحمده تعالى على نعمه الغزار ، وأشكره سبحانه على فضله المدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبار ، له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وكل شيء عنده بمقدار ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله المصطفى المختار ؛ فهو خيار من خيار من خيار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الأبرار ، المهاجرين منهم والأنصار ،والتابعين الأخيار ، الذين لزموا السنة والآثار ، صلاة وسلاما تامين كاملين متعاقبين ما تعاقب الليل والنهار ، ونسأل الله أن نكون ممن تبعهم بإحسان ، فرضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ فتقوى الله سر النصر والفلاح ، وسبب التوفيق والنجاح ، وطريق الخير والصلاح .

إخوة العقيدة ، لقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ ، بالهدى ودين الحق ؛ فبشر وأنذر ، ودعا وأخبر ، وهدى وحذر ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف بأمر ربه الغمة ، وهدى الناس ـ بإذن ربهم ـ إلى صراط العزيز الحميد ؛ فأشرقت به الأرض بعد ظلماتها ،واجتمعت عليه الأمة بعد شتاتها .

واختار الله له أنصارًا ، هم صحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ خير القرون على الإطلاق ، وأفضل الأمة بعد رسولها باتفاق ، أبر الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، إذا علوا فهم الكرام البررة ، وإذا حكموا فهم الولاة الخيرة ، كيف لا وقد اختارهم الله لصحبة نبيه وحمل شريعته؟! حملوا بعد رسول الله ﷺ لواء الدعوة والجهاد ؛ ففتحوا البلاد ، وأسعدوا العباد ، وقادهم إلى الخير فى أمور المعاش والمعاد ، نشروا الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، رفعوا راية الوحدانية ، وحطموا عروش الوثنية ، ونكسوا رايات الجاهلية، واحتلوا الصدارة والإدارة للإنسانية، وأمسكوا بزمام قيادة البشرية، وتحولت الأمة راعية الغنم ، إلى قادة شعوب وساسة أمم ، حققت الخير والسعادة ، وتولت القيادة والريادة ، واحتلت المكانة والسيادة ،وملأت الأرض قسطًا وعدلا ، والقلوب

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام

إيمانًا وخشية وعلما ؛ مما لم يشهد له التاريخ مثيلاً ، ولم يعرف العالم له نظيرًا .

أمة الإسلام ، وما كادت القرون الثلاثة تنقضى ؛ حتى ظهرت الفتن ، واتسع نطاق المحن ، خلفت خلوف تفرقت بهم السبل ، وأعرضوا عن منهج الرسل ، وضلت بهم الأهواء ، واستحكمت فيهم الآراء ، وتعددت فيهم المذاهب ، وتباينت النزعات والمشارب ؛ ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

كثرت بينهم الاختلافات ، وأهلكتهم الأنانيات ، وسعوا للحظوظ وحب الذات ، فضربت الأمة فى تيه السبل أحقابًا من الزمن ، وعقودا من التاريخ ؛ فرطوا فى أمر الله ، فانفرط عقدهم أمام أعداء الله ، الذين سعوا ويسعون لإطفاء نور الله ؛ ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

وكان من نتيجة هذا الإعراض عن الثوابت العقدية ، والمقومات التأصيلية : تسلط أعداء الإسلام على الأمة فى ديارها وأفكارها ، ومقدراتها ومقدساتها ، فعصفت بالأمة عواصف الفرقة ؛ فضلت أفهام ، وزلت أقدام ، والمستفيد من ذلك هم أعداء الإسلام ، الذين ما فتؤوا فى إذاقة المسلمين صنوف التحديات ، وألوانًا من الهجمات ، وبث ما لا يحصى من الدسائس والمؤامرات ، على اختلاف النزعات والشعارات ، فكان أن بليت أجيال من الأمة بأزمات وأزمات : احتلت ديار ، وغيرت أفكار ، وعبث بمقدسات ، وانتهكت حرمات ، واستبيحت أعراض وأموال ومقدرات ، ضاعت ممالك ودول حكمها الإسلام قرونا عديدة .

وما زالت الحرب العدائية للإسلام ظاهرة سافرة ، ولا تزال قضايا أمتنا ومآسى مجتمعاتنا ، وجراحات إخواننا : تنزف ، فى عصر ضاعت فيه المقاييس ، وانقلبت فيه الموازين ، وأصبح المظلوم ظالما ، والمطلوب طالبا ، وتعامت الهيئات الدولية ، وتقاعست المنظمات العالمية عن حقوق المسلمين ، وعتمت أخبارهم حتى خدرت الشعوب ، وأصيبت بالذهول والحيرة ، ولا يكاد المتابع لهموم أمته ، ومآسى إخوانه يحس بالأمل ، حتى يصاب بالإحباط والألم ، وهو يرى ويسمع القضايا الإسلامية تزداد تعقيدًا ، والانفراجات فى أحوال الأمة تعود إلى صراعات ، وتتحول إلى صدامات ؛ فالحروب الطاحنة ، والاشتباكات الدامية ، ومسلسلات القتل والتشريد - تزيد وتزيد ، والأغرب من ذلك والأعجب : أنها تكون أحيانا بين الإخوة والأحبة ؛ فيوجه الأخ السلاح إلى صدر أخيه !

أحوال مبكية ، وأوضاع مزرية ؛ فإلى الله المشتكى ، وهو المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

أمة الإسلام ، قضيتنا الإسلامية الأولى التى يجب ألا تنسى فى جديد الصراعات والقضايا : قضية أولى القبلتين ،وثالث المسجدين الشريفين ، و « قضية الأقصى » يجب أن تظل فى قلب كل مسلم ، ولا يقبل التنازل والتغاضى عنها يوما من الأيام ، وليس ما قامت به الصهيونية العالمية عبر التاريخ بخاف على أهل الإسلام ، بل مسطر بمداد قائم لقوم بهت (١) خونة ، معروفين عبر التاريخ بنقض العهود والمواثيق ، والتحدى السافر لمشاعر المسلمين ومقدساتهم !

وما استمرار « الصرب الظلمة » ـ فى صلف ورعونة ـ ضد مسلمى البوسنة والهرسك، إلا أمر يحز فى النفوس ، ويؤرق القلوب !

وسلام الله على « سراييفو » التى يمطرها دعاة الصليب الحاقدون بصواريخ اللؤم والحقد ، وقذائف الخبث والمكر ، ضد المساجد والمدارس والبيوت !!

وعلى صعيد « الصومال الحزين » ، ماذا يدور هناك ؟! وإلى أى حد انتهت أخبار الفصائل الصومالية والفرقاء فيها ؛ فى سبيل تحقيق أمن بلادهم ، وسلامة شعبهم وأبنائهم؟!

أما ما يدور فى « الساحة الأفغانية » : فأمر جلل ،ومصاب عظيم ، وخطب جسيم ، يحتار فيه الحليم ! فما هى الأبعاد الحقيقية للصراعات المستمرة على أرض الأفغان ؟! ومن المستفيد مما يدور هناك ؟! إلى الله المشتكى ! فقد وصلت الأوضاع فى بلاد الأفغان إلى وضع لا يستسيغه العقلاء ، ولا يقبله الكرماء ،ولا يرضاه الشرفاء ! وهل يكون الأخ على أخيه أشد عداوة من العدو السافر ؟! ترى ما السر ،وما الخبر ؟! لقد حرر الأفغان وطنهم من الشيوعية الحمراء فى أعجوبة رائعة ، تتباهى بها الأمة الإسلامية ، وبذلت الأمة جميعًا أرواحها ومهج أبنائها ، وقدمت أموالها ودعاءها لدعم الجهاد هناك ؛ فلماذا ضاعت روعة الجهاد ، وشوهت بطولات الرجال ؟!

فيا أيها القادة الأفغان ، اتقوا الله فى أنفسكم وبلادكم وشعوبكم ؛ إنه من الأجدى التحاكم إلى شرع الله ، وحسم الخلاف بالطرق السلمية لا تضيعوا ما علقته الأمة عليكم من آمال ، ولا تجددوا بخلافاتكم الهموم والآلام ، لماذا تتاح الفرصة للأصابع الخفية ؛ كى تعبث فى بلادكم ، وتشعل النار فيما بينكم ؟! أصغوا إلى صوت العقل والصواب ، واحموا البلاد والعباد من الدمار والخراب ، إننا لنخشى ألا تجدى المناشدات ،ولا تنفع

---

(١) بهت : جمع بهوت ، وهو المباهت الذى يستقبلك بأمر يقذفك به وأنت منه برىء لا تعلمه ؛ فتبهت منه . « النهاية » و « اللسان » (بهت) .

جهود الصلح والاتفاقات ، لكن يظل الأمل يراودنا ، والفأل يحدونا فى حقن دماء المسلمين هناك ، وأن يستجيب القادة الأفغان إلى مساعى الصلح والوفاق ، ويجمعوا قلوبهم على عقيدة التوحيد ، ويوحدوا صفوفهم على وحدة الكلمة ، ويحذروا من حظوظ النفس والهوى ؛ ألا تبا للأطماع الشخصية ، وأف للمصالح الذاتية ؛ إذا كانت عقبة أمام مصالح الأمة وسلامة الجماعة ! وتعسا للكراسى والمناصب ، وبعدا للأطماع والمراتب ؛ إذا كانت تجر البلاد والعباد للشر والفساد !

أيها الإخوة المسلمون ، مآسى الأمة الأخرى كثيرة ، وجراحاتها عديدة ، وأخبار الأقليات الإسلامية لا تكاد تخفى ، حتى أصبح حال الأمة كما صورها الشاعر المكلوم :

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان !
أعندكم نبأ من أرض أندلس ... فقد مضى بحديث القوم ركبان ؟!
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان !
على بلاد من الإسلام خاوية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران !
حتى المآذن تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان !
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان !
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان فى القلب إسلام وإيمان (١)

فيا قادة المسلمين ، يا من مكنكم الله فى الأرض ، واستخلفكم فيها ؛ لتقوموا بالعدل، ورفع الظلم ، اتقوا الله ، وانصروا دين الله ، وكونوا عونا لشعوبكم فى تحكيم شريعة الله ، ودعم قضايا المسلمين .

ويا علماء الأمة ، يا أيها المؤتمنون على ميراث النبوة ، يا من أخذ عليكم العهد والميثاق لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، قوموا بمسئولياتكم فى التعليم والتوجيه ، ولا تتقاعسوا عن أداء واجبكم ، وانصحوا لله ، ولكتابه ، ولرسوله ﷺ ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم.

ويا دعاة الإسلام ، اجمعوا قلوبكم على منهج السلف الصالح - رحمهم الله - تخلوا عن الحزبية الضيقة ، والمصالح الشخصية ، كونوا عونا لولاة الأمر فى تحقيق الخير للأمة جميعًا ؛ إن التعاون بين الرعية والرعاة عين المصالح للأمة ، وإن شق عصا الطاعة ، وبث

---

(١) هذه الأبيات مختارة من قصيدة للشاعر المجود أبى البقاء الرندى الشاعر الأندلسى المعروف ، توفى سنة (٧٩٨ هـ) . انظر : « نفح الطيب » للمقرى (٢ / ١٩٤) ، (٣ / ٣٤٧) ، (٤ / ١٤٧، ٤٨٦ ، ٤٨٨) ، (٥ / ٦٠٢) .

بذور الفرقة ، والخروج على الجماعة - يجر الأمة إلى شر كبير ، وضرر خطير ، ومن فضل الله على هذه البلاد المباركة : أن فتحت صدرها ، ومدت يدها - قادة وعلماء - لرعاية شئون المسلمين ، والسعى فى الإصلاح بينهم ، وليس ذلك بغريب عليها ؛ فهى محط أنظار المسلمين ، ومهوى أفئدتهم ؛ فلتمد الأمة يدها إليها ؛ لتحقيق مصالح المسلمين، ودرء الشرور والمفاسد عنهم .

وإن الأمة لتتطلع إلى مراحل العمل والمنهجية والتأصيل ، فلم تعد تجدى الكلمات ولا التنظير ، وإن مسؤولية صلاح أحوال الأمة ، والخروج بها من مآزقها - مسؤولية المسلمين جميعا ، فى خطا حثيثة ؛ في العقيدة والعلم ،والعقل والحكمة ؛ ليتحقق للأمة وعد الله الذى لا يتخلف ، وإننا لنأمل أن تكون مصائب الأمة سحابة صيف ، عن قريب تنقشع ، فالنصر للإسلام وأهله ، فليقر المسلمون بذلك عينا ؛ فمن الله وحده نستلهم النصر والتمكين ! .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

ولرب ضائقة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج (١)

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

(١) هذان بيتان منسوبان للإمام الشافعى - رحمه الله - انظرهما فى ديوانه (ص ٣٢) .

الخطبة الثانية

الحمد لله ؛ بارك حول المسجد الأقصى ، وأقصى من أعرض عن عبادته واستقصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بالتمسك بالدين وأوصى ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، بلغ رسالة ربه فما ضل ولا استعصى ، صلى الله وبارك عليه وعلى من تبع ملته وتمسك بسنته واستوصى ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

أيها الإخوة في الله ، من الثوابت التي لا تقبل الجدل أن قضية المسجد الأقصى المبارك قضية إسلامية عريقة ، وستبقى كذلك - بإذن الله - حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ فلا مساومة على مقدساتنا ،ولا تنازل عن شيء من ثوابتنا بحال من الأحوال ؛ قضية الأقصى رأس القضايا الإسلامية وأكبرها ، هو أولى القبلتين ، وثالث المسجدين الشريفين ، ومسرى سيد الثقلين ، مكانته ضاربة في جذور التاريخ ، وهو اليوم يمر بمأساة تمزق القلوب ، وتؤرق الأكباد ، من شذاذ الآفاق(١) ، وضالة العالم ، وإخوان القردة والخنازير - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - يريدون هدم بنائه ، وتغيير معالمه وإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاضه - لا بلغهم الله مرادهم ! - وإن لكم - يا عباد الله - إخوة في العقيدة على ثرى فلسطين المجاهدة ، يقومون بانتفاضة إسلامية باسلة للدفاع عن الأقصى والأرض المباركة ؛ فواجب المسلمين دعمهم والوقوف معهم صفا واحدًا ضد اليهود المعتدين ؛ حتى يقر الله الأعين بالنصر والتمكين، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، وفاطر : ١٧].

ألا وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ كما أمركم بذلك المولى جل وعلا ووصى ؛ فقال تعالى قولا كريما : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦].

(١) شذاذ الآفاق : هم المتفرقون في الآفاق ، جمع شاذ . « اللسان » (شذذ) .

مأساة البوسنة والهرسك
بين الواجب الإسلامي والتخاذل العالمي ! (١)
الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، كتب العزة له ولرسوله وللمؤمنين ، أحمده تعالى حمد الشاكرين ، وأشكره شكر أهل الإيمان واليقين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ؛ إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، لا إله إلا الله ، هو المستعان على أمور الدنيا والدين، والمستغاث لرد كيد الكائدين ،والمرتجى لدفع مكر الطغاة والظالمين ، وحلول الهزيمة بالغاشمين المعتدين ؛ به نحول ، وبه نصول ،وبه نؤمل ، كف كرب المكروبين ، ورفع البلاء عن المنكوبين .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، إمام المتقين ، وقائد المجاهدين ، وسيد ولد آدم أجمعين ؛ نصره الله بالرعب يقذف فى قلوب الكافرين ، نبى شرح الله صدره ، ورفع ذكره ، وأعلى قدره ، ووضع وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ،والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

أيها المسلمون ، أوصيكم ونفسى بتقوى الله ، فعليكم بتقوى الله - رحمكم الله - فليس لكم بغير التقوى حبل يقوى ، وليس لكم بغير الدين عزة لا تضاهى ،وقوة لا تلين؛ فأمة العقيدة : أمة لا تذل ولا تهين ، ولا تضعف ولا تستكين ، لا تعرف الخضوع والخنوع أمام متلونى الشرق والغرب ؛ فخضوعها لله الواحد القهار ، العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة ،والصغار ، والعار والشنار(٢) ، والويل والنار ، لأعداء الملة والذين ، الذين لايرقبون إلا ولا ذمة فى المؤمنين .

إخوة العقيدة ، إن دينكم الإسلامى دين ينأى بأتباعه عن مواقف الذل والمهانة ، والضعف والاستكانة ، ويترفع بهم عن كل موضع يخدش الكرامة ، ويجرح المكانة ؛

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) الشنار : أقبح العيب والعار ، وقلما يفردونه من « عار » فيقولون : عار وشنار ، « اللسان » (شنر).

فالعزة والإباء ، والكرامة والإخاء ، خلال عظمى ، ومثل عليا ؛ دعا إليها الدين ، وحث عليها ، وغرسها فى قلوب أبنائه ، وتعهدها بالنماء ؛ ليوقن المسلم يقينا لا يهتز : بأن كل متكبر ـ دون الله ـ فهو صغير ، وكل غنى ـ سواه ـ فقير ، وكل متعاظم ـ بعده ـ حقير ؛ كل ذلك لأنه لا يخاف إلا الله ، ولا يرجو إلا إياه ،ولا يطلب المدد والنصر إلا من عنده سبحانه ؛ فلا يطأطىء رأسه لمخلوق ، ولا يتضعضع لبشر ، ولا يكون جبانًا مستباحًا غرضًا لكل طامع ،ولا ضعيفًا لقمة لكل جائع ، بل يستميت دون دينه ونفسه ، وعرضه وماله ، وإن حصل له مشقة وعناء ، وأريقت من أجل ذلك دماء ،ومزقت فيه أشلاء ـ فإن ذلك كله رخيص لصيانة الدين والديار ، وحماية العرض والأهل والذمار[1] ؛ فالبقاء على الذل مرفوض ، وقبول البغى والضيم ممنوع ، وأخوة الإسلام ورابطة العقيدة تسمو على كل الروابط المادية ، والنعرات الطائفية .

وأينما ذكر اسم الله فى بلد　　عددت ذاك الحمى من صلب أوطانى

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين ؛ لإخفاق الحق ، وإبطال الباطل ، وردع المعتدى ، وكف الظالم ، وإجارة المهضوم .

وإن خذلان المسلم[2] لأخيه المسلم : أمر عظيم ، وخطب جسيم ، وهو ذريعة خذلان المسلمين جميعًا ؛ حيث يقضى على خصال الإباء والشهامة ، والبذل والنصرة بينهم، وقد عزت الأمة وسادت ، وانتشرت وقادت ، يوم أن اعتزت بالإسلام ، وجيشت الجيوش، وسارت القوافل لقمع أعداء الدين؛ فيوم تطاول علج[3] على امرأة من المسلمين، ويوم لطمت امرأة أخرى فى « عمورية » من بلاد الروم ـ سارت جيوش المسلمين ،أولها عند العدو ، وآخرها فى بلاد المسلمين ؛ لرفع الظلم عن هذه المرأة المظلومة[4] ، ولله در القائل :

السيف أصدق أنباء من الكتب　　فى حده الحد بين الجد واللعب
أجبته معلنا بالسيف منصلتا　　ولو أجبت بغير السيف لم تجب[5]

---

(١) الذمار : الحرم والأهل ،وكل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفع عنه . « اللسان » (ذمر) .

(٢) الخذلان : ترك النصرة والعون . « اللسان » (خذل) .

(٣) العلج : الكافر من كفار العجم ، وجمعه : أعلاج وعلوج . « اللسان » (علج) .

(٤) انظر قصة فتح « عمورية » أيام المعتصم فى « البداية والنهاية » (١٤ / ٢٥٢ ـ ٢٨٥) .

(٥) البيتان من قصيدة لأبى تمام فى مدح المعتصم فى فتح « عمورية » . انظر : ديوانه بشرح التبريزى (١ / ٤٠ ، ٦٣) .

ويوم أن هانت الأمة عند ربها، هانت عند أعدائها ؛ ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨].

نعم ؛ هانت الأمة يوم أن وهت أواصر الأخوة بين أبنائها ،ونظر أحدهم إلى أخيه فى العقيدة نظرة ازدراء وتنكر ،وأصبح المسلم ، بل أصبحت شعوب إسلامية تنتقص ، بل تباد؛ فلا يملك المسلمون إلا هز الأكتاف ، وثنى الأعطاف ، وكأن الأمر لا يعنيهم ! .

أمة الإسلام ، لقد نكبت هذه الأمة بكوارث ونكبات ،وأحاطت بها تحديات ومؤامرات، أصابتها عبر تاريخها المديد محن وبلايا ، ومآس ورزايا ، حلت مصائب وكروب، وحدثت جراحات وخطوب ، مآس هنالك ، وحروب هناك ، طعنات كثيرة ، وسهام شتى.

ولو كان سهما واحدًا لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث

* * *

وكنت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

لقد أحل الأعداء بأمة الإسلام قتلا وتشريدًا ، وأصبح حالهم كما وصف الغيور بقوله:

أحل الكفر بالإسلام ضيما يطول به على الدين النحيب !
فحق ضائع وحمى مباح وسيف قاطع ودم صبيب !
وكم من مسلم أمسى سليبًا ومسلمة لها حرم سليب !
وكم من مسجد جعلوه ديرًا على محرابه نصب الصليب !
أمور لو تأملهن طفل لطفل فى عوارضه المشيب(١) !
أتسبى المسلمات بكل أرض وعيش المسلمين إذن يطيب ؟!
أما لله والإسلام حق يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكم أجيبوا !

نعم ، أجيبوا الله ويحكم أجيبوا ! ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٧] ، ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي

---

(١) أي : لدنا الشيب من عوارضه ،وهى صفحات خده . انظر : « اللسان » (طفل) .

ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف : ٣١ ، ٣٢] .

أمة الإسلام ، الخطب عظيم ، والمصاب جلل ،وأحوال المسلمين وأوضاع الأمة تبعث على الأسى والقلق ، وجراحات المسلمين ونزف دمائهم تصيب المتابع بالحسرة والأرق ؛ أحوال تشكى إلى الله !! فدماء المسلمين أرخص الدماء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! أعداء الإسلام يقيمون الدنيا ولا يقعدونها ، لا لأن أحدًا منهم يقتل ، وإنما لأن شخصًا يتجرأ بتصريح يحابى سواهم ، أو يعادى مناهم .

فالله المستعان ، إلى متى الذلة يا أمة الإسلام ؟! إلى متى تظل الأمة تتجرع غصص المذلة أمام أعداء الإسلام ؟! ماذا أصاب المسلمين ؟! أين شعور الجسد الإسلامى حين يصاب جزء منه ؟! ماذا أصاب خير أمة أخرجت للناس ؟! ماذا جرى لأمة العز والشهامة، وأمة النجدة والكرامة ؟! إلى متى يظل الإسلام يحجم فى حدود جغرافية ،وخرائط سياسية؟! أين موقع المسلمين فى النظام الدولى الجديد ؟! أين الصوت الإسلامى على منابر العالم ، وفى المحافل الدولية ؟! أين مكانة المسلمين فى القرارات العالمية ؟! لماذا لا يكون لهم وزن ولا تأثير ؟! لماذا يأخذ الأعداء زمام المبادرة فى كل قضية ، بما فيها قضايا المسلمين؟! لماذا يترك لهم الميدان وحدهم ، والمسلمون يتفرجون ؟! ماذا جنى المسلمون حين تقاعسوا(١) عن القيام بواجبهم ، والدفاع عن حقوقهم ؟!

اقرؤوا التاريخ ، وتأملوا السير والأحداث لقد ضاعت الأندلس جزيرة الإسلام بعد أن حكمها المسلمون ثمانية قرون ، ماذا جنت الأمة جراء التخاذل ؟! ولقد ضاعت فلسطين هى الأخرى ، فهل تترك حصون أخرى للضياع ؟! وهل يفرط المسلمون فى بلادهم ؟! هل تترك البوسنة والهرسك للضياع والنهب والسلب ، وهى تلاقى اليوم حرب إبادة لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلا ؟! إنها مأساة بكل المقاييس ، ومعضلة بكل المعايير ! فاقت الأوصاف ، يعجز اللسان عن تصوير المأساة ، ويخفق الجنان(٢) عند عرض الأحداث ، ويعيا البيان عن ذكر المآسى ، ويسقط القلم من هول الحقائق ، ويقصر الوصف عما يحدث هناك من إبادة شاملة ، تحت سمع العالم وبصره !! .

هذا ؛ وتشير آخر التقارير إلى أن الوضع مروع بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وأن أعداء الإسلام يجدون لإسدال الستار ، بعد عرض آخر المشاهد ، فى مسلسل القضاء على المسلمين هناك ؛ فى صمت رهيب ، وسكوت عجيب ، وتخاذل مطبق ؛ فأين الناس عن

(١) تقاعسوا : تأخروا . « القاموس » (قعس) .

(٢) يخفق الجنان ، أي : يضطرب القلب ويتحرك . « تاج العروس » (خفق) (جنن) .

عظم هذه المأساة ؟!أين المعنيون بقضايا الأمة وشئون الدول ؟! أين منظمات العالم وهيئاته المتحدة ، ومجلس أمنه ، ومحكمة عدله الدولية ؟! أين المتبجحون برعاية الحقوق الإنسانية؟! وأخيرًا : أين الدول والحكومات والشعوب الإسلامية ؟!

إنه إن تخاذل هؤلاء وأولئك ، فإن لإخواننا هناك ربا يحميهم ، وللأعداء نارًا تصليهم! لقد قدم المسلمون فى البوسنة والهرسك حتى الآن أكثر من ستين ألف قتيل !! وبلغ عدد المعتقلين ما يزيد على مائة وثلاثين ألف معتقل !! وعدد الجرحى يزيد على مائة ألف جريح !! أصبح أكثرهم معاقا ، وعدد المهاجرين والمشردين ما يقرب من مليون ونصف مليون !! أما المحاصرون داخل المدن : فإنهم يزيدون عن مليون شخص ، معرضون جميعا لخطر الموت والبرد والجوع ، بل إن نصف مليون مسلم ـ لا سيما من الأطفال ـ مهددون بالموت فى موسم هذا الشتاء ؛ الذى تصل فيه درجة البرودة ما بين عشرين وثلاثين درجة تحت الصفر !!

هذا ؛ وقد عمد الصرب إلى القيام بأعمال دنيئة ، منها : اغتصاب الفتيات المسلمات؛ حيث تم حصر عدد المسلمات الحوامل من جنود الصرب الظلمة ، فبلغ العدد ثلاثين ألف مسلمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !! ويذكر شهود عيان أنهم يرون الصرب المجرمين الظلمة ، يحفرون فى صدر المسلم أو جبينه صورة الصليب بالسكاكين ـ والعياذ بالله ! ـ إمعانا فى الكيد للإسلام وأهله ؛ كما دمروا أكثر من مائتى مسجد !! فأين القلوب التى تحترق غيرة وحسرة على أحوال المسلمين ؟! أف لعين لا تسح دمعا على هذه الأحوال ! ولقلب لا يتقطع حسرة على هذه الأوضاع !! ونعوذ بالله من قسوة القلوب ، وجمود المشاعر ، وتبلد الأحاسيس ، وموت الضمائر !!

أمة البطولات ، أين واجبك الإسلامى فى هذه القضية وسواها إزاء التخاذل العالمى؟! أيعجز المسلمون ـ وهم أكثر من مليار مسلم ـ أن يقدموا لإخوانهم النصرة والمعونة ؟! أيعجز حكام المسلمين أن يكون لهم قرار يرموا بثقلهم لدى أصحاب القرار ، ولا يكتفوا بالشجب والإدانة والاستنكار ؟! لقد سئمت الأمة عبارات الإدانة ، ومجت كلمات الاستنكار ، وهى اليوم تتطلع إلى حلول عملية جادة عاجلة ،وخطوات قوية جريئة .

ومع هذه الأوضاع القائمة ، والأحوال الداكنة ، تضيئ شمعة أمل : تتمثل فى دعوة خادم الحرمين الشريفين ـ وفقه الله ـ لعقد مؤتمر خاص لبحث هذه القضية الخطيرة ، وليس هذا بغريب على بلاد الحرمين ، محط أنظار العالم الإسلامى ، ولكن المهم المهم : أن يتبع ذلك الخطوات العملية لمقاطعة الدولة الصربية المجرمة ؛ عسكريًا ، وسياسيًا ، واقتصاديًا ؛ فقد حاربت المسلمين حرب عقيدة ، منذ ما يقارب خمسين عامًا ، ولكن حربها اليوم أكثر

قساوة ، وأشد ضراوة ؛ كما يجب أن يرفع الطوق عن المسلمين هناك ، وأن يسمح لهم بشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم ، عجيب كل العجب ، وغريب كل الغرابة !!

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس ؟!(١)

وأن يزال الحصار الاقتصادى عن إخواننا هناك .

فيا خادم الحرمين الشريفين ، دمت موفقا بتوفيق الله ، مكلوءا برعاية الله .

ويا من وهبكم الله الثقل العالمى ، والكلمة فى المحافل الدولية ، إن أوضاع المسلمين تحتاج إلى حلول عملية سريعة ، وأنتم أولى من يتصدى لها ، فلكم من الله عظيم المثوبة ؛ على الدعوة إلى مؤتمر قضية البوسنة والهرسك ، ونريدها ثانية للصومال ؛ فليست أحسن حالا من أختها ، وثالثة لبقية القضايا الإسلامية ، ولا ننسى فلسطين والأقصى ؛ حيث الانتهاكات الصهيونية على أشدها ؛ فعسى أن تحل قضايا المسلمين بجدية على أيديكم المباركة ، وتفوزوا بالأجر العظيم على مواساتكم إخوانكم المسلمين ! وعسى أن تطوى ـ بإذن الله ـ صفحات مآسى المسلمين فى كل مكان ؛ ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

وكان الله فى عون العاملين لنصرة دينهم وأمتهم ؛ إنه جواد كريم .

اللهم ، بارك لنا فى القرآن ، وانفعنا بما فيه من الهدى والبيان .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ وتوبوا إليه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) البيت لأحمد شوقى ، من قصيدته السينية التى عارض بها سينية البحترى. انظر : « ديوانه » (٢ / ٤٥) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ؛ نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو المستعان على ما نرى ونسمع ونشاهد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد عظم المطلوب ، وقل المساعد ،وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ فالخطب عظيم ، والكرب زائد ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ، أفضل معلم ، وأكرم مجاهد، صلى الله عليه وعلى آله أولى الفضل والمحامد ، وصحبه الكرام الأماجد ، والتابعين ومن تبعهم بأهدى السبل وأصح العقائد ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾[البقرة : ٢٨١] .

واعلموا أن مسلسل أعداء المسلمين لا ينتهى عند حد ؛ فكلما انتهت قضية ، أنشؤوا أخرى ، وكلما استولوا على بلد ، هموا بآخر ، وهذا يجسد مسؤولية الوعى بهذا المخطط الرهيب .

ولسائل أن يتساءل : وما دور الفرد حيال هذه الظروف الصعبة ؟ والجواب واضح ـ بحمد الله ـ : بالدعاء ، والمتابعة ، والإحساس ، والشعور ، وكل بدوره ، وعلى ثغر من ثغور الإسلام ، فالله الله ، لا يؤت الإسلام من قبله ، ونحن مسؤولون أمام الله عن قضايا إخواننا ، ولن نعذر أمام الله أبدًا بتقصيرنا وتخاذلنا .

وحينما تعرض مآسى المسلمين ، فإن كثيراً من الناس يعيشون مآسى اللهو والغفلة ، والبعد عن شريعة الله ، ولا حل للمشكلات إلا بالعودة الصادقة ، والتطبيق الجاد لشرع الله ، والتمسك القوى بحبل الله ، وتسخير كل الوسائل الإعلامية ، والتقنيات الحديثة لخدمة هذا الدين ، والدعوة إليه ، ومشكلات المسلمين ـ بإذن الله ـ سحابة صيف عما قريب تنقشع ، والنصر للإسلام وأهله طال الزمان أو قصر ؛ ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[يوسف : ٢١] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على إمام المجاهدين، وسيد الأولين والآخرين؛ كما أمركم بذلك رب العالمين ؛ فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٥٦] .

لوعة الضمير، على قضية كشمير (١)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، سبحانك ربنا ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك ، سبحانك وبحمدك ، لا يخلف وعدك ، لا يهزم جندك ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف بإذن ربه الغمة ،وجاهد فى الله حق جهاده ، بنفسه وسنانه ، وماله ولسانه ، اللهم صل على حبيبك وخليلك ،ومصطفاك ورسولك ، وعلى آله الشرفا ، وصحبه الحنفا ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، أوصيكم ونفسى بتقوى الله عز وجل ، فبتقواه سبحانه : تستجلب الأرزاق ، ويستنزل النصر ، وتستكشف الهموم ، وتنجلى الغموم ، وتستمطر الرحمات ، وتستدفع الفتن والمحن والكربات .

أيها الإخوة فى الله ، من منطلق الأخوة الإسلامية ، وحرصا على ترسيخ مفهوم المؤاخاة بين بنى الإسلام ، وشعورا بمآسى أمتنا الإسلامية ، واهتماما بقضايا المسلمين ؛ ليكون المسلم على بينة من أحوال إخوانه فى العقيدة ، واطلاعًا على صفحة دامية ،وسلسلة شائكة ، من حلقات العداء للإسلام وأهله ، والصراع بين معسكر الإيمان والوثنية ـ الذى لا زال مستعر الأوار (٢) ، متصل الحلقات ، آخذًا بعضه بزمام بعض ـ علنا نقدم شيئًا يكون معذرة إلى الله ، وجوابا للتاريخ ، ولن نعدم ـ بحول الله ـ آذانًا صاغية ، وعقولا واعية ، وقلوبا رحيمة ، وأفئدة يشتعل فيها فتيل الحمية الإسلامية (٣) ، والغيرة على حرمات المسلمين المنتهكة ؛ فيكون ـ من جزاء ذلك ـ الخير للبلاد والعباد .

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) أى : متوقدا ملتهبًا ، والأوار : اللهب ، واستعر أوار النار : توقد لهيبها . انظر : « تاج العروس» (سعر) (أور) .

(٣) الحمية الإسلامية : الغيرة على الإسلام . « النهاية » و « اللسان » (حمى) .

لذلك كله : أستسمحكم ـ إخوة العقيدة ـ أن أنتقل بكم نقلة شعورية من مهبط الوحى ومنبع الرسالة ؛ حيث تنعـمون بالأمن ـ لتحسوا بمدى نعـمة الله عليكم ـ إلى هناك ، وما أدراك ما هناك ؟! بلاد تقع فى أقصى القارة الهندية ، تمثل واديًا بمثـابة وردة متفتحة ، على سفوح جبال « الهـملايا » وتعد من أجمل بلاد العالم ؛ إذ تبدو قطعة من الجـمال الطبيعى الخلاب ، تحيط بها الحـدائق والغابات ، وتفترقها الأنهار والبحـيرات ، وتتلألأ بها الثلوج الناصعـة فوق قمم جبـالها الشاهقة ، تكسـوها الخضرة البـديعة ، لكن معالم هذا المشـهد الأخاذ اختفت ،وملامحـه المشهورة تغيرت ، وتبدلت فرحتها أتراحا ، وبهـجتها جراحا ، وانقلبت سراؤها ضراء ، كانت بالأمس وردة ضاحكة ، لكنهـا اليوم تذرف الدموع باكية ، وكيف لا تبكى ؟! وكيف لا يحق لنا مـعها البكاء ؟! وقد قتل رجالها ، وعـذب شبابها ، ورملت نساؤها ، ويتم أطفالها ، وانتهكت أعراضها ، وأحرقت أنعامها ، وهدمت منازلها ومساجدها ، واجتـثت خضرتها وغاباتها ، وبدت كئيبـة الملامح ، عابسة المحيا (١) ، قد ذبلت نضارتها ،وتحولت جحيمًا مستعرًا ، ومـسرحا للعدوان والهمجية ، وميدانًا للتعسف والظلم والوحشية ، يتـولى كبر ذلك حثالة(٢) من أسافل البشر ـ يكفـى من خستهم أنهم يعبدون البقر ـ فى حقـد أعمى ، وصلف أرعن ، لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة ، ولكن لماذا ؟! والجواب : ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [البروج : ٨] .

بعـد ذلك ـ يا رعـاكم الله ـ لا شك أنكم أدركـتم بلاد المأسـاة ، إنهـا حـيث يذبح الضمير، على ثرى بلاد الإسلام والجهاد : فى « كشمير » .

إخوة الإيمان ، كشمير المسلمة صوت لا يسمع ، وأنين لا يسمع ، جرح ينزف ، ودم يجرى ، ودمع لا يكفكف(٣) ، غفل عنـها كثـير ، وشغل عـنها جم غفـير ، وتجـاهلها الإعلام العالمى ، وخـذلها الإعلام الإسلامى ـ مع شـديد الأسف ـ فأصبحت قـضية تكاد تكون منسية مغمورة ، وفى ثنايا الأحداث مطمورة، قليل من يعرف أبعاد المؤامرة تجاهها ، وقليل من يتفاعل مع أحداثها ، ويتابع أخبارها ، ويقدم الحلول لها ، فالمأساة ليست وليدة اليـوم ، ولكنها فى عـقـدها الخامس ، فـمنذ قـرابة نصف قـرن من الزمان ، والوثنيـون الحاقدون يشنون أبشع وسائل القمع الوحشـى ، ضد الشعب الكشميرى المسلم ، دون ذنب جناه ، ومن غيـر جريمة اقترفهـا ، سوى تمسكه بعقيـدته وكرامته وحريـته ،وإصراره على

(١) المحيا : الوجه . « النهاية » (حيى) .

(٢) الحـثالة من الـناس : رذالهم وشرارهم ، والحـثـالة : الردىء من كل شىء . « اللسـان » و « تاج العروس » (حثل) .

(٣) أي : لا يرد ؛ لكثرته ، كفكف دمعه : رده ؛ ليجف . « اللسان » (كفف) .

العيش فوق أرضه فى أمن وسلام ؛ بل ووفق القرارات العالمية ، لكن أعداء الدين - من أهل الشر والوثنية - لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة ، فلجؤوا إلى لغة الحديد والنار ؛ لابتلاع بلاد كشمير الوادعة (١) ، وتصفية شعبها المسلم الأبى ؛ فارتكبوا أعمالا وحشية ، وفعلوا جرائم وفظائع تترية ، يأباها الدين والشرف ، وترفضها المروءة والإنسانية ؛ نصبوا المجازر بكل صلف وهمجية ، فى أبشع صورة لانتهاك حقوق الإنسان ،ومع ذلك : فقد وقف العالم كله بهيئاته ومنظماته ، ووكالات أنبائه ووسائل إعلامه ، فى حالة صمت مطبق ، وسكوت محير ، وتخاذل رهيب ، وسبحانه ربى العظيم ! ماذا سيحدث لو حصل معشار ذلك لأحد ممن يتكلمون لغة ما (٢) ، ويتحلون بسحنة ما (٣)؟! لكن ينقضى عجبك فى وقت الصراعات السياسية ، والتقلبات الاقتصادية والاجتماعية ، والتغيرات العالمية ! .

أيها الأحبة فى الله ، لقد ارتكب الهندوس الوثنيون - فى القارة الهندية عامة وفى كشمير خاصة - جرائم يندى لها الجبين (٤)؛ فكم من مسن بحاجة إلى الرعاية والعناية ، ضرجوه بدمائه (٥)! وكم من امرأة ثكلى ، أفقدوها زوجها ووليدها ! وكم من طفل برىء يحتاج لمسة حنان ، ودفقة عطف وشفقة ، أفقدوه أمه الرءوم وأبوته الحانية !

وها هى كشمير الآن تقف على فوهة (٦) بركان يوشك أن ينفجر ؛ فيقضى على الأخضر واليابس ؛ فكل شىء هناك مضطرم ، والوضع فى حالة غليان مروع ، والشارع الكشميرى تغيرت معالمه ؛ فأصبح مسرحا للكمائن والغارات المستمرة ، والمنازل تحولت إلى ثكنات (٧) عسكرية ، ووصلت انتهاكات حقوق الإنسان إلى درجة مذهلة ؛ فقد تعطل النظام، وانهار الاقتصاد ،ومنع وصول المواد الغذائية والطبية ، وفرض حظر التجول باستمرار ، كل ذلك من أجل إخفاء المأساة ، وتعتيمها على الرأى العالمى والإسلامى .

أمة الإسلام ، وتتحدث آخر الإحصاءات الموثقة عن أرقام ، لولا أنها حقائق ثابتة ، لعدت من ضروب الخيال والمبالغة ؛ فقد بلغ عدد الضحايا قرابة ثلاثين ألف مسلم ! وتم

---

(١) الوادعة : الهادئة المستقرة . « اللسان » (ودع) .

(٢) أي : غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

(٣) السحنة - بفتح السين ، وقد تكسر: الهيئة واللون والحال ، وسحنة الرجل : حسن شعره وديباجته. « اللسان » (سحن) .

(٤) ندى الجبين يندى ندى ، أى : عرق حياء . « أساس البلاغة » و « اللسان » (ندى) .

(٥) أي : لطخوه بها . « اللسان » (ضرج) .

(٦) الفوهة من كل شىء : فمه وأوله . « اللسان » (فوه) .

(٧) ثكنات الجند وثكنهم : مراكزهم ،واحدتها : ثكنة . « اللسان » (ثكن) .

اعتقال ضعف ذلك ! وشرد زهاء مائة ألف أسـرة !! وانتهك عرض أكثر من ألفى امرأة !! وبقرت بطون أكثـر من ستمائة بريئـة !! وأحرقت آلاف البيوت والمزارع !! ودمر كـثير من المدارس والمساجد !! وغـير ذلك مما تقشعر من هوله الأبدان ، وكأن الأمـر دبر بليل ؛ فيا لذل الأمـة !! ويا للخزى والعـار الذى حل بهـا !! كم من هم يتربـع على ناصيـة القلب المعنى[١] ، ويقود زمامـة !! وكم من دمعة حرى تخط وسما على الوجـوه المتألمة لأوضاع أمتنا المأساوية !! وكم تعالت صيحات الخطر ، وارتفعت رايات النذر !! ولكن كما قيل :

فـــــلا الأذان أذان فـى منـارتـه إذا تعـــــالـى ولا الآذان آذان !

أين الغيـرة والحميـة ؟! وأين النخوة[٢] والمروءة ؟! ولكننا نخـشى أن نكون ممن قيل فيهم :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنتحب الفتاة ؟
فقالت كيف لا أبـكى وأهـلى جميعـًا دون خلق الله ماتوا

فها هى كـشمير تنادى وتستـغيث ، ولكن هل من مجيب ومـغيث ؟! هل من يسمع صوت وا إسلاماه ، وا معتصمـاه ؟! هل من معتصم يجود الزمان به ؟! ولله در القائل فى تصوير هذه المأساة :

كشـمير ما لى أعـانى الحزن والألما والخطب[٣] أعيا بى الأقـلام والكلما
وعــالـم اليـوم ألقـــاه بلا نظـــر وقـــد أقـــام عـلى آذانه صـــمـــمـــا
إن كـان للحـقـد أرباب ومـعلمـة فمـــــا الهندوس سـوى أربابه اللؤمـا
يا أهل كـشمير إن الله ناصـركم فـواصلوا دربكم واستـنهضوا الـهمـما
قلوبنـا مـعكـم والمال نبـــــذله ودون أجــر نحــد السـيف والقلمــا
فـالدين يجـمـعنا إن فـرقت لغـة والشـوق للحـور قلبـا صـادقًـا وفـمـا

فيا أيها السـاسة والقادة ،ويا أيها العلماء والمصلحون ، ويا أيـها الأثرياء والغيورون ، ويا أيها الإعلاميون ، ما لكم صامتين ، وعن نصرة إخوانكم محجمين ؟!

إن الوضع هناك يتـطلب حلولاً عـاجلة ،وجـهـودًا فورية مـن الهيـئـات العـالمـيـة ، والحكومات الإسلامية ، والمنظمات الإغاثية .

---

(١) القلب المعنى ، أى : المهموم المتعب . انظر : « اللسان » (عنى) .
(٢) النخوة : الفخر والعظمة . « اللسان » (نخو) .
(٣) الخطب : واحد الخطوب ، وهو الأمر تقع فيه المخاطبة . « تاج العروس » (خطب) .

فهل من غضبة لله ، وغيرة على دينه ، ووقفة عند حدوده ، ونصرة لأوليائه ؟! وهل من درة عمرية (١) ، وغضبة مضرية (٢) ، وحمية دينية ؟!

إن كل الغيورين من أبناء المسلمين ، ليستنكرون الوسائل القمعية(٣) الوثنية ضد إخوانهم فى كشمير ، ويهيبون (٤) بحكومات الدول الإسلامية والعالمية ، وكافة الشعوب والمنظمات الدولية والإسلامية ، أن يهبوا جميعا لنصرة الشعب الكشميرى المضطهد الأبى ، ويقفوا مع إخوانهم المجاهدين فى كشمير ، ويمدوهم بالدعاء والمال ، والعتاد والرجال ، وأن يكثفوا جهودهم وضغوطهم على كافة المنظمات الدولية ؛ حتى يعود للشعب الكشميرى حقه المشروع ،ويسلم من القمع والاحتلال الوثنى لخيراته ومقدراته ، والله حسبنا ونعم الوكيل ،وهو وحده المستعان !

بارك الله في جهود العاملين ، وسدد الخطا على درب العزة والكرامة ؛ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الدرة ، بالكسر : درة السلطان التى يضرب بها ، والجمع درر . « تاج العروس » ، (درر) ، والدرة العمرية : نسبة إلى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

(٢) الغضبة المضرية : نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذا من قول القحيف بن عمير :

إذا ما غضبنا « غضبة مضرية » هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

انظر : « اللسان » (غشم) (حجب) ، و « تاج العروس » (حجب) .

(٣) القمعية : نسبة إلى القمع ، وهو القهر والذل . « اللسان » (قمع) .

(٤) يقال : أهاب به يهيب ، أى : دعاه . « اللسان » (هيب) .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، وخالق الناس من تراب ، أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منزل الكتاب ،ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، خير نبى أنزل عليه خير كتاب ، فسن السنن ، وبين الأخلاق والآداب ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خير آل وأفضل أصحاب ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن عليكم واجبًا مناطا بعواتقكم(١) فى قضية إخوانكم هناك ، فأمدوهم بدعائكم وأموالكم .

أمة الإسلام ، إن المحنة الى تتعرض لها كشمير المسلمة ، تتطلب من الأمة الإسلامية عامة ، والمنظمات الخيرية والإغاثية خاصة : أن تهتم بهذه القضية الساخنة ، وأن توليها عناية فائقة ، فقد طال ظلامها ، وزمن السكوت عن معاناتها ، وإن أنظار العالم الإسلامى لتتطلع إلى دولتين عظيمتين ، لهما ثقلهما السياسى والدولى ، ووزنهما الشعبى والعالمى، هما : دولة الحرمين الشريفين ـ حرسها الله ـ ودولة باكستان الإسلامية ، فلقد كان لهما ـ ولا يزال بحمد الله ـ دعم لكثير من القضايا الإسلامية ، وتكللت ـ بحمد الله ـ بالتوفيق ، فأولوا كشمير الإسلامية مزيد عناية ؛ فهذه البلاد ـ المحروسة بقيادتها وشعبها ـ لها القدح المعلى فى نصرة قضايا المسلمين ، جعله الله في موازينها ، وقد كان لها مع شقيقتها المسلمة دولة باكستان الفضل ـ بعد الله ـ فى تخفيف معاناة الشعب الأفغانى المسلم ، فليكن للشعب الكشميرى ما كان لجاره الأفغانى ؛ إسهامًا فى تخفيف مأساته ، وسعيا لنيل حريته وكرامته .

ولتعلموا ـ يا رعاكم الله ـ أنه وإن بلغ مكر الأعداء ما بلغ ، فإن الله بفضله وعونه ـ مظهر دينه ، وناصر أولياءه ؛ فمع كل هذه الأجواء الداكنة ، تكونت فى كشمير المجاهدة: انتفاضة جهادية ، وحركات إصلاحية ، يقوم عليها رجال ـ نحسبهم ولا نزكى على الله أحدًا ـ حريصين كل الحرص على رد المعتدى ، ونصرة المظلوم ، ولا تزال ـ بحمد الله ـ تحقق نصرا إثر نصر ، وتتقدم يوما بعد يوم ، لكنها تظل بحاجة إلى مساندة فعلية : إما

(١) أي : معلقا بها ؛ تقول : أناط الأمر بفلان : علقه به ، وعهد به إليه . « تاج العروس » (نوط).

عن طريق كفالة يتيم ، أو بناء مسجد أو مدرسة ، أو جهد عقدي ، أو دعوى ، أو إعاشي، ونحو ذلك ، وطريق التعرف على تفاصيله مرجعه الجهات الرسمية والخيرية ، بحمد الله .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على البشير النذير ، والسراج المنير ؛ كما أمركم بذلك اللطيف الخبير ؛ فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٥٦] .

القسم العاشر

الرقائق

إلى متى الغفلة، يا عباد الله ؟!(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، نحمده تعالى ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ به من الشرور والخطيئات ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، غفار الذنوب ، وستار العيوب ، وقابل التوبة ممن يتوب ، فسبحانه من إله كريم تواب ، يحب من عباده كل متطهر أواب ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله ، ومصطفاه وخليله ، سيد المستغفرين والتائبين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله ربكم وأطيعوه ، وراقبوه ولا تعصوه ، وتوبوا إليه واستغفروه .

عباد الله ، إن شر ما ابتليت به النفوس : الغفلة ، وأشد ما أصيبت به القلوب : القسوة ، ولا شك أن لهذه الأدواء أسبابًا كثيرة ، يرجع حاصلها إلى مواقعة المعاصى والذنوب ؛ فهى : أكبر حجاب عن المحبوب ، ولا ريب أن الانصراف عما يبعد عن المحبوب أمر واجب ، ولما كان من المعلوم أن البشر ضعفاء مقصرون ، وأن كل بنى آدم خطاؤون ، ولهم من الأعداءمن داخل نفوسهم وخارجها ما يدعوهم إلى مواقعة الشهوات، وارتكاب السيئات ، مما هم معه معرضون للخطر دائمًا ؛ فإن الله جل شأنه ـ وهو الرحيم بعباده ، الرؤوف بخلقه ـ قد جعل لهم حصنا حصينا من الذنوب ، وسدا منيعا ، ودرعا واقيا من الخطايا ، ذلكم ـ يا عباد الله ـ هو : « الإنابة والتوبة ، والاستغفار والأوبة » .

أيها الإخوة المسلمون ، إن استرسال كثير من الناس فى اقتراف المعاصى ، واستمرائهم(٢) الوقوع فى الذنوب ـ أمر عظيم الموقع ، وخيم المرتع ، شديد الخطر على النفوس والمجتمعات والأمم والشعوب ، فكل بلاء وفتنة ، ومصيبة ومحنة ، حصلت للأفراد والجماعات ـ فسببها الذنوب والمعاصى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) يقال : استمرأ الشىء ، أى : وجده مريئا ، والمرىء : الهنىء حميد المغبة « اللسان » و « تاج العروس » (مرأ) .

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وإنه ليجب على كل مسلم أن يبدأ جادا فى إصلاح نفسه ، وتغيير مجرى حياته وحياة أسرته من الشر إلي الخير ، ومن المعصية إلـى الطاعة ، ومن التفريط والتهاون والإضاعة ، إلى التوبة والإنابة والطاعة ؛ هذا إن رمنا صلاح الأوضاع ، ونشدنا استقرار الأحوال وأمن الأصقاع، وقد قـال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]، وإذا كان العـبد لا يدرى مـتى يفجـؤه الأجل ، ولا يعلم متى يبـاغتـه الموت ـ فإن الكيس السعيد ، من وفق للسير فى درب التوبة والاستقامة والصلاح ؛ ليحصل له فى دنياه وآخرته الخير والفلاح ، والتوفيق والنجاح .

إخوة الإيمان والعـقيدة ، إن حاجـة العبد إلى التـوية حاجة ملحـة فى كل مرحلة من مراحل حـياته ؛ لأنها طريق النجـاة وسبب الفلاح ، وقـد علق المولى ـ جل وعلا ـ ذلك بها؛ فقـال سبحانه ـ آمـراً عباده بالتوبة ، مـبينا لهم آثارها : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١] ، وحكم سبحانه بالظلم على المعرضين عن التوبة ؛ لجهلهم بحق ربهم ، وعماهم عن عيوب أنفسهم وآفات أعمالهم ؛ فقال تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات : ١١] .

أيها المؤمنون ، هـا هو مولاكم تعالى وتقـدس ، يناديكم بنداء الإيمان ؛ لتفـيؤوا إلى رحـاب التوبة ، ولـتسـتظلوا بدوحـة الإقـبـال على الله ، بعـيدًا عن شـؤم (١) الذنوب والمعاصى ، وليحصل لكم تكفير السيئات ، ودخول الجنات : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [التحريم : ٨] .

وكما تتأملون ـ يرعاكم الله ـ فإن الله سبحانه شرط للتوبة التى يحصل بها دخول الجنة ـ برحمته سبحانه ـ أن تكون توبة نصـوحا ، ولنستمع ـ رحمنى الله وإياكم ـ لما يقوله أهل العلم ـ رحمهم الله ـ فى بيان هذا المعنى المهم :

يقول عـمر بن الخطاب ، وأبى بن كعب ـ رضى الله عنهـما : « **التوبة الـنصوح : أن يتوب من الذنب ، ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن فى الضرع** » (٢) .

وقال الحـسن البصرى ـ رحـمه الله ـ : « **هى : أن يكون العبـد نادما على مـا مضى ،**

---

(١) الشؤم : خلاف اليمن . « اللسان » (شأم) .

(٢) « تفسير الطبرى » (١٢ / ١٥٨) ، و « مدارج السالكين » لابن القيم (١ / ٣٠٩) .

مجمعا على ألا يعود إليه »[١] .

وقال الكلبي : « أن تستغفر باللسان ، وتندم بالقلب ، وتمسك بالبدن » [٢] .

وقال محمد بن كعب : « يجمعها ـ أي : التوبة ـ أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والانقطاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيىء الإخوان » [٣] .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير آية سورة التحريم : « أي : توبة صادقة جازمة ، تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث[٤] التائب وتجمعه ، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات » [٥] .

وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله : « النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : الأول : تعميم جميع الذنوب ، واستغراقها بها ، والثاني : إجماع العزم والصدق بكليته عليها ، والثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها » [٦] .

وبهذا تتبين لكم ـ يا عباد الله ـ شروط التوبة ، وأنها عظيمة القدر ؛ فهي ليست كلمات مجردة ، وألفاظا معتادة تجرى على الألسنة دون فهم وتحقيق لمدلولها ، ودون عمل وتطبيق لمقتضاها ؛ بل لا بد من تحقيق شروطها ، وانتفاء موانعها .

أيها الإخوة في الله ، التوبة واجبة على الفور ؛ لدلالة القرآن والسنة على ذلك ، ولأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله ؛ فيجب الهرب والحذر منها ، وسواء أكانت الذنوب متعلقة بحقوق الله ، أم بحقوق عباد الله : فإن كان العبد مفرطا في عبادة ، قضاها . أو مظلمة ، أداها . أو وقع في غيبة أخ له ، استحله منها ، أو اغتصب مالا أو حقا لإخوانه ، رده إليهم ؛ لما روى البخاري في « صحيحه » ، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه ؛ من مال ، أو عرض ، فليأته فليتحلله من قبل أن يؤخذ منه ، وليس ثم دينار ولا درهم ؛ فإن كانت له حسنات ، أخذ من حسناته لصاحبه ، وإلا أخذ من سيئات صاحبه ، فطرحت عليه » [٧] .

---

(١) « مدارج السالكين » (١ / ٣٠٩) .

(٢) « مدارج السالكين » (١ / ٣٠٩) .

(٣) « مدارج السالكين » (١ / ٣١٠) .

(٤) الشعث : انتشار الأمر وخلله . « اللسان » (شعث) .

(٥) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٨ / ١٦٨) .

(٦) « مدارج السالكين » (١ / ٣١٠) .

(٧) تقدم تخريجه .

إخوة الإسلام ، لقد جعل الله ـ بمنه وكرمه ـ باب التوبة مفتوحا لعباده ، مهما عظمت سيئاتهم ، وكبرت خطيئاتهم ، وارتكبوا العظائم والقواصم[(١)] ، من الفواحش والمآثم ؛ فليس شيء أعظم من الكفر بالله ، ومع ذلك يقول الغفور التواب : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾[الأنفال : ٣٨] ، ويقول سبحانه ـ بعد ذكر عقوبة عدد من الكبائر ؛كالشرك ، والقتل ، والزنى : ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[الفرقان : ٧٠] .

وقد عرض الله التوبة على المثلثة المكذبة لرسل الله ، القائلين : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ﴾ [المائدة : ٧٣] ، ومع ذلك دعاهم إلى التوبة ؛ فقال سبحانه : ﴿ **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[المائدة : ٧٤] ، فما أوسع حلم الله على عباده ! وما أعظم فضله ونواله ! يؤكد ذلك قوله جل وعلا : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾[طه : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[آل عمران : ١٣٥ ، ١٣٦] ، وقوله عز من قائل : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[النساء : ١١٠] .

فهنيئا لكم أيها المؤمنون ، ويا بشرى لكم أيها التائبون ! تحسنون فتثابون ، وتسيؤون فتستغفرون ؛ فيغفر الله لكم ، وتذنبون فتتوبون ؛ فيتوب الله عليكم ، وقد فتح بابه لكم ليلا ونهارًا ؛ ففى الحديث الصحيح ، عنه ﷺ أنه سبحانه : « **يبسط يده بالليل ؛ ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ؛ ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(٢)] ، وحين ينزل سبحانه إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فى كل ليلة ، يدعو عباده إلى ساحات كرمه ، وميادين فضله ورحمته ؛ فيقول تعالى : « **هل من مستغفر فأغفر له ؟! هل من تائب فأتوب عليه ؟!** »[(٣)] .

وكيف تتصورون ـ يا عباد الله ـ فرح رجل أضل راحلته فى صحراء قاحلة ، وفقد بعيره فى أرض فلاة ، ومفازة مهلكة ، وقد انفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فجد فى

---

(١) القواصم : جمع قاصمة؛ من « قصم الشيء » أى : كسره وأبانه ؛ يقال : نزلت به قاصمة الظهر . « تاج العروس » (قصم) .

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩) ؛ من حديث أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٤٣٣) ، والبخارى (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

طلبها حتى أيس منها ، وأخذ منه الجوع والعطش والجهد كل مأخذ حتى كاد أن يموت ، فبينما هو كذلك إذ وجدها قائمة عنده ، كيف تتصورون فرحته براحلته ؟! فالله - جل وعلا - أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته ! كما في « الصحيحين » من حديث أنس ، رضى الله عنه(١) .

أمة الإسلام ، إن الذنوب مهما عظمت ، فعفو أرحم الراحمين أعظم ، وإن من يظن أن ذنوبه لا يتسع لها عفو الله ورحمته ومغفرته ، فقد ظن بالله ظن السوء ؛ هذا رجل من بنى إسرائيل قتل تسعا وتسعين نفسا ، ثم أكمل المائة برجل عابد ،ولما جاء تائبًا ، تاب الله عليه ، وشمله برحمته ؛ كما وردت قصته فى « الصحيحين » ، من حديث أبي سعيد ، رضى الله عنه(٢) .

ولكن ليس معنى ذلك أن يتعلق أقوام بنصوص الوعد ، ويغلبوا جانب الرجاء ، ويعتمدوا على سعة عفو الله ، محتجين بأنه يغفر الذنوب فيتمادون فى المعاصى ، وينسون العقوبة ، ويغرهم طول الأمل ؛ فهذا أمن من مكر الله ، والعياذ بالله !

فالواجب : المبادرة إلى التوبة ، وترك التسويف ؛فإن تأخير التوبة هو - بحد ذاته - ذنب يستحق التوبة ؛ كيف وإن المؤمن ليخشى أن يحال بينه وبين التوبة وهو لا يشعر ، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم ؟! وقد حذر المولي - تبارك وتعالى - من ذلك ؛ فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [النساء : ١٧ ، ١٨] .

فإلى متى الغفلة ، يا عباد الله ؟! ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] ؟! يا أيها التاركون لما أوجب الله ؛ من صلاة وزكاة وصلة ، المرتكبون ما حرم الله من شرك ، أو ترك للصلاة ، أو تساهل فيها ، أو وقوع فى دم ، أو عرض ، أو مال ، أو مسكر ، أو مخدر ، أو قطيعة وعقوق وسوء خلق ، أو عكوف على اللهو واللغو ، بادروا بالتوبة قبل أن يواريكم الثرى ، ويسرى بكم البلى ، وتكونوا جثثا هامدة ، وجيفا بالية ؛ لا ينفعكم - حينذاك - إلا عملكم المتوج بالتوبة النصوح والإنابة الصادقة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن

---

(١) « صحيح البخارى » (٦٣٠٩) ، و « صحيح مسلم » (٢٧٤٧) .

(٢) « صحيح البخارى » (٣٤٧٠) ، و « صحيح مسلم » (٢٧٦٦) .

رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ـ ٥٦] .

اللهم ارزقنا التوبة النصوح ، وأعذنا من الغفلة ، واعصمنا من الذنوب والمعاصى ، يا حى يا قيوم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٣] ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا ند له سبحانه ولا شبيه، ولا مثيل ولا نظير ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، وكل تابع مستنير .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واستغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه ، واحذروا صغائر الذنوب ؛ فإنها بريد إلى الكبائر ، وإياكم ومحقرات الذنوب ؛ فإنهن يجتمعن على العبد حتى يهلكنه؛ كما صح بذلك الخبر ، عن سيد البشر ـ عليه الصلاة والسلام[(١)] ـ وليكن لكم ـ يا عباد الله ـ فى نبيكم المصطفى ﷺ القدوة الحسنة ؛ فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الذى قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهو أخوف خلق الله من الله ، وأحب عباد الله إلى الله ـ يعد له أصحابه فى المجلس الواحد مائة مرة يقول : « **رب اغفر لى ، وتب على ؛ إنك أنت التواب الرحيم** »؛ كما فى حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عند الإمام أحمد ، وغيره[(٢)] ، وقد ورد فى الحديث الصحيح ؛ أنه ﷺ قال : « **إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كما فى البخارى من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه[(٣)] .

الله أكبر ! إذا كان هذا خوف المصطفى ﷺ ، فما بالنا نحن لا نخاف ونحن المثقلون بالأوزار ، المكبلون بالخطايا والآثام ؟! فلنتق الله ـ يا عباد الله ـ ولنبدأ صفحة جديدة من أعمارنا ، ولنأخذ عهدا على أنفسنا ، ونحن فى حرم الله : أن نتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والمعاصى .

أمة الإسلام ، وإذا كان المسلمون هذه الأيام يستقبلون شهرا كريمًا ، وموسما عظيمًا ، ألا وهو شهر رمضان المبارك: فإن ما ذكرناه من التوبة ـ من حقوق الله، وحقوق عباد الله ـ هو المنهج الصحيح فى استقبال هذا الشهر الكريم ، في الوقت الذى جهل فيه كثير من

---

(١) رواه الطيالسى (٤٠٠) ، وعنه أحمد (١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣) ؛ من حديث ابن مسعود ، رضى الله عنه .

(٢) رواه الطيالسى (٢٠٥٠) ، وأحمد (٢ / ٢١) ، وأبو داود (١٥١٦) ، والترمذى (٣٤٣٤).

(٣) « صحيح البخارى » (٦٣٠٧) .

المسلمين ـ هداهم الله ـ الاستقبال الشرعى والمعنوى لهذا الشهر المبارك ، وعدلوا فى استقباله إلى أمور شكلية ومادية ، يترجم عنها حال كثير من الناس فى هذه الأيام ؛ وهم يتزاحمون فى الأسواق ؛ استعداداً لرمضان ـ بزعمهم ـ فما هكذا تورد الإبل (١) أيها المسلمون ، ومن أراد التوفيق لحسن الصيام والقيام ، فعليه أن يأخذ بأسباب ذلك ؛ من التوبة والاستغفار ، والإقبال على الله جل وعلا ؛ ليحوز على المغفرة والرحمة والعتق من النار فى أيام وليالى هذا الوافد الكريم ، وهذا الضيف العظيم ؛ فانظروا ـ رحمكم الله ـ ماذا أعددتم له من عمل وتوبة ؟!

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على سيد الأولين والآخرين ؛ كما أمركم بذلك رب العالمين ؛ فقال تعالى قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) هذا مثل ، وأصله شعر قاله مالك بن زيد مناة لأخيه سعد ؛ حيث قصر سعد فى إيراد إبل أخيه مالك ، فقال له :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل !

وهو مثل يضرب لمن قصر فى الأمر . انظر : « مجمع الأمثال » (٢ / ٣٦٤) .

« القبر أول منازل الآخرة ! »(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى تفرد بالدوام والبقاء ، وكتب على أهل هذه الدنيا الفناء(٢) ، وجعلها دار امتحان وابتلاء ،وجعل القبور بعدها لأهل الإيمان خير فناء ، أحمده سبحانه وهو أهل الحمد والثناء ، وأشكره فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واسع العطاء ، ذو العظمة والجلال والكبرياء ، المنزه عن الأنداد والشركاء ، والمتعالى عن الأمثال والنظراء ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله سيد الأصفياء ، وخاتم الأنبياء ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأتقياء ، وصحبه الأوفياء ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسماء .

أما بعد :

فأوصيكم ـ عباد الله ـ بتقوى الله علام السرائر ، فاتقوه جل وعلا فى الباطن والظاهر؛ فإن تقواه سبحان أفضل زاد يؤنس فى المقابر ، وخير ما أعد لليوم الآخر ، يوم تبلى السرائر ، ويكشف ما فى الضمائر ؛ يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر ، يوم لا تنفع الأموال ولا الذخائر(٣) .

عباد الله ، من الذى تفرد بالبقاء والدوام ؟! من الذى كتب الموت على جميع الأنام؟! من الحى الذى لا يموت ؟! ومن الواحد الذى لا يفوت ؟! من الباقى فلا يزول ، والأحد الذى لا يتغير ولا يحول ؟! سبحانه هو الله الواحد القهار ، العزيز الجبار ! كتب الموت على العبيد ، وتعالى أن يفنى أو يبيد .

معاشر المسلمين ، من كان الموت طالبه ، كيف يلذ له قرار ؟! ومن كان القبر منزله ، كيف يتخذ الدنيا أفضل دار ؟! لقد ألهتنا الأموال والدور ، وشغلتنا الأولاد والقصور ، عن التفكير فى المصير إلى القبور ، وضيعنا فى غمرة المستجدات والأحداث ، ما نحن صائرون إليه من الأجداث (٤) ، ولما ضعف الإحساس وكثر الإمساس ، أنسينا الدفن

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) الفناء ـ بفتح الفاء ـ : نقيض البقاء ، والفناء ـ بكسرها ـ : المتسع أمام الدار . « اللسان » (فنى).

(٣) الذخائر : جمع ذخيرة ، وهى : ما ادخر . « تاج العروس » (ذخر) .

(٤) الأجداث : هى القبور ، واحدها : جدث ، بالتحريك . « القاموس » (جدث) .

والإرماس[١]، فإلى الله نشكو قسوة القلوب ، مع كثرة القوارع[٢] والخطوب !!

أيها المسلمون ، كم هو شديد الوقع علـى النفوس توديع الأحبة ! وكم هو بالغ الأثر على القلوب فـراق الأعزة ! لكن من آمن بقـضاء الله وقـدره ، وعلم أن هذه سنة الله فى خلقه ، لا يملك إلا الرضا والتسليم ، ولكن العجب ـ أيهـا المسلمون ـ أن كثيراً من الناس فى غمرة ساهون، وفى سكرتهم يعمهون ؛ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١] ؛ كأن الحق فيها على غيرهم وجب ! وكأن الموت فيها على غيرهم كتب ! مـا أحوجنا وقـد غمـرتنا الماديات ، وشـغلتنا الملهيات والمغـريات ، وغـرقنا فى الملذات والمشتـهيات ، حتـى تمكنت من القلوب ، وسيطرت على النفوس ، حـتى لكأننا فى هذه الدنيا مخلدون ! ما أحوجنا ـ والحالة هذه ـ أن نقف قليلا للتفكير فى المصير المحتوم بعد أن كادت الدنيـا تحيـد بفئـام من الناس عن شاطئ السـلامة ، وتقذف بهـم إلى درك الهلاك والغواية ، عياذا بالله من سخطه ، وأليم عقابه !

أيهـا المؤمنون ، هل سـألنا أنفسنا هل تدوم الحـياة على هذه الحـال ؟ أو أن القبـر هو المصير والمآل ؟! هل سألنا أنفسنا عن هذه الجنائز، وعشرات الأموات الذين نصلى عليهم ، أين هم ذاهبون ؟! وعلى ماذا سيقدمون ؟! ما هى أحوالهم ؟! وماذا يفعل بهم ؟! وما هو مصيرهم ؟! ولله در القائل :

هو الموت ما منه ملاذ ومهـــــرب	متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب[٣]
نؤمـــل آمـــالا ونبـــغى نتاجهـــا	وعـــل الردى مما نرجيـه أقرب
ونبنى القصور المشمخرات[٤] في الهوا	وفى علمـــنا أنا نمـــوت وتخرب
إلى الله نشكو قـسوة فى قلـوبـنـــا	وفى كـــل يوم واعظ المـوت يندب
فلله كـم غـاد حبيب ورائـــــح	نشيعه للقبر والدمـــع يسكـب !

---

(١) الإرماس : الدفن ، تقول : « أرمست الميت » : إذا دفنته . « الصحاح » (رمس) .

(٢) القـوارع : جمع قـارعة ، وهى النازلة الشـديدة تنزل على الإنسـان بأمر عظيم ، وفى حـديث أبى أمامـة، رضى الله عنه : « من لم يغز أو يجهز غـازيا ، أصابه الله بقارعـة » أى : بداهية تهلكه . «اللسان » (قرع) .

(٣) يقـال : حط فلان حطا : نزل ، والنعش : السـرير الذى يكون فـيه الميت ليـحمل عليـه . « تاج العروس » (حطط) (نعش) .

(٤) المشمخرات ، أي : العاليات ، جمع مشمخر ، وهو الطويل من الجبال . « اللسان » (شمخر) ؛ شبه به القصر العالى .

نهيل عليه الترب حتى كأنه عدو وفى الأحشاء نار تلهب (١)

لقد ضمت القبور الأوائل والأواخر ، ودخلها الأصاغر والأكابر ، وامتلأت بالمأمور والآمر ؛ ضمت الأنبياء والعلماء ، والأغنياء والفقراء ، والمرؤوسين والرؤساء، والرجال والنساء.

القبر باب وكل الناس داخله فليت شعرى بعد القبر ما الدار ؟!
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الإله وإن خالفت فالنار !

دعونا - أيها الإخوة فى الله - نعيش مع هذا الحدث العظيم ، الذى يصور عظمة هذه المواقف ،وما نحن قادمون عليه ، علنا نعد للأمر عدته ونأخذ له أهبته ؛ روى الإمام أحمد، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم - بسند صحيح - عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله ، كأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ؛ فرفع رسول الله ﷺ فقال : « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » مرتين أو ثلاثا ، ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء (٢) ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها ، لا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : هذه روح فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا - ختى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون فيفتح له ، فيشيعه(٣) من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : « اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها

---

(١) الأبيات مختارة من قصيدة بائية لشاعر نجد الكبير محمد بن عبد الله بن عثيمين .
انظر : القصيدة السادسة عشرة من كتاب « مهلا يا جامع الدنيا » (ص ٥١) ، ومراجعه .

(٢) قوله ﷺ : « كما تسيل القطرة من فى السقاء » أى : تخرج بسهولة . ذكره السندى فى حاشيته على « المسند » . انظر : « مسند الإمام أحمد » (٣٠ / ٥٠٥) .

(٣) يشيعه ، أى : يتبعه ؛ تكريمًا له . انظر : المرجع السابق .

خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى » ، قال : فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيسألانه : عن ربه ، ودينه ، ونبيه ﷺ ، فيجيب ، فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى ؛ فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها (١) ، ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب ، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ! .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل عليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، وهو اللباس الخشن الممقوت ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت ، فيجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، فتفرق فى جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود (٢) من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون: روح فلان بن فلان ـ بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ـ حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ** ﴾ [الأعراف : ٤٠] ، فيقول الله تعالى : « اكتبوا كتاب عبدى فى سجين، فى الأرض السفلى » ، فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ : ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ [الحج : ٣١] ، فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيسألانه: عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، فيقول : هاه هاه (٣) ، لا أدرى ، فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى (٤) ؛ فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ، يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالشر ، فيقول : أنا عملك

---

(١) يأتيه من روحها وطيبها ، أى : يأتيه ما لا يوصف كنهه . انظر : المرجع السابق .

(٢) السفود : حديدة يشوى بها اللحم ، وجمعها : سفافيد . انظر : المرجع السابق .

(٣) هاه هاه : كلمة يقولها المتحير فى الكلام . انظر : المرجع السابق .

(٤) قوله ﷺ : « **أن كذب عبدى** » أى : فيما قال : « لا أدرى » ؛ لأن دين الله ، ونبوة رسوله : كان ظاهراً . انظر : المرجع السابق .

الخبيث، فيقول : رب لا تقم الساعة ! رب لا تقم الساعة!»(١) .

يا له من حديث عظيم ، يأخذ بمجامع القلوب ! وإنه لجدير بمن كان الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير سائله وعمله جليسه ، والقبر مقره ، والبرزخ مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده : ألا يغفل عن هذه اللحظات الحاسمة ؛ روى الإمام أحمد ،وابن ماجه ـ بسند جيد ـ عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال :بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة، فقال : « **علام اجتمع هؤلاء؟** » قيل : على قبر يحفرونه ، ففزع النبى ﷺ ، فبدر بين أصحابه مسرعا ، حتى انتهى إلى القبر ، فجثا عليه فبكى ، حتى بل الثرى من دموعه ، ثم أقبل علينا فقال : «**أى إخوانى ، لمثل هذا اليوم فأعدوا** »(٢) .

وهكذا كان السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ فعن هانىء مولى عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : كان عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ إذا وقف على القبر يبكى حتى تبتل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟! فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه** »(٣) .

وقال ثابت البنانى : « **كنا نشهد الجنازة ، فلا نرى إلا مطرقًا باكيًا** »(٤) .

هكذا كان خوف القوم وقوة إيمانهم ؛ فكيف بحالنا اليوم ؟!

تروعنا الجنائز مقبلات فنلهو حين تغدو مدبرات

فالله المستعان ، وقد ورد أن: « **القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار**»(٥) ، وأنه ينادى : « **ويحك يا ابن آدم ، ما غرك ؟! ألم تعلم أنى بيت الظلمة ، وبيت الغربة ، وبيت الوحدة ، وبيت الدود ؟ !** »(٦) .

---

(١) « المسند » (٤ / ٢٨٧) ، و « سنن أبى داود » (٤٧٥٣) ، و « سنن النسائى » (٤ / ٧٨) ، و« سنن ابن ماجة » (١٥٤٩) ، و « المستدرك » (١ / ٣٧ ، ٣٨) .

(٢) رواه أحمد (٤ / ٢٩٤) ، وابن ماجه (٤١٩٥) .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٢٩٢) ، والترمذى (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) .

(٤) انظر : « شعب الإيمان » (٩٢٧٣) .

(٥) انظر : « جامع الترمذى » (٢٤٦٠) .

(٦) المصدر السابق .

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
تفانوا جميعا فما مُخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى [(١)] فتلغى محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أمالك فيمن مضى معتبر ؟!

كان أبو الدرداء رضى الله عنه ـ يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك؟ فقال : «أجلس إلى قوم يذكروننى معادى ، وإن غبت ، لم يغتابونى » ، وقد قال ﷺ : « **زوروا القبور ؛ فإنها تذكركم الآخرة** »[(٢)] ، وقال ميمون بن مهران : « خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور ، بكى ، ثم أقبل على ، فقال : يا ميمون ، هذه قبور آباء بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ،أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات[(٣)] ، واستحكم فيهم البلاء ، وأصاب الهوان مقلا فى أبدانهم ؟!»، ثم بكى ـ رحمه الله ـ وقال : « والله ، ما أعلم أحدًا آمن ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله تعالى ! » ، فتذكروا ـ رحمكم الله ـ هذا المصير المحتوم ، واستعدوا له بالتوبة والأعمال الصالحة .

اللهم ، إنا نعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم إنا نسألك أن تعصمنا من فتنة القبر ، اللهم اجعل القبور بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا ، وافسح فيها ضيق ملاحدنا ، اللهم أعنا على الموت وسكرته ، والقبر وظلمته ، والموقف وكربته ، والصراط وزلته[(٤)] ، يا حى يا قيوم !

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) بنات الثرى ، يعنى بها : دود الأرض الذى يسلط على الميت فى قبره .
(٢) رواه مسلم (٩٧٦) ، وابن ماجه (١٥٩٦) ؛ من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٣) المثلات : جمع مثلة ، وهى العقوبة . « اللسان » (مثل) .
(٤) الزلة : السقطة . « تاج العروس » (زلل) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الغفور ، الحليم الشكور ، له ملك السموات والأرض وإليه تصير الأمور ، أحمده تعالى حمدا يتجدد فى الرواح والبكور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بيده الحياة والموت وإليه النشور ، شهادة تنفع قائلها يوم يبعثر ما فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ذو الخلق الكريم والعمل المبرور ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم يبعثر ما فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

عباد الله ، إننا حين نتحدث عن هذه القضية المصيرية ؛ فإنه لا بد أن يرتكز فى حسبان كل مسلم : وجوب تحويل هذه القضايا العقدية إلى واقع عملى ، وسلوك تطبيقى فى حياته ؛ بمعنى أنه يجب على كل من آمن بمصيره إلى القبور ، أن يعلم يقينا : أن لا منجى من وحشتها وعذابها، إلا الإيمان بالله عز وجل ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، ولو صدقنا الإيمان بذلك ، لما وجدنا من يدنس العقيدة ، أو يخدش المتابعة ، أو يزنى ، أو يربى ، أو يظلم ، أو يكذب ، أو يغش ، أو يؤذى ؛ لأنه يعلم أنه راجع إلى القبر ، فمسؤول حينذاك عن كل عمله ؛ حين يرجع الأهل والأولاد والمال ، ويبقى العمل وحده(١) .

بمثل هذا التصور العقدى والعملى معا ، من أبناء الجيل الأول : فتحوا المشارق والمغارب ، وبجهلنا ونسياننا لهذه القضايا : خسرنا أسباب النصر والمعالى ،وعوامل الاستقرار والأمن والطمأنينة ، إلا من رحم الله ، لما ضعف إيماننا بهذه الأمور ، حصلت الأحقاد والضغائن ، حتى تمكن الأعداء ، وتداعوا على الأمة كما تداعى الأكلة على قصعتها(٢) .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ،رضى الله عنه : « يتبع الميت ثلاثة » . وقد تقدم تخريجه .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه أحمد (٥ / ٢٧٨) ، وأبو داود (٤٢٩٧) ؛ من حديث ثوبان ، رضى الله عنه ،ولفظ أحمد : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، من كل أفق ؛ كما تداعى الأكلة على قصعتها » ، وقوله ﷺ : « تداعى الأكلة على قصعتها » أى : يدعو بعضهم بعضا ، يقال : تداعت القبائل على بنى فلان : إذا تألبوا ودعا بعضهم بعضا إلى التناصر عليهم . انظر: « اللسان» (دعو) .

ولكن البشائر كثيرة ، والفأل مطلوب ، وواجب العلماء والدعاة : أن يشحذوا الهمم[١] ، ويحركوا العزائم ، يرققوا القلوب بمثل هذه المواعظ ، لعلها تحرك الفتيل ، وتضيء المشاعل ، وتنير الطريق !

فأعدوا للأمر عدته يا عباد الله .

يا أيها الغافلون ، تذكروا هذا المصير المحتوم ،وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

يا أيها المفتونون بالدنيا حلالها وحرامها ، تذكروا القبور ، وتفكروا انطراحكم بين أطباق الثرى .

يا أيها الشباب اللاهى العابث ، الذى غرته غفلته وشهوته ، استيقظ قبل فوات الأوان.

يا أيتها المرأة المضيعة لحقوق الله ، وحقوق نفسها وزوجها وأولادها ، تذكرى ما أنت قادمة عليه .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾[الأنعام : ٩٤] ، وخذوا جميعا بالأسباب المنجية من عذاب القبر ، وهى : التوبة النصوح ، والعمل الصالح ،ومحاسبة النفوس ، والمحافظة على الذكر والتلاوة والاستغفار ، مع صحة المعتقد ، وإخلاص العمل ،وسلامة الاتباع .

ولتحذروا جميعًا ـ يا رعاكم الله ـ أسباب عذاب القبر ، ومنها : الغيبة ، والنميمة ، وعدم التنزه من البول ؛ فقد مر رسول الله ﷺ بقبرين ، فقال : « **إنهما ليعذبان ،وما يعذبان فى كبير ؛ أما أحدهما : فكان لا يستتر من البول ،وأما الآخر : فكان يمشى بالنميمة**»[٢] ، وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **استنزهوا من البول ؛ فإن عامة عذاب القبر منه** »[٣] ، ومن أسباب عذاب القبر ـ والعياذ بالله : الرياء، والربا ، والزنى ، وسائر المعاصى .

فعلينا أن نحدث توبة نصوحا ـ يا عباد الله ـ وعلينا أن نستعيذ بالله من ضغطة القبر وضمته ؛ فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن**

---

(١) شحذ همته ، أي : أحدها وقواها . « تاج العروس » (شحذ) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه الدارقطنى (١ / ١٢٨) ، والحاكم (١ / ١٨٣) .

للقبر لضغطة ، لو نجا منها أحد ، لنجا منها سعد بن معاذ »(١) .

إى والله - أيها الإخوة - ظواهر القبور تراب ، وبواطنها لمن عصى الله حسرات وعذاب !!

هذه لفتة لمحاسبة النفوس ، قبل حلول هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ؛ علها تحدث من الجميع توبة نصوحا ؛ بمن الله وكرمه !

هذا ! وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، بقوله : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب : ٥٦]

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه فى « مسنده » (١١١٤) ، وأحمد (٦ / ٥٥) ، والطحاوى فى « مشكل الآثار » (٢٧٣) .

آثار المعاصي والذنوب على المجتمعات والشعوب [١]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قضى بالخير والعز لأهل الطاعة والإيمان ، وبالذل والهوان لأهل الشر والعصيان ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وأمينه على وحيه ، بشر وأنذر ، وبلغ وجاهد فى الله حق جهاده ، فلم يترك خيرا إلا دل أمته عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على هديه ، والتزموا شريعته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله ربكم وأطيعوه ، وراقبوه دوما ولا تعصوه .

عباد الله ، لقد من الله على هذه الأمة ، فجعلها أمة هداية وقيادة وسيادة ، اختارها الله لأشرف رسالاته ، واجتباها ؛ فبعث فيها أفضل رسله ، وأنزل عليها أعظم كتبه ، ووعدها النصر إن هى نصرت دينه ، والكرامة والعزة إن هى تمسكت بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقد كان لهذه الأمة شرف قيادة العالم قرونا طويلة ، ثم انتزعت قيادتها ، ودالت دولتها [٢] ، وتداعى عليها أعداؤها ، وتتابعت عليها المصائب ، وتلاحقت عليها المحن والنوائب ، وشغل هذا الواقع المزرى ، والوضع المتردى بال الغيورين من أبناء هذه الأمة ، المتطلعين لمستقبلها المشرق ، وغدها المبهج ؛ بإذن الله .

والسؤال هو : ما الذى دهانا معشر المسلمين ؟! وما الذى أصاب أمتنا فذلت وهانت؟! ما الدواعى والعوامل التى أوصلتها إلى حضيض الغبراء[٣] ، بعد أن كانت فى ذرا العلياء؟! ما الذى جرها إلى هذا المنحدر العميق ، وطوح بها فى أعماق هذا الواقع السحيق ؟!

---

(١) خطبة الشيخ / عبد الرحمن السديس من المسجد الحرام .

(٢) دالت دولتها ، أي : انتقل أمرها من الرخاء إلى الشدة ، وصارت الدولة والغلبة لأعدائها . انظر : « النهاية » (دول) .

(٣) الغبراء : الأرض ؛ لغبرة لونها ، أو لما فيها من الغبار . « اللسان » (غبر) ، وحضيض الغبراء : قرار الأرض . « النهاية » (حضض) .

والجواب - الذى لا يختلف فيه اثنان - هو : أن سبب ذلك كله الوقوع فى الذنوب والمعاصى ، ومما لا يقبل الجدل : أن الله تعالى - فى هذه الحياة - سننا لن تتغير فى الكون والخلق ولن تتبدل ، وفى حياة الأفراد والأمم والشعوب لن تتحول ؛ فالأمة التى تسير على شرع الله ، ونهج رسول الله ﷺ - تصل إلى مبتغاها ، وتنال مناها ، والله سبحانه - بمنه وكرمه - يسددها وينصرها ويرعاها ، وليس بين الله وبين أحد من خلقه حسب ولا نسب ، وإذا تركت الأمة أمر ربها ، وخالفت أحكام دينها ، وتنكبت سنة رسولها ﷺ - سلك الله بها طريق العناء والشقاء حتى تراجع دينها ،وما أهون الخلق على الله ، إن هم أضاعوا أمره وجاهروا بمعصيته ، وقصروا فى أحكام دينه ، وهل عذبت أمة من الأمم فى القديم والحديث إلا بسبب ذنوبها ؟! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد : ١١] ، ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] . وفى الحديث المتفق عليه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « **إن الله يغار ، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله** »[١] .

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها [٢]

أمة الإسلام ، إن للمعاصى والذنوب ، أثرًا بالغًا على الأبدان والقلوب ، وشؤما واضحًا فى حياة الأمم والشعوب .

قال الإمام العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - فى ذلك ما خلاصته : « فمما ينبغى أن يعلم : أن الذنوب والمعاصى تضر ، ولا شك أن ضررها فى القلوب كضرر السموم فى الأبدان ، وهل فى الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصى ؟!

فما الذى أخرج الوالدين من الجنة ؟! وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء ، وطرده ولعنه ، ومسخ ظاهره وباطنه ، وبدله بالقرب بعدا ، وبالرحمة لعنا ، وبالجمال قبحا ، وبالجنة نارا تلظى ؟!

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم ، حتى علا الماء رءوس الجبال ؟! وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما عليه من ديارهم وحروثهم ، وزروعهم ودوابهم ، حتى صاروا عبرة للأمم إلى

(١) « صحيح البخارى » (٥٢٢٣) ، و « صحيح مسلم » (٢٧٦١) .
(٢) البيتان لعبد الله بن المبارك . انظر : « الجواب الكافى » لابن القيم (ص ٨٤) ، و « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٢٣٥) .

يوم القيامة ؟!

وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم ، وماتوا عن آخرهم ؟! وما الذى رفع قرى اللوطية ثم قلبها عليهم ؛ فجعل عاليها سافلها حتى أهلكهم جميعًا ، ثم أتبعهم حجارة من سجيل أمطرها عليهم ، وما هى من الظالمين ببعيد ؟! وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رءوسهم ، أمطر عليهم نارًا تلظى ؟!

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ؛ ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم ؛ فالأجساد للغرق ،والأرواح للحرق ؟! وما الذى خسف بقارون داره وماله وأهله ؟! وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا ؟!

وما الذى بعث على بنى إسرائيل قوما ﴿ **أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً** ﴾ [الإسراء : ٥] ، وقتلوا الرجال، سبوا الذرارى والنساء ، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال ، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية ، فأهلكوا ما قدروا عليه ، ﴿ **وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٧] ؟! وما الذى سلط عليهم أنواع العذاب والعقوبات ؛ مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد ، ومرة بجور الملوك ، ومرة بمسخهم قردة وخنازير ؟! وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى : ﴿ **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾ [الأعراف : ١٦٧] »(١) .

ومضى ـ رحمه الله ـ يعدد عقوبات الذنوب والمعاصى وآثارها على القلب والبدن فى الدنيا والآخرة ، مستقرئا نصوص الكتاب والسنة ، متتبعًا أحداث الأمم والقرون ،وتاريخ المكذبين والمعاندين .

ومن **عقوبات المعاصى** : حرمان العلم والرزق ، والوحشة ، والعسر ، والظلمة ، ووهن القلب والبدن ، وحرمان الطاعة ، ومحق البركة ،وهوان العبد على الله ؛ ﴿ **وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الحج : ١٨] ، وفساد العقل ، وضعف العزيمة ، والختم على القلوب ، وإطفاء نار الغيرة ، وذهاب الحياء ، وإزالة النعم ،وإحلال النقم ، والخوف ، والرعب ، والقلق ، وعمى البصيرة ،ومنع القطر ، وحصول أنواع العذاب والبلاء والنكال والشقاء فى الدنيا ، وفى القبر ، وفى يوم القيامة .

وبالجملة : فكل شر وفساد ـ في الماء والهواء ، والزروع والثمار ، والمساكن والعباد والبلاد ، والبر والجو والبحر ، والعاجل والآجل ـ فسببه : الذنوب والمعاصى ، وقد جاء

---

(١) « الجواب الكافى » (ص ٦٠ ، ٦١) .

كتاب الله الكريم بما يؤكد هذه السنن - لا سيما عند ذكر قصص المكذبين من الأمم السابقة - ليكون فيها عبرة وعظة ومزدجر، وذكرى ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، يقول الله جل جلاله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - : « إن للحسنة : ضياء فى الوجه ، ونورا فى القلب ،وسعة فى الرزق ، وقوة فى البدن ، ومحبة فى قلوب الخلق ، وإن للسيئة : سوادًا فى الوجه ، وظلمة فى القبر والقلب ، ووهنا فى البدن ، ونقصا فى الرزق ، وبغضا فى قلوب الخلق »(١) ، وقال الحسن البصرى - رحمه الله - عن أهل المعاصى : « **إنهم - وإن طقطقت بهم البغال(٢) ، وهملجت بهم البراذين(٣) - فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه !** »(٤) .

وبعد :

يا إخوة العقيدة ، أما آن لأمة الإسلام أن تدرك أن ما أصابها فى هذا الزمن - من ضعف واختلاف ، وفرقة وتسلط من الأعداء - إنما هو بسبب وقوع أبنائها فى معاصى الله؟! أما كان الأجدر بها - وهى تعايش ألوانا من العقوبات الدينية والدنيوية ، الحسية والمعنوية التى سببتها المحرمات - أن تراجع دينها الحق ، وتدرك أن ما يطفح به العالم من الفوضى فى كل مجالات الحياة ،وما تعانيه كثير من البقاع من الحروب الطاحنة التى تقضى على الأخضر واليابس ،ومن الأمراض الفتاكة ،والمجاعات المفزعة ، والفيضانات المهلكة ، والزلازل والبراكين المدمرة ، والحوادث المروعة - : إنما هو بسبب ذنوب العباد وإعراضهم عن ربهم ؛ ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن : ١٧] ، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ

---

(١) انظر : « الجواب الكافى » (ص ٧٨) .

(٢) طقطقت بهم البغال ، أي : صوتت بحوافرها ، والطقطقة : صوت حوافر الخيل على الأرض الصلبة . « اللسان » (طقق) .

(٣) هملجت ، أي : أحسنت السير فى سرعة وبخترة ، والبراذين : جمع برذون ، وهو الدابة . «اللسان » (هملج) (برذن) ، والمراد : مهما تكبروا وزعموا العزة ، فإن ذل المعصية فى نفوسهم مركوز ،وفى قلوبهم غير مفقود ؛ عقوبة من الله العزيز الحكيم .

(٤) انظر : « الجواب الكافى » (ص ٨٤ ، ٢٢٩) .

مكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ٤٥ - ٤٧] ؟ !

أما ترون - أيها المسلمون - ما نزل بالأمم والشعوب من حولكم ؛ من آلام وعقوبات؟! وهل كانت إلا بسبب الذنوب والمعاصى ؟! فإنها تدع الديار بلاقع ، لقد غرقت كثير من المجتمعات فى حياة جاهلية ؛ فى عقائدها وأفكارها ، وأخلاق أبنائها وبناتها ؛ فشاع الإشراك بالله ، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ بارتكاب البدع والمحدثات ، وانتهكت حرمات الله ، واقترفت كبائر الذنوب الجالبة لسخط الله ، وعم الفسق ، وانتشر الفساد فى البيوت والشوارع والأسواق ، كل ذلك من غير نكير ولا تغيير !

وليس بخاف على الغيور ما تقذف به القنوات الفضائية من ألوان الفساد والإباحية ؛ فالله المستعان ! بل لقد باتت بعض الذنوب اليوم ، مما يفخر به بعض الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! فحقا إن المسلمين اليوم يعيشون عصر غربة الإسلام ،وفى أوساط دعاة جهنم - عياذا بالله - فما أوسع حلم الله على عباده ! ألم تغن النذر يا عباد الله ؟! ألم تفد العبر السالفة والمعاصرة ؛ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] .

إن هذا الأمر الخطير ، جدير أن يتدارسه المسلمون اليوم على مستوى القادة والعلماء ، والمفكرين والدعاة والمصلحين ؛ لإيقاف هذا الزحف الهائل : الذى يعرض الأمة كلها لسخط الله العاجل قبل الآجل .

هذا ؛ وإن الغيورين ليعلقون آمالا جساما على هذا البعث الإسلامى الجديد ، والصحوة الإيمانية الرشيدة، واليقظة الإصلاحية الحميدة، التى تعم أقطار العالم الإسلامى - بحمد الله وتوفيقه - لتعود بأبناء المسلمين وشبابهم إلى مصدر عزتهم وسعادتهم ، فى الدنيا والآخرة ؛ ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم ،وفى هدى سيد المرسلين .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه يغفر لكم ؛ فهو خير الغافرين .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٣] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن المعاصى ما حلت فى ديار إلا خربتها ، ولا قلوب إلا أعمتها ،ولا فى أجساد إلا عذبتها ، ولا فى أمة إلا أذلتها ، ولا فى نفوس إلا أفسدتها، ولا فى مجتمعات إلا دمرتها !!

أيها الإخوة فى الله ، إن المسؤولية ـ لصد وباء الذنوب وعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع ـ تقع على عاتق كل مسلم ؛ فقد قال ﷺ : « **كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته** » (١) ؛ كل يقوم نفسه ، ويحفظ أسرته ، ويربى أولاده على حب الخيرات ، وترك المنكرات ، ويسعى ـ حسب قدرته واستطاعته ـ إلى تطهير مجتمعه ومحيطه من أدران المعاصى ، والله سائل كل راع عما استرعاه : حفظ أم ضيع ؟! فرحماك ربنا رحماك !!

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنه « ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة » ؛ فلتلهج الألسنة بالاستغفار ، والتوبة الدائمة النصوح التى تحققت فيها الشروط ، وانتفت عنها الموانع (٢) ؛ لعل الله يعفو ويتوب ويتجاوز ؛ فقد وعد عباده بذلك فى قوله سبحانه : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر : ٥٣] .

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على خير الورى ؛ كما أمركم بذلك ربكم جل وعلا ؛ فقال تعالى قولاً كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) راجع تفصيل الكلام على التوبة النصوح فى «منزلة التوبة» من « مدارج السالكين» لابن القيم (١ / ١٧٩ ـ ٤٣٣) .

أنذرتكم النار(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله ذى العز المتين والبطش الشديد المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد المكرم من خافه واتقاه بدار فيها من كل خير ومزيد ، من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهل الحمد والثناء والتمجيد، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعى إلى التوحيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلامًا لا يزالان على كد الجديدين فى تجديد .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون :

اتقوا الله حق تقاته ، وبادروا بالسعى إلى مرضاته : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] .

خلق الله الخلق ليعبدوه ، ونصب لهم الأدلة على عظمته ليخافوه ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه ؛ ليكون ذلك طامعًا للنفوس عن غيها وفسادها ، وباعثًا لها إلى خلاصها وإلى فلاحها ورشادها . فاحذروا ما حذركم ، وارهبوا ما رهبكم من النار التى ذكر فى كتابه وصفها ، وذكر نبيه محمد ﷺ نعتها .

دار اشتد غيظها وزفيرها ، وتفاقمت فظاعتها وحمى سعيرها ، سوداء مظلمة ، شعثاء موحشة، دهماء محرقة، ﴿ **لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ [المدثر : ٢٨ ، ٣٠] ، لا يطفأ لهبها ، ولا يخمد جمرها .

دار خص أهلها بالبعاد ، وحرموا لذة المنى والإسعاد : ﴿ **جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [ص : ٥٦] .

قطع ذكرها بطبقاتها ودركاتها وأبوابها وسرادقها قلوب الخائفين ؛ فتوكفت العبرات ، وترادفت الزفرات ، يقول نبى الهدى ﷺ : « **والذى نفسى بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كبيرًا** » ؛ قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟! قال : « **رأيت الجنة والنار** » ؛ أخرجه مسلم .

ويقول النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ : سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول :

---

(١) خطبة الشيخ / صلاح البدير من المسجد النبوى

« **أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار** » ، حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه ؛ أخرجه أحمد .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لا تنسوا العظيمتين ، لا تنسوا العظيمتين : الجنة والنار** » . ثم قال وهو يبكى ، ودموعه قد بلت جانبى لحيته ـ بأبى هو وأمى ، ﷺ : «**والذى نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة ؛ لمشيتم إلى الصعيد ، ولحثيتم على رؤوسكم التراب** » ؛ أخرجه أبو يعلى .

أيها المسلمون :

الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ،والنار مثل ذلك ، وناركم هذه التى توقدون جزء من واحد من سبعين جزء من نار جهنم ، فضلت عليها بتسعة وستين جزء ، كلها مثل حرها ، وإن ما تجدون من حر الصيف وهجير القيظ نفس من أنفاسها ، يذكركم بها .

ففى البخارى عن النبى ﷺ : « **اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير ، وإن شدة الحر من فيح جهنم** » .

يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد ، لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، يؤتى بها تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، ويوقن المجرمون حين رؤيتها بالعطب ، وتجثوا الأمم حينئذ على الركب ، ويتذكر الإنسان سعيه : ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ** ﴾[الفجر : ٢٤ ـ ٢٦] .

قعرها وعمقها سبعون خريفًا ؛ يقول النبى ﷺ حين سمع رجبة : « **هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفًا ، فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها !** » ؛ رواه مسلم .

وينصب الصراط على متن جهنم بفظاظتها وفظاعتها ، وقذف أمواجها وجلبة فورانها، دحض مذلة ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ، فيمر المؤمنون على قدر أعمالهم كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس فى نار جهنم . منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجلته ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته ، يساق أهلها إليها نصبون وجلون ، يدعون إليها دعا ، ويدفعون إليها دفعا : ﴿ ..... **يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾[غافر : ٧١ ـ ٧٢] .

النار تغلى بهم كغلى القدور: ﴿ **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴾[الملك : ٧] ،

يستغيثون من الجوع ؛ فيغاثون بأخبث طعام أعد لأهل المعاصى والآثام : ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٤٦] .

يقول النبى ﷺ : « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الأرض ؛ لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم ؛ فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره !!** » ؛ رواه أحمد .

ويغاثون بطعام ضريع ، لا يسمن ، ولا يغنى من جوع ، شوك يأخذ بهم ، لا يدخل فى أجوافهم ولا يخرج من حلوقهم ، ويغاثون من غسلين أهل النار، وهو صديدهم ودمهم الذى يسيل من لحومهم ، فإذا انقطعت أعناقهم عطشًا وظمئًا ؛ سقوا من عين آنية ، قد آن حرها واشتد لفحها ، وأغيثوا بحميم يقطع منهم أمعاء طالما ولعت بأكل الحرام ، ويضعضع منهم أعضاء طالما أسرعت إلى اكتساب الآثام ، ويشوى منهم وجوها طالما توجهت إلى معصية الملك العلام : ﴿ **بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف : ٢٩] .

يقول النبى ﷺ : « **إن الحميم ليصب على رؤوسهم ؛ فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه ، ثم يعاد كما كان** » ؛ رواه أحمد والترمذى .

وإن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ، وإنه لأهونهم عذابًا ! .

يعانون فى جهنم ما بين مقطعات النيران وسرابيل القطران ما يقطع الأكباد ، ولا تطيقه الجبال الصم الصلاب الشداد ، يتجلجلون فى مضائقها ، ويتحطمون فى دركاتها ، ويضطربون بين غواشيها ، مقرنين فى الأصفاد .

أثقلتهم السلاسل والأغلال والقيود ، قد شدت أقدامهم إلى النواصى ، واسودت وجوههم من ذل المعاصى ، لهم فيها بالويل ضجيج ، وبالخلاص عجيج ، أمانيهم الهلاك، وما لهم من أسر جهنم فكاك ، ﴿ **وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [الحج : ٢١ ، ٢٢] .

وتؤصد عليهم الأبواب ، ويعظم هناك الخطب والمصاب : ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** ﴾ [الحجر : ٤٤] .

ويلقى عليهم البكاء والحزن ، فيصيحون بكيا من شدة العذاب ،وهم فى فجاجها وشعوبها وأوديتها يهيمون: ﴿ **يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ** ﴾ [الزخرف: ٧٧] . فحزنهم دائم فما يفرحون ،ومقامهم محتوم فما يبرحون .

يقول النبى ﷺ :« **إن أهل النار ليبكون ؛ حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت ،**

وإنهم ليبكون الدم » ؛ يعنى مكان الدمع . أخرجه الحاكم .

يبكون على ضياع الحياة بلا زاد ، وكلما جاءهم البكاء زاد ، فيا حسرتهم لغضب الخالق ، ويا فضيحتهم بين الخلائق ،وينادون ويصطرخون : ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ [فاطر : ٣٧] ، ﴿ **رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ** ﴾ [إبراهيم : ٤٤] ، ﴿ **رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ١٢] ، ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧] .

ينادون إلها طالما خالفوا أمره وانتهكوا حدوده وعادوا أولياءه ، ينادون إلها حق عليهم فى الآجلة حكمه ، ونزل بهم سخطه وعذابه: ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] .

لا يرحم باكيهم ، ولا يجاب داعيهم ، قد فاتهم مرادهم ، وأحاطت بهم ذنوبهم ، يزالون فى رجاء الفرج والمخرج حتى ينادى مناد : « **يا أهل الجنة ، خلود بلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت** » .

نار لا تطفأ ، ونفس لا تموت : ﴿ **لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** ﴾ [فاطر : ٣٦] ، ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ** ﴾ [طه : ٧٤] ، ويتلاومون ويتلاعنون ويتقابلون ويتكاذبون : ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾ [الأعراف : ٣٨] ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، ويشتد حنقهم على من أوقع فى الضلال والردى ،ومد لهم فى الغى مدا ، يقولون : ﴿ **رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ** ﴾ [فصلت : ٢٩] .

ويقول من عشى عن ذكر الرحمن لقرينه الذى صده عن القرآن وزين له العصيان : ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ [الزخرف : ٣٨] ، ولن ينفعهم ذلك؛ لأنهم فى العذاب مشتركون ، ولكل ضعف ولكن لا تعلمون .

عباد الله :

تلك بعض أوصاف النار وأحوال أهلها ؛ فاستعيذوا بالله من النار ، ومن قول أو فعل يقرب إلى النار . جعلنى الله وإياكم من عتقائه من النار ، وحشرنا فى زمرة المتقين الأبرار.

أقول ما تسمعون ،وأستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة ؛ فاستغفروه ، إنه هو العزيز الغفار .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله ، الداعى إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فاتقوا الله عباد الله؛ فقد فاز المطيع المتقى ، وخسر المشرك الشقى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

أيها المسلمون :

إنكم اليوم فى عصر فتن تترى وشرور تتوالى ؛ فتن شبهات وشهوات ، يرفق بعضها بعضا ، قد فاز نقعها وآلم وقعها فى حياة صاخبة ، تأخذ كل من استشرف إليها إلى الوراء، فى عقيدته وأخلاقه ، توجعه القهقرة فى فكره وسلوكه .

يقول رسول الهدى ﷺ : « **إن مما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى** » ، وفى لفظ : « **ومضلات الفتن** » ؛ رواه أحمد . ويقول - عليه الصلاة والسلام - : « **حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات** » ؛ أخرجه البخارى .

فاقطعوا مفاوز المكاره وأطلقوا القلوب عن مراقد غفلاتها ، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها ، واهتموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واعلموا أنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل ، من لم ينفعه حاضره فعازبه عنه أعوذ وغائبه عنه أعجز ،وإنه لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولا مصيبة كموت القلب ، ولا نذير أبلغ من الشيب ، ولا مصير أسوأ من النار : ﴿ **وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** ﴾ [المدثر : ٣١ - ٣٧] .

ثم اعلموا أن الله قد أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه ، وأنهى بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه ، فقال قولا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ألا أيها الراجى المثوبة والأجرا ... وتكفير ذنب سالف أنقض الظهرا
عليك بإكثار الصلاة مواظبًا ... على أحمد الهادى شفيع الورى طرا
وأفضل خلق الله من نسل آدم ... وأكاهم فرعا وأشرفهم فخرا

فـقـد صح أن الله جل جـــلاله يصلى على من قـالهـا مـرة عـشـرا

فـصلوا وسلمـوا على خيـر البـرية وأزكى البشـرية ، اللهم صل وسـلم على عبـدك ورسولك محمد ، وارض اللهم عن خلفائه الأبرار ، وصـحابته الأطهار ، المهاجرين منهم والأنصار ، وعنا معهم بجودك يا عزيز يا غفار .

اللهم أعـز الإسلام والمسلمين ، ودمـر الطغاة والمعـتدين ، وانشـر الأمن والاستـقرار والرخاء فى جميع بلاد المسلمين يا رب العالمين .

اللهم انصر إخواننا فى فلـسطين على اليهود الغاصبين ، والصـهاينة الغادرين ، اللهم وطهر المسجد الأقصى من رجس يهود يا رب العالمين .

اللهم أدم على بلاد الحرمـين الشريفين أمنها ورخـاءها ، وعزها واستـقرارها ، ووفق قادتها لما فيها عز الإسلام والمسلمين ، وخدمة الحجاج والزوار والمعتمرين يا رب العالمين.

اللهم وفق ولى أمـرنا لما تحب وترضى ، وخـذ بناصيـته للبـر والتقـوى ، وأصلح له بطانته يا رب العالمين .

اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، والتبرج والسفور والاختلاط يا رب العالمين .

اللهم ارحم موتانا واشف مرضانا ، وفك أسرانا ، وعـاف مبتلانا ،وانصرنا على من عادانا .

اللهم تب على من تاب ، وأقبل من رجع إليك وأناب ، ووفقنا لتوبة صادقة قبل يوم الحساب .

عباد الله :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[النحل : ٩٠] ؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ،والله يعلم ما تصنعون .

القسم الحادي عشر

خطب المناسبات

بداية العام آمال وآلام!

الخطبة الأولى

الحمد لله ، اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك ، ونستغفرك ونتوب إليك ونثنى عليك الخير كله ، اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، لك الحمد حتى ترضى ،ولك الحمد إذا رضيت ،ولك الحمد بعد الرضا ، سبحانك لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، سبحانك ربنا ، أنت الأحد لا شريك لك ، والفرد لا ند لك ، سبحانك ربنا ، ما أكرمك ! سبحانك ربنا ، ما أعظمك ! سبحانك إلهنا ، ما أحلمك ! سبحانك مولانا ، ما أعدلك ! سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك !

ونشهد أن نبينا محمدًا عبدك ورسولك ، ومصطفاك وحبيبك ، شكر نعمتك ، وحقق عبادتك ، وبلغ شريعتك ،ونصح خليفتك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؛ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ؛ إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ؛ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين ؛ إنك حميد مجيد .

أما بعد :

فيا أيها الناس ، من الحى الذى لا يموت ؟! من الباقى على الدوام فلا يزول ، ولا يحول ، ولا يفوت ؟! من المتفرد بتصريف الشهور والأعوام ، والمتوحد بتدبير الليالى والأيام ؟! إنه الرب الملك العلام ، والإله القدوس السلام ، إنه الله ، فتبارك الله !

إذن لماذا ينصرف بعض الناس عن الله إلى غيره ؟! ﴿**أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[النمل : ٦٣] ، لماذا ينسى بعض الناس خالقهم ورازقهم ومولاهم ، ﴿ **أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾[النمل: ٦٢] ، إنه سبحانه حقيق أن يتقى ، بأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ؛ ﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ** ﴾[النحل : ٥٢] .

أيها المسلمون ، فى مستهل كل عام هجرى ، ومع إشراقه كل سنة : تبرز فى تاريخنا الإسلامى المجيد أحداث عظام ،ووقائع جسام ، لها مكانتها عند أهل الإسلام ، ولها أثرها البالغ فى عز هذه الأمة ونصرها ، وقوتها ، وصلاح شريعتها لكل زمان ومكان .

معاشر المسلمين ، هناك خمس قضايا مهمة ، جديرة بالتنبيه والإشادة ، لا سيما

ونحن نعيش مع إشراقة عام هجرى جديد ؛ عل هذه القضايا تكون سببا لتحريك الهمم، واستنهاض العزائم ؛ للتمسك الجاد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أيها الإخوة المسلمون ، إن « أول الأحداث » الجديرة بالوقفة الحازمة مع النفوس ، وإن أهم القضايا التى ينبغى التركيز عليها فى مستهل كل عام : إن استقبال هذه الأمة لعام جديد من حياتها هو بمجرده حدث لا يستهان به ، وإن بدا فى أنظار بعض الناس حدثا هينا؛ لطول أملهم ، وقسوة قلوبهم - عياذا بالله - فالأيام مراحل ومطايا ؛ تبعد من الدنيا وتدنى من الآخرة .

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يدنى من الأجل ! (١)

نعم كل يوم يدنى من القبور ، ويبعد عن عامر الدور والقصور ، فإلى متى الغفلة ، يا عباد الله ؟! ماذا ران على القلوب ؟! ماذا غشى البصائر والأبصار ؟! إن الموفق من يسعى لصلاح حاله ؛ بحيث يكون غده خيراً من يومه ، ويومه أفضل من أمسه ، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضى ، والكيس من حاسب نفسه عند دخول العام الجديد ، وراجع حساباته ، وفتح صفحة جديدة من حياته ، وتعهد رصيده الأخروى ، وتزود من العمل الصالح ، وقدر لخطاه مواضعها ؛ خشية الانزلاق فى مهاوى الفساد العقدى ، والفكرى ، والسلوكى ؛ هذا على مستوى الأفراد .

أما الأمة : فلا ريب أنها حبلى بالمشكلات ، وثكلى بالفتن والمغريات ؛ ضعف وفرقة وشتات ، ذلة ومهانة وخلافات ، وتنازع وحروب ونكبات ، ما هى الحال فى المسجد الأقصى والأرض المباركة ؟! ما هى الأنباء فى أفغانستان المسلمة ؟! إلى أى حد وصل الحال فى بلاد البوسنة والهرسك المجاهدة الصامدة ؟! ما هى أخبار إخواننا فى العقيدة ؟! وأحوال الأقليات الإسلامية فى كثير من البقاع ؟! ما هى أخبار إخواننا فى كشمير والشيشان، وإريتريا والصومال ، والفلبين وغيرها من بقاع الإسلام ؟! إلى أى مدى وصل الشقاق والنزاع بين أبناء الإسلام ؟! إلى أي حد امتدت سيطرة الأعداء وغزوهم ، عسكريًا، وفكريًا ، وخلقيًا ، لبلاد الإسلام ؟! كل ذلك وغيره - من غيوم الفتن ، وسحب المحن - يتطلب من أبناء الإسلام حلولا عاجلة ، مع إطلالة هذا العام الذى تبرق فى آفاقه فلول من الآمال العظيمة، والتطلعات لمستقبل أفضل : تتبدد فيها سحب الآلام والأحزان، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٠ ، فاطر : ١٧] .

---

(١) هذا البيت أول بيتين ذكرهما الحافظ ابن رجب فى « لطائف المعارف » (ص ٥٢٣) ، وثانيهما :

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا فإنما الربح والخسران فى العمل !

« القضية الثانية » ـ أيها المسلمون : حدث الهجرة النبوية ، إنه حدث لا كالأحداث، حدث غير مجرى التاريخ ، حدث يحمل فى طياته معالم الشجاعة والتضحية، والصبر والنصر والفداء ، والتوكل والقوة والإخاء ، والاعتزاز بالله وحده مهما بلغ كيد الأعداء .

إن حدث الهجرة حدث جعله الله سبحانه طريقًا للنصر والعزة ، ورفع راية الإسلام ، وتشييد دولته ، وإقامة صرح حضارته ، إن فى هذا الحدث العظيم من الدروس والعبر ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم ، وعملت على ضوئه ـ وهى تعيش على مفرق الطرق ، وتشعب السبل ـ لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها ، ولعلمت علم اليقين ؛ أنه لا حل لمشكلاتها ، ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها ، والتزامها بإيمانها وعقيدتها ، فوالله ! ما قامت الدنيا إلا بقيام الدين ، ولا نال المسلمون العزة والكرامة ، إلا لما خضعوا لرب العالمين ! وهيهات أن يحل أمن أو رخاء أو سلام دون اتباع نهج الأنبياء والمرسلين .

إذا تحقق ذلك ـ أيها المؤمنون ـ وتذكر المسلمون هذه الحقائق الناصعة ، وعملوا على تحقيقها فى واقع حياتهم ـ كانت هى السلاح الفاعل الذى تقاتل به ، والدرع الحصين الذي تتقى به فى وجه الهجمات الكاسحة ، والصراع العنيف الذى تعيشه قوى الأرض ؛ فالقوة لله ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

إخوة الإيمان ، ويتفرع عن هذه القضية « قضية ثالثة » ، تعبر بجلاء عن اعتزاز هذه الأمة بشخصيتها الإسلامية ، وتبرهن للعالم بأسره : على استقلال هذه الأمة بمنهجها المتميز المستقى من عقيدتها وتاريخها وحضارتها ، إنها قضية أجمع عليها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إنها « التوقيت والتاريخ بالهجرة النبوية المباركة » ، كم لهذه القضية من مغزى عظيم يجدر بأمة الإسلام اليوم تذكره ، وقد فتن بعض أبنائها بتقليد غير المسلمين ، والتشبه بهم فى تواريخهم !

أين عزة الإسلام ؟! وأين هى شخصية أهل الإسلام ؟! هل ذابت فى خضم مغريات الحياة ؟! إننا أمة ذات مجد وحضارة وأصول تاريخية ، ومنهج مستقل ؛ منبثق من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، فلسنا بحاجة إلى تقليد غيرنا ، بل إن غيرنا ـ فى الحقيقة ـ بحاجة إلى أن يستفيد من أصالتنا وحضارتنا ، ولكنه التقليد والتبعية ، والإعجاب والمجازاة والانهزامية ، والتشبه الأعمى من بعض المسلمين ـ هداهم الله ـ وقد قال ﷺ : « من تشبه بقوم ، فهو منهم »(١) .

أيها الإخوة فى الله « رابع هذه القضايا » : حدث عظيم فى شهر الله المحرم ، فيه

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٥٠) ، وأبو داود (٤٠٣١) ؛ من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما .

درس بليغ ، يدل على نصرة الله لأوليائه ، وانـتقامه من أعدائه مهـما تطاولوا ؛ إنه حدث قديم ، لكنه بمغزاه متجدد عبـر الأزمنة والأمكنة ، إنه يوم انتصار نبى الله وكليمه موسى - عليه السلام - وهلاك فرعون الطاغية ، ومن يقـرأ منا كتاب الله ؛ يجد ما تحتله هذه القصة العظيمة من حيز كبير ، وعرض متـجدد ؛ عبرة وعظة ، ودرسا للدعاة إلى الله : أنه مهما بلغ الأذى والظلم والتسلط ، فإن نصر الله قريب ؛ كما أن فيها درسا لكل عدو لله ورسوله ﷺ ممن مشى على درب فرعون: أن الله منتقم من الطغاة والظلمة؛ ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر : ١٤] ؟!

تلك - يا أمة الإسلام - إشارات عابرة ، وقضايا مهـمة ، يحتاج المسلمون إلى التذكير بها ، وهم يستقـبلون عامهم الهجرى الجديد ، الذى نسأل الله بأسمـائه الحسنى ، وصفاته العلا؛ أن يجعله عام خير وبركة ونصر للإسلام والمسلمين فى كل مكان ، وعام ذل وهوان لأعداء الإسـلام والمسلمين ، ونسأله سبـحانه ؛ أن يجعل منه عـام يقظة وصلاح ، ونقطة تحول وفـتح لصفحـة جديدة ، وصلاح لأحـوال المسلمين فى كل مكان ، وهزيمة ساحـقة لأعداء الله ورسوله والمؤمنين؛ ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

نفعنى الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وبهدى سيد المرسلين .

أقول قـولى هذا ، وأستغفـر الله لى ولكم ولجميع المسلـمين ، فاستغـفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله لم يزل بالمعروف معروفًا ، وبالكرم والإحسان موصوفًا ، أحمده سبحانه وأشكره ، كل يوم هو فى شأن : ييسر عسيرًا ، ويجبر كسيرًا ، ويغفر ذنوبًا ، ويستر عيوبًا، ويكشف كروبًا ، ويغيث ملهوفًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خالصة لمن فطر السموات والأرض حنيفًا ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، جعله الله صادقًا أمينًا ، شريفًا عفيفًا ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما تزيدهم تفضيلا وتشريفًا .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

أيها الأحبة فى الله ، « خامس هذه القضايا » : فاتحة شهور العام ، شهر الله المحرم، إنه من أعظم شهور الله جل وعلا ، مكانته عظيمة ، وحرمته قديمة ، هو رأس العام ، ومن أشهر الله الحرم(١) ؛ فيه نصر الله موسى وقومه على فرعون وقومه ، وقد روى الإمام مسلم فى « صحيحه » ، عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **«أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرم »**(٢) .

وأفضل أيام هذا الشهر ـ يا عباد الله ـ يوم عاشوراء ؛ ففى « الصحيحين » ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قدم النبى ﷺ المدينة ، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم : **« ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ »** قالوا : هذا يوم عظيم ؛ أنجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكر ، فنحن نصومه ؛ فقال ﷺ : **« نحن أحق وأولى بموسى منكم »** ، فصامه ﷺ وأمر بصيامه(٣) ، وفى « صحيح مسلم » ، عن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء؛ فقال : **« أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله »**(٤) ، الله أكبر ! ياله من فضل عظيم!

---

(١) الأشهر الحرم أربعة : ثلاثة سرد ، أى : متتابعة ، وواحد فرد ؛ فالسرد : ذو القعدة ، وذو الحجة، والمحرم ، والفرد : رجب . « تفسير البغوى » (٤ / ٤٤) .

(٢) « صحيح مسلم » (١١٦٣) .

(٣) « صحيح البخارى » (٢٠٠٤) ، و « صحيح مسلم » (١١٣٠) .

(٤) « صحيح مسلم » (١١٦٢) .

وقد عـزم ﷺ على أن يصوم قبله يومـا ؛ مخالفـة لأهل الكتاب ؛ وعليه : فـينبغى للمسلمين أن يصوموا ذلك اليوم ؛ اقتداء بأنبـياء الله ، وطلبا لثواب الله، وأن يصوموا يوما قبله أو يوما بعده ؛ مخالفة لليهود ، وعملا بما استقرت عليه سنة المصطفى ﷺ .

عمل قليل ، وأجـر كبير وكثـير ، إن ذلك ـ أيها الإخوة ـ لمن فـضل الله عز وجل ، وإن صيام ذلك اليوم لهو شكر لله سبحانه على نعـمه ، وهو ـ أيضًا ـ استفتاح للعام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة ، التى يرجى فيها ثواب الله تبارك وتعالى ، فأين المشمرون ؟!

هذا ؛ وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله ـ على من بعثه الله رحمة للعالمين ، النبى الهادى المصطفى الأمين ؛ فقد أمركم بذلك ربكم رب العالمين ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

بين غيثين هما مادة الحياة
« خطبة صلاة الاستسقاء »
الخطبة الأولى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٢ ـ ٤] .

الحمد لله مغيث المستغيثين ، ومجيب دعوة المضطرين ، وكاشف الكرب عن المكروبين، ورافع البلاء عن المستغفرين ، ومسبغ النعم على العباد أجمعين ، لا إله إلا الله الولى الحميد ، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله الرؤوف الرحيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم ، سبحان مجيب الدعوات ،وغافر الزلات ، سبحان مغيث اللهفات ، ومنزل البركات ، سبحان واهب الخيرات ، وفارج الكربات ، سبحانه من إله كريم ، ورب رحيم، ومولى عظيم ، عم بكرمه ورزقه وإحسانه جميع المخلوقات .

سبحانك ربنا ، ما أكرمك ! سبحانك ربنا ، ما أعظمك ! سبحانك ربنا ، ما أحلمك! سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك ! سبحانك وبحمدك على عفوك بعد مقدرتك !

نحمد الله تعالى ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ،ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،ونشهد أن نبينا وحبيبنا وقدوتنا : محمد بن عبد الله ، خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، صلى الله وسلم ،وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون فى بيت الله الحرام ، إخوة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، اتقوا الله ـ تبارك وتعالى ـ وأطيعوه ، وتوبوا إليه واستغفروه ؛ فتقوى الله ـ يا عباد الله ـ خير لباس؛ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، وأهل التقوى هم خير الناس ؛ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، من رام عزا وفلاحا ، وطلب خيرا وصلاحا ، وابتغى رشدا ونجاحا ـ فعليه بتقوى الله ، تقوى الله : خروج من المضايق ، ونجاة من المآزق ، تقوى الله : أمان من الرزايا ، وسلامة من البلايا ، تقوى الله: عصمة من الفتن ، ونجاة من المحن .

ألا إنما التقوى هى العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبـــد تقى نقيصـة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم[(١)]

أيها المسلمون، لقد خلقكم الله ـ تبارك وتعالى ـ لهدف عظيم وأمر جسيم، ألا وهو : تحقيق العبودية له سبحانه ؛ يقول ـ عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فمن الذى خلقكم غير الله ؟! ومن الذى رزقكم غير الله؟! ومن الذى يكلؤكم بالليل والنهار غير الله ؟!

فواعجبا كيف يعصى الإلـــــه أم كيف يجحده الجاحد ؟!
ولله فى كل تحــــريكـــة وتسكيـــنة أبدًا شـــاهد
وفى كل شىء لـــــه آية تدل على أنه واحـــد[(٢)]

فإياكم ـ عباد الله ـ والغفلة عن سر خلق الله لكم فى هذه الحياة ؛ قال تعالى : ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[فاطر : ٥] .

أما والله لو علـــم الأنام لما خلقوا لما هجعوا ونامـــوا
لقد خلقوا لأمر لو رأته عيــون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشـر وتوبيخ وأهـــوال عظـــام
ليوم الحشر قد عملت أناس وصلوا من مخـافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا كـأهل الكهف أيقاظ نيام !

عباد الله ، إن الله عز وجل يوالى نعمه على عباده؛ لتكون عونا لهم على طاعته والتقرب إليه، فإذا استعانوا بنعمه على معصيته، وفرطوا فى جنبه، وأضاعوا أوامره، واستهانوا بنواهيه، واستخفوا بحرماته: غير عليهم حالهم؛ ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾[النبأ : ٢٦] ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت : ٤٦] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾[الرعد : ١١] ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال : ٥٣] .

فإذا غير العباد الطاعة بالمعصية ، والحق بالباطل ، والمعروف بالمنكر ـ : غير الله عليهم الغنى بالفقر ، والعزة بالذلة والمهانة ، والقوة بالضعف والهزيمة ، والعلم بالجهل ،والأمن

---

(١) البيتان ذكرهما ابن رجب ـ رحمه الله ـ فى « لطائف المعارف » (ص ١٢٩) . ويقال: حاك الثوب يحيكه حياكة ، أى : نسجه . وحجم المريض يحجمه حجما : عالجه بالحجامة ، وهى امتصاص الدم بالمحجم . « اللسان » (حيك) (حجم) .

(٢) الأبيات لأبى العتاهية . انظر : « ديوانه » (ص ١٢٢) ، و « البداية والنهاية » (١٤ / ٧٧) .

بالخوف ، والسعادة بالقلق والاضطراب ، والنعم بالنقم ، والخصب بالجدب ، والمطر بالقحط ، والخير بالشدة والمؤونة .

فلم ينزل بلاء من الله إلا بذنوب العباد وتقصيرهم ، وإعراضهم عن ربهم ، وإقبالهم على شهواتهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] ، ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، وما ابتلى المسلمون اليوم بقلة الأمطار، وغور المياه (١) ، وانتشار الجذب والقحط، وغلبة الجفاف والمجاعة والفقر، فى بقاع كثيرة من العالم؛ إلا بسبب ذنوبهم، وانتشار المعاصى بينهم، وعموم المنكرات فى مجتمعاتهم، ولن يرفع ما هم فيه ـ من شدة وبلاء، وجدب وقحط وعناء ـ إلا بتوجيههم الصحيح إلى ربهم ،وعودتهم الحميدة إلى دينهم ، وكثرة توبتهم واستغفارهم لربهم من تقصيرهم.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها (٢)

***

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم

أمة الإسلام ، لقد أنزل الله غيثين لعباده :

أولهما : غيث القلوب والأرواح ، بما أنزل الله من الوحى على أفضل رسله وخاتمهم محمد ﷺ وهذا الغيث مادة حياة القلوب ، وصفاء الأرواح ، وبه سعادة الدنيا والآخرة، وهذا الغيث هو ما يفتقده الناس اليوم على الحقيقة ، بل إن ضرورتهم إليه وحاجتهم له أشد وأكبر من :

الغيث الثاني : الذى هو غيث الأرض بالأمطار ، ولقد خرجتم ـ أيها المسلمون ـ تستغيثون ربكم لهذا الغيث ، وإنه لجدير بنا أن نهتم بغيث القلوب والأرواح ؛ لأن به سعادة الدنيا والآخرة ، وحصول الغيث الآخر ؛ يقول عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الأعراف : ٩٦] .

فعلينا ـ يا عباد الله ـ أن نتفقد قلوبنا : هل رويت من هذا الغيث ، أو هى ظامئة ؟! يجب علينا أن ننظر فى صحائفنا : هل هى ربيع بهذا الوحى ، أو هى مجدبة ؟! ينبغى لنا

(١) غور المياه : ذهابها فى الأرض ، وسفولها فيها . « اللسان » (غور) .
(٢) البيتان لعبد الله بن المبارك . وقد تقدم تخريجهما .

أن نصلح ما فسد من حالنا ، وأن نطهر قلوبنا ،ونسعى لزيادة إيماننا ، وإصلاح عقيدتنا ومجتمعاتنا ؛ ليحصل لنا ما نؤمله ونرجوه .

إخوة الإسلام ، لقد شكوتم إلى ربكم جذب دياركم ، وتأخر المطر عن بلادكم وأوطانكم ، فما أحرى ذلك أن يدفعكم إلى تلمس أسبابه ؛ ليكون عونا لكم على تشخيص الداء الذى أصابكم ، فإذا تشخص الداء ، عرف بعد ذلك الدواء ، وإن من أسباب منع القطر من السماء ـ يا عباد الله ـ غفلة العباد عن طاعة ربهم ، وقسوة قلوبهم بما ران(١) عليها من الذنوب والمعاصى ، وتساهلهم فى تحقيق الإيمان والتقوى ، وتقصيرهم فى أداء الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ يقول ﷺ : « **لم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين**(٢) ، **وشدة المئونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم ، لم يمطروا** » (٣) .

وإن من أسباب منع القطر ـ يا عباد الله : إعراض كثير من الناس عن التوبة إلى ربهم واستغفاره ، وهما من أعظم أسباب نزول الغيث ؛ يقول تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] ، وقال تعالى على لسان هود ـ عليه السلام: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود : ٥٢] .

وقد خرج عمر ـ رضى الله عنه ـ للاستسقاء ، فلم يزد على الاستغفار ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : « لقد طلبت الغيث بمجاديح(٤) السماء التى يستنزل بها المطر» (٥) .

---

(١) ران ، أي : غطى وغلب . « اللسان » (رين) .

(٢) « السنين » : جمع سنة ، وهى الجدب والقحط ، يقال : أخذتهم السنة : إذا أجدبوا وأقحطوا . «النهاية » و« اللسان » (سنه) .

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) ، والحاكم (٤ / ٥٤٠) ؛ من حديث ابن عمر ؛ رضى الله عنهما .

(٤) المجاديح : واحدها مجدح ، وهو نجم من النجوم ، كانت العرب تزعم أنها تمطر به ؛ كقولهم فى الأنواء .
والذى يراد من الحديث : أنه جعل الاستغفار استسقاء ؛ بتأول قول الله عز وجل : ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] ، وأراد عمر إبطال الأنواء ، والتكذيب بها ؛ لأنه جعل الاستغفار هو الذى يستسقى به ، لا المجاديح والأنواء التى كانوا يستسقون بها . انظر : « غريب الحديث » لأبى عبيد (٤ / ١٥٧ ، ١٥٨) ، و « النهاية » و« اللسان » (جدح) .

(٥) أخرجه ابن سعد فى « طبقاته » (٣ / ٣٢٠) . .

معاشر المسلمين ، إنه « **ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة** »(٢) ، وإن ذنوبنا - يا عباد الله - كثيرة وعظيمة ، وإن تقصيرنا شديد وكبير ، وإن شؤم الذنوب والمعاصى لعظيم وخطير :

ألم نقصر فى الإيمان والعبادة والإخلاص والتقوى ؟!

أما ظهرت المنكرات ، وعمت المحرمات ، وانتشرت الموبقات فى كثير من المجتمعات؟!

أما هذه الصلاة قد طاش ميزانها عند كثير من الناس ، وهى ثانى أركان الإسلام ؟!

أما هذه الزكاة المفروضة قد بخل بها كثير من الناس ، وألهاهم التكاثر والتنافس فى الأموال عن إخراج حق الله فيها ؟!

أما هذه الموبقات والجرائم من القتل والزنى والربا ، وشرب .

ولكن ليس معنى ذلك أن يتعلق أقوام بنصوص الوعد ، ويغلبوا جانب الرجاء ، ويعتمدوا على سعة عفو الله ، محتجين بأنه يغفر الذنوب ، فيتمادون فى المعاصى ، وينسون العقوبة ، ويغرهم طول الأمل ؛ فهذا أمن من مكر الله ، والعياذ بالله !

فالواجب : المبادرة إلى التوبة ، وترك التسويف ؛ فإن تأخير التوبة هو - بحد ذاته - ذنب يستحق التوبة ؛ كيف وإن المؤمن ليخشى أن يحال بينه وبين التوبة وهو لا يشعر ، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم ؟! وقد حذر المولى - تبارك وتعالى - من ذلك ؛ فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء : ١٧ ، ١٨] .

فإلى متى الغفلة ، يا عباد الله ؟! ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحديد : ١٦] ؟! يا أيها التاركون لما أوجب الله ؛ من صلاة وزكاة وصلة ، المرتكبون ما حرم الله من شرك ، أو ترك للصلاة ، أو تساهل فيها ، أو وقوع فى دم ، أو عرض ، أو مال ، أو مسكر ، أو مخدر ، أو قطيعة وعقوق وسوء خلق ، أو عكوف على اللهو واللغو ، بادروا بالتوبة قبل أن يواريكم الثرى ، ويسرى بكم البلى ، وتكونوا جثثا هامدة ، وجيفا بالية ؛ لا ينفعكم - حينذاك - إلا عملكم المتوج بالتوبة النصوح والإنابة الصادقة .

---

(١) كما فى الأثر عن على - رضى الله عنه - انظر : « الجواب الكافى » (ص ١٠٣) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ـ ٥٦] .

اللهم ارزقنا التوبة النصوح ، وأعذنا من الغفلة ، واعصمنا من الذنوب والمعاصى ، يا حى يا قيوم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٣] ، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا ند له سبحانه ولا شبيه ، ولا مثيل ولا نظير ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ،وكل تابع مستنير .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واستغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه ،واحذروا صغائر الذنوب ؛ فإنها بريد إلى الكبائر ، وإياكم ومحقرات الذنوب ؛ فإنهن يجتمعن على العبد حتى يهلكنه؛ كما صح بذلك الخبر ، عن سيد البشر ـ عليه الصلاة والسلام[(١)] ـ وليكن لكم ـ يا عباد الله ـ في نبيكم المصطفى ﷺ القدوة الحسنة ؛ فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الذى قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،وهو أخوف خلق الله من الله ، وأحب عباد الله إلى الله ـ يعد له أصحابه فى المجلس الواحد مائة مرة يقول : « **رب اغفر لى ، وتب على ؛ إنك أنت التواب الرحيم** »؛ كما فى حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عند الإمام أحمد وغيره[(٢)] ، وقد ورد فى الحديث الصحيح ؛ أنه ﷺ قال : « **إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كما فى البخارى من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه[(٣)] .

الله أكبر ! إذا كان هذا خوف المصطفى ﷺ ، فما بالنا نحن لا نخاف ونحن المثقلون بالأوزار ، المكبلون بالخطايا والآثام ؟! فلنتق الله ـ يا عباد الله ـ ولنبدأ صفحة جديدة من أعمارنا ،ولنأخذ عهدا على أنفسنا ، ونحن فى حرم الله : أن نتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والمعاصى .

أمة الإسلام ، وإذا كان المسلمون هذه الأيام يستقبلون شهرا كريمًا ، وموسما عظيمًا ، ألا وهو شهر رمضان المبارك : فإن ما ذكرناه من التوبة من حقوق الله ، وحقوق عباد الله ـ هو المنهج الصحيح فى استقبال هذا الشهر الكريم ، فى الوقت الذى جهل فيه كثير من

---

(١) رواه الطيالسى (٤٠٠) ، وعنه أحمد (١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣) ؛ من حديث ابن مسعود ، رضى الله عنه .

(٢) رواه الطيالسى (٢٠٥٠) ، وأحمد (٢ / ٢١) ، وأبو داود (١٥١٦) ، والترمذى (٣٤٣٤).

(٣) « صحيح البخارى » (٦٣٠٧) .

المسلمين - هداهم الله - الاستقبال الشرعى والمعنوى لهذا الشهر المبارك ، وعدلوا فى استقباله إلى أمور شكلية ومادية ، يترجم عنها حال كثير من الناس فى هذه الأيام ؛ وهم يتزاحمون فى الأسواق ؛ استعداداً لرمضان - بزعمهم - فما هكذا ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وإنما يخوفكم الله بالجفاف والقحط والجدب ومنع القطر ، وشدة المؤونة فى الأرزاق ؛ لئلا تستمروا فى ذنوبكم ، وتصروا على غفلتكم ، وإن مواهب ربنا لجليلة ، وإن عطاياه لجزيلة ؛ بابه مفتوح ، وعطاؤه ممنوح ، وفضله يغدو ويروح ؛ فاشكروه على ما أعطى ، وارجعوا عن الذنوب والأخطاء ، واطلبوا كل شىء منه سبحانه ، وأخلصوا له التوحيد والعبادة ؛ فهو القادر وحده على إنزال الغيث وتقدير الأرزاق ، وتوجهوا إلى الله فى هذه الساعة المباركة بالتوبة والاستغفار ، حققوا التوبة إلى الله من ذنوبكم بشروطها المعروفة : بالندم على ما حصل من الذنوب ، والإقلاع عنها ، والعزم على عدم العود إليها مرة أخرى، ردوا المظالم إلى أهلها ؛ « **من كانت عنده مظلمة لأخيه ؛ من مال ، أو عرض ، فليأته فليتحلله من قبل أن يؤخذ منه ، وليس ثم دينار ولا درهم** »(١) ، جددوا التوبة قبل فوات الأوان :

وتقبل التوبة قبل الغرغرة ... كما أتى فى الشرعة المطهرة
أما متى تغلق عن طالبها ... فبطلوع الشمس من مغربها (٢)

لكن لا بد من تحقيق شروطها :

شروط توبتهم إن رمت عدتها ... ثلاثة رتبت فافهم على عجل
إقلاعه ، ندم ، وعزمه أبدا ... ألا يعود لما منه جرى ، وقل
إن كان توبته من ظلم صاحبه ... لا بد من رده للحق فى عجل

جردوا القلوب - يا عباد الله - من الحسد والحقد ، والبغضاء والشحناء ، والغيبة والنميمة والبهتان ، أدوا زكاة أموالكم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، تسامحوا وتراحموا ، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، صلوا الأرحام ، وبروا الوالدين ، وأحسنوا إلى الفقراء والمساكين ، والأرامل والأيتام والمحاويج ، أكثروا من الصدقات والإنفاق والجود فى سبيل الله ، وكونوا إخوة متحابين ، على الخير متعاونين ؛

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) البيتان للعلامة حافظ بن أحمد الحكمى من منظومته « سلم الوصول ، إلى علم الأصول ، فى توحيد الله واتباع الرسول » . انظر : (ص ٥٥) .

فمتى علم الله إخلاصكم وصدقكم ، وصحة توبتكم وإنابتكم ، وإلحاحكم عليه بالدعاء - أغاثكم ، وجلب الأرزاق لكم ؛ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢]، وتأسوا بنبيكم ﷺ ؛ فقد أتى يوم الاستسقاء متذللا متخشعًا، تائبًا ملحا على الله بالدعاء ؛ فاهتدوا بهدى نبيكم ، واقتدوا بسنة رسولكم ﷺ ، وأظهروا الافتقار إلى ربكم ، وادعوه جل وعلا ، وأنتم موقنون بالإجابة ، وأحسنوا الظن بربكم .

وإنى لأدعو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع !

ولا تقنطوا من رحمة الله ، ولا تيئسوا من روح الله ، وأبشروا وأملوا ، وسددوا وقاربوا ، وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم وخطاياكم ، تذكروا - يا عباد الله - تذكروا الموت وسكرته ، والقبر وظلمته ، والصراط وزلته ، والموقف وكربته .

أيها الإخوة المسلمون : يا من خرجتم تستغيثون ، هنيئا لكم اجتماعكم هذا ؛ لقد لبيتم داعى الله ، وأحييتم سنة رسول الله ﷺ ، وامتثلتم دعوة ولى الأمر - وفقه الله - فلا حرمكم الله فضله ، وحقق الله آمالكم ، وإنه لمن الحرمان العظيم : تساهل بعض الناس فى حضور دعوة الخير ، وإحياء سنة المصطفى ﷺ ، بل لربما رفع بعضهم عقيرته محتجا بأن الماء فى الصنابير ، وما درى ذلك الغر المأفون حكمة الله - عز وجل - فى كل شىء ، وقدرته على كل شىء ، وإنكم لتدركون - يا عباد الله - ما للمطر من المنافع ، وما فى تأخيره من الأضرار على الزروع والثمار ، والناس والبهائم ، ولقد علمتم ما حل بكثير من البلدان من الجفاف والجدب والقحط ، والمجاعة وغور المياه ؛ مما لا يكشفه إلا الله ؛ فعليكم بالصدق مع الله فى دعائكم ، والرغبة الجادة فى إصلاح نفوسكم وأسركم ومجتمعاتكم .

واعلموا : أن الله سبحانه حيى كريم ، يستحيى من عباده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرا ، إذا علمتم ذلك - يا عباد الله - فارفعوا قلوبكم وأيديكم إلى ربكم ، والهجوا بالثناء عليه - سبحانه - واستغفاره ؛ طالبين الغيث منه ، راجين لفضله ، مؤملين لكرمه ، ملحين عليه بالدعاء ؛ بكشف الشدة ، وإزالة الكربة ، وإغاثة البلاد والعباد ؛ كما أنه لا بد أن يقوم المسؤولون بواجبهم فى إزالة المنكرات ؛ لأن « **الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن** »(١) ، ويجب على الرعية أن يكونوا عونا لولاة الأمر فى ذلك ؛ بالنصح المشروع،

---

(١) من قول عثمان - رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ؛ أخرجه ابن عبد البر فى « التمهيد » (١ / ١١٨) ، وهذا القول مما جرى مجرى الأمثال . انظر : « مجمع الأمثال » (٢ / ١٦٢) .

والحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يقوم العلماء والدعاة إلى الله بواجبهم بالأساليب الشرعية، والله المسؤول أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ؛ إنه جواد كريم .

لا إله إلا الله غياث المستغيثين ، وجابر المنكسرين ، وراحم المستضعفين ، نستغفر الله، نستغفر الله ، نستغفر الله ، نستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ونتوب إليه ، اللهم يا حى يا قيوم برحمتك نستغيث ، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ،ولا أقل من ذلك، ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] ، ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٥ ، ٨٦] .

اللهم أنت لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء إليك ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللعم أغث قلوبنا بالإيمان واليقين ،وبلادنا بالخيرات والأمطار يارب العالمين ، اللهم إنا خلق من خلقك ؛ فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً ، اللهم أغثنا غيثًا مغيثًا ، هنيئًا مريئًا ، سحا غدقًا(١) طبقا (٢) ، واسعا مجللاً ، نافعًا غير ضار ، عاجلا غير آجل ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ، ولا هدم ولا غرق .

اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وارحم بلدك الميت ، اللهم أغثنا غيثا مباركًا ، تحيى به البلاد ، وترحم به العباد ، وتجعله بلاغا للحاضر والباد ، اللهم أنزل علينا الغيث ،واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك ، وبلاغا إلى حين ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركاتك ، وأنزل علينا من بركات السماء ، وأخرج لنا من بركات الأرض ، ياذا الجلال والإكرام .

اللهم ارفع عنا القحط والجفاف ، والجوع والجهد ، واكشف ما يالمسلمين من البلايا؛ فإن بهم من اللأواء ما لا يكشفه إلا أنت سبحانك وبحمدك ، اللهم اكشف الضر عن

---

(١) ماء سحا ، أي : شديد الإنصباب ، وعدقا : كثيرا عاما . « اللسان » (سحح) (غدق) .

(٢) طبقا : مالئا للأرض ، مغطيا لها ، يقال : غيث طبق ، أي : عام واسع . « النهاية » (طبق) .

المتضـررين ، اللهم اكشف الضـر عن المتضررين ، والكرب عن المكروبـين ، وأسبغ النعم على عبادك أجمعين .

اللهم أعـز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشـرك والمشركين ، ودمر أعـداء الدين ، وأيد بالحق إمامنا وولى أمرنا ، ووفقـه لما تحب وترضى ، اللهم هيىء له البطانة الصالحة ؛ التى تدله على الخير ، وتعينه عليه يارب العالمين .

اللهم هؤلاء عبادك : رفعوا أكف الضـراعة إليك ، يسألونك الغيث ، اللهم فأعطهم سؤلهم ، اللهم فـأعطهم سؤلهم ، وحقق أملـهم واجعله عونا لهم على طاعـتك ،وبلاغا إلى حين ، يا حى يا قيوم .

عباد الله ، لقد كان من سنة نبيكم ﷺ - بعدما يستغيث ربه - أن يقلب رداءه ؛ فاقلبوا أرديتكم ؛ اقتـداء بسنة نبيكم ﷺ ، وتفاؤلا أن يقلب الله حالكم من الـشدة إلى الرخاء ، ومن القحط إلى الغيث ،وليكون ذلك شعاراً وعهداً تأخذونه على أنفسكم بتغييركم لباسكم الباطن إلى لباس الإيمان والتقوى ، بدلا من لباس الذنوب والمعاصى .

ربنا تقبل منا إنك أنت السـميع العليم ،وتب علينا إنك أنت التواب الرحـيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم لا تردنـا خـائبين ،ولا عن بابك مطرودين ،ولا مـن رحـمـتك مـحـرومين ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

خطبة عيد الفطر المبارك (١)

المناسبات وهموم الأمة

الخطبة الأولى

الله أكبـر . . الله أكبر . . الله أكـبر . . الله أكبـر . . الله أكبر . . الله أكـبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . .

الله أكبـر خلق الخلق وأحصـاهم عددًا ،وكلهم آتيه يوم الـقيامـة فردًا . الله أكبـر عز سلطان ربنا ، وعم إحسان مولانا . . خلق الجن والإنس لعبادته ،وعنت الوجوه لعظمته ، وخضعت الخلائق لقدرته .

الله أكبر عدد ما ذكره الذاكرون . . الله أكبر كلما هلل المهللون ،وكبر المكبرون . الله أكبـر ما صام صائـم وأفطر . الله أكبر ما تـلا قارىء كتاب ربه فـتدبر . الله أكبـر ما بدل محسن فشكر ، وابتلى مبتلى فصبر .

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . .

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . الحـمد لله وفق من شاء لطاعته فكان سعيهم مشكورا ، ثم أجزل لهم العطاء والمثوبة فكان جزاؤهم موفـورا . أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره إنه كان حليمًا غفوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يتم بنعمته الصالحات ، ويجزل بفضله العطيات ، إنه كان لطيفًا خبيرًا ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله صلى وصام ، واجـتهد فى عبادة ربه حتى تفطرت قدماه . . فكان عبـدًا شكورًا . . صلى الله وسلم وبارك عليـه وعلى آله الطيبين الطاهرين ،وعـلى أزواجه أمهات المؤمنين ،وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد .

أما بعد :

أيهـا المسلمـون : هذه الأرض الطيـبة الآمنـة بأمان الله ثم برعـاية قـادتهـا ، ويقظة مسـئولياتها . . هـذه الأرض التى تحكى تاريخ الإسلام المجيـد . . تاريخ نشأة دين الله في هذه البطاح، تحكي قصة الانتصار والكفاح، سيرة النماذج المثالية العالية . ومصارع الشهداء في سبيل الحق . . بلد وتاريخ قفزت فيه البشرية إلى أبعد الآفاق دينا ودنيا ، علما وعملا،

(١) خطبة للشيخ / صالح بن حميد من المسجد الحرام .

فقها وخلقا .

أرض طيبة ، وجو عابق .. تزدحم فيه هذه المشاهد والمواسم حية نابضة .. تختلط فيها مشاعر العبودية وأصوات الذكر والتلاوة والدعاء والتكبير والإقبال على الله رب العالمين.

ويقترن بقدسية المكان شرف الزمان ، فشهر الخير والبركة .. شهر رمضان .. شهر هذه الأمة ، نزل فيه كتابها ،وتحقق فيه كثير من انتصاراتها ، قطع الله فيه دابر الوثنية ، وقوض بنيانها ، شهر صيام وقيام ، وعمل وجهاد ، وجد واجتهاد .. زاد لما بعده من الشهور .

في هذه الأجواء يغمر قلب المتأمل شعور كريم فياض بانتماء أفراد هذه الأمة إلى هدف واحد ، وغاية واحدة .. إنها أمة محمد ﷺ ، ودينها دين الإسلام . . دين الله رب العالمين .

الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .

أيها الأحبة في الله : ما أحوج الأمة في أيام محنها وشدائدها ، وأيام ضعفها وتيهها إلى وقفات عند مناسباتها في أعيادها وعباداتها تستلهم العبر ، ويتجدد فيها العزم على المجاهدة الحقة ويعم فيها التوجه على محاربة كل بغي وفساد .. ما أحوجها إلى دروس تستعيد فيها كرامتها ، وترد على من يريد القضاء على كيانها .

إن قضية القضايا وأصل الأصول كلمة التوحيد وشعار الإسلام وعلم الملة (لا إله إلا الله) كلمة تخلع بها جميع الآلهة الباطلة من دون الله ، فيها نبذ لأمر الجاهلية كله .. إثبات العبادة لله وحده لا شريك له . فالله هو الخالق وحده وما سواه مخلوق ، وهو الرازق وما سواه مرزوق .. وهو القاهر وحده وما سواه مقهور .. هذا هو دليل التوحيد وهذا هو برهانه ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الروم : ٤٠] والأموات قد أفضوا إلى ما قدموا ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴾ [الفرقان : ٣] ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر : ١٤] .

ومن قضايا ديننا الأصيلة أن الناس متساوون في التكاليف حقوقا وواجبات ، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى .. لا تفاضل في نسب ، ولا تمايز في لون .. فالنزعات العنصرية والنعرات الوطنية والعصبيات القبلية ضرب من الإفك ومسالك الجاهلية.

ومن الواقع الردىء فى عصرنا المعاصر أن توصف حضارة اليوم بحضارة العنصريات والقوميات . والدول الموصوفة بالتقدم تضمر فى نفسها احتقاراً لأبناء القارات الأخرى ، ولم تفلح المواثيق النظرية ولا التصريحات الخطابية ، فإنك ترى هذا التمييز يتنفس بقوة من خلال المجالات السياسية والميادين الاقتصادية والقضايا الاجتماعية ، ويأتى كتاب ربنا ليدحض كل ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ويأتى نبينا محمد ﷺ ليعلن منذ مئات السنين ضلال هذا المسلك : « **أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد .. كلكم لآدم .. وآدم من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى** »[(١)] .

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون : أمة شرفها الله بالإسلام ، فكيف ترضى غيره بديلا . . كيف يحلو لها أن تتخلف عن السير تحت لوائه ، وترضى أن تقاد ذليلة تحت ألوية الجاهلية . . ليس إلا الإسلام جامعا للقلوب المتنافرة ،وليس غير الدين مؤلفًا بين هذه الشعوب المتناثرة . . جامعة إسلامية تتضاءل أمامها الثارات القبلية ،والدعوات العنصرية ، والانتماءات الحزبية. . به تتلاشى كل دعاوى الجاهلية .

أيها الإخوة فى الله : ألم تستبن الأمة بعد طول هذه المعاناة وبعد هذا التمزق المخزى فى سراديب مظلمة وطرق ملتوية . . ألم تستيقن أن التخلى عن دينها هو الانتحار والدمار، وهو قرة عين الاستعمار ؟! .

إننا إذا رمنا صلاحا فيجب أن يبدأ الإصلاح من الداخل . . يجب إيقاف حركة التمزيق الفكرى والروحى . . يجب القضاء على الانهزام النفسى فى مجالات التربية والمناهج والإعلام . . لقد جرب المسلمون فى هذه الأعصار وفى كثير من الأمصار مناهج ومشارب ، وتعددت منهم مسالك ومذاهب ، فلم يصح لهم منها شىء ،ولم تغنهم لا قليلا ولا فتيلا . . بل كلها طريق إلى التمزيق والتبار .

لا طريق إلا صراط الله ، ولا نهج إلا نهج المصطفى محمد رسول الله ﷺ .

أيها المسؤولون . . أيها الدعاة . . أيها المربون : يجب إحياء الإخوة الإسلامية ودعائم الحب فى الله . . تلتقى الأمة بفئاتها وجماعاتها على العقيدة الحقة ،ونصرة دين الله . .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٤١١) ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد (٣ / ٢٦٦) .

الولاء للإسلام وحده ، يستعلى هذا الولاء على كل انتماء أو انتساب .

إن جميع الحروب المعلنة على المسلمين : ساخنها وباردها ، عسكريها وفكريها ، كلها باسم الدين ، ولا يكون الانتصار عليها إلا بالتمسك بالدين .

يجب أن يكون الاهتمام بقضايا المسلمين الكبرى وشؤونهم العامة ، فلا تضيع الأوقات بمسائل ومجادلات لا تحل بها للمسلمين مشكلات . ويجب أن تطرح القضايا على بساط البحث بين المختصين ، ويبذل الجهد فى تمييز الصواب من الخطأ ، والراجح من المرجوح ، ويحترم رأى كل مجتهد ، سواء كان مخطئًا أو مصيبا .. والتحامل على المجتهد وتجريحه مسلك فى الدين منكور ، وخطأ المجتهد لا يبيح النيل من عرضه .. ولا يسوغ أبدًا تلمس المعايب للبرآء ، والتشهى بإلصاق التهم بالناس ، وكما تستغفر لخطأ نفسك ، فاستغفر لخطأ أخيك : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١] .

إن على أهل العلم والدعوة والتربية أن يعلموا أن الحق ليس حكرًا على مسلك وليس محصورًا فى رأى بشر ، والخلاف فى الرأى لا يجوز أن يكون مصدر لجاجة أو غضب ، فذلك قائد إلى فساد المقاصد والخلل في الغايات .

إن حق النقد وإبداء الملاحظات لا يجعل الحق حكرا على الناقد .. لماذا يتحول الخلاف فى وجهات النظر إلى عناد شخصى وانتصار ذاتى ، ثم إلي عداء ما حق للدين والدنيا ؟! .

والأدهى والأمر أن يبدأ الخلاف فى فرعية صغيرة ، ثم يرقى إلى الاتهام فى أصول الإسلام وقواعد الديانة ، ويترقى فى الجزئيات إلى التشكيك في المقاصد والنيات .. هناك من يوغل فى النقد والجدل حتى يدخل فى دائرة التجريح والغيبة ، وتتبع الزلات والعثرات من غير فقه فى واجب النصح ، وحسن الظن ، وأقدار الرجال .

الله أكبر الله أكبر ... الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ... الله أكبر ولله الحمد ..

وإن من النصف في القول أيها الإخوة أن ينظر العلماء والدعاة فى الأولويات .. ينظرون فى الأهم ثم المهم .. فالأصول غير الفروع ..والسنة غير الواجب .. والمكروه غير الحرام ، فلكل قيمته ووزنه ، ولكل موقعه وأثره ، ومن كان ذا فكر محصور وإدراك ضيق وعلم قليل فإن الموازين عنده تختل ، ولديه الأولويات تختلط ، وقد ينحدر فى التعصب المقيت والانحياز المذموم لرأي أو عالم أو فئة .

الله أكبر الله أكبر ... لا إله إلا الله والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .

أيها الإخوة : وكما ينكر الغلو فى الدين والتعصب للرأى ينكر التسيب والتهتك فلا

إفراط ولا تفريط ،وكما يطالب الدعاة بالاعتدال والحكمة يطالب المدعوون بالبعد عن التذبذب والتناقض .

ولقد تفتحت أعين كثير من الغيورين بعد عهود الاستعمار على واقع غير سار في كثيرمن ديار الإسلام . . استبيح الحمى ونهبت الديار ، وترك آثاراً غليظة : فكرية ونفسية، ووقع كثير من بلاد المسلمين فى أزمات مادية ومعنوية خانقة . . تداعت عليها الذئاب المسعورة ، ومزقتهم السياسات المشؤومة . . استجلبت نظم وثقافات لا تمت إلى الإسلام بصلة . . صور كثيرة من الضياع واللامبالاة تمتلىء بها مواقع كثيرة من الساحة . . مناهج فى التربية مضطربة . . مظاهر للكاسيات العاريات المائلات المميلات ، وفوق كل ذلك دعوات سافرة لإلحاد وعلمانية وإباحية ،ومظاهر زندقة ونفاق . . . ألف جمهور منهم الربا والزنا والخمر واللهو المحرم . . عملوا على إضاعة الصلوات واتباع الشهوات . . . ينكر منكرهم أن يكون للإسلام تدخل فى شؤون التشريع ، أو نظر فى قضايا المجتمع ، ويستنكر أن يكون الولاء لله ولرسوله ولدينه مقدما على الولاء للعنصر أو التراب . . ينكرون أن تكون قواعد التربية والسلوك مقرونة بشعائر التعبد والخضوع لله رب العالمين .

هذه نماذج من مواقف الخور والجبن ومظاهر الانهزام النفسى ، وآثار حروب التشكيك والشبهات والشهوات .

فى هذه الأجواء ظهرت نداءات مخلصة ودعوات صادقة وتطلعات مؤمنة ترنو إلى الدين منقذاً وهاديا وإلى الإسلام موحداً وجامعًا ، صاحبها اجتهادات جادة وتوجهات محمودة ، وقد يكون صاحبها بعض من تعجل ، وزيادة من حماس ، هى ردود فعل على قدر الفعل ، غير أن ذلك لا يجوز سبيلا إلى غمط الحقوق وأهل الصواب ، فلقد أخطأ فيهم أناس فظنوا بهم غير الحق ، وأصدروا مرئيات ومواقف تنقصها الروية والتأنى .

وإن من لم يعش للإسلام ودعوته ولم يهتم بقضايا أمته، ولم تشغله همومها ومآسيها . . وكأنه لم يعش إلا لنفسه ومصالحه الشخصية الضيقة . . كيف يكون مؤهلا للقول النصف والحكم العدل ؟!!

الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد .

أيها الإخوة : لعل بهذه الإشارات والإلمحات تكون بدايات صحيحة للإصلاح ، ولم الشمل ، ورأب الصدع الفكرى ،والعلو بالنفس إلى قصد الحق وحده .

إن الاستمساك الحق بالإسلام يصبغ فى المسلم السريرة ويحفظه فى المسيرة . . . يستمسك بحبل الله ، يحب فى الله ، ويبغض فيه ، ويعطى من أجله ويمنع ، يخاصم فيه

ويسالم ، ويعـتزل ويخـالل . إن للدين آثارا فى الأخلاق والأعمـال ظاهرة ، لا تملق ولا مداهنة ، ولا غش ولا خيانة ولكن رأفة بالمؤمنين ورحمة .

ألا فاتقوا الله أيهـا الأحبة . . فإن الدعـوة إلى دين الله ورد الأمة إلى الجادة مسـئولية كبرى يتحملهـا قادة حاكمون ، ومربون مخلصون ، وشباب متـدفق ، وشيوخ مجربون . سدد الله الخطى ، وبارك فى الجهود ، وتقبل من الجمـيع صالح الأقوال والأعمال ، وغفر الذنوب ، وستر العيوب ، فهو الغفور الرحيم .

الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعا) الله أكبر أوجد الكائنات بقدرته فأتقن ما صنع .. الله أكبر شرع الشرائع فأحكم ما شرع .. الله أكبر لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .. الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، أحمده سبحانه وأشكره ،وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تكفل لكل حى برزقه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. مصطفاه من رسله ومجتباه من خلقه .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الله أكبر الله أكبر .. لا إله إلا الله والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .

أما بعد :

أيها المسلمون : لقد كان من وافر حظ الإسلام وعنوان سعادتها وكرامة الله لها تهيئة زمن الكسب المبرور لصرف لحظات العمر وسويعات الحياة فى سبل الطاعات ومسالك الخيرات .. سعى حثيث للتزود من الباقيات الصالحات .

ولقد كان شهركم شهر رمضان المبارك ميدانًا للتنافس شريفًا اجتهد فيه أقوام .. جعلوا رضا الله فوق أهوائهم ، وطاعته فوق رغباتهم .. أذعنوا لربهم فى كل صغير وكبير .

لقد صاموا شهرهم وحافظوا على صيامهم فعظم فى ربهم رجاؤهم ، وقصر آخرون فأضاعوا أوقاتهم وخسروا أعمالهم ،ما حجبهم إلا الإهمال والكسل والتسويف وطول الأمل.

والأدهى من ذلك والأمر أن يوفق أناس لعمل الطاعات والتزود فى فرص الخيرات ، حتى إذا ما انتهى الموسم نقضوا ما أبرموا ، وعلى أعقابهم نكصوا .. أين دروس الصلاح والطهر والاستقامة والتقى من هذا الشهر الكريم ؟!

إن استدامة العبد على النهج المستقيم والمداومة على الطاعة من غير قصر على وقت بعينه أو شهر بخصوصه أو مكان من أعظم البراهين على القبول : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[الحجر : ٩٩] ، ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾[الأحزاب : ٢٣] .

وإن من مظاهر الإحسان ومواصلة العمل الصالح والتوديع بالحسنى: إخراج زكاة الفطر حيث تأتلف القلوب ويتعاطف الغنى مع الفقير .. فرضت طهرة للصائم وطعمة

للمساكين . . . وما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصر غنى ، ومقدارها صاع من طعام من غالب قوت البلد كالأرز والبر والتمر عن كل مسلم ، ووقت إخراجها الفاضل يوم العيد قبل الصلاة . . فأخرجوها رحمكم الله طيبة بها نفوسكم . . تكف بها يد المسكين عن الطلب ويستغنى بها عن المسألة .

الله أكبر الله أكبر . . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد .

أيها الإخوة فى الله : ومن مظاهر الإحسان بعد رمضان الإحسان فى العيد . . فالعيد موسم بهجة بعد أداء الفريضة .

وقد قيل : من أراد أن يرى أخلاق الأمة فليرقبها فى أعيادها . . إذ تنطلق فيه السجايا على فطرتها ، وتبرز العواطف والميول والعادات على حقيقتها ، والمجتمع السعيد الصالح هو الذى تسمو أخلاقه فى العيد إلى أرفع ذروة ، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى . . حيث يبدو المجتمع فى العيد متماسكًا متعاونًا متراحمًا . . تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر والصفا .

إن العيد في الإسلام ـ أيها الإخوة ـ غبطة فى الدين والطاعة وبهجة فى الدنيا والحياة، ومظهر للقوة والإخاء . . إنه فرحة بانتصار الإرادة الخيرة على الأهواءوالشهوات ، والخلاص من إغواءات شياطين الإنس والجن ، والرضا بطاعة المولى ، والوعد الكريم بالفردوس ، والنجاة من النار .

فى الناس ـ أيها الإخوة ـ من تطغى عليه فرحة العيد فتستبد بمشاعره ووجدانه لدرجة تنسيه واجب الشكر والاعتراف بالنعم ، وتدفعه إلى الزهو بالجديد ،والإعجاب بالنفس حتى يبلغ درجة المخيلة والتباهى . وما علم هذا المتباهى أن العيد قد يأتى على أناس قد ذلوا من بعد عز ، فتهيج فى نفوسهم الأشجان ، وتتحرك فى صدورهم كثير من الأحزان. . ذاقوا من البؤس ألوانًا بعد رغد العيش ، وتجرعوا من العلقم كيزانًا بعد وفرة النعيم ، فاعتاضوا عن الفرحة بالبكاء ، وحل محل البهجة الأنين والعناء . . أما نظر هؤلاء فى الأطفال والأيامى فى البوسنة والهرسك ، ومشردى بورما والصومال ؟؟ . . كم من يتيم ينشد عطف الأبوة الحانية ويتلمس حنان الأم الرؤوم . . يرنو إلى من يمسح رأسه ، ويخفف بؤسه . . كم من أرملة توالت عليها المحن . . فقدت عشيرتها تذكرت بالعيد عزا قد مضى تحت كنف زوج عطوف ، كل أولئك وأمثالهم قد استبدلوا بعد العز ذلا ، وبعد الرخاء والهناء فاقة وفقرًا .

فحق على كل ذى نعمة من صام وقام أن يتذكر هؤلاء . . فيرعى اليتامى ، ويواسى

الأيامى ، ويرحم أعزاء قوم ذلوا ، وغرباء قد شردوا .

كم هو جميل أن تظهر أعياد الأمة بمظهر الواعى لأحوالها وقضاياها ، فلا تحول بهجتها بالعيد دون الشعور بمصائبها التى يرزخ تحتها فئام من أبنائها حيث أن يطغى الشعور بالإخاء قويا ، فلا تنسى البوسنة والهرسك ، ولا تنسى فلسطين ، ولا الصومال والفلبين والإخوة فى الهند وكشمير ، ولا أراض للمسلمين أخرى منكوبة بمجاهديها وشهدائها ، بيتاماها وأراملها .. بأطفالها وأسراها ... لماذا يتركون يستجدون أمم الأرض لقمة وكساء، وخيمة وغطاء .. وفى المسلمين أغنياء وموسرون ؟! .

وكم هو جميل أن يقارن الفرح بالعيد وبهجته السعى فى تفريج كربة ، وملاطفة يتيم، ومواساة ثكلى .. يقارنه تفتيش عن أصحاب الحوائج .. فإن لم تستطع خيلا ولا مالا ؛ فاسعفهم بكلمة طيبة ، وابتسامة حانية ، ولفتة طاهرة من قلب مؤمن .

إنك حين تأسو جراح إخوانك إنما تأسوا جراحك ، وحين تسد حاجة جيرانك إنما تسد حاجة نفسك : ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ** ﴾ [فصلت : ٤٦] .

أيها الإخوة فى الله : إن الابتهاج بالعيد نعمة لا يستحقها إلا الشاكرون ،وما الشكر عليها إلا صمود لنوائب الدهر ، ويقظة لدسائس العدو ، وعمارة للأرض بنشر دين الله .

ومن هنا أيها الإخوة : فإن أعياد المسلمين يشارك فيها حق المشاركة ، ويبتهج فيها صدق الابتهاج أهل الطاعات من الصائمين والقائمين والركع السجود ... أما من لم يصم عاصيًا لله ، ولم يقم بما أوجب الله عليه ؛ فلا عيد له ولا بهجة .

العيد مناسبة لإطلاق الأيدى الخيرة فى مجال الخير حيث تعلو البسمة الشفاة وتغمر البهجة القلوب .. مناسبة لتجديد أواصر الرحم في الأقرباء ، والود مع الأصدقاء .. تتقارب القلوب على المحبة ،وتجتمع على الألفة ، وترتفع عن الضغائن .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وودعوا شهركم ، وابتهجوا بعيدكم بالبقاء على العهد ، واتباع الحسنة الحسنة ، فذلك من علامات قبول الطاعات ، وقد ندبكم نبيكم محمد ﷺ بأن تتبعوا رمضان بست من شوال ، فمن فعل ذلك فكأنما صام الدهر كله(١) تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وسائر الطاعات .

---

(١) أخرجه مسلم (٢ / ٨٢٢ ـ ح ١١٦٤) .

خطبة عيد الأضحى (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الرحمن الرحيم ذى الفضل والإحسان ، أحمد ربى وأشكره كما هو أهله ، له علينا وعلى خلقه النعم الظاهرة والباطنة السابغة التامة ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وأشـهد أن نبينا وسيدنا مـحمدًا عبده ورسـوله ، أرسله الله للعالمين بهذا القرآن . . اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ذوى البصائر والإيمان .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ حق التقـوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، فإن تقوى الله خير زاد ونعم المدخر ليوم الميعاد .

عباد الله ، إن لكل أمة عيدا يعود عليهم فى وقـت معلوم ، يتحقق فيه أمل ، ويتتابع به عمل ، وتتقوى به عقـيدة تلك الأمة ، وتقوم فيه بعبادتها ، وتحـقق به جانبا عظيمًا من وحدتها ، ويتمـثل فى هذا العيد رمز وجودها . قال ابن عبـاس رضى الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج : ٦٧] قال: «منسكا يعنى عيدا»(٢) .

لكن أمة الإسلام تختلف فى عيدها عن الأمم الأخرى ؛ فالأمم غير الإسلامية أعيادها أعياد جاهلية أرضية من وضـع البشر ، لا تنفع فى هداية القلوب بشىء ، أما أمة الإسلام فقد بنى مجـدها الواحد الصمد رافع السماء بلا عـمد ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

إن أمة الإسلام عميقة جذور الحق فى تاريخ الكـون ، متصلة الأسباب والوشائج عبر الزمان السحيق ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . وختم الله الأنبـياء الذين بعثهم الله بالدين الحق عليـهم الصلاة والسلام ، ختـمهم بسيد البـشر ﷺ ، فنسخت شريعتـه كل شريعة ، فمن لم يؤمن بمحمـد ﷺ فهو في النار أبدًا ، وأمره الله تعالى أن يتـبع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسـلام ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] . فكانت أمة

(١) خطبة للشيخ / على عبد الرحمن الحذيفى من المسجد النبوى .

(٢) أخرجـه ابن جرير فى تفـسيـره (١٧ / ١٩٨) ، وعزاه السيـوطى فى الدر (٦ / ٤٧) لابن أبى حاتم .

الإسلام وارثة خليل الرحمن محمد ﷺ ووارثة خليل الله إبراهيم الأب الثالث للعالم عليه الصلاة والسلام .

وأنتم في عيدكم هذا على إرث حق ومأثرة صدق من الخليلين عليهما الصلاة والسلام، فقد من الله على المسلمين بعيد الفطر وعيد الأضحى ، عن أنس رضى الله عنه قال : قدم علينا رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « **لقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : عيد الفطر وعيد الأضحى** » أخرجه أبو داود والنسائى[(١)] .

وقد جعل الله برحمته وحكمته هذين العيدين بعد عبادة عظيمة ، فجعل عيد الفطر بعد الصيام والقيام ، ينقل النفس من الجهد والاجتهاد فى العبادة إلى المباحات النافعة التى تجم القلب ليستعد لعبادات أخرى ، وعيد الأضحى بعد الوقوف بعرفة الذي هو أعظم ركن فى الحج ، فيوم عرفة مقدمة ليوم النحر بين يديه ، فإن يوم عرفة يكون فيه الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال والتطهر من الذنوب والنقاء من العيوب ، ثم يكون بعده يوم النحر وذبح القرابين عبادة لله تعالى وضيافة ونزلا من الله الجواد الكريم لوفده ، ثم يأذن الله لوفده بزيارته والدخول إلى بيته العتيق بعد أن هذبوا ونقوا ليتفضل عليهم ويكرمهم بأنواع من الكرامات والهبات ، لا يحيط بها الوصف .

وعيدكم هذا سماه الله فى كتابه يوم الحج الأكبر ؛ لأن أكثر أعمال الحج تكون فيه ، وجاء فى فضل هذا العيد ما رواه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن قرط أن النبى ﷺ قال : « **أفضل الأيام عند الله بوم النحر ويوم القر** »[(٢)] ، وهو اليوم الذى بعد يوم النحر، أي : الحادى عشر .

ومن رحمة الله وحكمته أنه إذا شرع العمل الصالح دعا الأمة كلها إلى فعله ، وإذا لم يتمكن بعض الأمة من ذلك العمل الصالح شرع لهم من جنسه من القربات ما ينالون به من الثواب ما يرفع الله به درجاتهم ، فمن لم يقدر له الوقوف بعرفات للحج شرع الله له صيام عرفة الذى يكفر السنة الماضية والقابلة ، وشرع له الاجتماع لعيد الأضحى فى مصلى المسلمين وصلاة العيد والذكر والأضحية قربانًا لله تعالى ، كما يتقرب الحاج بالذبح لله يوم

---

(١) سنن أبى داود : (١١٣٤) ، وسنن النسائى : (١٥٥٦) ، وأخرجه أيضا أحمد (٣ / ١٠٣) ، وصححه الحاكم (١ / ٤٣٤)، والضياء فى المختارة (١٩١١)، وصححه الحافظ فى الفتح (٢ / ٤٤٢) ، والألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٠٠٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٣٥٠) ، وأبو داود فى المناسك (١٧٦٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤٠٩٨)، وصححه ابن خزيمة (٢٨٦٦) ، وابن حبان (٢٨١١) ، والحاكم (٤ / ٢٤٦) ، وأقره الذهبى، ورمز له السيوطى بالصحة ، وصححه الألبانى فى الإرواء (١٩٥٨) .

النحر اتباعا لهدى نبينا محمد ﷺ ، وتمسكًا بملة أبينا إبراهيم ﷺ ، وتحقيقًا لعبادة الله وحده لا شريك له ، وتوحيدًا لقلوب الأمة ، وجمعا لكلمتها ، وربطا لأمة الإسلام بهداتها العظام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد أوقف جبريل عليه الصلاة والسلام نبينا ﷺ على المشاعر والمناسك كلها منسكا منسكا ، وشرع الله له كل قربة صالحة كما فعل من قبل مع أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

أيها المسلمون ، إن عيدكم هذا ذو منافع عظيمة وفوائد كريمة ، منافعه فى العبادة حيث يتقرب فيه المسلم بأحب الأعمال إلى الله تعالى ،ومنافعه فى الاجتماع حيث يتواصل فيه المسلمون ويتزاورون ويترابطون ويتسامحون ويتوادون فيكونون كالجسد الواحد ، تتلاشى فيه الضغائن والحزازات والأحقاد ، وتنتهى فيه القطيعة والتدابر ، فيكون المسلمون بنعمة الله إخوانًا ، ويتعرضون فى هذا العيد وفي مجتمعه لنفحات الله ، ويسألون الله من فضله فى الدنيا والآخرة ، فتغشاهم الرحمة من الله ، ويستجيب الله تبارك وتعالى لهم ، ويرحم اجتماعهم ويتفرقون بغنائم من الله وفضل .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

عباد الله ، الصلاة الصلاة ، فإنها عمود الإسلام وناهيه عن الآثام ، أقيموها فى بيوت الله جماعة ؛ فإنها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، فإن قبلت قبلت وسائر العمل ، وإن ردت ردت وسائر العمل ، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ؛ فمن أداها فله البركة فى ماله والبشرى له بالثواب ، ومن بخل بها فقد محقت بركة ماله والويل له من العقاب ،وصوموا رمضان ، وحجوا بيت الله الحرام ؛ تدخلوا الجنة بسلام .

وعليكم ببر الوالدين وصلة الأرحام ، فقد فاز من وفى بهذا المقام . وأحسنوا الرعاية على الزوجات والأولاد والخدم ومن ولاكم الله أمره ، وأدوا حقوقهم ، واحملوهم على ما ينفعهم ،وجنبوهم ما يضرهم ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦] ، وفى الحديث عن النبى ﷺ : « **كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته** »(١) .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ،ولله الحمد .

أيها المسلمون ، إياكم والشرك بالله فى الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة

---

(١) أخرجه البخارى (٨٤٤) ، ومسلم (٢٤٠٨) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

والذبح والنذر والتوكل والخوف والرجاء ونحو ذلك من العبادة ؛ فمن أشرك بالله في عبادته خلده الله فى النار ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة : ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن : ١٨] .

وإياكم وقتل النفس التى حرم الله ، ففى الحديث : « **لا يزال المسلم فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حرامًا** » (١) ، ولزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مؤمن .

وإياكم والربا ؛ فإنه يوجب غضب الرب ، ويمحق بركة المال والأعمار ، وفى الحديث : « **الربا نيف وسبعون بابا ، أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه** »(٢) .

وإياكم والزنا ؛ فإنه عار ونار ، وشنار ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وفى الحديث : «**ما من ذنب أعظم عند الله بعد الشرك من أن يضع الرجل نطفته فى فرج حرام** »(٣) .

وإياكم وعمل قوم لوط ؛ فقد لعن الله من فعل ذلك ، قال ﷺ : « **لعن الله من عمل عمل قوم لوط** » قالها ثلاثا (٤) .

وإياكم والمسكرات والمخدرات ؛ فإنها موبقات مهلكات ، توجب غضب الرب ، وتمسخ الإنسان ، فيرى الحسن قبيحًا ، والقبيح حسنا ، عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **كل مسكر حرام ، وإن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، عصارة أهل النار** » رواه مسلم والنسائى(٥) .

---

(١) أخرجه البخارى (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧١٥١) عن البراء بن عازب رضى الله عنه ، قال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١١٧) : « فيه عمر بن راشد وثقه العجلى وضعفه جمهور الأئمة » ، وحكم عليه أبو حاتم بالانقطاع كما فى العلل لابنه (١ / ٣٨١) ، ولكن له شواهد يصح بها ، ولذا صححه الألبانى في السلسلة الصحيحة (١٨٧١) .

(٣) عزاه السيوطى فى الجامع لابن أبى الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائى ، وأخرجه ابن الجوزى من طريقه فى ذم الهوى (ص ١٩٠) والهيثم تابعى ثقة ، فهو مرسل ،والراوى عنه أبو بكر بن أبى مريم ضعيف ،ولذا ضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٥٨٠) .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٣٠٩) ، وأبو يعلى (٢٥٣٩) ، والطبرانى (١١٥٤٦) ، والبيهقى (٨ / ٢٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما فى حديث طويل ،وصححه ابن حبان (٤٤١٧) ، والحاكم (٤ / ٣٥٦) ، وذكره الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٤٢١) .

(٥) صحيح مسلم : (٢٠٠٢) .

وإياكم وشرب الدخان ، قال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥] ، وهو باب من أبواب الشر كبير ، يفتح على الإنسان شرورًا كثيرة .

وإياكم وأموال المسلمين وظلمهم ؛ فمن اقتطع شبرًا من الأرض بغير حق طوقه الله إياه من سبع أراضين .

وإياكم وأموال اليتامى ؛ فإنه فقر ودمار وعقوبة عاجلة ونار .

وإياكم وقذف المحصنات الغافلات ، فإنه من المهلكات .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

وإياكم والغيبة والنميمة ؛ فإنها ظلم للمسلم وإثم ، تذهب بحسنات المغتاب ، وقد حرمها الله فى الكتاب .

وإياكم وإسبال الثياب والفخر والخيلاء ، ففى الحديث : « **ما أسفل من الكعبين فهو فى النار** »(١) .

يا معشر النساء ، اتقين الله تعالى ، وأطعن الله ورسوله ، وحافظن على صلاتكن ، وأطعن أزواجكن ، وارعين حقوقهم ، وأحسن الجوار ، وعليكن بتربية أولادكن التربية الإسلامية ورعاية الأمانة ، وإياكن والتبرج والسفور والاختلاط بالرجال ، وعليكن بالستر والعفاف ؛ تكن من الفائزات ، وتدخلن الجنة مع القانتات ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت** » رواه أحمد والطبرانى(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء النبى ﷺ مع بلال إلى النساء فى عيد الفطر فقرأ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الممتحنة : ١٢] ، ثم قال: « أنتن على ذلك؟ »

---

(١) أخرجه البخارى (٥٧٨٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) مسند أحمد (١ / ١٩١) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، قال المنذرى فى الترغيب (٢ / ٦٧١) : « رواة أحمد رواة الصحيح خلا ابن لهيعة ، وحديثه حسن فى المتابعات»، وعزاه الهيثمى فى المجمع (٤ / ٣٠٦) للطبرانى فى الأوسط وقال : « فيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب (١٩٣٢) : «حسن لغيره » .

قالت امرأة : نعم يا رسول الله(١) . وروى الإمام أحمد أن أميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله ﷺ على هذه الآية ، وفيه : « ولا تنوحي ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية » (٢) . ومعنى ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه ﴾ أي : لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **أيما امرأة أدخلت على قوم ولدًا ليس منهم فليست من الله في شيء ولن تدخل الجنة** » رواه أبو داود (٣) .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس : ٥٧ . ٥٨] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، ونفعنا بهدى سيد المرسلين وبقوله القويم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٥) ،ومسلم (٨٨٤) .

(٢) مسند أحمد (٢ / ١٩٦) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وأخرجه أيضًا الطبري في التفسير (٢٨ / ٧٩)، والطبراني في مسند الشاميين (١٣٩٠) ، وعزاه الهيثمي في المجمع (٦ / ٣٧) للطبراني وقال : « رجاله ثقات » ، وحسنه الألباني في جلباب المرأة المسلمة (١٢١) .

(٣) سنن أبي داود : (٢٢٦٣) ، وأخرجه أيضًا النسائي (٣٤٨١) ، وابن ماجه (٢٧٤٣) ، والدارمي في النكاح (٢٢٣٨) ، والبيهقي في الكبرى (٧ / ٤٠٣) ، وصححه ابن حبان (٤١٠٨) ، والحاكم (٢٨١٤) ، لكن في إسناديه مجهولان ، ولذا ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤٢٧) .

الخطبة الثانية

الله أكبر ، الله أكـبر ، الله أكبر ، الله أكبـر ، الله أكبر ، الله أكبـر ، الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

الله أكـبر كـلما ضـجت الأصـوات بالدعـوات ، الله أكـبر كلـما تقـرب العـابدون بالصالحات، الله أكـبر كلما تعرضوا لنفـحات الرحمن فى عرفات ،وكلمـا سفحت الأعين هنالك من العبـرات ، الله أكبر كلما تعـاقب النور والظلمات ، الله أكبر عـدد ما خلق فى السماء ، الله أكبر عدد مـا خلق فى الأرض ، الله أكبر عدد كل شىء ، الله أكبر ملء كل شىء الله أكبر عدد ما أحصاه كتابه وملء ما أحصاه كتابه .

الحمـد لله رب العالمين ، أعز بطاعـته المتقين ، وأذل بمعصـيته الفـاسقين ، الذى نزل الكتاب وهو يتـولى الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له القوى المتين ، وأشهـد أن نبينا وسيدنا مـحمداً عـبده ورسوله الأمين ، بعـثه الله بين يدى الساعة رحـمة للعالمين ، لينذر من كـان حيا ويحق القـول على الكافرين ، اللهم صل وسلم على عـبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ تفلحوا ، وأطيعوه تهتدوا .

عباد الله ، إن يومـكم هذا يوم فضيل وعيـد عظيم جليل ، يجتمع فيـه الحاج بمنى ، يكملون أنساك حـجهم ، ويذبحـون قرابينهم للإله الحق لا رب غيـره ، إحياء لـسنة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشرع نبينا مـحمد ﷺ ، فقد أمر الله خليله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد إسماعيل عليه السلام ، فبادر إلى ذلك مسارعا ، وأتى الأمر طائعا ، فلما أضجعه للذبح سلب الله السكين حدها ، وعـالج الذبح بالسكين فلم تنفذ فى الرقبـة ، فلما اطلع الله على العزم الأكـيد واليقين الوطيد فدى الله إسـماعيل عليه السـلام بذبح عظيم ، وفاز الخليل عليه الصـلاة والسلام فى هذا الابتلاء ،وحـقق درجة الخلة التي لا تقبل الشـركة ، فأراد الله أن تكون خلة إبراهيم خالصـة لله ، لا يشاركه فيها محـبة الولد ، والمحبة والذل

والانقياد هي العبادة .

وقد وفى مقام الخلة أيضًا سيد البشر نبينا محمد ﷺ ، فقد اتخذه الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا . رواه البخارى(١) .

ووقف العالم مطلعا على هذا الابتلاء لأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وروتها الأجيال من جميع الملل عبر التاريخ ، معظمين هذا الإيمان الأعلى ، وكان ذبح أبينا إبراهيم لفداء ابنه الذى فدى به الرب تبارك وتعالى ، كان سنة فى بنيه فى هدى الحج وأضاحى المسلمين .

جاء فى فضل الأضحية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ : « ما عمل ابن آدم فى يوم أضحى أفضل من دم يهراق إلا أن يكون رحما يوصل » رواه الطبرانى(٢) ، وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « يا فاطمة ، قومى إلى أضحيتك فاشهديها ، فإن لك بكل قطرة من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك » ، قالت : يا رسول الله ، ألنا خاصة أهل البيت ، أو لنا وللمسلمين ؟ قال : « بل لنا وللمسلمين » رواه الطبرانى والبزار(٣) .

واعلموا أن الشاة تجزئ في الأضحية عن الرجل وأهل بيته ، وتجزئ البدنة وهى الناقة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ،ولا يجزئ من الضأن إلا ما تم له ستة أشهر ،ولا من المعز إلا الثنى وهو ما تم له سنة ، ولا يجزئ من الإبل إلا ما تم له خمس سنين ،ولا من البقر إلا ما تم له سنتان .

ويستحب أن يتخيرها سمينة صحيحة ، ولا تجزئ المريضة البين مرضها ، ولا العوراء، ولا العجفاء وهى الهزيلة ، ولا العرجاء البين ظلعها ، ولا العضباء التى ذهب أكثر أذنها أو

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه .

(٢) عزاه الهيثمي في المجمع (٤ / ١٨) للطبرانى فى الكبير ، وقال : « فيه يحيى بن الحسن الخشنى وهو ضعيف ، وقد وثقه جماعة » ، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٥٢٥) .

(٣) أخرجه الحاكم (٤ / ٢٢٢) من طريق عطية عن أبى سعيد ، قال الذهبى : « عطية واه » ، وعزاه المنذرى في الترغيب (٢ / ١٠٠) للبزار ولأبى الشيخ فى الضحايا وقال : « فى إسناده عطية بن قيس وثق وفيه كلام » ، وكذا قال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٧) ، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢ / ١٥) .

قرنها ، وتجزئ الجماء والخصى .

والسنة نحر الإبل قائمة معقولة اليد اليسرى ، ويقول عند الذبح : بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا منك ولك .

ويستحب أن يأكل ثلثا ، ويهدى ثلثا ، ويتصدق بثلث ، ولا يعطى الجزار أجرته منها .

ووقت الذبح بعد صلاة العيد ويومان بعده باتفاق أهل العلم ، واليوم الذى بعد ذلك فيه خلاف بينهم ، والأرجح جوازه .

عباد الله ، تذكروا ما أمامكم من الأهوال والأمور العظام بعد الموت ، وتفكروا فيمن صلى معكم فى هذا المكان فى سالف الزمان من الآباء والأحبة والإخوان ، كيف خلفوا الدنيا وواراهم التراب وانصرف عنهم الأحباب ، ولم ينفعهم إلا ما قدموا ، ولم يلازمهم إلا ما عملوا ، يتمنون استدراك ما فرط وفات ، وأنى للحياة الدنيا أن ترجع للأموات ؟!

وتفكروا فى القرون الخالية العظام الشداد ، الذين غرسوا الأشجار ، وأجروا الأنهار ، واختطوا المدن والأمصار ، وتمتعوا باللذات فى طول أعمار ، كيف نقلوا إلى ظلمات اللحود ومراتع الدود ، وإن ما أتى على الأولين سيأتى على الآخرين .

فأعدوا للحياة الطيبة الأبدية ، ولا تركنوا لحياة النصب والمكاره والأذية ، فليست السعادة فى لبس الجديد ولا فى أن تأتى الدنيا على ما يتمنى المرء ويريد ، لكن السعادة والله فى تقوى الله عز وجل والفوز بجنة الخلد التى لا يفنى نعيمها ولا يبيد ، والنجاة من نار عذابها شديد ، وقعرها بعيد ، وطعام أهلها الزقوم والضريع ، وشرابهم المهل والصديد ولباسهم القطران والحديد .

عباد الله ، اشكروا ربكم على ما من الله به عليكم فى هذه البلاد من الأمن والإيمان وعافية الأبدان وتيسر الأرزاق وتوفر مرافق الحياة وانطفاء نار الفتن المدمرة ، واستديموا نعم الله بشكره وطاعته .

عباد الله ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٥٦] ، وقد قال ﷺ : « **من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه**

بها عشرا » .

فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وسلم تسليمًا كبيرًا ، اللهم ارض عن الصحابة أجمعين . . .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

مقدمة ٣

القسم الأول : القرآن الكريم ٧

ربيع القلوب ٩

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ١٦

نهل وارتشاف ، من معين سورة « ق » ٢٢

القسم الثاني : العلوم والعلماء ٢٨

أعذب الموارد العلم النافع ٢٩

إلى الموقعين عن رب العالمين ٣٤

القسم الثالث : العقيدة ٤٣

القضية الأم ٤٤

آيات الله فى الكون ٥١

دوحة الإيمان ٥٨

التوحيد خير عاصم من التطير والتشاؤم ٦٣

كلا للسحر والشعوذة ! ٦٩

أثر العقيدة فى مواجهة التحديات ٧٧

القسم الرابع : السنة والسيرة ٨٢

من للسنة النبوية اليوم ؟! ٨٣

السيرة النبوية وواقع الأمة ٩٠

تحبير المقال فى حكم الاحتفال ٩٨
أبو بكر الصديق رضى الله عنه ١٠٦
القسم الخامس : العبادات ١١٣
لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ١١٤
العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ١٢٠
نعمة الصلاة وأثرها على العبد المسلم ١٢٦
روح الصلاة ولبها ! ١٣٤
يوم إنابة ، وساعة إجابة ١٣٩
الزكاة : مواساة ونماء ، لا جباية وعناء ١٤٥
كيف نستقبل رمضان ؟! ١٥٠
« يا باغى الخير ، أقبل ! » ١٥٨
حالنا بعد رمضان ! ١٦٤
الإعلام بقدسية البلد الحرام ١٦٩
نثر العقيق ، وصايا لحجاج البيت العتيق ١٧٧
وماذا بعد الحج ؟! ١٨٢
« ذروة سنام الإسلام ! » ١٨٧
بالحسبة كنا خير أمة ! ١٩٥
القسم السادس : المعاملات ٢٠٣
كسبان لا يلتقيان ! ٢٠٤
نعم المال الصالح للرجل الصالح ٢١٠
أحكام اليمين ٢١٨

﴿يمحق الله الربا﴾ ٢٢٤
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢٣١
القسم السابع : الأخلاق والسلوك ٢٣٩
الأمانة : مفهومها ، ومكانتها ، وآثارها ٢٤٠
﴿ووصينا الإنسان﴾ ٢٤٧
المؤمن القوى ٢٥٦
﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ٢٦١
تحذير المسلمين والمسلمات من آكل الحسنات !! ٢٦٧
الإعراض عن مقراض الأعراض! ٢٧٦
الخصلة الذميمة : المشى بالنميمة !! ٢٨٥
مرض بلا مضض ٢٩٤
القسم الثامن : القضايا الاجتماعية ٣٠١
الزواج حصانة وابتهاج ٣٠٢
نصائح للزوجين ٣٠٩
« أبغض الحلال ! » ٣١٨
النداء الحانى ، إلى النصف الثانى ٣٢٥
لا تدخلوا حتى يؤذن لكم ٣٣٢
الحجاب والجلباب ٣٣٧
تربية الأولاد ٣٤٢
نحو تربية أمثل فى عصر الفضائيات ٣٤٩
ضوابط التعامل بعد الطلاق ٣٥٧

شباب ومخاطر ٣٦٥

القسم التاسع : مآسي المسلمين وقضاياهم ٣٧١

صرخة عبرة ، وذرفة عبرة ، إبان حرب الخليج ٣٧٢

قضايا المسلمين والأقصى إلى أين ؟! ٣٧٩

مأساة البوسنة والهرسك بين الواجب الإسلامى والتخاذل العالمى ! ٣٨٥

لوعة الضمير على قضية كشمير ٣٩٢

القسم العاشر : الرقائق ٣٩٩

إلى متى الغفلة ، يا عباد الله ؟! ٤٠٠

« القبر أول منازل الآخرة ! » ٤٠٨

آثار المعاصى والذنوب على المجتمعات والشعوب ٤١٧

أنذرتكم النار ٤٢٣

القسم الحادي عشر : خطب المناسبات ٤٢٩

بداية العام آمال وآلام! ٤٣٠

بين غيثين هما مادة الحياة « خطبة صلاة الاستسقاء » ٤٣٦

خطبة عيد الفطر المبارك المناسبات وهموم الأمة ٤٤٧

خطبة عيد الأضحى ٤٥٦

فهرس الموضوعات ٤٦٧